منشورات ملتقى الواحتين

شرح ديوان ابن المقرب

أعده وحققه وعلق عليه

عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي

ساعده

علي سعيد البيك و عبد الغني العرفات

الجزء الرابع



الطبعة الثانية
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com



شرح

ديوان ابن المقرّب

٥٧٢ ـ ٦٣١ هـ

قوبل على ثمان مخطوطات مشروحات

وروجع على عشرين مخطوطة مجردة من الشرح

أعَدَّه وحَقَّقَه وعَلَّق عليه

عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي

ساعده

علي بن سعيد البيك   **عبد الغني بن أحمد العرفات**

الجزء الرابع

٧٧. وله أيضاً يمدح « الأجل الأوحد »[١] بدر الدين لؤلؤاً ملك الموصل ـ نسخة[٢] صاحب الموصل – « تغمده الله برحمته »[٣]:

بِسُمْرِ القَنَا وَالمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ

بنَاءُ المَعَالِيْ، وَاقْتِنَاءُ المَكَارِمِ

---

[١] ما بين القوسين إضافة من منسوخة الموصلية.

[٢] كذا وردت هذه الكلمة معترضةً في الرضوية الأصل، ويقصد أنه في نسخة ورد فيها صاحب الموصل بدلاً من ملك الموصل، وتلك هي قراءة البرنستنية، وفي منسوخة الموصلية: "وقال أيضاً يمدح الأجل الأوحد بدر الدين لؤلؤاً صاحب الموصل تغمَّده الله برحمته، وهي هذه حيث يقول."، ثم ذكر القصيدة، والمقدمة نفسها في القادرية، ولكنه أضاف في آخرها جملة: "وقد أجاد"، ولا نراها إلا من ناسخها.

[٣] ما بين القوسين إضافة من البريطانية٢ ومنسوخة الموصلية، وفي الأحسائية والمدريدية مقدمة واحدة، وهي قوله: "وقال أيضاً يمدحه"، وذلك أنّ هذه القصيدة فيهما تلي القصيدة اللامية التي مطلعها:

حطوا الرحال فقد أودت بها الرِّحلُ

وهي في مدح بدر الدين لؤلؤ أيضاً، فعطف هنا على ذلك.

ولم تذكر الطبعة الهندية هذه المقدمة مكتفية بالقول: "وقال أيضاً." ثم هي فيها غير مشروحة.

القنا: الرماح، والمرهفات: السيوف القواطع، وأرهفت السيف: حددته ورققت حده فهو مرهف، ومن نعوت السيف: المرهف والصمصامة، وهو الصارم الذي لا ينثني، والمأثور، وهو الذي في متنه أثر، وهو الصفيحة وهو العريض، والقضيب، وهو اللطيف، والمفقر، وهو الذي فيه حزوز مطمئنة عن متنه، والحزاز، وهو الماضي، والخَشيْب، وهو الذي بُدِىء في طبعه ثم صار اسماً للسيف لما كثر عند العرب، والمشرفي، وهو منسوب إلى المشارف، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف، والصقيل، وذو الكريهة، وهو الذي يمضي على الضرائب، والعضب وهو القاطع، والحسام وهو مثله، والمذكّر وهي سيوف شفراتها حديد ذكر ومتونها أنيث، يقول العرب أنها من عمل الجن، والهُذَام القاطع، واللهذم مثله، والمهو وهو الرقيق، قال صخر الغي:

.... أبيض مهو في متنه ربد[٤]

الربد: فرند السيف، وكذلك القاضب، والمصمم الذي يمر في العظام، والمطبق الذي يصيب المفاصل، والمنصل اسم من

---

[٤] كانت في الأصل: " رند " وهو خطأ، وفي البريطانية والبرنستنية: " زند " وهو خطأ كذلك، وفي لسان العرب والصحاح: " رُبَد " وهو فرند السيف، وذكر البيت المذكور هنا، وهو لصخر الغيّ الهذلي، فصححناه على ذلك.

أسمائه، ومن نعوت السيف الكليل الذي لا يمضي، والكهام وهو الكليل، ويقال له أيضاً الدوار، والقضم وهو الذي طال عليه الدهر فيكسر حده، والأنيث هو الذي من حديدة غير ذكر، والمعضد وهو الذي يمتهن في قطع الشجر، وكذلك المعضاد، والمكارم: الفضائل، والكرم نقيض اللؤم، وأقتنيت المال وغيره أخذته، وفي المثل: (لا تقتنين من كلبِ سوءٍ جرواً)، ويقال قنوت الغنم وغيرها قنوةً وقنيت أيضاً قَينةً وقِينةً إذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة.

وَفِـــيْ صَـــهَوَاْتِ الخَيْـــلِ تَـــدْمَىْ نُحُوْرُهَـــاْ

شِـــــفَاْءٌ لأَدْوَاْءِ القُلُــــوْبِ الحَــــوَاْئِمِ

الصهوة: « موضع »[٥] اللبد من الفرس، وصهوة الجبل[٦] أعلاه، والأدواء جمع داء، وشفائه: برؤه، والحوائم: العطاش، والحيام: العطش.

---

[٥] ما بين القوسين من البريطانية والبرنستنية.

[٦] كانت في الأصل: " الخيل " والتصحيح من البريطانية والبرنستنية.

وَلَـيْسَ بِــ (بِـسْمِ اللّهِ) قُـدّامَ بَغْلَـةٍ[٧]
فَخَــارُ لجَعْــدِ الكَــفِّ رَخْــوِ الملاغِــمِ

يقال فلان جعد الكف وجعد الأنامل وجعد اليدين إذا كان بخيلاً، والملاغم ما حول الفم ويبلغه[٨] اللسان، واسترخاؤها: استرساها، من أرخيت الستر أرسلته، يقال: شيء رَخْو ورخو ـبكسر الراء وفتحهاـ أي هش.

وَمَا الفَخْـرُ إلاّ الطَّعْـنُ وَالـضَّرْبُ وَالنَّـدَى
وَرَفْــضُ الــدَّنَايَا، وَاغْتِفَــارُ الجَــرَائِمِ

الدنايا جمع دنية، وهو السنّة[٩] الخسيسة، ورفضها تركها، ورفض الشيء: تركه، ومنه سميت الرافضة، وهم قوم كانوا

---

[٧] جاء في الطبعة الهندية قراءة أخرى لهذا الشطر هي:
وفي الكرِّ والحملات يوم كريهةِ .... إلــــــــــــخ
وربما يكون تعديلاً من ناشريها، فربما استقبحوا ما قاله الشاعر، وهو بالفعل أمرٌ غير مستحسن توظيف لفظ البسملة بهذا الأسلوب.

[٨] كانت في الأصل: " سلعة " والتصحيح من البريطانية.

[٩] وفي البريطانية والبرنستنية: " الخِلّة ".

من أصحاب زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام رفضوه أي تركوه وتفرقوا عنه، والجرائم جمع جريمة، والجريمة: الذنب، وكذلك الجرم، واغتفارها: سترها، يقال اغْتَفَر ذنبه وغَفَرَ له ذنبه مغفرةً وغَفْرا وغُفْرَاناً فهو غفور، والجمع غُفُر، والغفر: التغطية، والغفر: الغفران، وغفرت الطعام جعلته في الإناء، والغفرة ما يغطى به الشيء، يقال اغفروا هذا الأمر بغفرته أي أصلحوه بما ينبغي أن يصلح.

وَلَفُّ السَّرَايَا بالسَّرَايَا تَخَالُهَا

حِرَارَ الحِجَازِ أَوْ بحَارَ الكَوَاظِمِ

السرية: قطعة من الجيش، يقال: خير السرايا أربعمائة رجل، ولفها: خلط بعضها ببعض، والالتفاف: الاختلاط والاجتماع، وقول الله تعالى: ﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً ﴾[10] أي مجتمعين مختلطين، وتخالها: تظنها، وخلت الشيء: ظننته، والحرار جمع حرّة، وهي أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار، وتجمع أيضاً على حرّات، والحجاز أرض معروفة[11]، والكواظم أرض على سيف البحر.[12]

---

[10] الاسراء: من الآية١٠٤

[11] كانت في الأصل: " معرقة " والتصحيح من البريطانية

تَقَحَّمَهَــا قِــدْمًا إِلَــى المَــوْتِ فِتْيَــةٌ

تَــرَى عِيْـشَةً فِـي الـذُّلِّ حَـزَّ الغَلاْصِـمِ

تقحمت الشيء واقتحمته إذا رميت نفسك فيه من غير فكر ولا روية، وفتية جمع فتى، والفتى هو السخي الكريم، يقال فتى بيّن الفتوة، والجمع فتيان وفتيةٌ وفتُوّ، قال الشاعر:

وفتـــــوٍ حـــــسنٍ أوجههـــــم مــن إيــاد بــن نــزار بــن معــد

والغلاصم جمع غلصمة، وهي رأس الحلقوم، وهو الموضع الناتئ من الحلق، والحز: القطع، يقال حزه واحتزه أي قطعه، والحز: الفُرض في الشيء، الواحدة حزة، والحز: الحين والوقت، وأما الحزازة فوجع في القلب من غيظ ونحوه، وكل شيء حلّ في صدرك فقد حزّ.

خَلِيْلَيَّ مِنْ عَمْـرِوْ بْـنِ غَـنْمِ بْـنِ تَغْلِـبِ

ذَرَانِــي فَــإِنِّي بــالعُلَى جِــدُّ هَــائِمِ

والبرنستنية.

[12] وهي المعروفة باسم كاظمة المشهورة في أشعار العرب، وتقع اليوم ضمن أراضي دولة الكويت إلى الشمال الغربي من العاصمة الكويت بـ ٢٦ كلم يفصل بينهما خورٌ بحري واسع.

الهائم: العاشق، والهُيام -بالضم-: الجنون من العشق، وجد هائم أي هائمٌ جداً.

فَمَا السُّمْرُ عِنْدِي غَيْرُ خَطِّيَّةِ القَنَا
وَلا البِيْضُ عِنْدِي غَيْرُ بِيْضِ اللَّهَاذِمِ[١٣]
وَلا تَذْكُرَا الصَّهْبَاءَ مَا لَمْ تَكُنْ دَمَاً
وَلا مُسْمِعَاً مَا لَمْ يَكُنْ صَوْتَ صَارِمِ
فَإِنِّيْ أُحِبُّ الشُّرْبَ فِيْ ظِلِّ قَسْطَلٍ
مَجَالِسُهُمْ فِيْهِ ظُهُوْرُ الصَّلادِمِ

الصهباء: الخمر، ومسمع: المغني، والسماع: الغناء، والقنا: الرماح منسوبة إلى الخط، وهي القطيف من البحرين، وصوت صارم أي سيف قاطع، والشرب: القوم يجتمعون على الشراب، وهو جمع شارب مثل صاحب وصحب، ويجمع الشرب على شروب، والقسطل: الجيش الكثير، والقسطل واحد القساطل، والقسطل: الغبار، والصلادم يعني الخيل الشداد واحدها صلدم، والصلدم -بالكسر-: الصلب

---

[١٣] في البريطانية: " الصوارم " بدلاً من: " اللهاذم " هنا.

الشديد، ،الأنثى صلدمة.

وَأَهْـوَىٰ اعْتِنَـاقَ الـدَّارِعِيْنَ، وَأَجْتَـوِيْ

عِنَـاقَ بُيَيْـضَاتِ[١٤] الخُـدُوْرِ النَّـوَاعِمِ

أهوى أي أحب، والهوى: المحبة، والاعتناق: المعانقة، وأجتوي أي أكره، واجتويت الشيء: كرهته، وبييضات الخدور تصغير بيضات جمع بيضة، والمرأة يكنى عنها ببيضة الخدر، والخدر: الستر، وجارية مخدرة[١٥] إذا لزمت الستر، والنواعم: اللينات الأجسام الواحدة ناعمة.

وَمَـنْ طَلَـبَ العَلْيَـاءَ جَـرَّدَ سَـيْفَهُ

وَخَـاضَ بِـهِ بَحْـرَ الـرَّدَىٰ غَيْـرَ وَاجِـمِ

العلياء: الشرف والرفعة، وجرّد سيفه أي سلّه، والردى: الهلاك، وبحره أي موضع معظمه، وخوضه: اقتحامه، والواجم هو الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام، ووجم أي سكت، ووجم عن الأمر: أمسك، وخاض به: عبر به

---

[١٤] في القادرية: " ربيبات ".

[١٥] كانت في الأصل: " والجارية المخدرة " والتصحيح من البريطانية والبرنستنية.

وقطع به، وغير واجم أي غير ساكت.

فَمَا عَظُمَتْ قِدْمًا قُرَيْشٌ وَوَائِلٌ
عَلَى النَّاسِ إِلاّ بارْتِكَابِ العَظَائِمِ

وَمَنْ لَمْ يَلِجْ بالنَّفْسِ فِيْ كُلِّ مُبْهَمٍ
يَعِشْ غَرَضًا لِلذِّلِّ عَيْشَ البَهَائِمِ

الولوج: الدخول في الشيء، وقوله تعالى: ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْل ﴾[16] أي يزيد في هذا من ذاك وذاك من هذا، وأما وليجة الرجل فخاصته وبطانته، والمبهم: الأمر الذي لا مأتى له من أبهمت الباب أغلقته، واستبهم عليه الكلام: استغلق مثله، والغرض: الهدف الذي يرمى فيه، وقوله: فهمت غرضك أي « مقصودك »[17] وقصدك.

وَمَنْ لَمْ يَقُدْهَا ضَامِرَاتٍ إِلَى العِدَى
تُقَدْ نَحْوَهُ عُوْجُ البُرَى وَالشَّكَائِمِ

---

[16] الحج: من الآية٦١

[17] ما بين القوسين من البريطانية.

يقدها يعني الخيل « والبُرى جمع بُرّة »[١٨] وهي الحلقة، وأصل البرة بروةٌ لأنها جمعت على بُرى مثل قَرْية وقُرَى، ويجمع على بُرات وبرون[١٩]، والشكائم جمع شكيمة، والشكيمة في اللجام: الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس.

فَمَا انْقَادَتِ الأَشْرَارُ إلاّ لِغَاشِمٍ
لَهُ فِيهِمُ فَتْكُ الأُسُودِ الضَّرَاغِمِ
فَمَنْ رَامَ أنْ يَسْتَعْبِدَ النَّاسَ فَلْيَمُلْ
عَلَيْهِمْ بأَطْرَافِ القَنَا غَيْرَ رَاحِمِ

الانقياد: الخضوع، والأشرار ضد الأخيار، ويقال قومٌ شرار وأشرار، ورجل شرير أي ذو شرّ، والغاشم: الظالم، والغشم: الظلم، وسميت الحرب غشوماً لأنها تنال غير الجاني، والمغشم والغشمشم الذي يركب رأسه ولا يرده شيء عما

---

[١٨] ما بين القوسين من البريطانية والبرنستنية، وهو ساقط من الرضوية والبرلينية.

[١٩] في البريطانية: " بروة وبروة " ولكنها تكرار لما سبق، وفي الصحاح: وتجمع على بُرات وبُرِيْن، ولعل ما هو هنا محرف عنه.

يطلب من حَرَبه وشجاعته، والفتك: الجرأة، والفتك أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارّ غافل فيشد عليه فيقتله، وفي الحديث: ﴿ قَيَّدَ الإيمان الفتك ﴾[٢٠] أي لا يفتك مؤمن، وذلك إذا كمن « له »[٢١] في موضع لا يعلم « به »[٢٢] ليلاً أونهاراً فإذا وجد غرّة قتله، ثم كثر استعمالهم إياه حتى صار الإقدام على الأمور العظام فتكاً، والفتك ثلاثة أنواع، القتل وقد مر وصفه، والغيلة أن يخدع الإنسان حتى يصير إلى موضع يستخفى له ثم يقتله، والفتك الغدر، وهو أن يعطيه الأمان ثم يقتله، والضراغم جمع ضرغام، وهو اسم من أسماء الأسد.

فَــأَكْثَرُ مَــنْ تَلْقَــىٰ لِــسَانَ مُــسَالِمٍ

وَتَحْــتَ جَــأَجِيْ الــصَّدْرِ قَلْــبُ مُــصَارِمِ

المسالم « من »[٢٣] السلم، وهو الصلح يفتح ويكسر، ويذكر ويؤنث، والسلم: المسالم[٢٤]، يقول أنا سِلمٌ لمن سالمني،

---

[٢٠] انظر الفائق في غريب الحديث ٣ : ٦.

[٢١] ما بين القوسين من البرنستنية.

[٢٢] ما بين القوسين من البريطانية والبرنستنية.

[٢٣] ما بين القوسين من البريطانية والبرنستنية.

[٢٤] كانت في الأصل: " المسلم " والتصحيح من البرنستنية.

والصارم: القاطع، وصرمت الرجل قطعته، والتصارم: التقاطع، والجآجئ جمع جؤجؤ، وهو جانبا الصدر، ويكون الجؤجؤ للطير خاصة دون الآدميين.

كَلامٌ كَأَرْيِ النَّحْلِ حُلْوٌ وَإِنَّهُ
لأَخْبَثُ غِبّاً مِنْ لُعَابِ الأَراْقِمِ

الأري: العسل، والنحل: الذباب الذي يخرج منه العسل، والأخبث ضد الأطيب، وقولهم: فلانٌ خبيث أي خبٌّ رديء، وغب كل شيء عاقبته، وقد غَبَّت الأمور أي صارت إلى أواخرها، واللعاب: ما يسيل من الفم، واللعاب من النحل العسل، ولعاب الشمس ما تراه في الحرّ مثل نسج العنكبوت، ويقال هو السراب، والأراقم: الحيّات فيها سواد وبياض الواحد أرقم.

فَيَا خَاطِبَ العَلْيَاءِ لَيْسَ[25] مَنَالُهَا
بِرَفْعِ الغَوَاشِي وَاتِّخَاذِ التَّرَاجِمِ

الغواشي جمع غاشية، وهي جلدة يغشى بها السّراج،

---

[25] في البريطانية: " إن " بدلاً من: " ليس " هنا، وينقلب المعنى إلى عكسه بوضع " إنّ " مكان " ليس "، والصحيح ما في الأصل.

واستغشى بثوبه أي تغطى به، وتغشى مثله، والغشاء: الغطاء، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾[26]، والتراجم جمع ترجمان ـبضم التاء وفتحهاـ يقول: ترجم كلامه إذا فسّره بلسان، والترجمان هو الذي يترجم الكلام أي يفسّره بلسان آخر.

فَدَعْ عَنْكَ ذِكْرَاهَا فَبَعْضُ صَدَاقِهَا

وُرُوْدُ المَنَايَا، وَاحْتِمَالُ المَغَارِمِ

وَلاْ تَبْسُطَنْ كَفَّاً إِلَيْهَا وَخَلِّهَا

لأَرْوَعَ يُغْلِي مَهْرَهَا غَيْرَ نَادِمِ

الأروع الذي يروعك بجماله، والمهر: الصداق، يقال: مهرت المرأة وأمهرتها، وفي المثل: (كالممهورة إحدى خدمتيها) والمهيرة: الحرّة.

وَخَفْ سَيْفَ بَدْرِ الدِّيْنِ، وَاحْذَرْ فَإِنَّهُ

لأغْيَرُ مِنْ لَيْثٍ جَرِيْءِ المَقَادِمِ

---

[26] يّس: من الآية٩

غار الرجل على أهله يغار غيراً وغيرةً ـبالفتحـ وغاراً، ورجل غيور ومغيار وغيران، وقوم مغايير، وجمع غيران غيارى، وجمع غيور غُيُر، وامرأة غيرى[٢٧] وغيور، ونسوةٌ غيارى، والليث من أسماء الأسد، يقال: ليث جريء المقدم ـ بضم الميم وفتح الدالـ أي جريء عند الإقدام، واستقدم وتقدم بمعنى كما يقال استجاب وأجاب.

فَلَيْسَ [لَهَا][٢٨] كُفْؤٌ سِوَاهُ فَإِنْ تَكُنْ

(يَسَارُ الغَوَانِيْ) تُخْصَ ضَرْبَةَ لازِمِ

الكفؤ هاهنا المِثل، ويسار الغواني «هاهنا»[٢٩] أراد يسار الكواعب فلم يستقم له، فقال يسار الغواني، وهو عبدٌ له خبر مشهور أوردته في غير هذا الموضع[٣٠]، ويخصى من

---

[٢٧] كانت في الأصل: " غيراء " والتصحيح من البرلينية، وهو موافق لما في اللسان.

[٢٨] ما بين القوسين من البريطانية والبريطانية٢ والقادرية والبرنستنية، وهي ساقطة من الرضوية.

[٢٩] ما بين القوسين من البريطانية.

[٣٠] انظره في شرح القصيدة التي أولها:

إلى كم مناجاة الهموم العوازب وحتى مَ تأميل الظنون الكواذب

الخصي، وهو « سَلُّ »[31] البيضتين، وضربة لازم، ويقال ضربة لازب، قال كُثَيِّر:

فمـا ورق الـدنيا ببـاقٍ لأهلـه ولا شـدة الـدنيا بـضربة لازب

ألاْ إنَّ بَـــدْرَ الـــدِّيْنِ تَـــأْبَىْ طِبَاْعُــــهُ

نَظِيْــرَاً، وَفِــيْ هِنْدِيِّـــهِ فَــضْلُ قَــاْئِمِ

هُــوَ المَلِــكُ الــسَّاْمِيْ إِلَــىْ كُــلِّ غَاْيَــةٍ

مَرَاْهِـــصُهَاْ لاْ تُرْتَقَـــىْ بالـــسَلاْلِمِ

السامي: الطامح النظر من السموّ وهو[32] العلو، والمراهص جمع مرهصة -بالفتح- وهي الدرجة والمرتبة، قال الشاعر، وهو الأعشى:

رمى بك [في][33] أخراهم تركك الندى

---

[31] كـان في الأصـل: " مثـل " والتـصحيح مـن البريطانيـة والبرنستنية.

[32] كانـت في الأصـل: " مـن " والتـصحيح مـن البريطانيـة والبرنستنية.

[33] ما بين القوسين من البريطانية والبرنستنية.

وفـــضَّل أقوامـــاً عليـــك مراهـــصا

وأما الرِهص -بالكسر- فهو العرق الأسفل من الحائط، يقال: رهصت الحائط بما يقيمه، والرواهص: الثابتة المتراصفة، والسلالم جمع سلّم، وهو الذي يرتقى عليه.

إِذَا هَـــمَّ أَمْـــضَى عَزْمَـــهُ بِكَتَائِـــبٍ

حِمَـى المَلِـكِ المُـرْدَى بِهَـا غَيْـرُ سَالِمِ

همّ أي عزم، وأمضى عزمه أي أنفذه، والكتائب جمع كتيبة، وهي الجيش العظيم، ورديت الشيء بالشيء صككته.

جَـرَى وَجَـرَتْ كُـلُّ المُلُـوْكِ إِلـى العُـلاْ

فَجَلَّـــى غِـــلاْءَ الأَعْـــوَجِيِّ المُتَـــاْئِمِ

جلّى أي سبق، والمجلي هو السابق من خيل الحلبة، وجلى ببصره إذا رمى به كما يبصر الصقر إلى الصيد، والأعوجي منسوب إلى أعوج فحل معروف من الخيل، والغِلاء من السرعة، وغلوت بالسهم غلوًّا إذا رميت به أبعد ما يقدر عليه، وفي المثل: (جري المذكيات غِلاء[٣٤])، والمتائم من الخيل

---

[٣٤] ويروى أيضاً: "غلاب" كما في كتاب المقاييس في اللغة لابن

التي تأتي بجري بعد جري، قال الزاجر:

عــافي الرقــاق منهــبٍ مــوائم وفي الــدّهاس مــضبر[35] متــائم

جَــوَادٌ إِذَا مَــا الْخُــوْرُ عَامَــتْ فِــصَالُهَا

وَلَــمْ يَبْــقَ فِــيْ أَخْلَافِهَــا فِطْــرُ صَــائِمِ

الفصال واحدها فصيل، وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه، وفصلت الرضيع عن أمه: فطمته، والعيمة: شهوة اللبن، وقد عام الرجل يعيم ويعام عيمةً فهو عيمان، وأعامه الله: تركه بغير لبن من قولهم رجل عيمان أيمان ذهبت إبله وماتت امرأته، والخور جمع خوارة، وهي الكثيرة اللبن، والأخلاف جمع خلف، وهي الحلمة الزائدة في الضرع، ويقال أنه الضرع نفسه، وهو الأصح.

يُــــسَرُّ بمَــــرْأَىْ النَّـــازِلِيْنَ بِبَابِــــهِ

سُــرُوْرَ أَبٍ بــابْنٍ مِــنَ الغَــزْوِ قَــادِمِ

فارس مادة (ذ ك ا).

[35] كانت في الأصل: " وفي الذهابين مصير " والتصحيح من البريطانية والبرنستنية.

يسر من السرور، والنازلين يعني الأضياف، وقدم من سفره مقدماً وقدوماً ووردت مقدم الحاج، تجعله ظرفاً وهو مصدر أي وقت مقدم الحاج، وجعله من الغزو لأنه أشد سروراً بمقدمه منه من مقدم غيره.

هُوَ البَحْرُ بَلْ لَوْ زَاحَمَ البَحْرَ مَدُّهُ
لأَرْبَى عَلَى تَيَّارِهِ المُتَلاطِمِ

المد خلاف الجزر، والمد هو ارتفاع الماء وعلّوه، والجزر رجوعه إلى خلف، وأربى أي زاد، وتياره: معظم مائه، والتيار: الموج المتلاطم، قال عدي بن زيد:

.... كالموج يقذف بالتيار تيارا

وتلاطم الموج: ضرب بعضه بعضاً، واللطم: الضرب على الوجه ببطن الراحة، وفي المثل: (لو ذات سوار لطمتني) قول امرأة لطمتها امرأة ليست كفؤها.

هُوَ السَّيْفُ بَلْ لَوْ أَنَّ لِلسَّيْفِ عَزْمُهُ
لَشَقَّ الطِّلَى وَالهَامَ قَبْلَ التَّصَادُمِ

الطلى: الأعناق واحدها طلية، والتصادم في الحرب: التضارب بالسيوف، يقال: تصادموا واضطربوا.

هُوَ الشَّمْسُ بَلْ لَوْ قَابَلَ الشَّمْسَ بُشْرُهُ

لَمَا اسْتُوْضِحَتْ إلاّ كَحَلْقَةِ خَاتَمِ

البشر: طلاقة الوجه، وهو السرور، يقال: بشرت به أي سررت به، والاسم من ذلك البشارة -بالكسر والضم- واستوضحت الشيء إذا تركت يدك على عينك تنظر هل تراه، يقال: استوضح عينه يا فلان، واستوضحته الأمر والكلام إذا سألته أن يوضحه لك، ووضح الطريق: محجته، والمتوضح: الذي يظهر في الطريق ولا يدخل الخَمَرَ، ويقال: خاتَم وخاتِم وختيام وخاتام.

يقول: لو قابل الشمس بطلاقة وجهه لغلب نوره على نورها، فذهب شعاعها فتصير كحلقة الخاتم لذهاب نورها، والعرب تشبه « الرجل »[٣٦] الكريم بالبحر، والشجاع بالسيف، والجميل المنظر بالشمس.

عَلاَ فِي النَّدَى أوْسَاً، وَفِي الزُّهْدِ وَالتُّقَى

أُوَيْسَاً، وَفِي الإغْضَاءِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمِ

---

[٣٦] ما بين القوسين من البريطانية.

أوس: يعني أوس بن حارثة بن لام الطائي، وكان يضرب به المثل في الكرم، وأويس: هو أويس القرني يضرب به المثل في الزهد، وقيس بن عاصم من بني منقر[٣٧]، وكان يضرب به المثل في الحلم.

وَأَوْلَى الرَّعَايَا عَدْلَ كِسْرَى وَسَاسَهَا
سِيَاسَةَ مَيْمُوْنِ النَّقِيْبَةِ حَازِمِ
تَهَادَى رَعَايَاهُ اللَطَائِمَ بَيْنَهَا
وَكَمْ مِثْلُهَا فِيْ مِثْلِ حَرِّ الأَطَائِمِ

اللطائم جمع لطيمة، وهي فارة المسك، واللطيمة: العير التي تحمل الطيب والبزّ، وتسمى سوق العطارين أيضاً لطيمة، والأطائم واحدتها أطيمة، والأطيمة موقد النار، قال الشاعر:

في مـوطنٍ ذرب الـشَّباء كأنما فيه الرجال على الأطائم والطلى[٣٨]

---

[٣٧] ثم من بني تميم.

[٣٨] هذا البيت للأفوه الأودي، وهو كما في الصحاح والمقاييس في اللغة:

في مـوطنٍ ذرِب الـشبّا فكأنما فيه الكماة على الأطائم واللظى

وميمون النقيبة أي مبارك النفس والرأي، وقوله كسرى يعني كسرى نوشروان، والحازم: الرجل الضابط أمره.

وَيُمْسِي قَرِيرَ العَيْنِ مَنْ فِي جَنَابِهِ

وَإِنْ كَانَ نَائِيْ الدَّارِ جَمَّ الدَّرَاهِمِ

جنابه: قربه، ونائي الدار أي بعيد الدار، وجم الدراهم: كثيرها يصفه بالعدل والعفة.

إِذَا جَادَ لَمْ يُذْكَرْ لِفَضْلٍ وَجَعْفَرٍ

سَمَاحٌ، وَلَمْ يُحْفَلْ بِكَعْبٍ وَحَاتِمِ

يعني الفضل وجعفر ابني خالد[٣٩] بن برمك، وكعب بن مامة الإيادي، وحاتم بن عبد الله الطائي.

وَإِنْ قَالَ أَلْغَى النَّاسُ سَحْبَانَ وَائِلٍ

وَقُسًّا، وَمَا فَاهَا بِهِ فِي المَوَاسِمِ

سحبان وائل رجل يضرب به المثل في البلاغة، وكذلك

---

[٣٩] الصحيح أنهما ابنا ابنه يحي بن خالد بن برمك.

قس بن ساعدة، وقوله: "وما فاها « به »[40]" أي ما لفظاه، يقال فاه بالكلام أي لفظ به، والمفوه: المنطيق، وأما قولهم: (فقلت له فاهاً لفيك) معناه الخيبة[41] لك، يقول جعل الله لفيك الأرض كما يقال بفيك الحجر، وأنشد:[42]

وقلت له فاهاً لفيك فإنه قلوص امرئ قاربك ما أنت حاذره

والمواسم: المواضع التي تجتمع فيها العرب واحدها موسم، وسمي بذلك لأنها معلمٌ يجتمعون إليه.

وَإِنْ صَالَ أَنْسَى حَارِثاً وَمُهَلْهِلاً

وَعَمْراً وَبِسْطَاماً وَحَارِ بْنَ ظَالِمِ

يعني الحارث بن عباد[43] بن مرة بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة[44]، ومهلهل بن ربيعة وعمرو بن معدي كرب وبسطام

---

[40] ما بين القوسين من البرنستنية.

[41] في البرنستنية: " الجنة " بدلاً من " الخيبة " هنا، وهو شيء طريف.

[42] هو أبو سدرة الهُجيمي، انظر اللسان مادة (ف و ه).

[43] كانت في الأصل: " عبادة " وهو خطأ، والتصحيح من البريطانية.

[44] كانت في الرضوية والبريطانية والبرنستنية: (تغلب)، وهو

بن قيس بن ذي الجدين والحارث بن ظالم المرّي، وكلهم يضرب به المثل في الشجاعة.

سَـــلِ الخَيْـــلَ عَنْـــهُ وَالكُمَـــاةُ كَأَنَّهَـــا

قِيَـــامٌ عَلَـــى مَـــوْجٍ مِـــنَ النَّـــارِ جَـــاحِمِ

الخيل يعني الفرسان، وجاء في الحديث: ﴿يا خيل الله اركبي﴾[45]، والكماة: الشجعان واحدها كمي، وهو المتكمي في سلاحه لأنه كمّى نفسه أي سترها بالدرع والبيضة، والجمع الكماة كأنهم جمعوا كميًّا، والجاحم: المكان الشديد الحر، ومنه الجحيم اسمٌ من أسماء النار، وكل نارٍ عظيمة في مهواة فهي جحيم من قوله تعالى: ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾.[46]

أَلَـــمْ يَـــكُ أَمْـــضَاهَا جَنَانًـــا وَصَـــارِمًا

وَلِلْبِـــيْضِ وَقْـــعٌ فِـــي الطُّلَـــى وَالجَمَـــاجِمِ

الطلى جمع طلية وهي الأعناق.

تحريف واضح، والصحيح " ثعلبة "، وهم بنو قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

[45] انظر سنن أبي داؤد ١ : ٥٧٧

[46] الصافات: من الآية٩٧

وَكَمْ هَامَةٍ خَشْنَاءَ رَاحَتْ جِبَاهُهَا

نِعَالاً لأَيْدِيْ خَيْلِهِ فِيْ المَلاحِمِ

الهامة: هامة الرأس، وهامة القوم: رئيسهم، والملاحم: الوقائع العظيمة التي يكثر فيها القتل الواحدة ملحمة.

لَقَدْ أَصْبَحَ الإِسْلامُ فِيْ كُلِّ مَوْطِنٍ

يَنُوْءُ بِرُكْنٍ مِنْهُ عَبْلِ الدَّعَائِمِ

الموطن: المشهد من مشاهد الحرب، وينوء: ينهض، وركن الشيء: جانبه الأقوى، وهو يأوي إلى ركن شديد أي إلى عزّ ومنعة، والعبل: الضخم، والدعائم واحدتها دعامة، وهي عماد البيت، ويسمى السيد أيضاً دعامة.

أَقَامَ لَهُ فِيْ كُلِّ ثَغْرٍ كَتَائِبَاً

تُقِيْمُ اصْعِرَارَ الأَبْلَخِ المُتَضَاجِمِ

إقامة الشيء: إدامته، ومنه المقيمون الصلاة، والثغر: الموضع الذي منه يخاف العدو، والكتائب: الجيوش، والاصعرار والصعر: الميل في الخد خاصة، وقد صَعَرَ خَدُّهُ

وصَعَّرَه أماله من الكبر، وأما الصيعرية فاعتراض في السير، وهو من الصعر، والأبلخ: الرجل المتكبر، يقال بلخ الرجل ـ بالكسرـ وتبلخ أي تكبر فهو أبلخ بيّن البلخ، والمتضاجم: المعوج الفم يريد به التمايل، وتضاجم الأمر بين القوم: اختلف، والضَجَم: العوج.

دَعَـاهُ لِنَصْرِ الدِّيْنِ خَيْـرُ خَلِيْفَـةٍ
وَمَـا زَالَ يُـدْعَى لِلأُمُـوْرِ العَظَـائِمِ

فَلَبَّـى مُطِيْعَـاً لِلإِمَـامِ وَحَسْبُهُ
بِـذَا مَفْخَـرَاً فِـي عُرْبِـهَا[٤٧] وَالأَعَـاجِمِ

فَقَـادَ إِلَـى الإِفْـرَنْجِ جَيْـشَاً زُهَـاؤُهُ
عَدِيْـدُ الحَـصَى ذَا أَزْمَـلٍ وَزَمَـازِمِ

زهاؤه أي مقداره، يقال هم في زهاء ألف أي مقدار ألف، والأزمل: الصوت، وقوله: أخذت الشيء بأزمله أي كله، والزمازم: الأصوات، والزمزمة: صوت الرعد، والزمزمة

---

[٤٧] كانت في الأصل: " عربه " والتصحيح من البريطانية والقادرية.

أيضاً كلام المجوس عند أكلهم، والزمزمة -بالكسر- الجماعة من الناس، قال الزاجر:

إذا براني زمزمٌ من زمزم ....

وَجَيْشاً يُوَارِيْ الشَّمْسَ رَيْعَانُ نَقْعِهِ
إلَىْ (التُّرْكِ) إِذْ جَاءُوْا لِهَتْكِ المَحَارِمِ

إِذَاْ (التَّتَرُ) البَاغُوْنَ ذَاْقُوْا لِقَاءَهُ
تَمَنَّوْا بِأَنْ كَانُوْا دَمَاً فِيْ المَشَائِمِ

المشائم واحدتها مشيمة، وهي التي تخرج مع الولد، و"التتر الباغون" التتر: قبيلة من الترك، ،وهم الذين خرجوا في وقتنا هذا من الصين، وعاثوا « في »[48] بلاد الإسلام حتى بلغوا مُراغة[49]، وقتلوا المسلمين أبرح قتل حتى أجلوا مدائن كثيرة[50]

---

[48] ما بين القوسين من البرنستنية.

[49] كانت في الأصل: " مراغمه " وكذا في البريطانية، ولكنها كُتبت في المخطوطة البرنستنية " مراغة " وهو الصحيح، وعنها كتبناها هنا، وقد كنا نظن حتى قبل حصولنا على المخطوطة البرنستنية أن " مراغمه " محرّفة عن " مُراغة " وهي البلدة المشهورة التي نكبها التتار في أول خروجهم لغزو البلاد الإسلامية، وهذا

وقتلوا ما لا يحصى عدده.

جُيُوشُ هِيَ الطُّوفَانُ لاْ رَمْلُ (عَالِجٍ)

وَلاْ جَبَلُ (الأمْرَاْرِ) مِنْهَاْ بعَاْصِمِ

الطوفان: الماء الغالب يغشى على كل شيء، والطوفان: المطر الغالب أيضاً، والطوفان: العذاب، وعالج: رمل بين البحرين وظفار يُسار فيه اثني عشر ليلة[51]، وجبل الأمرار جبل

الكلام يدل دلالة قطعية على أن الشارح معاصرٌ للشاعر إن لم يكن الشاعر هو نفسه من كتب هذا الكلام أو أملاه على الشارح لأنه ذكر وصول التتر إلى مراغة وفتحهم لها في اليوم الرابع من صفر لعام ثمانية عشر وستمائة للهجرة؛ كما ذكر ذلك ابن الأثير في تاريخه، وفي هذا الوقت كان شاعرنا في العراق، وفي الموصل بالتحديد، فينبغي أن يكون الديوان المقربي قد تم شرحه بدءاً من بعد هذا التاريخ بقليل، وعليه فإن الأقرب في تاريخ هذه القصيدة أن يكون قالها في هذا العام.

[50] ورد في هذا الموضع من المخطوطة البريطانية: "حتى حَلُّوا مدائن كسرى" بدلاً من "حتى أجلو مدائن كثيرة"، وما أراها إلا تحريف للجملة الأخيرة، لأنّ وصول التتر إلى المدائن كان بعد هذا التاريخ بمدة طويلة عند بدء تفكيرهم باحتلال بغداد التي سقطت بأيديهم عام ٦٥٦هـ، والمدائن قريبة جداً من بغداد تقع الآن إلى الجنوب الشرقي منها بسبعة وعشرين كيلو متراً تقريباً.

[51] فهو إذاً ما يعرف اليوم باسم الربع الخالي، وإن كان

معروف[52]، وعاصم أي مانع، واعتصم بالشيء امتنع به ولجأ إليه.

مُعَـــوَّدَةٌ نَــصْرَ الإِلَـــهِ فَمَـــا غَـــزَتْ
مَنِيْـــعَ حِمَـــىً إلاَّ انْثَنَـــتْ بالغَنَـــائِمِ
إِذَا مَـــا دَعَـــتْ يَـــا بَـــا الْفَـــضَائِلِ أَرْعَـــدَتْ
فَـــرِيْصُ الأَعَـــادِيْ فَاتَّقَـــتْ بِـــالهَزَائِمِ

انثنت أي رجعت، ودعت أي نادت، وأبو الفضائل كنية بدر الدين، وفريص جمع فريصة، وهي لحمة بين كتفي الرجل إذا خاف من شيء رعدت،[53] وهي تجمع أيضاً على فرائص،

الجغرافيون المسلمون قد اختلفوا حول تحديد رمل عا لج اختلافاً كثيراً، فيراجع في موضعه من كتب البلدان.

[52] انظر معجم ما استعجم للبكري رسم « الأمرار » حيث ذكر هناك أنه في بلاد بني شيبان، كما ذكر في رسم « الخوع » ما يفيد أنه بقرب جبل الأمرار، وذكر عن الخوع أنه بنطاة خيبر، والشيء نفسه ذكره ياقوت في معجم البلدان رسم (الخوع) أيضاً.

[53] في البرنستنية: « وهي اللحمة بين الجنب والكتف التي لا تزال ترعد من الدابة ».

وفريص العنق أوداجها واحدتها فريصة، يقول منه فَرَصْتُه[٥٤] أي أصبت فريصه، وهو مقتل، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ﴿ إني لأكره أن أرى الرجل ثائراً فريص رقبته قائماً على مريته يضربها ﴾[٥٥] كأنه أراد عصب الرقبة وعروقها لأنها التي تتوثب في الغضب.[٥٦]

سَتَبْقَى بِهِ الإِفْرِنْجُ وَالتُّرْكُ مَا بَقَتْ
كَأَنَّ حَشَايَاهَا ظُهُورُ الشَّيَاهِمِ

بقت لغة في بقيت، والحشايا واحدها حَشِيِّة، والحَشِيِّة: الفِراش، والشياهم واحدها شيهم.[٥٧]

---

[٥٤] كانت في الأصل: " فريصة " وكذلك الحال في البريطانية، ولكن في اللسان مادة (ف ر ص): وفرصته أي أصبت فريصته. انتهى، وهو المراد هنا.

[٥٥] انظر غريب الحديث لابن سلام ٣ : ١٩ طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ الهند.

[٥٦] كانت في الأصل: " العصب " والتصحيح من البريطانية والبرنستنية.

[٥٧] فاته أن يذكر أنّ الشيهم هو الذكر من القنافذ؛ يريد أنّ فرش أعداء الممدوح كأنها ظهور القنافذ المشوكة، فلا يستطيعون النوم عليها، وكل ذلك لتبيين مدى خوفهم منه.

تُقَلِّبُهَا جَنْبَاً فَجَنْبَاً مَخَافَةً[58]

ثَوَتْ فَاسْتَقَرَّتْ بَيْنَ تِلْكَ الحَيَازِمِ

ثوت أي أقامت، واستقرت أي ثبتت، والحيازم واحدها حيزوم، وهو الصدر.

فَإِنْ هَوَّمَتْ أَهْدَتْ لَهَا سِنَةُ الْكَرَى

سَرَايَاهُ تَرْدِيْ بالقَنَا وَالصَّوَارِمِ

هوّم الرجل إذا هزّ رأسه من النعاس، «والكرى: النعاس»[59] وأصبح الرجل كريان الغداة أي ناعس، وسراياه: جيوشه، وردي الفرس يردي ردياً ورديانا إذا رجم الأرض بين العَدْو والمشي الشديد، وسئل بعض العرب عن الرديان، فقال: عدو[60] الحمار بين أريه ومتمعكه، وردي الغلام إذا رفع إحدى رجليه وقفز بالأخرى.

---

[58] جاء في مخطوطة الموصلية والبريطانية٢ والقادرية: " تقلّبها حيناً وحيناً مخافةً."

[59] ما بين القوسين من البريطانية والبرنستنية.

[60] كانت في الأصل: " علو " والتصحيح من البريطانية، وهو موافق لما في لسان العرب مادة (ر د ي).

فَتُزْعِجُهَــاْ حَتَّــىْ كَــأَنْ قَــدْ أصَــاْبَهَاْ

مِــنَ المَــسِّ مَــاْ لاْ يُتَّقَــىْ بالتَّمَــاْئِمِ

أزعجه الشيء إذا أقلقه وأقلعه من مكانه وانزعج « من »[٦١] نفسه، والمزعاج من النساء التي لا تستقر في مكان، والمسّ: الجنون، والممسوس الذي به مسٌّ من جنون، وأما قوله تعالى: ﴿ لا مِسَاس ﴾[٦٢] فمعناه لا أَمُسّ ولا أُمَس، والتمائم: التعاويذ واحدتها تميمة، والتميمة عوذة تعلق على الإنسان، وأما التميمة التي في الحديث: ﴿ من علّق تميمة فلا أتم الله له ﴾[٦٣] فقيل هي خرزة، وأما المعاذات إذا كتب فيها القرآن واسم الله تعالى فلا بأس بها.

فَلَــيْسَ لَهُــاْ فِــيْ نَوْمِهَــاْ مِنْــهُ رَاْحَــةٌ

إذَا النَّوْمُ سَرَّىْ الهَــمَّ عَــنْ كُــلِّ نَــاْئِمِ

الهم: الحزن، وسَرّاه عنه أي كشفه، ويقال أسرى عنه الهم وأسراه أي كشفه.

---

[٦١] ما بين القوسين من البريطانية.

[٦٢] طه: من الآية٩٧

[٦٣] انظر مسند أحمد بن حنبل ٤ : ١٥٤.

إِلَيْـكَ طَـوَتْ يَـاْ بَـاْ الفَـضَاْئِلِ وَامْتَطَـتْ

بِـيَ البُعْـدَ هِمَّـاْتُ النُّفُـوْسِ الكَـرَاْئِمِ

فَكَـمْ مَـتْنِ سَـاْجٍ تَحْـتَ سَـاْجٍ قَطَعْتُـهُ

عَلَـىْ ظَهْـرِ سَـاْجٍ غَيْـرِ وَاْهِـيْ العَـزَاْئِمِ

ساج الأول يعني البحر، والثاني الليل، والثالث المركب لأنه من خشب الساج، وسجى الليل أي طم وسكن، وكذلك البحر، والواهي: الضعيف، والواهي: المسترخي، وهي الحائط إذا ضعف وهمّ بالسقوط، وكل شيء استرخى رباطه فقد وهى.

وَكَمْ جُبْتُ مِـنْ خَـرْقٍ تَمُـوْتُ بِهَـاْ الـصَّبَاْ

بِعَزْمَــةِ مَــضَّاْءٍ عَلَــىْ الهَــوْلِ حَــاْزِمِ

الخرق: الأرض الواسعة، ويموت بها الصَّبا أي لبعد أقطارها لا تقطعها الصَّبا.[٦٤]

---

[٦٤] وفي البرنستنية: "الضبا" ـكذاـ في الشعر والشرح، ويبدو أنه أراد: "الظِّبا".

وَقَــدْ كُنْــتُ ذَا مَــالٍ جُــلاَلٍ وَثَــرْوَةٍ
يُــضَاعَفُ إِكْرَامِــيْ، وَتُرْجَــىْ مَكَــارِمِيْ

جلال -بالضم- أي جليل، والثروة: كثرة المال.

فَمَــالَ عَلَــى حَــالِيْ وَمَــالِيْ وَثَرْوَتِــي
مَــآلِيْ،[٦٥] وأَصْــغَىْ لاخْــتِلاقِ النَّمَــائِمِ

مال من الميل، وهو الظلم يقال مال عليه[٦٦] في الظلم، والمآل: المرجع، والنمائم: السعايات، واختلاقها: افتراؤها، وخلق الإفك: افتراه وابتدعه، وأصغى إليه: مال إليه بسمعه.

---

[٦٥] المآل: المرجع، ويقصد به ابن عمِّه الحاكم، ومنه ما ورد في بحار الأنوار - (ج٤١: ٥٢ طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٩٨٣م) - في وصف الإمام علي عليه السلام وهو قوله: وكان عليه السلام بشره دائم، وثغره باسم غيث لمن رغب وغياث لمن ذهب مآل الآمل وثمال الارامل يتعطف على رعيته ويتصرف على مشيته و يكفه بحجته ويكفيه بمهجته ، ولفظة " مآلي " التي بمعنى مرجعي هنا هي فاعل " مالَ " في أول البيت، وعليه يعود ضمير الفاعل في الفعل " أصغَى " أيضاً.

[٦٦] كانت في الأصل: " مالي عليه " والتصحيح من البريطانية.

وَظَلْتُ أعَانِيْ السَّجْنَ فِيْ قَعْرِ هُوَّةٍ

سُمَاعِيْ وَألْحَانِيْ غِنَاءُ الأدَاهِمِ

أعاني أي أقاسي، والمعاناة: المقاساة، والهوة: الوهدة العميقة، وكذلك الأهوية على أفعولة، والسماع: الغناء، واللحون واحدها لحن، وقد لحن في قراءته إذا طرّب بها وغرّد، ويقال فلان ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة[٦٧] وغناءً، ولحن الشيء حذاه، والأداهم يعني القيود يشير في ذلك إلى السجن الذي كان فيه وما كان فيه من القيود.

وَهَاأنَا قَدْ ألْقَيْتُ رَحْلِيَ عَائِذاً

بنَعْمَاكَ مِنْ أيْدِيْ الزَّمَانِ الغَوَاشِمِ

العائذ: اللاجئ، ولذت بفلان أي لجأت إليه، والرحل: جميع ما يستصحب المسافر.

وَخَلَّفْتُ بـ (البَحْرَيْنِ) أهْلِيْ وَمَنْزِليْ

رَجَاءَ الغِنَىْ مِنْ سَيْبِكَ المُتَرَاكِمِ

---

[٦٧] كانت في الأصل: " قولة " والتصحيح من البريطانية ١٩٢٠

وَطُــوْلُ مُقَــامِيْ مُتْعِــبُ لِــيْ وَجَالِــبُ
عَلَــيَّ مِــنَ الأَدْنَــىْ أَحَــرَّ المَــلاوِمِ

السيب: العطاء، والمتراكم: الكثير بعضه على بعض.

فَبُوْرِكْــتَ مِــنْ مَلْــكٍ أَقَــلُّ هِبَاتِــهِ
تُبِــرُّ عَلَــىْ فَــيْضِ البِــحَارِ[68] الخَـضَارِمِ

بوركت من البركة، وهي النماء والزيادة، وتبركت بفلان تيمنت به، والتبريك الدعاء بالبركة، وتبرّ أي تزيد، والخضارم: البحار الكثيرة الماء، والخضرم: البحر سمي بذلك لكثرة مائه، وكل كثير واسع فهو خضرم، والجمع الخضارم، والخضرم أيضاً الكثير العطية تشبيهاً بالبحر الخضرم، والخضارم: قوم من العجم خرجوا في أول الإسلام فتفرقوا في بلاد العجم، فمن أقام منهم بالبصرة فهم الأساورة، ومن أقام منهم بالكوفة فهم الأعامرة، ومن أقام منهم بالشام فهم الخضارمة، ومن أقام منهم بالجزيرة والموصل فهم الجرامقة، ويقال الجراهمة.

---

[68] في البريطانية: " البحور ".

وَعِشْتَ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي مُخَلَّدَاً
لِنُصْرَةِ مَظْلُومٍ، وَإِرْغَامِ ظَالِمِ

مرّ الليالي: اجتيازها، ومرّها: ذهابها، يقال: مرّ عليه وبه اجتاز، ومرّ مروراً ذهب واستمر مثله، والإرغام: الإذلال، يقول أرغم الله أنفه أي ألصقه بالرغام، وهو التراب، ومنه حديث عائشة في الخضاب: (اسْلِتِيْهِ وَأَرْغِمِيْه)[٦٩] هذا دعاء له بالبقاء.

[٦٩] كانت في الأصل: " أسلبته " والتصحيح من البريطانية، وهو كذلك في مختار الصحاح، وفي اللسان: وفي حديث عائشة، رضي الله عنها: أَنّها سُئلت عن المرأة توضأَتْ وعليها الخِضابُ فقالت: اسْلِتِيهِ و أَرْغِمِيه؛ معناه أَهِينِيه وارمي به عنك في التراب.

٧٨. وقال يمدح الأمير « الأجل »[٧٠] عماد الدين أبا علي محمد بن مسعود بن أبي الحسين أحمد[٧١] بن أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي « العيوني »[٧٢]، ويستعطفه ويذكره الأرحام والقرابات التي بينه وبينه،[٧٣] ويبرأ إليه من أمور كانت أقوام من اليمن[٧٤] قد كذبوها ونقلوها عليه يريدون بها

---

[٧٠] ما بين القوسين إضافة من البريطانية والظاهرية.

[٧١] في البريطانية: "مسعود بن محمد أبي الحسين أحمد"، وفي البرنستنية: "مسعود بن أبي الحسين بن أحمد"، وفيهما اضطراب واضح، فمسعود هو مسعود بن أبي الحسين أحمد، ولفظة: "محمد" بينهما مقحمة في البريطانية، وكذلك لفظة "بن" بين أبي الحسين وأحمد في البرنستنية، وسيرد تعداد آباء الممدوح في القصيدة بما لا مجال للشك معه.

[٧٢] ما بين القوسين إضافة من البريطانية والظاهرية.

[٧٣] في البرلينية والروسية: "ويذكره الأرحام والقرابة التي بينهما"، وفي البرنستنية: "ويذكره الأرحام والقرابات بينه وبينه وبين قومه؟" واللفظة الأخيرة لا تستساغ لأن المادح والممدوح من أسرة واحدة.

[٧٤] سبق وقلت إنّ المراد بهؤلاء القوم من اليمن بطونٌ من قبيلة الأزد كانوا يسكنون البحرين من زمنٍ قديم؛ حتى قبل نزول قبيلة عبد القيس فيها، ثم بعد نزول هذه القبيلة البحرين حالفت هذه البطون اليمنية بعض بطون هذه القبيلة، ولا سيما بني جذيمة من عبد القيس، فقد شاركوهم في الزارة عاصمة القطيف وفي واحة آفان القطيفية، ثم عند مجيء القرامطة تحالفت بعض هذه البطون

هلاكه ومحو آثاره، ويذكره ما كان جرى عليه مما كان في سبب محبَّته لآل فضل وميله إليهم من السجن ونهب الدار واستهلاك الأموال من راسيةٍ وماشيةٍ وصامت وناطق.[٧٥]

صُــعُوْدُ العُـــلاْ إلاّ عَلَيْـــكَ حَــرَاْمُ

وَعَـيْشٌ سِـوَىْ مَـاْ أنْـتَ فِيْـهِ حِمَـاْمُ

العيش: الحياة، وعاش يعيش عيشاً وعيشةً ومعيشاً ـبغير هاءـ ومعاشاً ومعيشةً، والعيش ايضاً المطعم والمشرب، وما يكون منه حياة، والمعيشة: اسمٌ لما يعاش به، والعيشة ضرب من العيش، يقال: عاش فلان عيشة صدق وعيشة سوء،

الأزدية معهم مثل حِدّان وحمي بن عيمان الذين كانوا يسكنون مدينة (الآرة) من البحرين قرب الأحساء، والتي سبق وعرفت بها، وسيذكر الشاعر حمي بن عيمان وحِدّان الأزديتين باسميهما هذين في القصيدة النونية التي مطلعها:

ما أنصف الطلل الثاوي بماوانا

لم نشجه يوم سلمنا وأشجانا

[٧٥] جاء في الأحسائية بدلاً من هذه المقدمة: "وقال أيضاً نوَّر الله مرقده يمدح محمد الذي مرّ"، ويبدو أنّ الناسخ قد التبس عليه الأمر بين محمد بن مسعود الممدوح في هذه القصيدة وبين عمه محمد بن أبي الحسين الذي مدحه الشاعر بالكثير من قصائده.

والحمام: « قَدَرُ »[76] الموت.

وَكُلُّ غَمَامٍ لَمْ تُثِرْ غَادِيَاتِهِ

رِيَاحُ نَدَى كَفَّيْكَ فَهْوَ جَهَامُ

الغمام: السحاب، الواحدة غمامة، والجهام: السحاب الذي هريق ماؤه.

وَمَا الْمَجْدُ إلاّ مَا بَنَيْتَ وَشَادَهُ

بعَزْمِكَ بَأْسٌ صَادِقٌ وَحُسَامُ

المجد: الشرف والكرم، وتشييد البناء: تقويته وتطويله، وأصل العزم القوة، والحسام: السيف القاطع.

وَلاَ سَعْيَ إلاّ دُوْنَ سَعْيِكَ فَلْيَنَمْ

وَيَدْرِ امْرُؤٌ نَاوَاكَ كَيْفَ يَنَامُ ؟

أصل السعي في كلام العرب هو التصرف في كل عمل، وسعى الرجل إذا مشى، وسعى إذا عدا، وسعى إذا عمل،

---

[76] ما بين القوسين من البرنستنية.

وسعى إذا قصد، قال الله تعالى: ﴿ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّه ﴾[77] أي اقصدوا، ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [78]معناه إلا ما عمل، « وناواه أي عاداه، والمناواة: المعاداة.»[79]

وَأُقْسِمُ لَوْلاَ صِدْقُ بَأْسِكَ لاغْتَدَتْ
قُوَىْ مُرَرِ العَلْيَاْءِ وَهْيَ رِمَاْمُ

المرر: الحبال، وقواها طاقتها، والمرة: القوة وشدة العقل أيضاً، والمرير والمريرة: العزيمة، والمررة من الحبال ما لطف واشتد فتله، والجمع المرائر، والرمام: البالية، وهي جمع رمة، وهي القطعة من الحبل البالية، وبها سمي غيلان ذو الرمة، وأما الرِّمة -بكسر الراء- فهي العظام البالية، والجمع رِمم ورمام.

وَلَوْ لَمْ تَلاْفَ المُلْكَ مِنْ صَرْعَةِ الرَّدَىْ
لَكُشِّمَ عِرْنِيْنٌ وَجُبَّ سَنَاْمُ

---

[77] الجمعة: من الآية٩

[78] النجم:٣٩

[79] ما بين القوسين من البرلينية والروسية.

الملك هو العز والسلطنة، والموضع مملكة، وتلافاه إذا تداركه، والردى: الهلاك، والعرنين من الأنف ما بين ملتقى الحاجبين، وقيل الأنف كلها، وكَشْمُ الأنف: قطعها باستئصال، وجب السنام أيضاً قطعه.

لِيَــرْقَ غَبِــيٌّ رَامَ شَــأْوَكَ فِــيْ العُــلاْ
عَلَــىْ ظَلْعِــهِ، وَالــنَّجْمُ لَــيْسَ يُــرَامُ

الغبي: الجاهل، ورام شأوك أي طلب سبقك، ومعنى قول أحدهم للآخر: (ارق على ظلعك) أي لا تحمل نفسك أكثر مما لا تطيق، وقيل معنى قولهم: (ارق على ظلعك) أصلح أمرك أولا، ويقال معناه كفّ فإني عالمٌ بمساويك، وقيل معناه اسكت على دائك وعيبك[٨٠]، ومعنى قوله: "فالنجم ليس يرام" وصف له بالعلو والشرف وأنه لا ينال مرتبته أحد.

---

[٨٠] في الرضوية: "وغيّك" والتصحيح من البرلينية، وبدلالة ما سبقه.

ويوجد وجه آخر أهمله الشارح، وهو أنّ العرب تقول: "ارقَ على ظلعك" أي اصعد بقدر ما تطيق (ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ج٢: ٤٢٦ ط. مكتب الإعلام الإسلامي ١٤٠٤هـ)، وأرى أنّ هذا هو مراد الشاعر.

وَكَيْـــفَ تُعَالِيْـــكَ الـــسِّيَادَةَ مَعْـــشَرٌ

سَـــهَرْتَ لَهَـــا اللَّيْـــلَ الطَّوِيْـــلَ وَنَـــامُوْا

بِـــكَ العِـــزُّ أَضْـــحَتْ شَمْـــسُهُ مُـــسْتَنِيْرَةً

وَكَـــانَ عَلَيْهَـــا لِلْخُمُـــوْلِ قَتَـــامُ

لَعَمْـــرِيْ لَـــنِعْمَ المَـــرْءُ أَنْـــتَ إِذَا غَـــدَا

فِئَـــامٌ تُـــسَاقِيْهِ الحُتُـــوْفَ فِئَـــامُ

الفئام: الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه، والحتوف: المنايا، والتساقي أن يسقي بعضهم بعضاً كناية عن القتل.

وَرِثْـــتَ العُـــلاَ عَـــنْ أَحْمَـــدٍ وَمُحَمَّـــدٍ

وَفَـــضْلٍ وَكُـــلٌّ فِـــيْ العَـــلاَءِ إِمَـــامُ

العلا إذا مددتها فتحت العين، وإذا قصرت ضممت العين، وأحمد «ومحمد»[81] وفضل من آبائه.

---

[81] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية والبرنستنية والطهرانية.

وَإِنَّ لِمَسْعُوْدٍ إِذَا اشْتَجَرَ القَنَا

لَبَأْسَاً[٨٢] يَرُدُّ الجَيْشَ وَهْوَ لَهَامُ

مسعود أبو الممدوح،[٨٣] والقنا: الرماح، واشتجارها: اختلافها واشتباك بعضها في بعض، وذلك وقت الطعن، واللهام: الجيش الكثير الذي كأنه يلتهم كل شيء.

وَمَا النَّاسُ إلاّ آلُ فَضْلِ بْنِ عَبْدَلٍ

إِذَا جَلَّ خَطْبٌ أَوْ تَنَكَّرَ عَامُ

---

[٨٢] في البرلينية والروسية والطهرانية: "لطعناً".

[٨٣] وهو مسعود بن أبي الحسين الذي عُرِف أولاده بالمساعيد، والذين ذكرهم صاحب الخاتمة الملحقة بآخر الديوان عن أمراء القرامطة والعُيونيين، وقد كان للمساعيد أبناء مسعود هذا ـ والممدوح أحدهم ـ شأنٌ في إعادة السلطة إلى آل أبي الحسين في القطيف بعد أن خرجت عنهم لبضع سنين، والجدير بالذكر أنّهُ لا زال يوجد في واحة القطيف موضعٌ كان به بساتين نخل ثم أصبح اليوم حيّاً من أحياء القطيف، ويعرف بالمسعودية الواقع للغرب من الشُّوَيْكَة، ولعل المسعودية هذه منسوبة إلى هؤلاء الأمراء المساعيد، كما لا زال في القطيف أسرةٌ تُعرف بالمساعيد إلا أنّنا لا نملك دليلاً على أنّهم من سلالة هؤلاء المذكورين هنا أم لا.

مَسَامِيحُ طَعَانُونَ وَالخَيْلُ تَدَّعِي
وَطَيْرُ المَنَايَا وُقَّعٌ وَحِيَامُ

مساميح أي كرام، والسماح والسماحة: الجود، والمسامحة: المساهلة، وطعانون أي كثيرو الطعن للعدو، والخيل تدعى يعني بها الفرسان، وادعاؤها: اعتزاؤها، وهو أن يقول الفارس: أنا فلان بن فلان، والدعوى في الحرب أن يقول الفارس: أين من يبارز، ووقّع جمع واقع، وهو بخلاف الطائر، وحام الطائر وغيره حول الشيء حوماً وحوماناً أي دار.

مَقَالُهُمُ فَذٌّ إذَا وَعَدُوا الغِنَى
وَضَرْبُهُمُ تَحْتَ العَجَاجِ تُؤَامُ

الفذ: الفرد، وتؤام من قولك أتأمت المرأة إذا وضعت اثنين في بطن.

المعنى أن أحدهم لا يعد أكثر من مرة واحدة ويتبعها بإنجاز الوعد، وأنهم يداركون الضرب في وقت القتال يصفهم بالكرم والشجاعة.

وَمَا مِنْهُمْ إلاّ هُمَامٌ أَتَى بِهِ[٨٤]

أَغَرُّ مِنَ أَوْلاْدِ المُلُوْكِ هُمَاْمُ

الهمام: الملك العالي الهمة، يعني أنهم كلهم ملوك أولاد ملوك، والأغر هو الشريف السيد.

يَرُوْحُ الفَتَىْ لِلْكِبْرِ مِنْهُمْ وَمَالَهُ

سِوَىْ البَدْرِ خِدْنٌ، وَالنُّجُوْمُ نُدَاْمُ

الخدن: الصديق، وكذلك الخدين، وهو هاهنا بمعنى الجليس، والندام جمع النديم، والندامى جمع ندمان، وهو صفي الرجل ومعاشره على شرب الخمر، يصفهم بالشرف وعدم النظراء والأشباه في علو القدر والرفعة.

وَلاْ مَاْلَ إلاّ ذَاْبِلٌ وَمُهَنَّدٌ

وَسَرْجٌ عَلَىْ ذِيْ أَوْلَقٍ وَلِجَاْمُ

الذابل: الرمح الذي دنا من اليبس، وفيه لدونة، والمهند: السيف منسوب إلى الهند، وقوله: "على ذي أولق" أي فرس

---

[٨٤] في الروسية: "مجرّبٌ" بدلاً من جملة: "أتى به".

ذي أولق، والأولق نشاط شبه الجنون، والولق: الإسراع، والولق: أخف الطعن[85]، والسرج واللجام معروفان.

المعنى أنهم كرام لا يَذَّخِرون غير عِدَد الحرب لأن بها قوام أمرهم ومنها مكاسبهم.

وَدِرْعٌ كَأَنَّ البِيْضَ فِيْ الضِّعْفِ وَالقَنَا

إِذَا صَافَحَتْهَا بَرْوَقٌ وَثُمَامُ

البروق نبت ضعيف، وكذلك الثمام، وصافحتها أي باشرتها، وأصل المصافحة الأخذ باليد.

نَكَالٌ لِجَانِي[86] غَيْرِهِمْ فَإِذَا جَنَوْا

فَبَرْدٌ عَلَيْهِمْ مَا جَنَوْا وَسَلامُ

النكال: العذاب، ونكل به تنكيلاً إذا جعله نكالاً وعبرةً لغيره، والنكال اسمٌ لما يجعل عبرةً للغير، والجاني: المذنب، والجناية: الجريرة، وقوله: "فبردٌ عليهم ما جنوا وسلام" أي أنهم لا يكترثون لذلك ولا يهتمون، والبرد: النوم، والسلام:

---

[85] في البرلينية: "الظعن" وهو غير صحيح.

[86] في البرلينية والروسية: "لجانٍ"، وكلاهما يصح.

السلامة.

هُـمُ القَـوْمُ إنْ خَـامَ المُحَـامُوْنَ أقْـدَمُوْا

وَإنْ حَـبَسَ القَـوْمُ الـسَّوَامَ أسَـامُوْا

هم القوم كلمة تقال للمبالغة في المدح، وخام: جبن، والمحامون هم الشجعان، والسوام: المال الراعي، وحبسه: إمساكه عن الرعي، والحبس ضد التخلية، والمعنى أنهم أعزاء لا يسطو أحدٌ عليهم لشدة بأسهم وقوة شوكتهم.

وَإنْ رَحَـلَ الأَحْيَـاءُ عَـنْ قُـرْبِ مَنْـزِلٍ

لِخَـوْفٍ بَنَـوْا فِـيْ جَـوِّهِ وَأقَـامُوْا

وَإنَّ لَهُـمْ بـالأَرْيَحِيِّ مُحَمَّـدٍ

لَفَخْـرًا لَـهُ فَـوْقَ النُّجُـوْمِ مَـصَامُ

الأريحيّ: الكريم الذي يهتز للكرم، والأريحية: الخفة والنشاط للكرم، والأريحي الذي يخف للخير، والمصام: المكان، ومصام الفرس: موقفه.

فَتَىْ الحَرْبِ يَوْمَ البيْضُ فِيْ الهَامِ تَنْحَنِيْ

وَيَـــوْمَ العَـــوَالِيْ بالــصُّدُوْرِ تُقَـــامُ

البيض: السيوف، والعوالي: الرماح، وجعل الهام تحني السيوف، والصدور تقيم الرماح المعوجة؛ جعل الصدور كالثقاف لها.

المعنى أن طعنهم يخرج الرماح من صدور المطعونين بها لقوتهم وقوة رماحهم.

وَللطَّيْــرِ مِــنْ نَقْــعِ المـَذَاكِيْ مَــوَاكِرٌ[87]

وَلــلأرْضِ مِــنْ قَــانِيْ الــدِّمَاْءِ ذِمَــامُ

النقع: الغبار، والمذاكي: مسان الخيل، وهي التي لها من بعد قروحها سنةٌ أو سنتان، والدم القاني: الشديد الحمرة، يقال أحمرٌ قانٍ وأصفرٌ فاقع وأبيضٌ ناصع وأسودٌ حالك، والذمام ـ بكسر الذال ـ الطلاء، والذمام: ما يُطلى به جبهة الصبي وظاهر عينيه وكل شيء طلي به فهو ذمام، والذميم: القبيح.

هَــدِيْرُ فُحُــوْلِ الــشُّوْلِ حِــيْنَ تَحُــسُّهُ

---

[87] في البرلينيــة والروســية والظاهريــة والفيــضية والعراقيــة٣: "مواكن" بدلاً من "مواكر" وكلاهما صحيح، وهو عشُّ الطائر.

كَــــشِيْشُ، وَزَأْرُ المُخْــــدَرَاْتِ بُغَــــاْمُ

الهدير: صوت البعير إذا هاج يريد الضراب، والشول جمع شائل، وهي الناقة التي ترفع ذنبها تري أنها لاقح، والشول: الإبل التي شولت ألبانها وخفت ضروعها وبطونها فارتفعت كما يشول الميزان إذا خف، وذلك بعد ما يأتي عليها سبعة أشهر من نتاجها، وتحسّه أي تسمع حسّه، والحس: الصوت الخفي، وكذلك الحسيس، وحسست الخير وأحسست به أي أيقنت به، وربما قالوا أحسِستُ بالخير -بكسر السين- والكشيش: هدير البكر من الإبل، وأما كشيش الأفعى فهو صوتها من جلدها لا من فمها، وأما الكشكشة التي لبني أسد فهي إبدال الشين من الكاف في خطاب المؤنث كقولهم: "لِشْ" و "عَلَيْشْ" أي لكِ وعليكِ، والمخدرات: الأسود، وزأرها: صوتها، والزئير صوت الأسد في صدره، وقد زأر زأراً وزئيراً، والبغام: صوت الظبية، وبغام الناقة صوت لا تفصح به، والمباغمة: المحادثة بصوت رقيق ليّن.

المعنى أن الشجعان العظماء لا يجترئون على رفع أصواتهم متى أحسوا به لعظم هيبته في صدورهم، ويحسن فيه معنى آخر، وهو أن كل عظيم عنده حقير، فيكون منزلة الرجل الذي يشبه بالفحل في عظمه وكبره وكرمه وهيبته بمنزلة البكر الضعيف، ومنزلة الرجل الشجاع الذي يشبه بالأسد في جرأته

وأنفته كمنزلة الأنثى من الظباء والناقة من الإبل.

إِذَا هَـمَّ أَمْـضَى هَمَّـهُ لَـوْ تَـسَاقَطَتْ

أَكُـفٌّ وَأَقْـدَامٌ لِـذَاكَ وَهَـامُ

يقال أمضى فلانٌ همّه أي صرفه، والهم: ما اهتممت له.

يصفه بالإقدام والجرأة وقوة العزم وقلة الاكتراث بملاقاة الأبطال وهيجان الحروب.

أَخُـو الطَّعْنَـةِ الـنَّجْلاءِ تَحْـسِبُهَا فَمَـاً

تَثَـاءَبُ فِـي حَيْـثُ الكَـلامُ كِـلامُ

النجلاء الواسعة شبهها في سعتها بفم المتثائب لا فتتاحه كله، والكلام اسم جنس يقع على الكثير والقليل، وأما الكَلِم فإنه لا يقع على أقل من ثلاث كلمات لأنه جمع كلمة مثل نبقة ونبق، ولهذا قال سيبويه: (« باب »[88] علم ما الكلم من العربية)[89]، لأنه أراد ثلاثة أشياء الاسم والفعل والحرف فجاء بما لا يكون إلا جمعاً، وترك ما يمكن أن يقع على الواحد

---

[88] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والبرنستنية.

[89] انظر لسان العرب مادة (ك ل م).

والجماعة، والكِلام: الجراحات واحدها كِلْم.

المعنى أنه يقدم ويطعن في المكان الذي تصير الكلمة فيه على قائلها كالجرح لشدة الأمر والاشتغال بالضرب والطعن عن الكلام، ويحتمل أن يكون المعنى أن الشجاع صار لشدة الأمر يخاف أن يعرف فتجعله الفرسان همها فتقتله أو يهرب فيعير بالهرب لمعرفة القوم له.

لِصَمْصَامِهِ هَامُ العِدَى، وَلِرُمْحِهِ
كِلاْهَا، وَلِلْبَوْغَا دَمٌ وَعِظَامُ

الصمصام والصمصامة: السيف القاطع الذي لا ينثني عن ضربته[90]، والبوغاء: التربة التي كأنها ذريرة.

ذُرَاهُ حَيَاةٌ لِلصَّدِيْقِ شَهِيَّةٌ
وَلُقْيَاهُ مَوْتٌ لِلْعَدُوِّ زُؤَامُ

ذراه أي قربه وكنفه، وموت زؤام أي سريع، وزأم الرجل إذا مات، وزاومته[91] على الأمر إذا أكرهته.

---

[90] في أصل الرضوية: "ضريبته" والتصحيح من البرلينية.

[91] كذا في الأصل، وفي البرنستنية والروسية: " زأمته " والذي

تَفِــرُّ كُمَــاةُ الحَــرْبِ عَنْــهُ كَأَنَّهَــا

وَإِيَّــاهُ بَــازِيْ مَرْقَــبٍ وَحَمَــامُ

الكماة: الشجعان، والكميّ: الشجاع المتكمي في سلاحه كأنه كمّى نفسه أي سترها بالدرع والمغفر، وتكمى الرجل: تغطى واستتر، وانكمى: أخفى نفسه، والبازي: الصقر، والمرقب: المكان العالي، والحمام عند العرب ذوات الأطواق، وقيل الحمام كلما كان يعبّ الماء عبًّا.

حَــذَارِ فَتَــىً لَــوْ صَــكَّ بالـسَّيْفِ ضَــارِبًا

(شَــمَامًا) لَقَــالَ النَّــاسُ أيــنَ (شَــمَامُ)

صَــوَارِمُهُ مُــذْ لَــمْ تَــزَلْ وَرِمَاحُــهُ

بِهِــنَّ إلَــى مَــاءِ النُّحُــوْرِ أُوَامُ

الصك: الضرب، وشمام: جبل، وماء النحور يعني به الدم، والأوام: العطش.

أَبَــتْ – عِــزَّةً – أنْ تَقْبَــلَ الـضَّيْمَ نَفْـسُهُ

في اللسان: أزأمته.

وَذُو العِـزَّةِ القَعْـسَاءِ كَيْـفَ يُـضَامُ ؟

العزة من العز، وهو القهر والغلبة والامتناع، والضيم: الظلم، والعزة القعساء أي الثابتة، قال الزاجر:[٩٢]

تقـاعس العـز بنـا فاقعنسـسا[٩٣]

تقاعس أي ثبت وامتنع ولم يطأطئ ظهره، وليل أقعس أي طويل، وتقاعس الليل إذا طال، والمقعنسس: الشديد، واقعنسس البعير وغيره إذا امتنع فلم يرتع، وكل ممتنع مقعنسس، وأما قُعَيْس الذي يضرب به المثل في خسة القدر فيقال: (أهْوَنُ من قُعَيْس على عَمَّته)، فهو غلام كان يتيماً من بني فان[٩٤] عمته استعارت عنزاً من امرأة فرهنت قعيساً

---

[٩٢] في البرنستنية: " الراجز "، وهو عند الجوهري في الصحاح: رؤبة بن العجاج، وقد ذكر اللسان الكلام نفسه إلا أنه ذكر أن ابن بري قال أنه للعجاج وليس لرؤبة. انظر اللسان مادة (ق ي س).

[٩٣] في الرضوية: "فانقعسا" والتصحيح من البرلينية، وهو موافق للسان مادة (ق ع س)، وعجزه هناك: فَبَخَّس الناس وأعيا البُخَّسا.

[٩٤] في البرلينية والروسية: "كان يتيماً عندعمته"، ولم تذكرا جملة: "من بني فان" المذكورة في الرضوية والبريطانية والبرنستنية كما هو مثبت أعلاه، ونخشى أن تكون لفظة "فان" محرّفة عن

فيها، ثم إنها ذبحت العنز وهربت، وتركته، فضرب به المثل في الهون.

[تَحَـرَّجَ أنْ يُغْـضِيْ عَلَـىْ الـضَّيْمِ جَفْنَـهُ
وَلَمَّــا يُزَلْــزَلْ مَغْــرِبٌ وشَــآمُ][95]

كلمـة "فـإنَّ" لأن بعـد هـذه اللفظـة تبـدأ الجملـة بقولـه: "عمتـه استعارت" مباشرة فربما كانت صحة الجملة: "فإنّ عمته استعارت .. الخ" فجاء من النسّاخ من قرأها "فان" مخففة، ولكن إذا صح لنا هذا فكيف نفعل بالجملة التي جاءت قبلها، وهي قوله: "مِن بَني؟!"؛ نعم ربما يكون قد سقط من الكلام لفظة "تميم" بعد هذه الجملة، والذين هم قبيلة هذا الرجل كما ورد ذلك في اللسان مادة « ق ع س »، فعندها يصح لنا استنتاجنا، والذي في اللسان مادة (ق ع س) أنه من بني تميم، وفي معجم الأمثال للميداني في شرح قولهم: (أهون من قعيس عمّته) ذكر عن الشرقي بن القطامي أنه قال: " هو قعيس بن مقاعس بن عمرو من بني تميم"، ولم يذكر أنه من بني فان، وكذلك لم يذكره أو يذكرهم أي من شيوخ الأنساب، ولا سيما الكلبي عميد النسب العربي ، فقد ذكر في كتابه جمهرة النسب أباه الذي نسبه إليه القطامي، وهو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وذكر له خمسة أولاد ليس من بينهم قُعَيْس، ويبدو أن هوان قُعيس لم يكن على عمته فحسب، بل تجاوزها إلى شيوخ النسب أيضاً.

[95] ما بين القوسين ساقط من الرضوية الأصل، واستدركناه من الفيضية والبريطانية٢ والقادرية ومنسوخة الموصلية

وَآلَــىْ، وَلَــمْ يَــسْتَثْنِ إنْ ضَــاْعَ تَبْلُــهُ

وَلَــوْ حَــاْلَ عَــاْمٌ دُوْنَ ذَاْكَ وَعَــاْمُ

آلى أي حلف من الألية، وهي اليمين، والتبل والذحل والحقد والوتر والترة كلها واحد، والضياع: الهلاك، وضاع الشيء يضيع ضياعاً وضيعةً، وترك فلان أهله بمضيعة أي بمهلكة.

سَــمَاْ لِلْعُــلاْ زَنْئاً سُــمُوَّ اْبْــنِ حُــرَّةٍ

نَجِيْــبٍ نَمَتْــهُ مُنْجِبُــوْنَ كِــرَاْمُ

سما أي نهض، والسمو: الارتفاع، تقول منه سموت وسميت مثل علوت وعليت، ومثل سلوت وسليت، والحرة بخلاف

والمدريدية، ولكن في الأولى جاء الشطر الثاني هكذا:

" ولما يزلزل مقنبٌ وشمام "

ولأنـه ذكـر شمـام قبـل بيـتين فقـد فـضَّلنا قـراءة البريطانيـة٢ والفيـضية لـئلا تتكـرر القافيـة، وأمـا في المدريديـة فقـد جـاء فيهـا مهلهلا كثير الأخطاء، وصورته كالتالي:

تحرج أن يغضي على الضيم جفنه

ولم لا يزالون؟! معنا؟! وشام؟!

الأمة، والنجيب: الكريم، والنجابة: الكرم، ونمته أي ولدته، وأنجب الرجل إذا أتى بأولاد نجباء، وقوله: زنئاً أي صعوداً، وزنأ فلان في الجبل زُنئاً وزنوءاً أي صعد، قال:[96]

وارق إلى الخيرات زنـأً في الجبـل

وَسَامَ حِمَىْ الأَعْدَاْءِ خَسْفاً، وَسَوَّمَتْ

بِهِ المَاْلَ سَاْمٌ فِيْ البِلاْدِ وَحَاْمُ

الخسف: الظلم، وأصل الخسف أن يحمل الإنسان على ما يكره، والمال يعني به المال السوام، وهو الراعي، وتسويمه في المرعى: إرساله وإهماله، وسام: أبو العرب، وحام: أبو السودان.

وَسَاْسَ رَعَاْيَاْهُ بِرَأْفَةِ وَاْلِدٍ

وَسَطْوَةِ لَيْثٍ هَيَّجَتْهُ سَوَاْمُ

سياسة الرعية: ضبط أمرها، والسياسة: التدبير[97]، والرأفة

---

[96] هو قيس بن عاصم المنقري ثم السعدي ثم التميمي، انظر اللسان مادة (ز ن أ).

[97] كانت في الأصل: " التذمر " والتصحيح من البرنستنية.

هي أشد الرحمة، والسطوة: الأخذ بالشدة والعنف، والليث من أسماء الأسد، وهيجه: أثاره، والسوام: المال الراعي.

حَلِيْمٌ إِذَا مَا الحِلْمُ كَانَ نَبَاهَةً

وَفِيْهِ عُرَامٌ إِنْ يُهَجْ وَغَرَامُ

الحليم: ذو الأناة والصبر، والحِلم -بكسر الحاء-: الأناة، والنباهة: الشرف والسيادة، والعرام: الشرس والحدة والجهل، والعَرِم: « الجاهل، و»[98] قد عرم « يَعْرم عَرامةً بالفتح »[99]، وعرام الجيش: حدّتهم وشرتهم وكثرتهم، قال الشاعر:[100]

وليلة هول قد سريت، وفتيةٍ هديت، و جمع ذي عرام ملادس

إِذَا فَحْلُ قَوْمٍ هَاجَ وَانْحَلَّ قَيْدُهُ

فَفِي سَيْفِهِ قَيْدٌ لَهُ وَخِزَامُ

الفحل يعبر به عن السيد العظيم القدر، وهاج أي ثار، والقيد معروف، وانحل إذا انفتح، والخزام حلقة من شعر

[98] ما بين القوسين من البرلينية والروسية.

[99] ما بين القوسين من البرلينية والروسية.

[100] هو في كتاب العين والتهذيب واللسان غير معرّف أيضاً.

تجعل في وترة أنف البعير يشد فيها الزمام، ومعنى البيت ظاهر.

وَإِنْ نَــبَّ فــيْ حَــيٍّ عَتُــوْدٌ فَعِنْــدَهُ
حَــصَاةٌ بِهَــا تُــوْجَى الخُــصَى وَفِطَــامُ

العتود: الجدي الذي أتى عليه حول، ونبّ أي صاح وهاج، ووجأت الجزور[101] إذا رضضت عروق بيضه حتى تنفضخ، فيكون شبيهاً بالخصاء، والاسم الوِجاء ـبكسر الواو ومد الجيمـ والفطام: خشبة تشد على طرف خشم الجدي لئلا يرضع أمه، ومعنى هذا البيت معنى البيت الذي تقدمه.

فَيَــا مُفْرِغَــاً فِــيْ كَيْــدِهِ جُهْــدَ نَفْــسِهِ
لَخَيْــرٌ مِــنَ الــسَّعْيِ الغَــوِيِّ نُــوَامُ

أفرغ فلان جهده في كذا أو استفرغه أي بذله، والجهد: الطاقة، والغوي: الخائب الذي لا يفيد، والنوام: « كثير »[102] النوم.

---

[101] في البرنستنية والبرلينية والروسية: " الخروف ".

[102] ما بين القوسين من البرلينية والروسية.

وَيَـا طَامِعَـاً فِـي نَيْـلِ مَـا نَـالَ مِـنْ عُـلاً

مَتَـى صَـدَقَ الظَّـنَّ الكَـذُوبَ مَنَـامُ

وَيَـا بَاسِـطاً كَفَّـاً لإِدْرَاكِ شَـأْوِهِ

بِكَفِّـكَ - فَاضْـمُمْهَا إِلَيْـكَ - جُـذَامُ

الجذام: داءٌ تتجذم منه اليدان والرجلان والأنف، وأصل الجذام القطع، والأجذم: المقطوع اليد، والمجذوم: الذي أصابه جذام.

وَيَـا مُـضْمِراً[103] بُغْـضَاً لَـهُ جُـنَّ أَوْ فَمُـتْ

فَـدَاؤُكَ - لاَ عُوفِيْـتَ مِنْـهُ - عَقَـامُ

جن من الجنون، ومت من الموت، والداء العقام هو الذي لا يبرأ منه، والعقام -بفتح العين- العقيم والحرب الشديدة، والرجل السيء الخلق، وقوله: "لا عوفيت منه" دعاء عليه بعدم العافية والشفاء منه.

---

[103] كانت في أصل الرضوية: "مظهراً" بدلاً من "مضمراً" والتصحيح من البرلينية والروسية ومنسوخة الموصلية والبريطانية٢ والبرنستنية والعراقية٣، وهو الأنسب لمقام القول.

لَـــهُ هَيْبَـــةٌ مِـــلْءُ الـــصُّدُوْرِ وَعَزْمَـــةٌ

تُرِيْـــهِ الجِبَـــالَ الـــشُّمَّ وَهْـــيَ أكَـــامُ

الشم الطوال واحدها أشمّ، وهو العالي، والآكام: جبيلات صغار الواحدة أكمة.

وَمَـــا زَالَ يُغْـــضِيْ وَالمُلُـــوْكُ تَهَابُـــهُ

وَيَقْعُـــدُ وَالأَعْـــدَاءُ مِنْـــهُ قِيَـــامُ

الإغضاء: إدناء الجفون من بعضها بعضاً،[١٠٤] والهيبة: الإجلال والمخافة، وكذلك المهابة، ورجل مهيب ومهوب أي تهابه الناس، ورجل هيُوب وهيوبة وهيابة وهياب وهِيِّبان ـ بكسر[١٠٥] الياء ـ أي جبان متهيب.

فَيَـــا لأئِمَـــاً فِـــيْ بَـــسْطِ كَـــفِّ مُحَمَّـــدٍ

مَتَـــى لِـــيْمَ فِـــيْ أنْ يُـــسْتَهَلَّ غَمَـــامُ

بسط الكف عبارة عن العطاء والكرم، والغمام: السحاب،

---

[١٠٤] في البرلينية والروسية: "بعضها إلى بعض".

[١٠٥] كذا في جميع الأصول، وفي اللسان والقاموس بفتحها.

الواحدة غمامة، واستهلاله: سيلانه بشدة، يقال: استهل وانهل.

عَـــدَا الـــذَّمَّ عَنْـــهُ وَالمَـــلامَ مُحَمَّـــدُ
وَمُنْتَجَـــبُ الآبَـــاءِ كَيْـــفَ يُـــلامُ

عدا الذمّ أي صرفه عنه وأبعده.

ألا أَيُّهَـــا المَلْـــكُ الَّـــذِيْ لا جَنَابُـــهُ
بـــوَعْرٍ، وَلاَ مَـــنْ فِـــيْ حِبَـــاهُ يُـــضَامُ

الجناب: الناحية، والوعر: الخشن، والحبا: القرب.

إِلَيْـــكَ خَـــدَتْ بـــيْ عَـــوْهَجٌ شَـــدْقَمِيَّةٌ
لَهَا الـسَّوْطُ عَـنْ رَعْـيِ الجَمِـيْمِ كِعَـامُ

خدت الناقة أي أسرعت، والعوهج: الطويلة العنق من النوق، وكذلك من الظلمان[١٠٦] ومن الظباء، وشدقمية منسوبة إلى شدقم فحل من فحول الإبل، والجميم: أول ما يظهر من النبت، والكعام شيء يجعل في فم البعير، يقول كعمت البعير

[١٠٦] في البرلينية والروسية: "الطليان".

كعمت البعير إذا شددت فمه في هياجه فهو مكعوم.

تَـــضِلُّ فَيَهْـــدِيْهَا سَـــنَاْكَ كَأَنَّمَـــاْ

سَـــنَاْكَ لَهَـــاْ دُوْنَ الزِّمَـــاْمِ زِمَـــاْمُ

تضل من الضلالة، وهي ضد القصد، وأرض مَضَلَّة -بفتح الميم والضاد «واللام»[107]- أي تضل فيها الطريق، وكذلك بكسر الضاد وفتح الميم، وضل الشيء ضلالاً إذا ضاع وهلك، والسنا: ضوء البرق، واستعاره هاهنا لوجه الممدوح، والزمام: الخيط الذي يجعل في البُرّة والخشاش ثم يشد في طرفه المقود، والمقود أيضاً يسمى زماماً.

وَقَـــدْ أَصْبَحَتْ فِـــيْ خَيْـــرِ دَاْرٍ مُنَاْخَـــةً

لَـــدَىْ خَيْـــرِ مَلْـــكٍ فِـــيْ الأَنَـــاْمِ يُـــشَاْمُ

يشام أي يقصد لطلب معروفه، وشمت فلاناً إذا قصدته، وشمت البرق إذا نظرت إلى سحابه أين يمطر، وشمت مخائل الشيء إذا تطلعت نحوها ببصرك منتظراً لها.

فَأَنْـــتَ الَّـــذِيْ لَـــوْلاهُ مَـــاْ عُـــرِفَ النَّـــدَىْ

---

[107] ما بين القوسين من البرنستنية.

وَلاْ فُــضَّ لِلْفِعْــلِ الجَمِيْــلِ خِتَــاْمُ

الختام: الطين الذي يختم به، وفضّه:[١٠٨] كسره وتفريقه.

والمعنى أنه الذي فتح للناس باب الكرم وعرّفهم إياه.

وَلاْ كَــــاْنَ لِلْعَلْيَــــاْءِ أُمٌّ وَلاْ أَبٌ

يُــصَاْبُ، وَلاْ لِلْمَكْرُمَــاْتِ نِظَــاْمُ

النظام: السلك الذي ينظم فيه الدر والجوهر وغير ذلك أي يجمع بعضه إلى بعض.

أَيَجْمُــلُ أَنْ أُجْفَــىْ وَأُنْفَــىْ وَعِنْــدَكُمْ

لِمَــنْ لَــيْسَ مِثْلِــيْ عِيْــشَةٌ وَمَقَــاْمُ

أجفى من الجفاء، وهو خلاف البرّ، وأنفى من النفي، وهو الطرد، ونفاه إذا طرده، وذلك أنه كان أمر بإخراجه من البلد[١٠٩]، والمقام موضع الإقامة، وقوله: "لمن ليس مثلي" المثل

---

[١٠٨] كانت في الأصل: "وصفة فضه" وما أثبتناه هي قراءة البرنستنية والبرلينية والروسية.

[١٠٩] وفي البريطانية: "أمر بإطراده" يريد طرده فغلط.

يحتمل أن يريد بذلك مثلي في قرب النسب، ويحتمل أن يكون مثلي في الشرف، ويحتمل أن يكون مثلي في الفضل والأدب وغير ذلك من الأوصاف الجميلة.

وهذا الكلام المقصود به الشاعر كما هو واضح، والذي أمر بإخراجه من البلد هو الأمير محمد بن مسعود بن أبي الحسين الذي كان حاكما للأحساء والقطيف حينها، وذلك يعني أنّه لم يكن على وفاق مع هذا الأمير وأسرته، وربما يعود ذلك إلى ميل الشاعر إلى بني عمهم محمد بن أبي الحسين الذين كانت بينهم وبين بني عمهم المساعيد حروب طاحنة على الملك ذكرها كاتب النبذة التاريخية الملحقة بآخر هذا الديوان؛ كما ينبغي أن لا نغفل ما ذكر في مقدمة هذه القصيدة من أنّ الشاعر يبرأ فيها لهذا الأمير الممدوح من تهم اتهمه بها من سماهم الشارح بقوم من اليمن، وفي القصيدة يتضح أنّ الشاعر يتبرأ من تهم تتعلق بالكيد لهذا الأمير وأسرته ولحكمهم وسلطتهم على البلاد، والأمير محمد بن مسعود هو وأخواه حسن وحسين كانوا قد حاربوا ابن عمهم جعفر بن معن بن شبيب بن جعفر بن الفضل بن عبد الله بن علي، وحكموا القطيف لمدة ثلاث سنوات ونصف، ثم انتزعها منهم ابن عمهم منصور بن علي بن محمد بن أبي الحسين، فربما كان ميل الشاعر لبني الأمير محمد بن أبي الحسين قد جعله يعمل للأمير منصور ويدعو إلى مبايعته بالحكم، فعلم بذلك الأمير محمد بن مسعود فأمر بإخراجه من البلد كما يقول الشارح هنا، ولربما خوف الشاعر على نفسه هو الذي جعله ينشئ هذه القصيدة يمدحه فيها ويبرأ إليه مما نسب إليه.

وَيُقْبَلُ قَوْلُ الخَصْمِ فِيَّ تَحَامُلاً
وَأَسْهَرُ خَوْفاً مِنْكُمُ وَيَنَامُ

الخصم واحدٌ وجمع، قال الله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾[110]، والتحامل: الميل، وتحامل عليه أي مال، وتحامل فلان على نفسه إذا تكلف الشيء على مشقة، والسهر: الأرق.

وَتُقْطَعُ أَرْحَامِي وَتُلْغَى مَوَدَّتِي
وَيُقْعَدُ بِي مَا بَيْنَكُمْ وَيُقَامُ

الأرحام: القرابات، وتلغى أي تهمل من ألغيت الشيء من الحساب إذا أسقطته ولم تدخله في الحساب.

وقوله: "ويقعد بي ما بينكم ويقام" يعني بها السعايات التي يختلقها ذوو الأغراض ويلقونها إليهم.[111]

وَتُذْنِبُ أَقْوَامٌ فَتُعْزَى ذُنُوبُهَا

---

[110] صّ:٢١

[111] في البرلينية والروسية: "ويلقوا بها إليكم".

إِلَـــيَّ، وَأَلْحَـــىْ عِنْـــدَكُمْ وَأَلاْمُ

هَبُـــوْنِيَ جَـــاْرًا لاْ ابْـــنَ عَـــمٍّ مُـــصَاْفِيًا

فَلِلْجَـــاْرِ فِـــيْكُمْ حُرْمَـــةٌ وَذِمَـــاْمُ

تعزى أي تنسب، ولحاه ولامه واحد، وهبوني جاراً أي اجعلوني جاراً، وهو أمرٌ من وهب، وأصل الهبة العطية من غير غرض[112]، والمصافي: المخلص الود، والحرمة ما لا يحل انهتاكه، وكذلك المحرمة، واحترمه إذا أجلّه ورفع من قدره، والذمام أيضاً الحرمة.

فَكَمْ مِنْ هُمَاْمٍ قَـدْ عَفَـىْ وَهْـوَ مُحْـرَجٌ

وَجَـــاْدَ بِـــصَفْحٍ وَالـــذُّنُوْبُ عِظَـــاْمُ

المحرج: المغضب، وأحرجته: أغضبته، وأحرجته إلى الشيء: ألجأته إليه، والصفح: الإعراض عن الذنب.

وَذُوْ المجْـدِ لاْ يَـسْتَغْرِقُ الجَهْـلُ حِلْمَـهُ

---

[112] في البرلينيــة والروســية: "عــوض" بــدلاً مــن "غــرض"، وكلاهما صحيح، را. لسان العرب مادة (و هـ ب).

وَلَـــوْ قَعَــدَ الوَاْشُــوْنَ فِيْــهِ وَقَــاْمُوْا

الواشون: الساعون، وقوله: "فيه" يعني المسعي به.

لَقَدْ كُنْتُ أرْجُـوْ أنْ أرَىْ فِـيْ جَنَـاْبِكُمْ

وَلِـيْ مِــنْ نَــدَاْكُمْ سَــاْبِقٌ وَحُــسَاْمُ

إذَاْ كُنْتُ أخْـشَاْكُمْ وَأخْـشَىْ عَـدُوَّكُمْ

فَــــإنَّ حَيَــــاْتِيْ شِــــقْوَةٌ وَغَــــرَاْمُ

أخشاكم أي أخافكم، والخشية: الخوف، والشَّقوة -بفتح الشين وكسرها- والشقاوة والشقاء نقيض السعادة، والمشاقاة: المعاناة والممارسة، والغرام: الشرّ الدائم والعذاب[١١٣]، وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ﴾[١١٤]أي هلاكاً ولزاما.

فَــإنْ كَــاْنَ ذَنْــبٌ فَــاْتْرُكُوْهُ لِمَــاْ مَــضَىْ

وَمَـــاْ[١١٥] هُــــوَ إلاّ إذْ يُعَـــدُّ كَـــلاْمُ

---

[١١٣] في أصـل الرضـوية: "العـداوة" والتـصحيح مـن البرلينيـة والروسية، وهو موافق لما في اللسان مادة (غ ر م)

[١١٤] الفرقان: من الآية٦٥

[١١٥] في البرلينية والروسية والبريطانية والظاهرية والبرنستنية: "

معنى قوله: "فاتركوه لما مضى" يقول لما تقدم مني إليكم من الإحسان والنصيحة والخدمة والمودة.[116]

فَــوَاللَّهِ مَــا أَوْضَــعْتُ فِيْمَــا[117] يُــرِيْبُكُمْ

وَلاْ شُــدَّ لِــيْ يَــا قَــوْمُ فِيْــهِ حِــزَامُ

الإيضاع: السير بين القوم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾[118]، ويقال: وضع البعير يضع وضعاً إذا عدا فهو واضع، وأوضعته أنا أوضعه إيضاعاً، والإيضاع من سير الإبل مثل الخبب، والإيضاع أن تخفض رأس البعير فتضع قدمك على عنقه فتركبه، والريب ما رابك من أمرٍ أي داخلك الخوف منه، والاسم الريبة -بكسر الراء- وهي التهمة والشك، وريب المنون: حوادث الدهر.

وَإِنِّــــيْ لِمِــــنْكُمْ سُــــؤْتُمُ أَوْ سُــــرِرْتُمُ

وهل" بدلاً من "وما".

[116] في البرلينية والروسية: "الموالاة" بدلاً من "المودة".

[117] في أصل الرضوية: "مما" بدلاً من "فيما"، ورجحنا ما في البرلينية والروسية والبريطانية١ والبريطانية٢ والبرنستنية والعراقية٣ هنا.

[118] التوبة: من الآية٤٧

إِلَــىْ أنْ يُــوَاْرِيْنِيْ ثَــرَىً وَرِجَــاْمُ

سؤتم من المساءة، وسررتم من السرور، والموارارة: التغطية، والثرى: التراب الندي، والرجام حجارة ضخام دون الرضام، وربما جمعت على القبر ليسنّم، والرجَم -بالتحريك- القبر.

أَلَــسْتُ الَّــذِيْ سَــيَّرْتُ فِــيْكُمْ غَرَاْئِبَــاً

بِكُــلٍّ إِلَيْهَــاْ إِذْ تَمُــرُّ هُيَــاْمُ؟

يعني بالغرائب القصائد التي امتدحهم بها وسيرها فيهم، وقوله: "إذ تمر" معناه إذ تنشد، والهيام -بضم الهاء- كالجنون من العشق، والهيام: أشد العطش، والهيام أيضاً داءٌ يأخذ الإبل فتهيم في الأرض أي تذهب «ولا»[119] ترعى، وقوله: "ألست" معناها التقرير بشيء ثابت لازم، وذلك أن الرجل يقول لغيره من الرجال: أليس فعلت معك كذا يقرر بواجب ثابت، وكذلك (أَلَمْ)[120]، و (ألاّ)، و(ألا)، وذلك أنه حرف

---

[119] في أصل الرضوية: "تذهب لترعى"، والتصحيح من البرلينية والروسية، وهو موافق لما في الصحاح في فصل الهاء مادة « هيم ».

[120] في أصل الرضوية: "ألا لم"، والتصحيح من البرلينية والروسية والبريطانية.

استفهام مضارع لحرف النفي، ونفي النفي إيجاب، فإذا قال القائل ألم أصطنع عندك معروفاً فإنه يجب أن يكون قد اصطنع عنده معروفاً فيقرره به، وفي القرآن العظيم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُم﴾.[121]

أَلَـيْسَ أبـيْ فِـيْ الانْتِسَابِ أبُـوْكُمُ
عَلَـىْ أَنَّنِـيْ عَبْـدٌ لَكُـمْ وَغُـلامُ[122]؟

---

[121] الأعراف: من الآية١٧٢

[122] لم نعهد عند الشاعر في بقية قصائده مثل هذا الإسفاف في إذلال نفسه، وحتّى قصائده التي قالها مستعطفاً الأمير محمد بن ماجد ليردّ عليه بعض أملاكه التي اغتصبها أو تلك التي قالها في مدح الأمير محمد بن أبي الحسين وولده لم نجد فيها مثل هذا الخضوع، وهو إن دلّ على شيء فربما يدلّ على صحَّة ما اتهمه به هؤلاء القوم من اليمن الذين أشار إليهم في مقدمة القصيدة، ولم لا فقد وجدنا عند الشاعر نزوعاً واضحاً في حثّ قومه على أن يجعلوه مقدماً عليهم، وذلك في قوله من اللامية:

فقوموا بعزم واجعلوني مقدماً　　فأيُّ حسامٍ لم ترصّع حمائله

وقد كان الجوّ السائد آنذاك من قتل الأخ لأخيه وابن العم لابن عمّه بين الأمراء العُيونيين في سبيل نيل الملك مشجّعاً لمثل الشاعر في أنْ يدلي هو ايضاً بدلوه في هذه المسألة، وأن يَرى في نفسه الأهليّة لأن يكون حاكما.

أَمَاْ اجْتِيْحَ مَـاْلِيْ فِـيْ هَـوَاْكُمُ، وَأَسْـهِرَتْ

بِـذَاْ الـسَّجْنِ عَيْنِـيْ، وَالعُيُـوْنُ نِيَـاْمُ؟

الاجتياح: الاستئصال، والهوى: المحبة، وقوله: "بذا السجن" لأن إيراده القصيدة كان قريباً من السجن الذي كان مسجوناً فيه على عهد الأمير محمد بن ماجد، فحين أورد البيت وذكر فيه "بذا السجن" أشار بيده إلى ذلك السجن.[١٢٣]

---

[١٢٣] من المعروف أنّ سجن الشاعر كان في الأحساء حيث حكم الأمير محمد بن ماجد الذي سجنه واستصفى أمواله وأملاكه، والأمير الممدوح هنا هو – كما سبق وقلت – أحد المساعيد الذين ثاروا على ابن عمهم الأمير جعفر بن معن بن شبيب بن جعفر بن الفضل بن عبد الله بن علي، فطردوه من القطيف عام ٦٢٠ للهجرة ≈ وحكموا القطيف وجزيرة أوال لمدة سنتين ونصف كما ذكر صاحب النبذة التاريخية الملحقة بآخر الديوان، أي أنّ انتهاء حكمهم للقطيف وأوال كان على مشارف العام ٦٢٣ للهجرة، ولكن يتضح من قصيدة ميمية قادمة قالها الشاعر في مدحه، وهي التي مطلعها:

أَنِخْ فَهَذِيْ قِبَاْبُ العِزِّ وَالكَرَمِ

وَقِلْ، فَكُلُّ العُلاْ فِيْ هَذِهِ الخِيَمِ

أنّ الأمير محمد بن مسعود هذا اختاره أهالي الأحساء ليكون حاكماً عليهم قبل أن يملك القطيف وأوال، وأنه بعد ذلك بمدة لم

فَرَاْعُــوْا ذِمَــاْمِيْ قَــدْرَ ظَنّــيْ فَكُلُّنَــاْ

صَـدَىً عَـنْ قَرِيْـبٍ فِـيْ التُّـرَاْبِ وَهَـاْمُ

راعوا من المراعاة، وهي القيام بالحقوق، والمراعاة: الملاحظة، والذمام: الحرمة، وقوله: "فكلنا صدىً عن قريب في التراب وهام" أي كلنا نموت ونصير صدىً وهام، «والصّدى ـ مقصور ـ خمسة أشياء: غطاء الميت إذا بَلي، كانت العرب تزعم أن هامة تطير فتسقط على قبره فلا تزال تقول: اسقوني حتى يؤخذ بثأره، وفيه يقول:[١٢٤]

يحددها الشاعر في تلك القصيدة غير المشروحة سار إلى القطيف فاحتلها، وعليه فإنه إذا كان ابن المقرَّب قال: "بذا السجن" وهو يشير إلى السجن الذي سُجن فيه، وكان قريباً منهما حين إنشاد القصيدة، فهذا يعني أنّ إنشاد هذه القصيدة قد تم في الأحساء قبل أن يتحوّل هذا الأمير إلى القطيف، وهو يعني أنّ تاريخ إنشاء هذه القصيدة قد تم قبل العام ٦٢٠ للهجرة، وهو العام الذي طرد فيه هذا الممدوح الأميرَ جعفرَ بن معن من القطيف وضمها إلى ملكه، وسيأتي في هذه القصيدة ما يثبت أنّه قالها في الأحساء عند قوله:

فخير من الأحساء إن دام عتبكم

أشيٌّ ووادي ملهمٌ ونعام

[١٢٤] هو ذو الإصبع العدواني، انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١١٩.

يا عَمْرو إلاّ تَدَع شتمي ومنقصتي
أضـربْكَ حتى تقـول الهامـةُ اسـقوني »[١٢٥]

فَلَـمْ يَبْـقَ إلاّ أنْ تُـزَمَّ رَكَـائِبِيْ
وَيُـصْبحُ (كَبـدُ) بَيْنَنَـا وَ(سَـنَامُ)

الزَّمُّ: التقدم في السير، وكبد وسنام: موضعان قريبان من البصرة.[١٢٦]

---

[١٢٥] ما بين القوسين من البريطانية فقط، وقد سهى أن يذكر بقية الأشياء الخمسة التي تعنيها كلمة (صدى) كما قال، فمن أرادها بتفصيل أدقّ فليطلبها في لسان العرب مادة (ص د ي) حيث رواها هناك عن المبرّد.

[١٢٦] جاء في معجم البلدان في رسم (سنام): "سَنَامٌ: بفتح أوّله، بلفظ سنام البعير؛ قال أبو الحسن الأديبي: جبل مشرف على البصرة إلى جانبه ماء كثير السَّافي، وهو أوّل ماء يرده الدّجال من مياه العرب، قال نصر: سنام اسم جبل قريب من البصرة يراه أهلها من سطوحهم".

وفي معجم ما استعجم للبكري إضافة إلى ذلك جاء فيها: "والماء الذي يقرب من سنام يقال له سَفوان".

وسفوان لا زالت معروفة حتى اليوم، ويسميها الأهالي صفوان، وهي تقع الآن جنوب البصرة بـ ٣٩ كلم تقريباً، وفيها نقطة تفتيش حدودية، وكذلك جبل سَنام الذي يقع شمال غرب

صفوان مباشرة، وقد ورد اسمه في خارطة ملحقة باتفاقية بترولية عُقدت في ديسمبر ١٩٣٤م بين أمير الكويت وشركة نفط الكويت البريطانية المحدودة، وقد ورد في الخارطة باسم (Jebel Sanam)، ولكن المترجم أخطأ فسماه جبل صنم!!، وورد صحيحاً في خارطة أخرى من وضع مديرية المساحة العامة العراقية ببغداد عام ١٩٦٤م، وثالثة صنعها الدكتور إبراهيم شوكت أحد منتسبي كلية الآداب والعلوم ببغداد (انظر: الكويت في خرائط العالم حقائق ووثائق من نشر مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ؛ الطبعة الأولى ١٩٩٢م الصفحات ١٤٨ – ١٤٩ و ١٥٦ – ١٥٧ و ١٦٢ ـ ١٦٣).

وسوف يذكر الشارح سناماً هذا في شرح القصيدة الميمية في أخبار اكسك سلار وكجكينا فراجعها هناك.

وأمّا كَبْد، فهو أيضاً ما زال معروفاً باسمه حتى اليوم، وهو هضبة تقع الآن داخل الأراضي الكويتية؛ بالقرب من مدينة الكويت العاصمة، وتبدأ حدودها الشرقية غرب جليب الشيوخ بـ١٥ كلم، وتنتهي بالقرب من حدود الشقّ، وينطق الأهالي حرف الكاف منه كما يُنطق الحرفان الإنجليزيان (Ch) أي (چَبْد)، وذكره ج. ج. لوريمر في دليل الخليج (ج٣: ١١٩٦)، وذكر أنه عبارة عن صف من التلال مرتفع يمتد من الشرق إلى الغرب لمسافة تزيد على ستة أميال، وذكره كذلك الكولونيل هارولد ديكسون في كتابه (عرب الصحراء ؛ الصفحة ٤١ من نشرة سعود بن غانم الجمران العجمي ١٩٩٧م) وعدّه من منتجعات بدو الكويت في أيام الشتاء والربيع.

(وانظر: الكويت في خرائط العالم حقائق ووثائق من نشر

فَخَيْـرٌ مِـنَ الأَحْـسَاْءِ إِنْ دَاْمَ عَتْـبُكُمْ

(أُشَــيٌّ) و (وَاْدِيْ مَلْهَــمٍ) و (نَعَــاْمُ)

أُشَيٌّ ومَلْهَم ونَعَامْ من قرى اليمامة، وهي في وقتنا هذا خراب غير مسكونة.[١٢٧]

مؤســسة الكويــت للتقــدم العلمــي ؛ الطبعــة الأولى ١٩٩٢م الصفحات ١٦٢ ـ ١٦٣).

[١٢٧] في البرنستنية والروسية: " وكلها " بدلاً من " وهي ".

والقُرى الثلاث هي في اليمامة كما قال الشارح، ومَلْهَم التي ظلّت محتفظةً باسمها هذا تقع الآن شمال غَرب الرياض بـ ٧٠ كلم.

وأمّا نعَام فقد جاء في معجم اليمامة للشيخ عبد الله بن خميس: نَعَام :ـ بفتح النون والعين فألف وميم ، بلفظ جمع نعامة ـ وادٍ من أكبر أودية (اليمامة)، يسيل مشرقاً من أعلى قمم (العارض) غرباً، ومن نهاية منحدراتها الغربية ، ويقبل بروافده الكثيرة فتجتمع أصوله عند بلدة (الحريق)، ويمتد وادي نعام بين خطي طول ˚46 َ09 ً58 و ˚46 َ50 ً15شرقاً وبين دائرتي عرض َ30 ً58 ˚23 و ˚23 َ49 ََ55.

، وأمّا أشيّ فهي اليوم وادٍ يُعرف بوادي أشَيّ، وبه قرية ذات نخل تحمل الاسم نفسه يقعان أعلى المجمعة، كما في الكتاب المذكور ايضاً.

وَمَــا ذَاكَ مِنّــي باخْتِيَــارٍ وَلاَ رِضَــىً

وَلَكِــنْ يَحُــلُّ الــشَّيْءُ وَهْــوَ حَــرَامُ

يريد بذلك قولهم: (عند الضرورات تباح المحضورات).

وَلَــمْ أرَ أشْــقَى مِــنْ كَــرِيمٍ ببَلْــدَةٍ

يَجُــرُّ وَيَجْنِــي غَيْــرُهُ وَيُــلامُ

يجر من الجريرة، ويجني من الجناية، والجريرة والجناية شيء واحد.

وَإِنَّكُــمُ دِرْعِــي وَسَــيْفِي وَسَــاعِدِي

وَترْسِــي إِذَا ضَــمَّ الكُمَــاةَ زَحَــامُ

وَمَــالِيْ لِــسَانٌ غَيْــرُكُمْ إنْ تَطَاوَلَــتْ

عَلَــيَّ رِجَــالٌ، وَاسْــتَمَرَّ خِــصَامُ

« اللسان هو جارحة الكلام.»[128]

---

١٢٨ ما بين القوسين من البرنستنية.

فَــلاْ تَـــسْمَعُوْا فِــيَّ الوُشَــاْةَ فَــإِنَّهُمْ

لأَكْـــذَبُ مِـــنْ آلٍ رَأَتْـــهُ حِيَـــاْمُ

فَــإِنِّيَ سَــيْفٌ قَــاْطِعٌ مِــنْ سُــيُوْفِكُمْ

وَبَعْـــضُ الـــسُّيُوْفِ المُنْتَقَــاْةُ كَهَــاْمُ

الآل: السراب، والحيام: العطاش، والمنتقاة: المتخيرة، وانتقيت الشيء: اخترته، ونقاوة الشيء ونقاءته: خياره بضم النون فيهما، وكهامته والكهام: الكليل.

فَمِــنْ أَجْــلِ قُرْبَــاْكُمْ حُــسِدْتُ وَسُــدِّدَتْ

إِلَـــيَّ نِـــصَاْلٌ لِلْعِـــدَىْ وَسِـــهَاْمُ

سددت أي صوبت، وتسديد السهم: تصويبه.

فَبُـــوْرِكْتُمُ يَـــاْ آلَ فَـــضْلٍ فَـــإِنَّكُمْ

ضِـــيَاْءٌ، وَكُـــلُّ[129] المَـــاْلِكِيْنَ ظَـــلاْمُ

---

١٢٩ في البرنستنية والبرلينية والروسية: "وبعض" بدلاً من "وكل" هنا.

وَلاَ زَالَ يُهْدَى كُلَّ يَوْمٍ إِلَيْكُمُ

عَلَى الْقُرْبِ مِنِّي وَالْبُعَادِ سَلاَمُ

يهدى من الهدية، والسلام من التحية.

٧٩. وقال يرثي الرئيس الحسن[١٣٠] بن عبد الله بن أحمد، وكان صديقاً له، وبينه وبين أهل بيته مودة وصداقة وخلطة «عظيمة»[١٣١].

أَيْدِي الحَوَادِثِ فِي الأَيَّامِ وَالأُمَمِ
أَمْضَى مِنَ الذَّكَرِ الصَّمْصَامَةِ الخَذِمِ

أمضى: أقطع، والذكر من الحديد خلاف الأنيث، والصمصامة: السيف، والخذم: القاطع.

فَلا يَظُنَّنَّ مَنْ طَالَتْ سَلامَتُهُ
أَنَّ المَقَادِيرَ أَعْطَتْهُ عُرَى السَّلَمِ

المقادير جمع مقدار، وهو ما يقدر الله تعالى «من

---

[١٣٠] الغريب أنه كتب في البرلينية والروسية والطهرانية والأحسائية والمدريدية والطبعة الهندية: "الحسين"؛ مع أنه ورد في القصيدة ـ حيث الوزن لا يسمح بغير ذلك ـ: "الحسن" موافقاً لما في الأصل الرضوي والبرنستنية والأزهرية، والقصيدة غير موجودة في البريطانية والرضوية٢.

[١٣١] ما بين القوسين إضافة من منسوخة الموصلية والبريطانية٢.

والممدوح بكري – من بكر بن وائل – كما ستدل عليه أبيات هذه القصيدة.

القضاء»،[132] والظن يجيء بمعنى[133] اليقين، والظن خلاف اليقين، والسلم يجيء بمعنى السلامة، وبمعنى الصلح أنه لا يظن من سالمته الدنيا أياماً أن المُقَدِّرَ جَعَلَ الأمرَ إليه.

كُلٌّ بمَا[134] تُحْدِثُ الأَيَّامُ مُرْتَهَنٌ
وَكُلُّ غَايَةِ مَوْجُودٍ إِلَى عَدَمِ

مَنْ سَرَّهُ الدَّهْرُ صِرْفاً سَوْفَ تَمْزُجُهُ
لَهُ تَصَارِيفُهُ مِنْ صَفْوَةِ النِّقَمِ

الصرف: الخالص، ومزج الشراب: خلطه بالماء، يقول من صفا له سروره من الكدر فلا بد أن يكدره عليه تصاريف الأيام واختلاف أحوالها بالنقم الخالصة.

فَلا تَغُرَّنَّكَ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا

---

[132] ما بين القوسين من البرنستنية.

[133] كانت في الأصل: " بخلاف " وما أثبتناه عن البرنستنية، وهو الصحيح.

[134] في البرلينية والروسية: "وكلما" بدلاً من "كلٌّ بما".

وَلَـوْ حَبَتْـكَ بحُمْـرِ الخَيْـلِ وَالـنَّعَمِ

حبتك أي أعطتك، وحمر الخيل هي أكدّها وأقواها، وحمر النعم: خيارها، والنعم: الإبل، والأنعام اسم يجمع الإبل والبقر والغنم، والنعم يذكر ويؤنث، قال الله تعالى: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾[135]، والعرب إذا أفردت النعم فإنما يريدون الإبل خاصة، فإذا قالوا الأنعام دخلت في ذلك البقر والغنم، قال الله تعالى: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم﴾[136]، يدخل في النعم هاهنا الإبل والبقر والغنم، والله أعلم.

فَمَـا اللَـذَاذَةُ فِـيْ عَـيْشٍ وَغَايَتُـهُ

مَـوْتٌ يُؤَدِّيْـكَ مِـنْ قَـصْرٍ إلـىْ رَجَـمِ

العيش: الحياة، والعيش: المطعم والمشرب وما يكون به قوام الجسد، والحياة والمعيشة اسمٌ لما يعاش به، والعيشة ضرب من العيش، يقال عاش عيشةَ صدق وعيشة سوء، والغاية: المنتهى، والرجم: القبر، يقول إن لذة بعدها الموت ليست

[135] المؤمنون: من الآية٢١

[136] المائدة: من الآية٩٥

بلذة.

يَـا غَـافِلاً لَعِـبَ الظَّـنُّ الكَـذُوبُ بِـهِ

خَـفِ العَوَاقِـبَ وَاحْـذَرْ زَلَّـةَ القَـدَمِ

الغافل: الساهي، وزلة القدم: تغير النعمة.

وَانْظُـرْ إلـىْ حَـسَنٍ فِـيْ حُـسْنِ صُـوْرَتِهِ

جَـاءَتْ إلَيْـهِ صُـرُوْفُ الـدَّهْرِ مِـنْ أَمَمِ

حسن هو الرجل الذي يرثيه، ومن أمم أي من قريب.

لَـمْ يَحْمِـهِ صَـارِمٌ قَـدْ كَـانَ يَخْـضِبُهُ

يَـوْمَ النّـزَالِ مِـنَ الأعْنَـاقِ وَالقِمَـمِ

وَلاْ جَـوَادٌ أَقَـبُّ الظَّهْـرِ مُنْجَـرِدٌ

يَهْـوِيْ بِـهِ كَهُـوِيِّ الأجْـدَلِ القَطِـمِ

الأقب: الضامر، والقبب: دقة الخاصرة، والمنجرد:

السريع، والأجدل: الصقر، والقَطَمُ: الشَّهَوَان.[137]

وَلاْ الغَطَــاْرِفُ مِــنْ (بَكْــرٍ) وَإِخْوَتِهَــاْ

مِنْ (تَغْلِبَ) الغُلْبِ أَهْلِ البَــأْسِ وَالكَـرَمِ

الغطارف: السادة، وبكر يعني بكر «بن»[138] وائل، وأخوتها يعني بني تغلب بن وائل، والغُلب: العُظام.

كَــاْنُوْا يُفَدُّوْنَــهُ بِالخَيْــلِ مُــسْرَجَةً

وَالمَــاْلِ وَالآلِ وَالأَوْلاْدِ وَالحَــشَمِ

يفدونه: يفتدونه، «من قول الرجل فداك أبي وفدتك نفسي»[139] وحشم الرجل: عياله وخدمه ومن يتبعه، وآله: أهل بيته.

إِيْهَـاً بَنِــيْ وَائِــلٍ قَــدْ مَــاْتَ لَيْــثُكُمُ

فَــاْبكُوْا عَلَيْــهِ بِــدَمْعٍ سَــاْجِمٍ وَدَمِ

---

[137] أي اشتهاء اللحم ونحوه.

[138] ما بين القوسين من البرنستنية.

[139] ما بين القوسين من الطبعة الهندية.

سجم الدمع وانسجم: سال، وسجمت عينه وذرفت ووكفت وسحت وهطلت وحلبت وتحلبت وانسكبت كله من سيلان الدمع.

قَـدْ كَـانَ إنْ نَزَلَـتْ دَهْمَـاءُ مُظْلِمَـةٌ

وَخَـامَ عَنْهَـا حُمَـاةُ القَـوْمِ لَـمْ يَخِـمِ

دهماء مظلمة أي داهية عظيمة، وخام الرجل: جبن، وحماة القوم شجعانهم الذين يحمونهم.

وَإنْ نَبَـا زَمَـنٌ أوْ عَـضَّ نَاجِـدُهُ

أعْطَـى العُفَـاةَ بِـلا مَـنٍّ وَلا سَـأَمِ

نبا: اشتد، وعض الدهر: شدته وتحامله، والعفاة: السُؤّال، والمنّ: التقريع بالنعمة، والسأم: الضجر.

مَضَى وَلَـمْ يَـدْرِ مَـا سُـكْرُ الـشَّبَابِ وَلا

أمَالَـهُ الغَـيُّ عَـنْ رُشْـدٍ إلَـى إثْـمِ

وَلاْ تَخَطَّــىْ بُيُــوْتَ الحَــيِّ مُبْتَجِحَــاً[140]

جَــذْلاْنَ يَخْطُــرُ مُخْتَــاْلاً عَلَــىْ قَــدَمِ

يصفه في البيتين بالعفاف والتقى والنسك والتواضع وترك الخيلاء، والمختال: المدل بنفسه، والاختيال: التيه.

وَلَــمْ يَكُــنْ هَمُّــهُ شُــرْبَ المُــدَاْمِ وَلاْ

شَــدْوَ المَزَاْهِيْــرِ بالأَوْتَــاْرِ وَالــنَّغَمِ

المدام: الخمر، والمزاهير: الأوتار والعيدان، «واحدها مزهر»[141] وشدوها: صوتها.

لَكِــــنَّ هِمَّتَــــهُ مَــــاْلٌ يُقَــــسِّمُهُ

عَلَــىْ العُفَــاْةِ، وَإِقْــدَاْمُ عَلَــىْ الــبُهَمِ

البهم: الفرسان واحدها بهمة، وسمي بهمة تشبيهاً بالصخر، والصخرة تسمى بهمة، « ويسمّى بَهْمُ الحروب كلُّ

---

[140] في البرلينية والروسية: "منبجحاً".

[141] ما بين القوسين من الطبعة الهندية.

جريء». [142]

وَلَــمْ يَــزَلْ صَــائِمَاً طَوْعَــاً لِخَالِقِــهِ

وَباللُّجَى قَائِمَــاً[143] فِـيْ حِنْـدِسِ الظُّلَـمِ

فَيَــاْ أَبَــاْ جَعْفَــرٍ لاْ زِلْــتَ فِــيْ دَعَــةٍ

لاْ تَجْــزَعَنْ، فَقَــضَاْهُ غَيْــرُ مُــتَّهَمِ

الدعة: الخفض والراحة، والجزع: أشد الحزن، وقوله: "غير متهم" يقول: إن الله تعالى ليس بمتهم في خلقه، وأبو جعفر هذا محمد بن عبد الله بن أحمد، وكذلك أبو حسن الذي يلي البيت هو علي بن عبد الله بن أحمد، وكلاهما أخوا المرثي. [144]

وَيَــاْ أَبَــاْ حَــسَنٍ صَــبْرَاً فَكُــلُّ فَتَــىً

مُفَــاْرِقٌ وَحَيَــاْةُ المَــرْءِ كَــالحُلُمِ

---

[142] ما بين القوسين من الطبعة الهندية.

١٤٣ في البرلينية والروسية: "وراكعاً ساجداً"

[144] كانت في الأصل: " الممدوح " وهو خطأ، والتصحيح من البرنستنية.

وَالمَــوْتُ كُــلُّ امْــرِيءٍ لاَبُــدَّ ذَاْئِقُــهُ

تَقَاْصَــرَ العُمْــرُ أَوْ أَدَّىْ إِلــىْ الهَــرَمِ

أَيْــنَ المُلُــوْكُ وَأَرْدَاْفُ المُلُــوْكِ وَمَــنْ

سَــاْدَ القَبَاْئِــلَ مِــنْ عَــاْدٍ وَمِــنْ إِرَمِ

أرداف الملوك واحدها ردف، وهو الذي إذا جلس الملك جلس عند يمينه، وإذا شرب الملك شرب هو قبل الناس، وإذا غزا الملك قعد في موضعه، والاسم من ذلك الردافة، وعاد وإرم: قبيلتان « انقرضتا »[١٤٥] من قبائل العرب الخالية.

وَأَيْــنَ (طَــسْمٌ) وَأَوْلاْدُ التَبَــاْبِعِ مِــنْ

أَوْلاْدِ (حِمْيَرَ)، وَالسَّاْدَاْتُ مِـنْ (عَمَـمِ)

طسم أيضاً قبيلة من قبائل العرب الخالية[١٤٦]، والتبابعة: ملوك حمير،[١٤٧] وعمم « قبيلة »[١٤٨] من لخم، ومنهم آل المنذر.[١٤٩]

---

[١٤٥] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[١٤٦] في البرلينية والروسية: "السالفة"، وكلاهما بمعنى واحد.

[١٤٧] في البرلينية والروسية: "اليمن"، وكلاهما صحيح.

وَأَيْــنَ آلُ (مُــضَاْضٍ) فِــيْ قَبَاْئِلِهَــاْ[150]

مِنْ جُـرْهُمٍ سَـاْكِنِيْ بُحْبُوْحَـةِ الحَـرَمِ

آل مضاض: بيت جرهم بن يقطين[151]، وهم الذين تزوج الذبيح « إسماعيل »[152] بن إبراهيم الخليل عليهما السلام إلى مَلِكِهِم الحارث بن مضاض ابنته فأولدها جميع أولاده، وكانوا سكان الحرم من قبل قريش، والحرم: حرم مكة حرسها الله تعالى، وبحبوحته: وسطه، والمتبحبح: المتمكن في حلول

---

١٤٨ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

١٤٩ يعني المناذرة ملوك الحيرة، وبنو عمَمْ: هم بنو عَمَم بن نُمارة بن لَخْم بن عَدِيّ بن مُرَّة بن أُدَد بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان. (انظر معجم البلدان رسم «أوارة»).

١٥٠ كانت في الأصل: "مع عقائلها" بدلاً من: " في قبائلها "، والتصحيح من البرلينية والقادرية والبرنستنية، وفي الفيضية: "وأين آل قصيٍّ في قبائلها".

١٥١ كذا في أصل الرضوية، وفي البرلينية "يقطان"، وفي الروسية: "يقظان"، وفي كتب النسب "يَقْطِنْ" را. معجم البلدان رسم (مكة).

١٥٢ ما بين القوسين إضافة من البرلينية.

الحرم.[153]

أَفْنَاهُمُ، وَأَدَارَ الكَأْسَ مُتْرَعَةً

فِيْ وَائِلٍ فَسَقَاهَا غَيْرَ مُحْتَشِمِ[154]

الفناء: الهلاك، والكأس مؤنثة، ومترعة أي ملآنة، وأترعت الإناء: ملأته، والترع: امتلاء الشيء، وغير محتشم: غير مستحي، واحتشمت من كذا استحييت.

أَرْدَى ابْنَ مُرَّةَ هَمَّامًا وَكَانَ لَهُ

عِقْدُ الرِّئَاسَةِ عَنْ آبَائِهِ القُدُمِ

أردى: أهلك، وهمام هو همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، وكان صاحب رئاسة بكر بن وائل.

وَمَانِعَ الجَارِ جَسَّاسًا أَتَاحَ لَهُ

سَهْمَ المَنُوْنِ عَلَىْ عَمْدٍ فَلَمْ يَرُمِ

---

[153] في البرلينية والروسية: "والتبحبح والتمكن: الحلول بالمقام".

[154] في البرلينية والروسية: "غير محترم"، وما في الشرح يصحح قراءة الرضوية الأصل.

العمد: نقيض الخطأ، وهو مصدر عمدت الشيء أعمد له عمداً أي قصدت له، يعني جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان قاتل كليب بن ربيعة،[١٥٥] وكان يقال لجساس « بن مُرّة »[١٥٦] حامي الذمار ومانع الجار، وأتاح له أي قدّر، والمنون: المنية، ولم يرِم أي لم يبرح.

وَالحَــوْفَزَانُ الَّــذِيْ كَانَــتْ تَنُــوْءُ بِــهِ

بَكْــرٌ سَــقَاْهُ بِكَاْسَــاْتٍ مِــنَ الــنِّقَمِ

تنوء « به أي »[١٥٧] تنهض، والحوفزان « هو الحارث »[١٥٨] بن شريك بن عمرو الصلب بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرّة بن ذهل بن شيبان، وكان الحوفزان من سادات بكر بن وائل وفرسانها[١٥٩]، «ولم تطع بكر بن وائل أحداً طاعتها

---

[١٥٥] في البرلينية والروسية: "كليب وائل"، وكلاهما يصح.

[١٥٦] ما بين القوسين من البرنستنية.

١٥٧ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

١٥٨ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية، وكانت في الأصل: "يعني الحوفزان بن شريك".

١٥٩ في البرلينية والروسية: "وكان الحوفزان سيد بكر بن وائل وفارسها".

له»[160]، وكان أكثرها وقائعاً « وأعظمها هيبةً وأسمحها يداً»[161]، ولم يعقد عليه أحد من بكر بن وائل، وله أيام كثيرة، وفيه أشعار كثيرة.

وَفَارِسُ العَرَبِ العَرْبَاءِ إنْ ذُكِرَتْ

بِسْطَامُ مَدَّ إلَيْهِ كَفَّ مُخْتَرِمِ

اخترمه الموت: اقتطعه « واستأصله »[162]، وبسطام هو بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدين بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرّة بن ذهل بن شيبان، وكان فارس ربيعة[163] و« بيته »[164] البيت الأول منها[165]، وهو الذي وضعت عليه العرب أعمدة بيوتها جزعاً عليه لما أتاهم خبر قتله، وقتل وهو حدث السنّ، وكان له عشرون

---

١٦٠ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية، وجاء في الرضوية الأصل: "وكان مطاعاً فيها".

١٦١ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

١٦٢ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

١٦٣ في البرلينية والروسية: "العرب" بدل "ربيعة".

١٦٤ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

١٦٥ في البرلينية والروسية: "من ربيعة".

سريّة كلها يظفر فيها إلا سريتين إحداهما أسر فيها، والأخرى قتل فيها، وحديثه يطول.

فَــابْتَزَّهُ مُلْكَــهُ غَــصْبَاً، وَأَنْزَلَــهُ

فَـوْقَ التُّـرَابِ عَفِيْـرَ الخَـدِّ وَالقِـسَمِ[١٦٦]

ابتزه ملكه أي سلبه إياه، وعفير الخد أي ألقى خده على العفر، والعفر: التراب، يقال عفرته في التراب عفراً، وأنا أعفره فهو منعفر الوجه في التراب، ومعفَّر، وقد عفرته

---

[١٦٦] القِسَم جمع قِسْمة الوجه، وكذا ورد ترتيب هذا البيت هنا في الأصل هنا، وظاهر السياق أن الضمير في قوله: "ملكه" يراد به بسطام بن قيس، ولكن بسطاماً لم يكن صاحب ملك حتى يقول عنه إن الموت ابتزّه ملكه، وفي كل هؤلاء الذين ذكرهم وسيذكرهم لا يوجد إلا اثنان نستطيع أن نقول أنهما كانا ذوي ملك، وهما كليب بن ربيعة، وهوذة بن علي الآتي ذكرهما، ويصح أن يكون هذا البيت بعد البيت الذي ذكر فيه أياً منهما لا أن يكون هنا، ثم إن البيت السابق لهذا البيت ورد في الطبعة الهندية بهذه الصيغة:

وعاقر الفيل أفناه وعاد إلى بسطام مدَّ إليه كفَّ مخترم

وهي بذلك اختصرت بيتين وردا في الأصل هنا فأخذت صدر البيت الخاص بعاقر الفيل المثنى وعجز البيت الخاص ببسطام فركبت منهما هذا البيت الذي أوردناه قبل قليل.

«تعفيراً فهو عفير، وعفرته في التراب أي مرَّغته، واعتفرته اعتفاراً»[167] إذا ضربت به الأرض فمغثته، والقسم: الوجه.

وَعَـاقِرُ الفِيْـلِ يَـوْمَ (القَادِسِـيَّةِ) قَـدْ

سَقَاهُ صَـرْفُ الـرَّدَى صِـرْفاً لِغَيْـرِ فَـمِ[168]

---

[167] ما بين القوسين من البرنستنية.

[168] جاء في الطبعة الهندية بعد هذا البيت بيتٌ آخر وهو:

وقالت الناس أقرانٌ وغادره

فوق التراب عفير الخدِّ والخشِمِ

فإن صح أن هذا البيت من هذه القصيدة وسقط من باقي الأصول، فقد سقط قبله أيضاً بيتٌ آخر أو أكثر لأنّ الرّابط مفقود بين هذا البيت والذي قبله، وإن كان واضحاً من جملة "القوم أقران" أن المراد هو عاقر الفيل المثنى بن حارثة بالفعل لأن هذه الجملة هي من حديث زوجه سلمى قالتها لسعد بن أبي وقاص لما تزوجها بعد موت زوجها المثنى، وهي الجملة التي جعلت سعداً يلطمها كما سيأتي في شرح البيت بعد قليل، والذي جعلنا نشك في سقوط بيت أو أكثر قبل هذا البيت الزائد في الطبعة الهندية هو أنه لم يجْرِ ذكرٌ لزوجة المثنى سلمى في القصيدة أو حتى الإشارة إليها، وإنما ابتدأ البيت بالقول: " وقالت الناس أقران" فمن هذه التي قالت: " الناس أقران " إن لم تكن سلمى، وقد سبق للطبعة الهندية أن ذكرت قبل هذا البيت بثلاثة أبيات بيتاً

« عاقر الفيل »[169] يعني المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، وهو الذي عقر فيل مهران يوم القادسية، وقتل الأعاجم «وعاث في مملكة كسرى»[170]، وتولى حربهم زماناً في صدر الإسلام[171]، ونهب في ديارهم وسبى، وكان سبب فتح بلاد

آخر يتضح من الوهلة الأولى أنه مقحم، وقد جاء ترتيبه فيها بعد قوله:

والحوفزان الذي كانت تنوء به بكرٌ سقاه بكأسات من النقم

ثم ذكرت شرح البيت، ثم جاء البيت الذي نعنيه، والذي سيرد في الشرح هنا أنه للأعور الشني مع اختلاف القافية، وهو:

إنّ الأمير المثنى يوم بارزه مهران أشجع أهل الأرض كلِّهم

ثم جاء بعده البيت الخاص بشبيب والذي سيرد بعد قليل، ثم بعده هذا البيت أي "وعاقر الفيل" ثم البيت الزائد الذي ذكرناه في أول الحاشية هذه، ومن كلّ ذلك يتضح أنه ربما ذكر الشاعر قصَّة المثنى بن حارثة وزوجته سلمى وقصتها مع سعد بن أبي وقاص منظومةً في هذه القصيدة ثم سقطت من الأصول المخطوطة التي اعتمدناها، واحتفظت بها إحدى المخطوطات التي اعتمدتها الطبعة الهندية.

١٦٩ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

١٧٠ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

١٧١ في البرلينية والروسية: "زمن عمر بن الخطاب" بدلاً من "صدر الإسلام".

كسرى، وله أحاديث يطول شرحها « إلى أن هلك، وتزوج سعد بن أبي وقاص زوجته سلمى بنت خصفة، وذكروا أنه قال لها ذات يوم، وقد اشتدت الحرب: كيف رأيت الناس؟ فقالت:[١٧٢] أقران ولا مثنى لهم، فلطم سعد وجهها غيظاً، وفيه يقول الأعور الشَّنّي شعراً:[١٧٣]

هاجت لأعور دار الحيّ أحزانا   واستبدلت بعد عبد القيس همذانا

وقد يحلُّ بها إذ لا يحلّ بها   إذ بالنُّخيلة[١٧٤] قتلى جند مهرانا

أزمان سار المثنى بالجنود لهم   ففلَّل الجمع[١٧٥] من فُرسٍ وجيلانا[١٧٦]

---

١٧٢ جملة: "فقالت" ليست في الأصل، وأضفناها لتطلب السّياق ذلك، ولأن هذه القصة معروفة، وجملة "أقران لا مثنى لهم" من قول سلمى (انظر ابن قتيبة: المعارف؛ الصفحة ١٠٠ من طبعة دار المعارف بمصر).

١٧٣ ذكر الطبري أربعة أبيات منها ونسبها للأعور الشني، وهي في الأخبار الطوال للدينوري باختلاف عما هي هنا، وقد نسبها خطأً لعروة بن زيد الخيل، مع أنّ فيها البيت: " واستبدلت بعد عبد القيس همذانا "، وعروة بن زيد الخيل طائي، وأما الأعور فهو من عبد القيس، واسمه بشر بن منقذ أحد بني شن بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى.

١٧٤ في الأصل: "إذ مالنخيلة"، والتصحيح من كتاب الأخبار الطوال للدينوري.

١٧٥ كانت في الأصل: " الفرس " والتصحيح من الطبعة

سـار المثنى بفرسان مسوّمةٍ فقتّل الفرس من مثنى ووحدانا

ما إن رأينا أميراً بالعراق مضى مثل المثنّى الذي من آل شيبانا

إنّ الأمير المثنّى يوم بارزه مهران أشجع من ليثٍ بخفّانا»[177]

وَقَدْ أذَاقَ شَبِيْباً فِيْ شَبِيْبَتِهِ

كَأْسَ الحُتُوْفِ بِلاْ سَيْفٍ وَلاْ سَقَمِ

يعني شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن شراحيل بن مرة بن همَّام بن مرة بن ذهل بن شيبان، «الخارجي»[178] وكان «شبيب»[179] هذا فارس العرب «كلّها»[180] باديها وحاضرها، ومتقدمها ومتأخرها، وهو الذي خرج على بني أمية على عهد عبد الملك بن مروان، وأرجف وخطب له على المنابر بالخلافة، وخوطب بأمير المؤمنين،

الهندية.

١٧٦ في الأصل خيلانا، والتصحيح من تاريخ الطبري.

١٧٧ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

١٧٨ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

١٧٩ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

١٨٠ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

«حيث يقول شاعر ربيعة:[181]

فإن يكُ منكمْ كان مروانُ وابنُه وعمروٌ، ومنكمْ هاشمٌ وحبيبُ
فمِنّا سُوَيْدٌ والبَطِيْنُ[182] وقَعْنَبٌ[183] ومنّا أميرُ المؤمنين شبيبُ »[184]

ودخل على الحجاج الكوفة مراراً كثيرة، وحصره فيها، واجتمعت عليه عساكر العراق مراراً فهزمها كلها، وقتل منها ما لا يحصى، وما بلغ عسكره فيها أكثر من ستمائة، وأرسل الحجاج إلى عبد الملك فأتاه بمدد كثير من عساكر أهل الشام.

« وقوله: "بلا سيفٍ ولا سقم" يعني أنه مات غرقاً في دجلة

---

١٨١ في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدينوري أنهما لعتبان الحروري، وقد أحضره عبد الملك بن مروان بعد مقتل شبيب وقرره على ذلك، فقال: إنما قلتُ: ومنا ـ أميرَ المؤمنين ـ شبيبُ أي على النداء، فعفى عنه عبد الملك.

١٨٢ هو البَطِينُ الخارجي من بني ثور بن الحارث بن عمرو بن مُحلّم بن ذُهل بن شيبان (الكلبي: جمهرة النسب ٤٩٨).

١٨٣ كانت في البرلينية: "قنعب"، وفي الروسية: "قعنب"، وهو في حياة الحيوان وجمهرة النسب لهشام الكلبي: "قعْنَب"، وعده الأخير من بني عمرو بن النعمان بن عمرو الصلب بن قيس بن شراحيل بن مُرّة بن همام بن مُرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل (الكلبي: جمهرة النسب ٥١٢).

١٨٤ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

وقع به فرسُه وعليه درعه وسلاحه فلم يطق يسبح، فغرق.»[185]

وَ (المَزْيَـــدِيِّيْنَ) غَــالَتْهُمْ غَوَائِلُـــهُ

وَاجْتَـاحَهُمْ مُزْبِـدٌ مِـنْ سَـيْلِهِ العَـرِمِ

غالتهم: أهلكتهم، والغوائل: الدواهي، والاجتياح: الاستئصال، والعرم: السيل الذي لا يطاق، قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾[186]، وقيل في ذلك العرم جمع عريمة، وهي السَّكر والمسنّاة وقيل العرم هاهنا اسم وادٍ، وقيل هو اسم الجرذ الذي بثق عليهم السَّكر، وهو الذي يقال له الخلد، وقيل العرم: المكر الشديد.

ويعني بالمزيديين رهط يزيد[187] بن مزيد بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، وهم بيت الكرم

---

١٨٥ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

١٨٦ سبأ: من الآية١٦

١٨٧ في البرلينية والروسية: يعني بالمزيديين بني مزيد بن زائدة ... ثم ساق باقي النسب كما هو هنا.

من ربيعة منهم معن[188] بن زائدة، ومنهم يزيد بن مزيد ومنهم خالد بن يزيد بن مزيد[189] الذي أعطى شاعراً ثواب بيتين قالهما فيه مائة ألف دينار، والبيتان هما:

قل للبرية إن توفي خالدُ إنّ المكارم صادفت آجالهَا

والناس إن وافت منية خالدٍ كالقوس تنزعُ ريشَها ونصالهَا

وهو الذي يقول فيه عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفى:

أأترك إن قَلَّت دراهمُ خالدٍ زيارتَه إني إذاً للئيمُ

وقد بلغه أنه استدان حتى ثقل من الدين، ويعطي الناس، ومنهم معن بن زائدة الجواد صاحب يوم الهاشمية، وله أحاديث كثيرة.

وَلَمْ يَدَعْ هَانِئاً، وَهْوَ الَّذِيْ انْتَصَفَتْ

بِهِ الأَعَارِيْبُ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَىْ العَجَمِ

---

[188] كانت في الأصل الرضوي: " مزيد " وهو تحريف، والتصحيح من البرلينية والروسية والطبعة الهندية، وسيكرر الشارح ذكر معن بعد قليل.

١٨٩ في البرلينية والروسية جاء هنا هذا النص: "الذي يمدحه أبو تمام الطائي في أشعاره، وكان جواداً له أحاديث في الجود"، ولم يذكر شيئاً آخر، والكلام نفسه في الطبعة الهندية.

يعني هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود بن عامر الخصيب[١٩٠] بن عمرو « المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان »[١٩١] صاحب يوم[١٩٢] ذي قار « الذي قتل جيوش كسرى ونَهَب العراق »[١٩٣]، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم بفوارس من ذهل بن شيبان ﴾، وقيل أنه قال: ﴿ وبي نُصروا[١٩٤] ﴾، « وكان هانئ المتولي لذلك ويزيد بن مسهر »[١٩٥] وقد ذكرنا طرفاً من ذلك.[١٩٦]

---

[١٩٠] في البرلينية: "بن الخصيب"، وفي الروسية: "بن الحطيف"، وما أثبته عن الرضوية الأصل هو الصحيح، فالخصيب هو نعت لعامر بن عمرو المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان سُمّي به لسخائه (انظر الكلبي: جمهرة النسب؛ الصفحة ٤٩١).

[١٩١] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[١٩٢] في البرلينية والروسية: "صاحب حرب ذي قار".

[١٩٣] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[١٩٤] انظر طبقات خليفة بن خياط ٨٧، فقد ذكره قريباً لما هو هنا.

[١٩٥] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[١٩٦] قال: "وقد ذكرنا" بصيغة الماضي مع أنّ هذا الخبر ذكره الشارح في شرح القصيدة الميمية الشهيرة للشاعر التي مطلعها:

قم فاشدد العِيس للترحال معتزما

وَالحَــارْثُ بْــنُ عُبَــادٍ غَالَــهُ وَسَــطَىْ
بجَحْـــدَرٍ فَــارْسِ الـــتَّحْلاقِ لِلَّمَـــمِ

يعني الحارث بن عباد بن مرة بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن، ـ ويقال الأعز ـ بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، أبا بجير، كان فارس بكر بن وائل « في زمانه »[197]، وهو الذي أسر مهلهل بن ربيعة أخا كليب بن ربيعة مراراً ويخلي سبيله، وكان يضرب به المثل في الوفاء، فيقال: (أوفى من رب النعامة)، والنعامة اسمٌ لفرسه.

وجحدر هو جحدر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن فارس يوم التحالق[198]، « وهو الذي افتدى ذؤابته بأول فارس

وكذلك في شرح القصيدة النونية التي مطلعها:

كم بالنهوض إلى العلا تعداني

وهما قصيدتان لم تردا بعد هنا، وذلك لأنّ الديوان في أصله القديم كان مرتباً على غير حروف المعجم، وبالتالي فإنّ القصيدة الميمية وربما النونية أيضاً كانتا سابقتين فيه لهذه القصيدة، فقال هنا: "وقد ذكرنا" بصيغة الماضي.

[197] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[198] في البرلينية والروسية "التخلاف"، وهو تحريف التحلاق على ما يبدو التسمية الأخرى الواردة لهذا اليوم.

يخرج من بني تغلب، فقتل ذلك اليوم أوّل فارسٍ وثاني فارسٍ وثالث فارس حتى قتل عدةً من الفرسان »[199] وهو جد المسامعة الذين منهم مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب بن قلع بن عمرو بن عباد بن جحدر بن ضبيعة.

ذكروا ذات يوم أشراف العرب عند عبد الملك بن مروان حتى بلغوا إلى مالك بن مسمع، فقالوا: يا أمير المؤمنين بالبصرة رجلٌ لو غضب غضب معه مائة ألف سيف كلهم لا يسأل لم غضب، فقال عبد الملك: ومن هو؟ فقالوا: مالك بن مسمع، فقال: هذا والله السؤدد.[200]

وَالحَارِثُ بنُ سَدُوْسٍ لَمْ يَهَبْ عَدَداً
فِيْهِ بَنِيْهِ، وَلَمَّا يَكْتَرِثْ بِهِمِ

يعني الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة الحصن، وكان من عظماء بكر بن وائل، وكان له خمسة وعشرون ولداً ذكراً « غير الإناث »[201]، « وكان من فرسان

[199] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[200] وردت قصة مالك بن مسمع في البرلينية والروسية بالمعنى نفسه، ولكن مع اختلاف في اللفظ.

[201] ما بين القوسين من الطبعة الهندية.

ربيعة »[202] وأبوه سدوس قاتل « زياد »[203] ابن الهبولة.

وَالجَعْـدُ مَسْلَمَةٌ لَـمْ يَحْمِـهِ فَـدَنٌ

بَنَـاهُ وَالِـدُهُ إِذْ كَـانَ ذَا هِمَـمِ

الفدن: القصر، وسمي مسلمة الجعد لقوته، وهو صاحب وقعة هوازن التي قتلهم فيها حيث يقول لبيد بن ربيعة يرثيهم، ويذكر مسلمة:

وجـاءوا بـه في هـودجٍ ووراءه كتائبُ خُضرٌ في نسيج السنَوّر

وهو مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن « يربوع بن ثعلبة بن »[204] الدول بن حنيفة بن لجيم، « وأبوه عبيد أوّل من اختطّ حَجْراً[205] ونزل أرض اليمامة، وكان له عشرة أولاد ذكور، وجاءه أعمامه ـ وكانوا جماعة ـ يطلبون منه فيها الشَّرَك، فردّ يدّه إلى ذَكَره، وقال: والله لا أشرك فيها إلاّ مَن خرج من هذا؛ ألا بَلْ لكم الرّضى، فأعطى كلّ رجُلٍ من أعمامه

---

[202] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[203] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[204] ما بين القوسين إضافة من البرلينية فقط وليست في الروسية، وهو الصحيح.

[205] وهي الرياض اليوم.

قرية.»[206]

وَهَــوْذَةُ بْــنُ عَلِــيٍّ حَــطَّ مُنْتَزِعَــاً

عَنْ رَأسِـهِ التَّـاْجَ عَمْـدَاً غَيْـرَ مُحْتَـشِمِ

« غير محتشم أي غير مستحي »[207] يعني هوذة بن علي بن ثمامة بن عمرو بن « عبد الله بن عمرو بن »[208] عبد العزى[209] بن سُحيم بن مرة بن الدول بن حنيفة، وهوذة هذا أول مَعَدِّي لبس التاج، « ولم يتوج قبله معدّي »[210] ولم يخاطب معدي بأبيت اللعن إلا هو، و« هو الذي »[211] كتب إليه النبي صلى الله عليه وآله « وسلم »[212] كما كتب إلى كسرى «ملك

---

[206] ما بين القوسين من البرلينية.

[207] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[208] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية، وهو الصحيح.

[209] كتب هذا الاسم في البرلينية والروسية: "عبد الله العربي"، ومن الواضح أنه تحريف: "عبد العزى".

[210] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[211] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[212] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

العجم»[٢١٣] وإلى قيصر « ملك الروم »[٢١٤] وإلى عباهلة الشام، وكان يجيز لطائم كسرى « من العراق إلى الشام وإلى البحرين وإلى ديار اليمن »[٢١٥] من جميع العرب،« وهو الذي جاءته[٢١٦] قيس عيلان، وقد أجدبت بنجد، فنزلت بنو بكر بن وائل على قتادة بن مسلمة بن عبيد، ونزلت تميم على عمير بن سلمي من بني زيد بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة، ونزلت قيس على هوذة بن علي، فأباحوهم تمر اليمامة وزرعها، وأطعموهم حتى أخصبوا، ثم أماروهم ركابهم،[٢١٧] وسُمّي هوذة يومئذٍ الوهاب، وسمي قتادة غيث الأرامل، وأما عمير بن سلميّ، فهو[٢١٨] الوافي »[٢١٩] وهوذة صاحب « يوم »[٢٢٠]

---

[٢١٣] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[٢١٤] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[٢١٥] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية؛ سوى أنّ اليمن لم ترد في الروسية، وورد بدلاً منها لفظة: "العرب".

[٢١٦] هذه اللفظة غير واضحة في البرلينية، وقد تقرأ: "حلّت به"، وفي الروسية كتبت: "غلبه!"، والصحيح هو أما القراءة المرجحة للبرلينية أي: "حلّت به"، أو قراءة الأصل المثبتة أعلاه.

[٢١٧] كتبت هذه الجملة الأخيرة في الأصلين البرليني والروسي هكذا: "لماراوهم لاكابهم" وهي مضطربة كما ترى.

[٢١٨] كذا كتبت في البرلينية، وفي الروسية: "وهو"، وربما كانت محرفة عن: "وسِّمي".

الصفقة، وهو يوم المشقر.

وَشَيْخُ عِجْلٍ أبُو مَعْدَانَ عَاجَلَهُ
مِنْهُ الحُمَامُ فَلَمْ يُطْلَبْ لَهُ بِدَمِ

يعني حنظلة بن ثعلبة بن سيّار[221] بن حيي بن خاطب[222] بن الأسعد بن جذيمة بن سعد بن عجل « بن لُجَيم »[223]، وكان يسمى مقطع الوضن والبطن لأنه يوم ذي قار قطع وضين بطان[224] أمه، « ووضين بعير أخته »[225] وكذلك بطان[226] بعير

---

[219] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية وهو في الطبعة الهندية.

[220] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[221] كتبت في كل الأصول المشروحة: "شيبان"، وهي تحريف سيار، وهو المعروف في نسب هذا العلم؛ كما لدى الكلبي في جمهرة النسب وابن حزم في الجمهرة، وهو شيخ بني عجل في يوم ذي قار.

[222] كذا في الأصول، وعند الكلبي في جمهرة النسب: "حاطبة".

[223] ما بين القوسين إضافة من البرلينية، وكتبت في الروسية: "لخم"، وهي تحريف لجيم، وهو لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

[224] في البرلينية والروسية: "بعير" بدل "بطان".

ابنته ورمى بها على الأرض، « فقاتلت الناس عنده حتى هزموا الأعاجم وقتلوا جيوش كسرى »[٢٢٧]، وكان أجسر بكر بن وائل يوم ذي قار أثراً، وهو أول من غير سنة المشركين في قسمة « خمس »[٢٢٨] الغنائم، «وذلك حين قتلوا جيوش كسرى، وغنموا ما كان معهم من خيل وسلاح وغير ذلك»[٢٢٩] فأمر بقسمة غنائمهم التي غنموها من الأعاجم وأخرج خمسها وبعث به إلى النبي صلى الله عليه وآله، وقد سأل أي شيءٍ يكون له من الغنائم، فقالوا له: إن له الخمس، فبعثه إليه، ولم يكن أحدٌ سبقه إلى ذلك.[٢٣٠]

وَفَـــارِسُ العَـــرَبِ العَرْبَـــا وَسَـــيِّدُهَا

أَعْنِـــيْ كُلَيْبَـــاً قَرِيْـــعَ العُـــرْبِ وَالعَجَـــمِ

---

[٢٢٥] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[٢٢٦] في البرلينية والروسية: "وضين" بدل "بطان".

[٢٢٧] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[٢٢٨] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[٢٢٩] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[٢٣٠] في البرلينية والروسية: "ولم يكن أحدٌ قبله دفع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم خُمساً".

القريع: السيد، يقال فلان قريع دهره أي مختار أهل دهره، وأصله الفحل، ويعني بكليب كليب بن ربيعة بن مرة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، وكان رئيس[٢٣١] معدٍّ كلها، وسيدها، وصاحب مرباعها، وكان يضرب به المثل فيقال: (أعَزُّ من كُليبِ وَائِلِ)، وهو صاحب يوم خزازى ويوم السّلان، « وفي رئاسته كان قتل التبابعة[٢٣٢] واستذلال ديار اليمن إلى الآن »[٢٣٣] وأخباره كثيرة مشهورة.

لَـمْ يَحْمِـهِ عَـدَدٌ مَجْـرٌ، وَلاْ دَفَعَـتْ
عَنْـهُ المَنِيَّـةَ إذْ جَـاْءَتْ (بَنُـوْ جُـشَمِ)

وَلَـمْ يَكُـنْ لِعَـدِيٍّ بَعْـدَهُ عِـصَمُ
مِنْـهُ، وَكَـاْنَ عَـدِيٌّ أيَّ مُعْتَـصَمِ

العدد المجر: الكثير، وعدي هو المهلهل بن ربيعة أخو

---

[٢٣١] في البرلينية والروسية: "سيّد".

[٢٣٢] كتبت في البرلينية والروسية: "النابغة"، وهو غير صحيح، والصحيح ما أثبتناه، وقد مرّ ذلك في هذا الديوان.

[٢٣٣] ما بين القوسين من البرلينية.

كليب، صاحب حرب بكر وتغلب « أربعين سنة »[٢٣٤]، وكان سيداً شريفاً شجاعاً « مشهوراً »[٢٣٥] شاعراً من أعظم فرسان العرب، وأحاديثه مشهورة.

وَ (آلُ كُلْثُوْمَ) سَاْدَاْتُ (الأَرَاْقِـمِ) لَـمْ

يَتْرُكْ لَهُمْ مِـنْ حِمَـىً حَـاْمٍ وَلاْ حَـرَمِ

آل كلثوم: رهط عمرو بن كلثوم « بن مالك »[٢٣٦] بن عتاب بن « سعد بن »[٢٣٧] زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم[٢٣٨] بن تغلب بن وائل، وهم الأراقم، والأراقم من بني تغلب[٢٣٩]، وعمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند مضرّط

---

[٢٣٤] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[٢٣٥] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

[٢٣٦] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية، وهو الصحيح.

[٢٣٧] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية، وهو الصحيح.

[٢٣٨] كانت في الأصل: "عثمان"، والصحيح ما أثبتناه.

[٢٣٩] هذا كلام مبتسر، وإلا فإن الأراقم هم: جشم المذكورون هنا، ومالك وعمرو وثعلبة والحارث ومعاوية بنو بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. انظر المعارف لابن قتيبة.

الحجارة، وكان سيد بني تغلب وفارسها ورئيسها وخطيبها وشاعرها، « وأخباره مشهورة.»[240]

أُوْلَئِكَ الغُرُّ مِنْ سَادَاتِ قَوْمِكُمَا

أَهْلُ النُّهَى وَاللُّهَى وَالعَهْدِ وَالذِّمَمِ

النُّهَى جمع نهية، وهي العقل، اللُّهى جمع لَهَى، وهي العطيّة الكبيرة.

وَهَذِهِ شِيَمُ الدُّنْيَا وَغَايَتُهَا

فِيْمَنْ مَضَى أَوْ بَقَى مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ

بقى لغة في بقي، وهي لغة طي.

---

[240] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

٨٠. وقـال أيـضاً يمـدح الخليفـة الناصـر لـدين الله أمـير المؤمنين:[٢٤١]

---

[٢٤١] جاءت بضعة أبيات في آخر هذه القصيدة مكررة بين هذه القصيدة هنا والقصيدة التي مرّ بنا أن الشاعر أنشدها في مدح بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ومطلعها هناك:

بسمر القنا والمرهفات الصوارم   بنـاء المعـالي واقتنـاء المكـارم

وتبدأ هذه الأبيات المكررة في هذه القصيدة من قوله:

وكم جبت من خرق تموت بها الصبا .. ا لخ.

وكنـت قـد قلـت في الطبعـة الأولى إنّ كـل أبيـات القـصيدتين مكررة، وأنّ ذلك من الشاعر نفسه لأنه كان على ما يبدو ينشئ بعض قصائده قبل أنْ يلتقي بالممدوحين فيها، فإذا لم يوفّق في لقاء من قالها فيه حولها في مدح ممدوح آخر بعد تغيير ما يلزم لملائمة الوضع، ولكن اتضح لي الآن أنّ هاتين القصيدتين مختلفتين حتى وإن اشتركتا ببعض الأبيات، وربما كـان ذلك من النسّاخ، وإن كـان مـن الجـائز أن يكـون الـشاعر قـد كـرر هـذه الأبيـات فقـط في خاتمـة القـصيدتين، وإلا فـإنّ معظـم أبيـات هـاتين القـصيدتين المعنيتين فيهما اختلاف كثير في الأبيات.

نعم فعل ذلك في غير هذه القصيدة كالقصيدة الميمية الأخرى التي مطلعها:

أنـخ فهـذي قبـاب العـزّ والكـرم   وقـلْ فكـلٌّ العُـلا في هـذه الخـيم

حيث إنه لم يتمكن من إنشادها أمام الملك الأشرف فحوّلها في مدح الأمير محمد بن مسعود بن أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الله بـن علـي العُيـوني مـن دون أن يغـير حـتى مطلعهـا إلا بعـض

إلامَ أُنَاجِيْ قَلْبَ حَيْرَانَ وَاجِمِ

وَأَنْظُرُ عُوْدِيْ بَيْنَ لاحٍ وَعَاجِمِ

[أُقَضِّيْ نَهَارِيْ بِالزَّفِيْرِ وَأَنَّةٍ

وَأَقْطَعُ لَيْلِي بالدُّمُوْعِ السَّوَاجِمِ][242]

كَأَنِّيْ لأَحْدَاثِ اللَّيَالِيْ دَرِيْئَةٌ[243]

الألفاظ التي يقتضيها تغير الممدوح كما أشرنا إليه في موضعه.

[242] هذا البيت سقط من كل النسخ التي لدينا باستثناء الأزهرية، وهو كذلك ساقط من جميع النُسخ التي اعتمدها الدكتور عبد الفتاح الحلو في طبعته، ولكنه أثبته عن الطبعة الهندية، وقد أثبتناه نحن عن هذه الطبعة في طبعتنا الأولى لأننا لم نكن قد حصلنا بعد على النسخة الأزهرية التي احتفظت بهذا البيت.

[243] في البرلينية والروسية والظاهرية والعراقية۳: " رزية " وهو غير صحيح، وربما تكون محرفة عن الذريّة، وهي الناقة المهملة التي لا تقدر على السير، والشطر الثاني من البيت يؤيد هذه القراءة، إلا أنّ ما في الأصل هنا جيدٌ أيضاً، فقد جاء في اللسان مادة « د ر أ »: "و الدَّرِيئة: الحَلْقةُ التي يَتَعَلَّم الرَّامي الطَّعْنَ والرَّمْي عليها"، وربما كان هذا مراد الشاعر أيضاً أي أنه يريد أن يقول إنّ الليالي ترميه دائماً بأحداثها ومصائبها كما تُرمى هذه

أَقِيْمَـــتْ سَـــبِيْلاً لِلْخُطُـــوْبِ الْهَـــوَاْجِمِ

وَفِـــيْ الأَرْضِ لِـــيْ مَنْدُوْحَـــةٌ وَمُـــرَاْغَمُ

تَقَـــرُّ بِـــهِ عَيْنِـــيْ وَتَحْلُـــوْ مَطَـــاْعِمِيْ

بِحَيْـــثُ يَرَاْنِـــيْ الـــدَّهْرُ سَـــعْدًا وَأَغْتَـــدِيْ

وَقَـــدْ جُـــذِّبَتْ رِجْـــلاْيَ مِنْـــهُ بِـــسَاْلِمِ[244]

وَأَسْـــطُوْ عَلَـــىْ أَحْدَاْثِـــهِ مِثْـــلَ مَـــاْ سَـــطَاْ

عَلَـــيَّ فَتَبْقَـــىْ وَاْهِيَـــاْتِ الـــدَّعَاْئِمِ

وَأَجْتَـــاْبُ مِـــنْ ظِـــلِّ الْخِلاْفَـــةِ وَاْرِفًـــا

يَقِـــيْ الـــضُّرَّ فِتْيَاْنًـــا وَحَـــرَّ الـــسَّمَاْئِمِ

بِمَغْنَـــىْ[245] أَمِيْـــرِ الْمُـــؤْمِنِيْنَ الَّـــذِيْ غَـــدَا

الحلقة بالرماح.

[244] جُذّبت من الجِذبَّان، وهو زمام النّعْل كما في اللسان مادة (ج ذ ب).

[245] في البرلينية والروسية: "بمعنى".

لَـهُ مَيْـسَمٌ يَعْلُـوْ جَمِيْـعَ المَخَـاْطِمِ[246]

سَـمِيُّ النَّبِـيِّ المُـصْطَفَىْ وَاْبْـنِ عَمِّـهِ

وَمَاْلِـكِ أَعْنَـاْقِ المُلُـوْكِ الخَـضَاْرِمِ

نَمَـاْهُ أَبُـوْ الفَـضْلِ الَّـذِيْ لَـمْ يَـزَلْ بِـهِ

بَنُوْ الجَدْبِ[247] تُسْقَىْ فِيْ السِّنِيْنِ العَقَـاْئِمِ

وَحَلَّ الذُّرَىْ مِـنْ شَـيْبَةِ الحَمْـدِ وَاْرْتَقَـىْ

إِلَىْ ضِئْـضِئِ العَلْيَـاْءِ مِـنْ صُـلْبِ هَاْشِـمِ

وَأَحْيَـاْ خِـلَاْلاً سَـنَّهَاْ فِـيْ زَمَاْنِـهِ

---

[246] كذا في الأصل: "المخاطم" وهي الأنوف، وفي الروسية: "المخاصم"، وفي الطبعة الهندية: " له ميسمٌ يعلو جميع المياسم " وهي قراءة جيدة أيضاً.

[247] كانت في أصل الرضوية: " المجد " بدلاً من الجدب، وهو جائز إلا أنّ كلمة الجدب هي ما أراد الشاعر بالفعل على اعتبار أن العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ كان يستسقي به المجدبون كما هو المروي في التاريخ، وأراد الشاعر أن يقول: "المجدبون" ولكن الوزن اضطره إلى أن يقول ما قال.

قُصَيٌّ أَبُوْ سَادَاْتِهَاْ وَالجَمَاْجِمِ

لَيَاْلِيَ يُدْعَىْ فِيْ قُرَيْشٍ مُجَمِّعَاً

بجَمْعِ ذَوِيْهَاْ مِنْ فُنُوْنِ المَخَاْرِمِ[248]

إمَاْمُ هُدَىً يَدْعُوْ إلىْ اللّهِ مُرْشِدَاً

لِكُلِّ البَرَاْيَاْ عُرْبِهَاْ وَالأعَاْجِمِ

بعَدْلٍ وَإِحْسَاْنٍ وَنُصْحٍ ورَأْفَةٍ

وزُهْدٍ وَبُرْهَاْنٍ وَكَفٍّ وَصَاْرِمِ

تَنَاْجَلَهُ آبَاْءُ صِدْقٍ تَوَاْرَثُوْا

كِرَاْمَ المَسَاْعِيْ عَنْ جُدُوْدٍ أَكَاْرِمِ

فَمَاْ احْتَلَّ إلاّ صُلْبَ كُلِّ خَلِيْفَةٍ

مُحِيْطٍ بأَحْكَاْمِ الشَّرِيْعَةِ عَاْلِمِ

---

[248] المخارم: أفواه الفجاج أو أنوف الجبال، وقد جمع قُصي قريشاً منها وأحلّهم مكة كما هو معروف مشهور.

إِذَا العَــرَبُ العَرْبَــاءُ يَوْمَــاً تَفَــاْخَرَتْ

بِــذِيْ العِــزِّ مِــنْ سَــاْدَاْتِهَاْ وَالقَمَــاْقِمِ

وَجَــاْءُوْا بِقَــيْسٍ وَاْبْنِــهِ وَبِمَعْبَــدٍ[249]

وَكَعْــبٍ وَأَوْسٍ وَاْبْــنِ سَــلْمَىْ وَحَــاْتِمِ[250]

سَــمَاْهُمُ[251] جَمِيْعَــاً مَــنْ يَمُــتُّ[252] بِفُتُــوَّةٍ

---

[249] في البرلينية والروسية: "وبعبدلٍ".

[250] قيس هو قيس بن مسعود بن ذي الجدين الشيباني البكري، وابنه هو الفارس المشهور بسطام بن قيس، ومعبد هو معبد بن زرارة التميمي أخو حاجب بن زرارة، وكعب هو كعب بن مامة الإيادي المضروب به المثل في الإيثار والكرم، وأوس هو أوس بن حارثة بن لام الطائي الكريم، وابن سلمى لعلّه يقصد به النعمان بن المنذر، فقد كان يُعرف بابن سلمى، قال لبيد (اللسان مادة: ع ت ق):

فانتــضلنا وابــن سَــلْمَى قاعــدٌ كعتيــق الطــير يُغْــضِي ويُجَــلّ

وحاتم هو الجواد المشهور عن التعريف.

[251] في أصــل الرضــوية: " ســباهم " ولــيس لهــا معــنى هنــا، والتصحيح من البرلينية والروسية والعراقية٣.

[252] كانــت في الأصــل الرضــوي: "مــن نمــت"، وفي البرلينيــة

إِلَـىٰ جُـوْدِ بَحْـرٍ مِـنْكُمُ مُـتَلاطِمِ

إِذَا جُـدْتُمُ أَفْـضَلْتُمُ فَبِفَـضْلِكُمْ

يَجُـوْدُ فَمِـنْكُمْ فَـضْلُ تِلْـكَ المَكَـارِمِ

فَلَـوْلاكُمُ لَـمْ يُـدْعَ فَـضْلٌ وَجَعْفَـرٌ

بِجُوْدٍ، وَلا انْهَلَّـتْ نَـدَىً كَـفٌّ قَاسِـمِ[٢٥٣]

والروسية: "كم نمت"، وفي الظاهرية: "لم يمت"، وفي العراقية٣: "لو يمت"، وربما لم يحسن ناشرو الطبعة الهندية قراءة هذا الشطر من البيت فغيّروا فيه حيث ورد فيها:

وأي كريمٍ ليس يُنسب جودُه　　إلى جود بحرِ منكمُ متلاطم

وعلى كلِّ الوجوه هي مبهمة، ونرجح أن صحة كلمة "نمت" في الأصل هنا هو "يَمُتْ" مخففةً عن "يَمُتُّ" أي يتَّصل، وعليه يكون معنى البيت أن من ينتسب بالفُتُوّة إلى الخليفة الناصر فإنه يعلو على جميع أولئك الأعلام الذين ذكرهم قبل هذا البيت، والمعروف أن مصطلح الفُتُوّة قد بدأ يتبلور بمفهومه العام في عصر الخليفة الناصر لدين الله العباسي، وأهل هذا الفن يسندونه إلى الإمام علي عليه السلام لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (لا فتى إلا علي).

[٢٥٣] فضل وجعفر هما ابنا يحي بن خالد البرمكي وزراء الخليفة العباسي هارون الرّشيد المعروفين بالجود والكرم، وقاسم هو أبو

وَلاْ عَـرِفَ النَّـاْسُ ابْـنَ سَـهْلٍ، وَلاْ شَـدَاْ

بِمَـدْحِ ابْـنِ وَهْـبٍ نَـاْظِمٌ بَعْـدَ نَـاْظِمِ[254]

فَهَـذَاْ الـوَرَىْ أَرْضٌ وَأَنْـتُمْ سَـمَاْؤُهَاْ

وَأَيْمَـاْنُكُمْ فِيْهَـاْ مَكَـاْنَ الغَمَـاْئِمِ

فَـإِنْ أَنْـتُمُ أَمْطَرْتُمُوْهَـاْ تَحَـدَّثَتْ

دُلَف القاسم بن عيسى بن إدريس بن مَعقِل بن سَيَّار بن شيخ بن سَيّار بن عبد العِزّى بن دُلَف بن جُشم بن قيس بن سعد بن عِجل بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الفارس الجواد المشهور الذي يقول فيه الشاعر علي بن جبلة المشهور بالعَكَوَّك:

إنما الدنيا أبو دُلَفِ بين مبداه ومحتضره
فإذا ولّى أبو دُلفِ ولّتِ الدُّنيا على أثره

وقد حسده عليهما الخليفة المأمون العباسي كثيراً، وانظر عن أبي دُلف كتب التراجم.

[254] ابن سهل هو الحسن بن سهل وزير المأمون العباسي، وأبو زوجته بُوران كان مشهوراً بالكرم، وابن وهب هو عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي أبو القاسم الوزير العباسي، وزر للمعتمد العباسي ثم بعده للمعتضد، وابنه الوزير القاسم بن عبيد الله أيضاً.

وَجَـادَتْ وَآتَـتْ أُكْلَهَـا كُـلَّ طَـاعِمِ

وَإِنْ أَنْـتُمُ أَغْفَلْتُمُوهَـا تَـضَاءَلَتْ

وَلَـمْ يَنْتَقِـعْ مِنْهَـا أُوَامُ لِحَـائِمِ

بِكُـمْ يُـؤْمِنُ اللهُ الـبِلاَدَ، وَيُـصْلِحُ الـ

ـعِبَادَ، وَيَعْفُـو عَـنْ ثِقَـالِ الجَـرَائِمِ

وَأَنْـتُمْ مَـصَابِيحُ الظَّـلاَمِ، وَقَـادَةُ الـ

أَنَـامِ، وَرَأْبٌ لِلْبَـأَى[255] المُتَفَـاقِمِ

وَفِـيكُمْ أَقَـامَ اللهُ أَعْـلاَمَ دِينِـهِ

وَلَـوْلاَكُمُ كُنَّـا مَعًـا كَالبَهَـائِمِ[256]

---

[255] في البرلينية: "وأرباب للحيا" وهو مع غموض معناه ينكسر وزن البيت بـه، وفي الروسـية: "وأربـاب الحيـا"، وفي الظاهريـة: "وربٌّ للثنا" وما في الأصل أصح لأنّ البأى تعني الشَّقُّ للشيء. (تـاج العـروس ج١٩: ١٨٧ مـن طبعـة دار الفكـر – بـيروت ١٩٩٤م).

[256] في البرلينيـة: "ولـولاكمُ كنـا كالبـهائم"، وهـو مكـسور

تَخَيَّرَكُمْ رَبُّ العُلاْ وَاصْطَفَاْكُمُ

وَطَهَّرَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَمٍّ وَذَاْئِمِ

فَأَوْضَحْتُمُ سُبْلَ الْهُدَىْ وَكَشَفْتُمُ

عَنِ الحَقِّ أَغْشَاْءَ العَمَىْ المُتَرَاْكِمِ

وَقَوَّمْتُمُ بالسَّيْفِ مَنْ مَاْلَ خَدُّهُ

اصْعِرَاْراً، وَلَمْ يَسْمَحْ بِأُنْفٍ لِخَاْطِمِ

فَكَمْ هَاْمَةٍ لِلْكُفْرِ رَاْحَتْ وَهَاْمُهَاْ

نِعَاْلاً لأيْدِيْ خَيْلِكُمْ فِيْ المَلاْحِمِ

فَقُلْ لِرُعَاْةِ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ أَقْصِرُوْا

وَكُفُّوْا وَإلاّ تَقْرَعُوْا سِنَّ نَاْدِمِ

الوزن، وفي الروسية يبدو أنّ ناسخها قد التفت إلى ذلك، فصححها إلى: "ولولاكم كنا كشبه البهائم".

فَمَـــا الحَـــقُّ إلاّ دَعْـــوَةٌ نَاصِـــرِيَّةٌ[257]

هِـــيَ الحَـــقُّ لا دَعْـــوَى غَـــوِيٍّ وَآثِـــمِ

بهَـا أصْـبَحَ الإِسْـلامُ فِـيْ كُـلِّ مَـوْطِنٍ

تَنُـــوْءُ بِـــرُكْنٍ مِنْـــهُ عَقْـــدُ الـــدَّعَائِمِ

أقَـــامَ لَـــهُ فِـــيْ كُـــلِّ ثَغْـــرٍ كَتَائِبَـــاً

تَـــرَى الـــشِّرْكَ مِـــنْ شَـــدَّاتِهَا فِـــيْ مَـــآتِمِ

تَبيْـــتُ طَوَاغِيْـــتُ النِّفَـــاقِ لِهَمِّـــهِ

كَـــأنَّ حَـــشَايَاهَا ظُهُـــوْرُ الـــشَّيَاهِمِ

تُقَلِّبُهَـــا جَنْبَـــاً فَجَنْبَـــاً مَهَابَـــةً

ثَـــوَتْ وَاسْـــتَقَرَّتْ بَـــيْنَ تِلْـــكَ الخَيَـــازِمِ[258]

---

[257] في البرلينية والروسية والظاهرية والعراقية٣: "هاشمية" بدلاً من "ناصرية".

[258] في البرلينية والروسية: "الحيازم".

فَـإِنْ هَوَّمَـتْ أَهْـدَتْ لَهَـا سِـنَةُ الكَـرَى

سَـرَايَاهُ تُـرْدِي بالقَنَـا وَالـصَّوَارِمِ

فَتُزْعِجُهَـا حَتَّـى كَـأنْ قَـدْ أَصَـابَهَا

مِـنَ المَـسِّ مَـا لاَ يُتَّقَـى بالتَّمَـائِمِ

فَلَـيْسَ لَهَـا فِـي نَوْمِهَـا مِنْـهُ رَاحَـةٌ

إِذَا النَّوْمُ سَرَّى الهَمَّ عَـنْ كُـلِّ نَـائِمِ

إِلَيْـكَ أَمِيْـرَ المُـؤْمِنِيْنَ تَجَـشَّمَتْ

بِـيَ البُعْـدَ هِمَّـاتُ النُّفُـوْسِ الكَـرَائِمِ

وَكَـمْ مَـتْنِ سَـاجٍ تَحْـتَ سَـاجٍ قَطَعْتُـهُ

عَلَـى ظَهْـرِ سَـاجٍ غَيْـرِ وَاهِـي العَـزَائِمِ

« ساج الأول يعني البحر، والثاني يعني الليل، والثالث يعني المركب لأنه من خشب السَّاج، وسُمِّي الليل بذلك

لطَمّه[259] وسكونه، وكذلك البحر، والواهي: الضعيف.»[260]

وَكَمْ جُبْتُ مِنْ خَـرْقٍ[261] تَمُـوْتُ بِهَـاْ الـصَّبَاْ

بِهِمَّـــةِ مَـــضَّاْءٍ عَلَـــىْ الهَـــوْلِ حَـــاْزِمِ

وَهَاْأَنَـــا قَـــدْ أُلْقَيْـــتُ رَحْلِـــيَ عَاْئِـــذاً

بِنُعْمَـــاْكَ مِـــنْ أَيْـــدِيْ الزَّمَـــاْنِ الغَوَاْشِـــمِ

فَقَـــدْ كُنْـــتُ ذَاْ مَـــاْلٍ جُـــلاْلٍ وَثَـــرْوَةٍ

يُـــضَاْعَفُ إِكْرَاْمِـــيْ، وَتُرْجَـــىْ مَكَـــاْرِمِيْ

فَأَغْرَىْ بِيَ[262] الـوَاْلِيْ الغَـشُوْمُ[263] فَفَـاْتَنِيْ

---

[259] كذا وردت، ويبدو أنها محرّفة عن " لظلمته."

[260] ما بين القوسين من الطبعة الهندية.

[261] جاء في اللسان: الخَرْقُ: الأَرض البعيدة، مُستوية كانت أو غير مستوية. يقال: قَطعنا إِليكم أَرضاً خَرْقاً و خَرُوقاً. و الخَرْقُ: الفلاة الواسعة، سمّيت بذلك لانْخِراق الريح فيها، والجمع خُرُوقٌ.

[262] في الظاهرية والروسية مكان "فأغرى بي" جاءت "فأعراني"، وهي جيدة.

بِمَــا حُزْتُــهُ مِــنْ ضَــيْعَةٍ وَدَرَاهِــمِ

[وَمَــالَ عَلَــى حَــالِي وَمَــالِي وَثَرْوَتِــي

مَــآلِي، وَأَصْــغَى لاخْــتِلاَقِ النَّمَــائِمِ][264]

فَظَلْــتُ أعَــانِي الــسِّجْنَ فِــي مُدْلَهِمَّــةٍ

تُجَــاوِبُنِي فِيْهَــا ثِقَــالُ الأدَاهِــمِ

وَأخْرَجَنِــي مِــنْ بَعْــدِ يَــأْسٍ وَقَــدْ أَتَــى

عَلَى نَـشَبِي أَشْـكُو إِلـى غَيْـرِ رَاحِـمِ[265]

---

[263] في العراقية٣: " المشوم."

[264] هــذا البيــت زيــادة مــن البريطانيــة والظاهريــة، وهــو في القـصيدة ذاتها مـن الرضـوية، ولكـن في الـتي قالهـا مادحـاً لملـك الموصل بدر الدين لؤلؤ.

[265] جاء بعد هذا البيت في الظاهرية وكذلك في الطبعة الهندية أربعة أبيات، وهي قوله:

وخلّفــت بــالبحرين أهلــي ومــنزلي

رجــاء الغِــنى مــن ســيبك المتــراكم

وطــول مقــامي متعــبٌ لي، وجالــبٌ

فَنَاجَيْتُ نَفْسِي خَالِيًا حَيْثُ لَمْ أَجِدْ

مِنَ القَصْدِ بُدًّا إِذْ شَدَدْتُ عَزَائِمِي

وَقُلْتُ إِلَى بَعْضِ المُلُوْكِ فَأَجْهَشَتْ

إِلَيَّ وَجَاشَتْ فَوْقَ مِلْءِ الحَيَازِمِ

فَسَكَّنْتُهَا بِالْوَعْدِ مِنِّي بِرِحْلَةٍ

إِلَيْكَ فَأَبْدَتْ ثَغْرَ جَذْلانَ بَاسِمِ

وَبَشَّرْتُ أَهْلِي بِالْغِنَى حِيْنَ مَرْجِعِي

علـيّ مـن الأدنى أحـرّ المـلاوم

فبوركـت مـن ملـك أقـلّ هباتـه

تُـبرُّ علـى فـيض البحـار الخضارم

وعـشت علـى مـرّ الليـالي مخلـداً

لنـصرة مظلـومٍ وإرغـام ظـالم

ولكن وضع هذه الأبيات بهذا التربيت في هذا الموضع يفقد القصيدة تسلسلها الطبيعي، وحقها أن تكون في آخر القصيدة كما جاء ترتيبها صحيحاً في القصيدة ذاتها عندما مدح بها بدر الدين لؤلؤاً كما تقدم ذلك، فلتراجع هناك.

إِلَيْهِمْ عَلَى أَنْفٍ مِنَ الدَّهْرِ رَاغِمِ

فَجِئْتُ وَقَدْ نَالُوا السَّمَاءَ، وَأَيْقَنُوا

بِأَنَّ الغِنَى قَدْ صَارَ ضَرْبَةَ لاَزِمِ

وَلَمْ أَمْتَدِحْ خَلْقاً سِوَاكَ لِمَالِهِ

فَأَحْظَى بِنَيْلٍ، أَوْ بِعَضِّ الأَبَاهِمِ

وَإِنِّي لأَرْجُو مِنْ أَيَادِيكَ نَفْحَةً

عَلَى الدَّهْرِ يَبْقَى ذِكْرُهَا فِي المَوَاسِمِ

[أَفِيدُ بِهَا مَجْداً، وَأَكْبُتُ حَاسِداً

وَأَعْلُو بِهَا هَامَ المُلُوكِ الغَوَاشِمِ

وَكَمْ عَاشَ مِثْلِي فِي نَدَاكَ مُؤَمِّلاً

عَظِيماً يُرَجَّى لِلأُمُورِ العَظَائِمِ][٢٦٦]

---

[٢٦٦] ما بين القوسين من الطبعة الهندية، ولم يردا في الأصول التي لدينا ولا في الأصول التي اعتمد عليها الدكتور عبد الفتاح

٢٠١٢

الحلو في طبعته حيث أضافهما عن الطبعة الهندية كما فعلنا نحنُ، وهما بالمناسبة غير موجودين أيضاً في القصيدة نفسها التي حوَّرها ومدح بها بدر الدين لؤلؤاً ملك الموصل.

٨١. وقال يمدح الأمير أبا ماجد فاضل بن معن[٢٦٧] بن شبيب بن جعفر بن فضل بن عبد الله « بن علي العُيوني »[٢٦٨] حين ملك القطيف بعد الأمير أبي شكر مقدم بن ماجد، ويذكر فيها مقدماً:[٢٦٩]

---

[٢٦٧] في البريطانية٢ ومنسوخة الموصلية: "الأمير الأجل معن".

[٢٦٨] ما بين القوسين من البريطانية والظاهرية، وهو كذلك في البرنستنية والأحسائية والمدريدية، ولكن بحذف لفظ العيوني منهن.

[٢٦٩] في الطبعة الهندية التي جاءت فيها هذه القصيدة غير مشروحة جاء في مقدمتها: " وقال يمدح الأمير ابن الفضل بن أحمد بن عبد الله بن علي." وهو نسب غير صحيح، واسم الممدوح وأسماء آبائه مذكورة في هذه القصيدة كما هي في مقدمتها هنا.

والممدوح هنا، وهو الأمير فاضل بن معن هو أوّل أمير من فرع آل فضل بن عبد الله العُيوني يلي القطيف من خارج بيت آل أبي الحسين المنتمين للفرع نفسه، ويُفهم من النبذة التاريخية الملحقة بآخر بعض النسخ المخطوطة للديوان، والملحقة بطبعتناهذه أنّ الأمير فاضل بن معن قد تولى حكم القطيف وأوال بعد وفاة سلفه المذكور في المقدمة نفسها، وهو الأمير مقدم بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين الذي ملّكه أخواله العماير القطيف وأوال بعد أن طرودوا عمّه الأمير فضل بن محمد بن أبي الحسين منهما عام ٦١٦ للهجرة، فحكم لمدة عام واحد، ثم توفي وحكم بعده الأمير فاضل بن معن لمدة ثلاث سنوات ونيّف، ثم حكم بعده أخوه جعفر بن معن لبضعة شهور قبل أن أن يستردَّ بنو أعمامهم

عَنِّيْ إِلَيْكِ حَوَادِثَ الأَيَّامِ
مَا كُلُّ يَوْمٍ يُسْتَطَاعُ خِصَامِيْ

يقول الرجل لغيره -إذا أراد أن يبعده عنه أو أراد أن يحذره من نفسه ويكفه « عنه »[270] -: عني إليك أي تباعد واحذر وكف وانته وما أشبه ذلك، وعني إليك أيضاً كما قال:[271]

يا أيها المائح[272] دلوي دونكا إني رأيت القوم يحمدونكا

آل أبي الحسين الحكم منهم عن طريق المساعيد أبناء مسعود بن أبي الحسين.

وعليه يكون وقت حكم الأمير فاضل واقعاً بين العامين ٦١٦ – ٦١٧ للهجرة، ويمكننا القول عندها إنّ تاريخ هذه القصيدة هو العام ٦١٧ للهجرة لأنه يرثي فيها مقدم بن ماجد، ولا يكون الرثاء إلا إذا كان المصاب طرياً.

[270] ما بين القوسين من البرنستنية.

[271] هو في الصحاح واللسان غير معرّف أيضاً.

[272] كانت في الأصل: " الماتح " والتصحيح من البرنستنية، ولكن ناسخها غلط فكتب شطر البيت:

يا مائح الماء دلوي دونكا، وقد ورد البيت في معاجم اللغة كما أثبتناه هنا كما في كتاب المقاييس في اللغة ولسان العرب مادة (م ي ح).

وحوادث الأيام هي الأمور العظائم التي تحدث فيها، والاستطاعة: الإطاقة، واستطاع الشيء إذا أطاق النهوض به، ويقولون: فرس طوع العنان إذا كان سهل الانقياد سلسه، وطاع له يطوع إذا انقاد، والمطاوعة: الموافقة، وأما قول الله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيه ﴾ [٢٧٣] فمعناها سهلت ورخصت « له نفسه قتل أخيه »[٢٧٤]، والخصام: القتال، والخصام: المنازعة، والخصم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، ومن العرب من يثنيه ويجمعه، وهو خصمان وخصوم، ويقال خصمٌ وخصيم، والجمع خصماء، والاسم الخصومة، واختضم السيف جفنه[٢٧٥] إذا أكله من مضاء حَدِّه.

لاْ تَحْـسَبِيْ الـصَّحْبَ الَّـذِيْنَ عَهِـدْتِهِمْ
صَـحْبِيْ، وَلاْ تِلْـكَ الخِيَـاْمَ خِيَـاْمِيْ

---

[٢٧٣] المائدة: من الآية ٣٠

[٢٧٤] ما بين القوسين من البريطانية.

[٢٧٥] كانـت في الأصـل: " حقـه " وهـو تحريـف لا شـك، والتصحيح من البرنستنية.

الصحب « جمع »[٢٧٦] الصاحب كما يقال ركب وراكب، والخيام جمع خيم، والخيم مثل الخيمة[٢٧٧]، وجمع الخيمة خيمات وخيم، وخيّم بالمكان إذا أقام، وتخيّم بمكان كذا إذا ضرب خيمته « به »[٢٧٨]، ومعنى البيت مفهوم لا يحتاج إلى شرح.

أَنَا مَنْ عَرِفْتِ فَأَوْقِدِيْ نَارَ الوَغَىْ

مَا بَيْنَنَا وَتَعَرَّفِيْ إِقْدَامِيْ

الوغى: الحرب، والإقدام: الشجاعة والجراءة، يقال أقدم فلانٌ على الأمر إقداماً وقدَم ـبفتح القاف والدالـ يقدم تقدماً وقدماً أي تقدم، وقدم من سفره بكسر الدال قدوماً ومقدماً بفتح الدال، واستقدم وتقدّم بمعنى، وفلان جريء المقدم ـ بضم الميم وفتح الدالـ أي جريء عند الإقدام، والمقدام والمقدامة: الرجل الكثير الإقدام على عدوه.

إِنْ كَانَ قَدْ أَدْمَىْ حُسَامُكِ مِفْرَقِيْ

ظُلْمَاً لَسَوْفَ تَرَيْنَ وَقْعَ حُسَامِيْ

---

[٢٧٦] ما بين القوسين من البريطانية.

[٢٧٧] كذا وردت، ولم يتبين لنا مراده.

[٢٧٨] ما بين القوسين من البرنستنية.

الحسام: السيف القاطع، والمفرق: وسط الرأس الذي يفرق منه الشعر، وأدماه: أسال دمه، وسوف: كلمة تنفيس في شيء لم يـ« كن بعد »[279] ووقع الحسام: عمله وسرعة الضرب به.

لا يُطْمِعَنَّــكِ فِــيَّ هُلْــكُ مُقَــدَّمٍ

فَــالقَوْسُ قَوْسِــيْ وَالــسِّهَامُ سِــهَامِيْ

طمع في الشيء إذا رجا أن يناله ويظفر به، يقال: طمع طماعته[280] فهو طمع وطمعٌ أيضاً، وتسمى أيضاً نفقة الجود طمعاً، والهلك ـبضم الهاءـ الاسم من هلك الشيء يهلك هلاكاً وهلوكا ومَهلكاً ومِهلكاً ومُهلكاً وتهلكةً، وهو هالك، ويجمع هالك على هلكى وهُلاَّك «وهُلَّك».[281]

ومقدم هذا هو الأمير مقدم بن ماجد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي « العُيوني »[282]، وقوله: "فالقوس قوسي والسهام سهامي" معناه أن هذا المالك بعد مقدم هو أيضاً ابن عمي وناصري، ورجاله رجالي، والخطاب

---

[279] ما بين القوسين من البريطانية.

[280] في البريطانية: " طمعاً ".

[281] ما بين القوسين من البرنستنية.

[282] ما بين القوسين من البريطانية.

في هذه الأبيات لحوادث الأيام.

وَمُقَدَّمٌ لا شَكَّ طَوْدٌ بَاذِخٌ
يَعْلُو عَلَى الهَضَبَاتِ وَالآكَامِ

الطود: الجبل العالي العظيم، والباذخ: الرفيع، والهضبات جمع هضبة، وهي الجبل المنبسط، والآكام جمع أكمة، وهو جبل صغير، والرجل العظيم يشبه بالجبل وبالبحر وبالأسد وبالبدر.

وَلَقَدْ فَقَدْنَا مِنْهُ أَرْوَعَ مَاجِداً
سَهْلَ الجَنَابِ مُؤَدَّبَ الخُدَّامِ

الأروع هو الذي يروعك بجماله وهيبته، والماجد: الشريف الكريم، وسهل الجناب أي سمح، والسهولة ضد الخشونة، ومؤدب الخدام يريد أنه قد أدب غلمانه الذين يخدمونه بكل ما تحتاج إليه الأضياف من الطاعة لهم والقيام بأمرهم.

كَمْ مُقْلَةٍ ذَرَفَتْ عَلَيْهِ وَكَمْ حَشاً
لِمَمَاتِهِ حُشِيَتْ بِنَارِ غَرَامِ

المقلة: شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها، وذرفت أي بكت وسال دمعها، والمذارف: المدامع، والحشا ما انضمت عليه الضلوع، والغرام: الحزن، والغرام: العذاب والشر الدائم، والغرام: الهلاك الملازم.

يَـــا طِيْــبَ دَوْلَتِــهِ الَّتِــيْ أَيَّامُهَـــا

شِــيَةُ الزَّمَـــانِ، وَغُـــرَّةُ الأَيَّـــامِ

الدولة: الملك، وقوله: "يا طيب دولته" تعظيماً لأيام ملكه وطيبها، والشية هي لون يخالف لون الدابة، والغُرَّة ـ بضَمِّ العين ـ[٢٨٣] بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم.

المعنى أن أيام ملكه إذا أضيفت بأيام غيره كانت فيها مثل الغرة في جبهة الفرس لحسنها وشرفها.

لَـــوْ كَـــانَ يَفْدِيْــهِ الــرَّدَىْ لَفَدَيْتُـــهُ

بِأَكَـــارِمِ الأَخْـــوَالِ وَالأَعْمَـــامِ

الردى: الموت، ويفديه: يقبل فيه الفداء، وفديته إذا دفعت

---

[٢٨٣] كانت في الأصل: " بياض العين " وهو تحريف ما أثبتناه عن البرنستنية.

فداءه، والفدى إذا كسرت أوله مددت وقصرته، فإذا فتحته قصرت لا غير.

يَـــا شَـــامِتاً جَهْـــلاً بيَـــوْمِ وَفَاتِـــهِ

صَـــبْراً فَمَـــا الـــدُّنْيَا بـــدَارِ مُقَـــامِ

الشماتة: الفرح بالمصيبة، والوفاة: الموت، وتوفاه الله إذا قبض روحه، والمقام والإقامة بمعنى.

إنْ كَـانَ ذَاكَ العَـرْشُ ثـُـلَّ فَقَـدْ رَسَـا

فِـــيْ إِثْـــرِهِ عَلَـــمٌ مِـــنَ الأعْـــلامِ

العرش: سقف البيت، والعرش: سرير الملك، وثلّ أي «هُدَّ و»[٢٨٤] هُدم، وثللت البيت أثله: هدمته، وهو أن تحفر أصل الحائط حتى ينقض، وهو أعظم الهدم وأهوله، وقول العرب: (ثلّ عرشُ فلان) أي وهى أمره وذهب عزه، وثلّ الله عرشه أي هدم ملكه، يقال للقوم إذا ذهب عزهم قد ثلّ عرشهم، والأعلام: الجبال، واحدها علَم، ورسا أي ثبت.

أَوْ كَـانَ ذَاكَ الـسَّيْفُ فُـلَّ فَقَـدْ أَتَـى

---

[٢٨٤] ما بين القوسين من البرنستنية.

سَــيْفٌ إِذَا مَــا سُــلَّ غَيْــرُ كَهَــامِ

فل السيف إذا تثلم حده، والكهام: الكليل، يقال سيف كهام أي كليل، ويقال لسان كهام أي عيّ، وفرس كهام أي بطيء في العدو، ورجل كهام وكهيم أيضاً أي شيخ لا غنى عنده، وهذه كلها استعارات.

فِــيْ أَيِّ يَــوْمٍ لَــمْ نُــصَبْ بِمُتَــوَّجٍ

ضَــخْمِ الدَّسِــيْعَةِ صَــادِقِ الإِقْــدَامِ

لم نصب: لم ينزل بنا مصاب، وهو من الصوب، والصواب: النزول، وصاب المطر أي نزل، والصيّب: السحاب ذو الصيّب، والمتوج، الملك العظيم، والتاج: الإكليل، وضخم الدسيعة أي كريم، والدسيعة: الجفنة، وقيل الدسيعة: العطية، والإقدام: الجرأة.

لَكِــنَّ فِيْنَــا عِنْــدَ كُــلِّ مُــصِيْبَةٍ

- تَــسْتَوْكِفُ العَبَــرَاتِ - صَــبْرُ كِــرَامِ

المصيبة: الرزية، يقال مصيبة ومصوبة، وتجمع على مصائب ومصاوب، والعبرات جمع عبرة، والعبرة تجلب

الدمع، ويقال للباكي عبران، وتستوكف: تستفعل من الوكيف، يقول وكف الدمع وكيفاً وتوكافاً إذا قطر.

وَإِذَا مَضَى مِنَّا هُمَامٌ مَاجِدٌ

لَمْ يَمْضِ إلاّ عَنْ طَرِيْقِ هُمَامِ[285]

الهمام: الملك، ومضى أي مات، ومضى فلان أي ذهب، المعنى أنه ما يموت منا ملك إلا وقام منا ملك آخر مقامه.

هَلْ شَدَّ عَقْدَ التَّاجِ بَعْدَ مُقَدَّمٍ[286]

إلاّ فَتَى قَوْمِي وَسِلْكُ نِظَامِي

التاج: الإكليل، وقوله: "فتى قومي" أي كريم قومي، والسلك هو الخيط الذي ينظم فيه الجوهر شبهه بذلك لأنه الذي يجمع « كلمة »[287] العشيرة ويلم شعثها.

---

[285] هذا البيت ساقط من البريطانية.

[286] في البريطانية: " هل شدّ عقد الرأي بعد متوجٍ " وقد عرف الناسخ أنه غلط في كتابتها بهذه الصورة، فشطب على جملة " الرأي بعد متوج " ولكنه لم يأت بالتصحيح.

[287] ما بين القوسين من البريطانية.

مَــنْ فِــيْ المُلُــوْكِ إِذَا تُعَــدُّ كَفَاضِــلٍ
لِعَطَــا الرَّغَائِــبِ أَوْلِــضَرْبِ الهَــامِ

الرغائب جمع رغيبة[288]، وهي العطية الكثيرة.

مَلِــكٌ إِذَا قَابَلْــتَ غُــرَّةَ وَجْهِــهِ
مُــسْتَجْدِيًا قَابَلْــتَ بَــدْرَ تَمَــامِ

المقابلة: المواجهة، وكذلك التقابل[289]، والمستجدي: الطالب الجدوى، والجدوى: العطية، يصفه بالبشر وطلاقة الوجه عند السؤال من كرمه وحسن أخلاقه.

وَإِذَا نَظَــرْتَ إِلَــى انْهِــلاَلِ يَمِيْنِــهِ
يَــوْمَ النَّــوَالِ رَأَيــتَ فَــيْضَ غَمَــامِ

الانهلال: الانصباب، وانهل المطر انهلالاً: سار بسرعة، والنوال: العطاء، والغمام: السحاب الواحدة غمامة، وفيه

[288] كانت في الأصل رغبة، والتصحيح من البرنستنية، ويوافق ما في لسان العرب مادة (ر غ ب).

[289] كانت في الأصل: " المقابل " والتصحيح من البريطانية.

ظهور مائه، يقال فاض الماء إذا سال على جانبي الوادي، ويقال فرسٌ فيض للكثير الجري.

وَإِذَا انْتَضَى العَضْبَ المُهَنَّدَ وَاعْتَزَا

أَيْقَنْتَ أَنَّ اليَوْمَ يَوْمَ صِدَامِ

العضب: السيف القاطع، والمهند منسوب إلى الهند، والمهند: المطلق الحد، وهندت السيف حددته، وانتضى السيف: سلّه، واعتزا أي انتسب، فقال أنا فلان بن فلان، والصدام: الضرب، وصدمه: ضربه بجد[٢٩٠]، وأصل الصدم ضربك الشيء بشيء صلب.

لَوْ لَمْ يَقُمْ فِيْ المُلْكِ ضَاعَ فَلَمْ يَعُدْ

عُمْرَ السِّنِيْنِ وَمُدَّةَ الأَعْوَامِ[٢٩١]

القيام هاهنا الحركة في طلب الملك، وضاع أي هلك، وعمر السنين أي مدة السنين، والأعوام جمع عام.

---

[٢٩٠] في البريطانية: " بجِدّة ".

[٢٩١] في الظاهرية والفيضية: "الأيام"، وفي البريطانية: " الأيامي " كذا، وهو خطأ، وفي الشرح فيها ذكر الأعوام فهي كما هي هنا إذاً.

يَوْمَاهُ يَوْمُ نَدًى وَيَوْمُ وَغًى فَمَا

دَامَتْ صَوَارِمُهُ فَهُنَّ دَوَامِي

الندى: الكرم والعطاء، والوغى: الحرب، وصوارمه: سيوفه، والصارم: القاطع.

المعنى أن سيوفه أبداً دامية في السلم وفي الحرب، فأما في السلم فمن العقائر التي يعقرها للأضياف، وأما في الحرب فمن ضربه للعدو.

وَالكَرُّ بَعْدَ الفَرِّ عَادَتُهُ إِذَا

ضَاقَ المَكَرُّ وَقِيلَ بِالإِحْجَامِ

الكر: حمل الرجل فرسه على لقاء العدو، والكر أيضاً: الرجوع، والكرّة: الحملة، والمكرّ: موضع الحرب لأنه يكرّ فيه، والإحجام: الجبن، « وأحجم أي جبن وذلّ »[٢٩٢] وأحجم: كفّ، وكذلك أجحم بتقديم الجيم.

كَمْ وَقْعَةٍ تَرَكَ العِدَى وَجِبَاهُهَا

[٢٩٢] ما بين القوسين من البريطانية.

بالسَّيْفِ سَاجِدَةٌ عَلَى الأَقْدَامِ[293]

الوقعة في الحرب: الصدام، والاسم الوقيعة، وإذا أوقع قوم بقوم قيل أوقعوا بهم إيقاعاً، ووقعت بالقوم في الحرب وأوقعت بهم وأوقعتهم وُقاعاً ومواقعةً، ووقائع العرب أيام حروبهم، والسجود: وضع الجبهة على الأرض، والإقدام: وضع القدم.

وَلَطَالَمَا خَلَّى الرُّؤُوسَ كَأَنَّهَا

لِلْبُعْدِ سَاخِطَةٌ عَلَى الأَجْسَامِ

المعنى أنه يضرب رؤوس أعدائه فلشدة ضربه تقع بعيداً عن جثثها، فتصير لبعدها عنها كأنها ساخطة عليها لأمر أوجب سخطها فأخذت عنها ناحية بعيدة.

طَوْدٌ إذَا مَا الحِلْمُ كَانَ نَبَاهَةً

وَإِذَا يُهَاجُ فَأَيُّ لَيْثِ زِحَامِ

الطود: الجبل العظيم، والحلم: الأناة والرفق، والنباهة:

---

[293] في البريطانية حصل تقديم وتأخير بين هذا البيت هنا والذي يليه.

الشرف، والليث من أسماء الأسد، وهجته إذا أثرته وأغضبته، والزحام يعني به الحرب.

أَمْضَى عَلَى الأَهْوَالِ مِنْ ذِيْ رَوْنَقٍ
صَافِيْ الحَدِيْدَةِ مُخْذَمٍ صَمْصَامِ

أمضى أي أجرأ من المضاء الذي هو الجرأة والشجاعة، ومن ذي رونق أي سيف ذي رونق، ورونق السيف: جوهره وماؤه وحسن متنه، ومنه رونق الضحى وغيرها، والأهوال جمع هول، وهو ما هالك وعظم في صدرك، والمخدم: القاطع، وكذلك الصمصام، وهو القاطع الذي لا ينثني.

مُتَوَقِّدُ العَزَمَاتِ تَأْبَى نَفْسُهُ
لَغْوَ الحَدِيْثِ وَمَجْلِسَ الآثَامِ

متوقد العزمات أي يقظ جريء متى أراد أمراً مضى فيه ولم يتحير ولم يستعن بغيره فيه، وتأبى أي تكره، ولغو الحديث: باطله، واللغو: الباطل، وألغيت الشيء أبطلته، واللغو من الحديث ما لا يفيد، واللغي: الصوت، والآثام: الذنوب

الواحد إثم،[٢٩٤] وقد أثم الرجل إثماً ومأثماً إذا وقع في الإثم، فهو آثم وأثيم وأثوم أيضاً، وتسمى الخمر أيضاً إثماً.

لَــــوْ أنَّ لِلْعَــــضْبِ المُهَنَّــــدِ عَزْمَــــهُ

لأَرَاكَ كَالــــشَّمَّامِ صَــــخْرَ (شَــــمَامِ)

العضب: السيف القاطع، والمهند: المحدد، والشمام: نوع من البطيخ طيب الرائحة، وشمام: جبل.[٢٩٥]

وَلَــــوْ أنَّ لِلــــضِّرْغَامِ بَعْــــضَ إِبَائِــــهِ

لاسْــــتَبْدَلَ الآكَــــامَ بالآجَــــامِ

---

[٢٩٤] جاء في الهامش الأيسر من البرنستنية هنا ما نصه:

قال الشاعر:

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي   كذاك الإثمُ يذهب بالعقول

انتهى كاتبه."

والجملة الأخيرة هذه تدل على أنّ هذا الكلام ليس من كلام الشارح، فأثبتناه في الهامش هنا.

[٢٩٥] هو بعالية نجد، قال في معجم البلدان أنه لباهلة، ولكن البكري في معجم ما استعجم ذكر روايتين إحداهما أنه لبني قُشير، والأخرى أنه لبني حنيفة.

الضرغام من أسماء الأسد، والإباء: الامتناع وعزة النفس، والآكام جمع أكمة، وهو جبيل صغير، والآجام جمع أجمة، وهو منبت القصب، ويجمع على أجمات وأَجَم وإجَام وآجام وأُجُم كما قيل في الأكمة، والمعنى في ذلك مفهوم ولا نُطَوِّل شرحه.[٢٩٦]

وَلَــوَ أنَّ لِلْبَحْــرِ الخِــضَمِّ سَــمَاْحَهُ

لَغَــدَاْ مَقِيْــلَ العِــيْنِ وَالأَرْآمِ

الخضم على وزن الهِجَفّ الكثير الماء، والعين: بقر الوحش الواحدة عيناء، والأرآم: الظباء.

مَــاْ حَــاْتِمٌ فِــيْ الجُــوْدِ يَعْدِلُــهُ وَلاْ

كَعْــبٌ وَلاْ قَــيْسٌ أَبُــوْ بِــسْطَاْمِ

حاتم هو حاتم بن عبد الله الطائي، وكعب هو كعب بن مامة الإيادي، وقيس هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدين الشيباني، وكل هؤلاء كان يضرب به المثل في الكرم.

---

[٢٩٦] قوله: " ولا نُطوّل شرْحَه " هو من اللغة الدارجة لأهل المنطقة، والعادة أن يُقال: " ولا نطيل ".

إِقْــــدَامُ جَـــسَّاسٍ وَعِــــزَّةُ هَــانِئٍ

وَعَفَــافُ بِـــــسْطَامٍ وَنَفْــسُ عِــصَامِ

جساس هو جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان قاتل كليب وائل، وكان يقال له حامي الذمار ومانع الجار، وهانئ هو هانئ بن قبيصة أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان، وهو صاحب يوم ذي قار الذي هزم به كسرى وقتل جنوده، وكان يضرب به المثل في الإباء والنخوة، وبسطام هو بسطام بن قيس بن مسعود فارس ربيعة، وكان عفيفاً، وعصام هو صاحب شرطة النعمان الذي قال:

نفـس عـصام سـوّدت عـصاما　　　وعلمتــه الكـــرّ والإقـــداما

وصـــيّرته ملكـــاً هُمامـــا　　　حتـى علـى وجـاوز الأقوامـا

مِــنْ مَعْــشَرٍ بِــيْضِ الوُجُــوْهِ أَعِــزَّةٍ

سُــمْحٍ عَلَــى العِــلاَّتِ غَيْــرِ لِئَــامِ

بيض الوجوه يعني أنهم سادات أشراف، وأعزة: أهل عزّ، قال الله تعالى: ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[٢٩٧]، وسمح أي كرام،

---

[٢٩٧] المائدة: من الآية٥٤

والعلات: الشدائد، وقولهم على علاته أي على كل حال.

وُقُــرُ النُّفُــوْسِ إذَاْ تَحَطَّمَــتْ القَنَــاْ

فــيْ الــدَّاْرِعِيْنَ، وَفَــرَّ كُــلُّ مُحَــاْمِيْ

وقر من الوقار، وهو السكون والرزانة، والتوقير: التعظيم، ورجل موقّر أي مجرب، والقنا: الرماح، وتحطمت: تكسرت، والفرار: الهزيمة[٢٩٨]، والمحامي: الشجاع ذو الأنفة والحمية.

لاْ يَفْزَعُــوْنَ إذَاْ الــصَّرِيْخُ دَعَــاْهُمُ

إلاّ إلــىْ الإِسْــرَاْجِ وَالإِلْجَــاْمِ

يفزعون أي يلجئون، والمفزع: الملجأ، والفزع: الذعر، والفزع أيضاً الإغاثة، قال النبي صلى الله عليه وآله يخاطب الأنصار: ﴿إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع﴾[٢٩٩]، والصريخ هو المصطرخ، والصريخ هو الصارخ، والمصطرخ هو طالب النجدة، والصارخ هو المنجد، والصراخ: الصوت،

---

[٢٩٨] في البرنستنية: " الهرب ".

[٢٩٩] انظر الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٣ : ٢٩ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

والإسراج: وضع السرج على الخيل، والإلجام: ترك اللجم في أفواهها.

وَإِذَا الرِّجَالُ تَحَلَّلَتْ آرَاؤُهَا
كَانُوا وُلاةَ النَّقْضِ وَالإِبْرَامِ

تحللت أي ضعفت واسترخت، والحلل في البعير ضعف في عرقوبه، يقول: بعيرٌ أحلُّ بيّن الحلل، والأحل: الذي في رجله استرخاء، وهو مذموم في كل شيء إلا في الذئب، وحللت العقدة أي فككتها وفتحتها، والنقض من نقض البناء، وهو هدمه، والنقض نقض الخيل، ونقْضُ العهد، والانتقاض: الانتكاث، وانتقض الحبل: انتكث، والمناقضة في القول أن يتكلم بما يتناقض معناه، والإبرام: الإحكام، وأبرمت الشيء: أحكمته، والمبرم والبريم: الحبل الذي جمع بين مفتولين ففتلا حبلاً واحداً.

وَإِذَا السُّنُونُ تَتَابَعَتْ أَلْفَيْتَهُمْ
كَنْزَ العُفَاةِ، وَكَافِلِيْ الأيتَامِ

السنون جمع سنة، والسنة عند العرب الجدب، وتتابعت أي تتبع بعضها بعضاً، وألفيتهم أي وجدتهم، والكنز: المال،

ويقال هو المال المدفون، والعفاة: الطلاب واحدهم عافي، والأيتام جمع يتيم، وهو الذي مات أبوه، يقال: يتم الصبي ـ بكسر التاءـ يتماً فهو يتيم، وكافل اليتيم هو الذي يعوله ويقوم بأمره، ومنه قال الله تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾.[300]

مَلَكُــوْا الأَقَــالِيْمَ العِظَــامَ وَأَهْلَهَــا

بِالمُرْهَفَــاتِ البِــيْضِ لاْ الأَقْــلاْمِ

الأقاليم جمع إقليم، والأرض سبعة أقاليم كل إقليم منها محصور معلوم، والأقاليم هاهنا النواحي العظام، والمرهفات هي السيوف، وإرهافها: ترقيق حدودها، والأقلام من القصب معروفة.

وَتَفَيَّحُــوْا كُــلَّ الــبِلاْدِ وَسُــيِّرَتْ

أَخْبَــارُهُمْ فِــيْ مَغْــرِبٍ وَشَــآمِ

تفيحوا كل البلاد أي نزلوا وتوسعوا بها من قولهم بحر أفيح وفياح أي واسع، ودار فيحاء أي واسعة، وسُيِّرت أي جعلت سِيراً، والسِّيَر: كتب الأحاديث، والمغرب معروفة، وكذلك

---

[300] آل عمران: من الآية٣٧

الشآم.

إنْ فُوخِرُوا جَاءُوا بفَضْلٍ فِيْ النَّدَىْ
وَبجَعْفَرٍ وَشَبيْبٍ القَمْقَامِ

فوخروا من المفاخرة والفخر، والافتخار: عدّ القديم، وكذلك المفخر، وتفاخروا إذا عدّ كل منهم مفاخرة قديمة، وفضل هو فضل بن عبد الله بن علي « العُيوني »[301]، وجعفر هو جعفر بن فضل « بن عبد الله بن علي العيوني »[302]، وشبيب هو شبيب بن جعفر بن فضل بن عبد الله بن علي، والقمقام: السيد.

وَأبِيْ سِنَانٍ وَأبْنِهِ وَمُحَمَّدٍ
مُدْنِيْ اليَسَارْ وَمُبْعِدِ الإِعْدَامِ

أبو سنان هو محمد بن فضل بن عبد الله بن علي «العُيوني»[303]، وابنه يعني أبا الحسين أحمد بن أبي سنان « محمد

[301] ما بين القوسين من البريطانية.

[302] ما بين القوسين من البريطانية.

[303] ما بين القوسين من البريطانية.

بن الفضل »[٣٠٤]، ومحمد هو محمد بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان « محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي العُيوني »[٣٠٥]، واليسار: الغنى، والإعدام: الفقر.

يَـا أبـنَ المُلُـوْكِ النَّـاْزِلِيْنَ مِـنَ العُـلاْ
فـِـيْ كُـلِّ ذُرْوَةِ غَـاْرِبٍ وَسَـنَاْمِ

الذروة: الغارب، والسنام من كل شيء أعلاه.

يَفْـدِيْكَ لِلْعَلْيَـاْءِ كُـلُّ مُـضَلَّلٍ
أَعْمَـىْ عَـنِ المَعْـرُوْفِ أَوْ مُتَعَـاْمِيْ

المضلل: الضال جدًّا مثل الضلّيل، وهو الكثير التتبع للضلال، والعمى: ذهاب البصر، المعروف ضد المنكر، والمعروف: الإحسان، والمتعامي: الذي يري من نفسه ذلك، والمتعامي: المتجاهل، يقولون للشخص من الآدميين: ما أعماه يريدون ما أعمى قلبه لأن ذلك لا ينسب إليه إلا الكثير الضلال، ولا يقال في عمى العيون ما أعماه لأن ما لا يَتزَيَّد لا

[٣٠٤] ما بين القوسين من البريطانية.

[٣٠٥] ما بين القوسين من البريطانية.

يُتعجب منه.

وَلْيَهْنِـــكَ المُلْـــكُ الَّـــذِيْ أَسَّـــسْتَهُ
بِـــالْكُرْهِ مِـــنْ شَـــانِيْكَ وَالإِرْغَـــامِ

التهنئة خلاف التعزية، وأسست البناء تأسيساً: أثبت أساسه، والأساس -بفتح الألف- أصل البناء، وكذلك الأس، وجمع الأساس أسس، وجمع الأسّ أساس، وجمع الجمع آساس، وأما التأسيس في القافية فهو الألف التي ليس بينها وبين حرف الروي إلا حرف واحد كقول الشاعر:[٣٠٦]

ألا كـل شـيء مـا خـلا الله باطـل

لا بد من هذه الألف إلى آخر القصيدة، والشانئ هو المبغض، والشنآن: البغض، والإرغام: القهر، وأرغم « الله أنف فلان، وأرغم الله »[٣٠٧] أنفه بالرغام وهو التراب، والرَّغام -بفتح الراء- ورغم فلان -بالفتح- إذا لم يقدر على الانتصاف، والإرغام: الإذلال، والإرغام: الغيظ.

---

[٣٠٦] هو لبيد بن ربيعة العامري، وعجزه: وكل نعيمٍ لا محالة زائلُ.

[٣٠٧] ما بين القوسين من البريطانية.

وَارْفَعْ وَضَعْ وَاقْطَعْ وَصِلْ وَامْنَعْ وَهَبْ

وَانْفَعْ وَضُرَّ وَقُمْ وَسَامِ وَرَامِ

ارفع من الرفعة والشرف، وضع من الضعة وهي ضد الرفعة، واقطع من القطيعة وهي ضد الوصل، وصِل من الوصل، وامنع من المنع وهو ضد العطاء، وهب من الهبة، وانفع من النفع، وضرّ من الضرر، وقم من القيام بما يصلح الملك والرعية، وسام من المساماة وهي المطاولة، ورام من المراماة عن حوزة الملك.

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْعَشِيْرةِ، وَارْعَهَا

برِعَايَةِ الإِجْلالِ وَالإِعْظَامِ

العشيرة هم الأقارب، وخَفْضُ جناحه لها لِيْنُ جانبه لها، والخفض: السكون والدعة، وخفض الصوت: غضه، ويقول بعضهم لصاحبه خفض عليك أمر كذا وخفض عليك قول فلان أي هوِّن.

وَاشْدُدْ يَدًا بِأَبِيْ قِنَاعٍ إِنَّهُ

نِعْمَ المُحَامِيْ دُوْنَهَا وَالحَامِيْ

أبو قناع هو فاضل بن جري بن دومي[308]، وكان يومئذٍ رأس مشايخ القطيف، والذي يرد إليه الأمر بعد الأمير، والمحامي هو المدافع والممانع، والحامي هو المانع الحمى، وقوله: "واشدد يداً بأبي قناع" معناه ثق بنصيحته لك وعنائه وذبّه عن حوزة ملكك ورعيتك.

وَاشْكُرْ لَهُ السَّعْيَ الَّذِيْ انْقَادَتْ بِهِ

لَكَ وُلْدُ سَامٍ كَيْفَ شِئْتَ وَحَامِ

السعي: العمل، والانقياد: الذل والخضوع، وسام أبو العرب، وحام أبو السودان، يعني بولد سام أشراف الناس

---

[308] في البريطانية: " رومي "، وهذا الشيخ القطيفي هو كما سيأتي حارثي عوفي عامري عبدي من بني الحارث بن عوف بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، ويتضح من البيت التالي أنه كان له دور كبير في مبايعة أهالي القطيف للأمير فاضل بن معن للحكم بعد موت الأمير مقدم بن ماجد: كما يتضح من البيت التالي لهذين البيتين أيضاً أنّ مشيخة فاضل بن جري بن دومي الحارثي ربما كانت مشيخة دينية أكثر منها مشيخة قبلية، وإن كان لا يمتنع أن يكون قد جمع المشيختين معاً.

وسادتهم، وبولد حام أشرارهم وأنذالهم.[٣٠٩]

وَارْضَ الَّذِي يَرْضَى، وَقَدِّمْ أَمْرَهُ
وَأَطِعْهُ طَاعَةَ مُقْتَدٍ لإِمَامِ

يحثه على العمل برأي أبي قناع، والقبول، وتقديم أمره على كل أمر، والإمام هو المتقدم في الصلاة، والمقتدي هو الذي يصلي خلفه.

فَأَبُو قِنَاعٍ غَيْرُ نِكْسٍ إنْ عَرَى
خَطْبٌ شَدِيْدُ الأَخْذِ بالأَكْظَامِ

النكس: الرجل الضعيف مأخوذ من السهم ينكس فوقه فيجعل أعلاه أسفله، ويسمى ذلك السهم نكساً ـبكسر النونـ والخطب: الأمر الشديد، وعرى أي غشى، والأكظام جمع كظم، وهو مخرج النفس، وكظم الرجل غيظه: اجترعه فهو كظيم، والكظوم: السّكوت، وكظم البعير: أمسك عن الجرجرة.

---

[٣٠٩] هذا تحميلٌ للنصّ ما لا يحتمل، ومنذ القديم والعرب تمدح الملوك بانقياد أولاد حام وسام لهم، ويقصدون بذلك امتداد ملكه عليهم وانقياد جميع البشر المعروفين لديهم إليه.

الطَّاعِنُ الفُرْسَانَ كُلَّ مُرِشَّةٍ

تَنْشَاعُ مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَّامِ

يقال طعنةٌ مرشة أي ذات رشاش، والرشاش -بفتح الراء- ما ترشش من الدم، يقال منه: أَرَشّت الطعنة فهي مرشة، وتنشاع أي تسيل، يقال: ثع يثع وانثع ينثع أي قاء وهاع وأثاع كل ذلك إذا قاء، وجاء في الحديث: ﴿ أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وآله، فقالت: إن ابني هذا به جنون يصيبه في «بعض»[310] الأوقات، فمسح صدره ودعا له، فثع ثعةً -أي قاء قيئةً - فخرج من جوفه جروٌ أسود يسعى ﴾[311]، وقوله: " تنشاع من خلفٍ ومن قدام " يعني أن طعنته تنفذ من المطعون فيسيل دمها من خلفه ومن قدامه.

وَالمُطْعِمُ الضِّيفَانَ مِنْ قَمَعِ الذُّرَى

عَبْطاً إِذَا مَا ضُنَّ[312] بالجُلّامِ

---

[310] ما بين القوسين من البرنستنية.

[311] انظر مسند أحمد بن حنبل ١ : ٢٥٤ ؛ طبعة دار صادر - بيروت.

[312] كانت في الأصل " ما صُرّ " والتصحيح من البريطانية.

الذّرى يعني الأسنمة، وقمع السنام: شحمه، والعبط هو النحر من غير داء ولا علّة تكون بالبعير، والناقة عبيطة ومعبوطة، ومات فلان عبطة أي شاباً صحيحاً، قال الشاعر:[٣١٣]

من لم يمت عبطاً يمت هرما	الموت كأسٌ والمرء ذائقها

والعبيط من الدم الطري الخالص، ويسمى الكذب الصراح من غير عذر عبطاً، والجُلاّم: الجدي، ويقال أيضاً بالنون.[٣١٤]

أَحْيَا جَرِيًّا فِي السَّمَاحَةِ، وَابْتَنَى

شَرَفًا أَنَافَ عُلاً عَلَى بَهْرَامِ

أناف أي أشرف، وبهرام: كوكب،[٣١٥] وجريّ هو أبو أبي

---

[٣١٣] هو أمية بن أبي الصلت الثقفي، انظر أمالي المرتضى ٢ : ١٧٠.

[٣١٤] وبالحاء أيضاً؛ أي الحُلاّم.

[٣١٥] جاء في البريطانية هنا كلامٌ كتبه الناسخ في الهامش الأيسر، ولا ندري إن كان من أصل الشرح أم ليس كذلك، وهو ساقط من الرضوية، فرأينا أن نكتبه هنا خشية أن يفوتنا شيء ربما يكون من الأصل، وهو قوله:

" وبهرام من ملوك الأوائل، مَلَك الأقاليم حتى بلغ الصِّين،

قناع والمقدم ذكره.

لَـمْ يَبْـقَ فـيْ حَيَّـيْ نـزَاْرٍ مِثْلُـهُ

لِـسِدَاْدِ ثَغْـرٍ، أوْ لِعَقْـدِ ذِمَـاْمِ

يعني بـ « حيي »[316] نزار ربيعة ومضر، والثغر: موضع المخافة، وسداد الثغر: سده بالخيل والرجال، وهي بكسر

وذكره ابن عبدون في قصيدته الرائية في ذكر طرف من أخبار ...".

ثم ذكر كلاماً لم نتبينه وإن كان يبدو أنه ذكر فيه موضع الشاهد عن بهرام في هذه القصيدة، وابن عبدون المذكور هنا هو أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الوزير الفهري المتوفى سنة ٥٢٩ للهجرة، وقصيدته الرائية هذه قالها راثياً بني الأفطس، وهي قصيدة نالت شهرةً كبيرة في التاريخ الأدبي، وذكرها النويري في نهاية الأرب، وقال هي من امهات القصائد ذكر فيها عدة من مشاهير من الملوك والخلفاء الاكابر، وشرحها الاديب عبدالملك بن عبدالله بن بدرون الحضرمي ثم السبتي وسماه كمامة الزهر وفريدة الدهر كما شرحها اسماعيل بن احمد ابن الاثير الحلبي (توفى سنة ٦٩٩ للهجرة) ثم ذيلها وشرحها أيضاً جمال الدين ابن الجوزى، وأول القصيدة :

الـدّهر يفجـع بعـد العـين بـالأثر   فما البكاء على الأشباح والصّور

ومنها البيت المشهور:

فليتـها إذ فـدت عَمـراً بخارجـةِ   فدت علياً بمن شاءت من البشر

[316] ما بين القوسين من البريطانية.

السين، وأما قولهم: (فيه سداد من عوز) أي تسد به الخلة بالكسر وبالفتح أيضاً، والكسر أفصح، والذمام: الأمان.

يُنْمَىٰ إلىٰ الشُّمِّ الغَطَارِفِ وَالذُّرَىٰ
مِنْ حَارِثٍ وَالسَّادَةِ الحُكَّامِ

ينمى: ينتسب، والشم: الطوال، وأشم الرجل إشماماً وهو أن يمشي رافعاً رأسه، والشمم: ارتفاع في قصبة الأنف، ويكون أعلاه مستوياً، والغطارف: السادة واحدها غطريف، والتغطرف: التكبر، والذّرى: الرؤوس، وحارث قبيلته، وهم بنو حارث بن عوف بن عامر.[٣١٧]

---

[٣١٧] وارتفاع نسبهم قد ذكرناه في تعليقنا على ترجمة أبي قناع قبل قليل، وبنو الحارث هؤلاء كان لهم مكانةٌ مرموقة في القطيف، وقد ذكرهم الشاعر القطيفي الحسين بن ثابت الجذَمي العبدي في قصيدته التي ذكر فيها قبائل وبطون وأفخاذ عبد القيس، وهي القصيدة التي ذكر جزءاً منها العماد الأصفهاني في كتابه خريدة القصر في ذيل القسم العراقي الخاص بشعراء الأحساء والقطيف والبحرين حيث جاء فيها:

والحارث الغُرُّ فاستنجد بأبطنها ... فليثها لا يردُّ البأسُ إن وثبا
بقَيْسِها وجُلَنْدَاها وعَامِرها ... طَعَّانَة الخيل لّما يعرفوا الهربا

وقد سبق لابن المقرب أن ذكر بني الحارث هؤلاء والبطن الذي انحدروا منه، وهو أبوهم عوف بن عامر بن الحارث، وذلك في

وَلِلْحَـــارِثِ عُرِفَـــتْ رِئَاسَـــةُ عَـــامِرٍ

فِـــيْ جَاهِلِيَّتِهَـــا وَفِـــيْ الإِسْـــلَامِ

عامر هم بنو عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة.[٣١٨]

لَيْـــسُوْا كَقَـــوْمٍ كُلَّمَـــا عُرِفُـــوْا بِـــهِ

ثِقْـــلُ النُّفُـــوْسِ، وَخِفَّـــةُ الأَحْـــلَامِ

كلٌّ بمعنى جميع، وما بمعنى الذي، ويعني بقوله ثقل النفوس أي أنهم سيئوا الأخلاق، والأحلام يعني بها العقول يصفهم بالطيش والحمق وقلة العقول.

لَا زِلْـــتَ مَحْـــرُوْسَ الجَنَـــابِ مُؤَيَّـــدَاً

القصيدة البائية التي مطلعها:

دع الكاعب الحسناء تهوي ركابها وتبنى لها في حيث شاءت قبابها

والتي يقول فيها مادحاً الحارثيين والعوفيين هؤلاء:

يقدمها من صُلب عوف بن عامرٍ إلى المـوت فتيـانٌ شـديدٌ غِلابُهـا

مـن الحـارثيين الأولى في أكفهـم بحـار النـدى مـسجورةٌ لا تُغابهـا

[٣١٨] وتمامه: بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس.

بِالنَّصْرِ مَحْبُوًّا بِكُلِّ مَرَامِ

لا زلت محروس الجناب دعاءٌ للممدوح بالعز والبقاء، والجناب: الناحية، والتأييد: التقوية، وأيَّده الله أي قوّاه، والأيد القوة، والنصر: الظفر، ومحبواً من الحباء، وهو الإكرام والعطاء، والمرام: المطلوب، ورمت الشيء إذا طلبته.

٨٢. وقال يهجو بدر الدين « لؤلؤاً »[٣١٩] صاحب الموصل، وقد سأله أن يهجوه فأبى عليه، ولما لم ير بُداً من إجابة سؤاله قال « هذين البيتين، وذلك من غرائبه »:[٣٢٠]

---

[٣١٩] ما بين القوسين من منسوخة الموصلية.

[٣٢٠] ما بين القوسين من البرنستنية، ولا نعرف وجهاً لقوله: "وذلك من غرائبه" فهل يقصد الجمالية الشعرية أم لأن الشاعر يهجو هذا الملك بأمره وطلبه، أو لأنه هجا من أنعم عليه وكان قد مدحه من قبل؟ كل ذلك جائز، ولكنه أمرٌ قد دخل في بطون التاريخ الآن فلا نعرف يقينه.

على أنّ البيت الثاني ورد في ديوان ابن عُنَين الشاعر الدمشقي المعاصر لابن المقرَّب، والمتوفى عام ٦٣٠ هـ، وذلك ضمن ستة أبيات ذكر في أولها من سماه بـ(سعد الله)، فقال فيها:

تَيَمَّمتُ سَعدَ اللَه للفَألِ باسمه ... وَقُلتُ كَريمٌ بَينَ موسى وَمَريَمِ
فَأَلفَيتُهُ يَهوى النَدى فَتَرُدُّهُ ... عروقٌ إِلى أخوالِه الزرقِ تَنتَمي
إِذا أَيقَظَتهُ نَخوَةٌ عَرَبِيَّةٌ ... إِلى المَجدِ قالَت أَرمنيَّتُهُ نَمِ

وبالمناسبة فقد ذكر ابن خلكان أنه رأى ابن عُنَين بمدينة إربل عام ٦٢٣هـ (وفيات الأعيان ج٥: ١٥)، وذكر أنه جاءها آنذاك رسولاً من الملك شرف الدين عيسى الأيوبي صاحب دمشق إلى حليفه مظفر الدين صاحب إربل العدو اللدود لبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل كما سبق وأشرنا عند الحديث عن القطعة الشعرية التي مطلعها:

أبا الفضائل يا من في مفاضته ... بدرٌ وبحرٌ وثعبانٌ ورئبالُ

والتي أرسلها ابن المقرَّب إلى بدر الدين بمناسبة إرجاف

صاحب إربل بالمسير إليه بجنوده، ولعل هذا التحالف بين صاحب إربل وشرف الدين، وكون ابن عُنَيْن محسوباً على الملك شرف الدين هو الذي جعل ابن عُنين مطلعاً على هذا البيت الذي قيل في هجاء عدوهم المشترك بدر الدين لؤلؤ إن لم يكن هو قائله لأنّ من عادة الناس أن تحفظ مثالب أعدائها، فلعل ابن عنين سمع بهذا البيت أثناء زيارته لإربل فضمنه في شعره، وقد كان كثير التضمين لشعر غيره في شعره كما ذكر ذلك ابن خلكان في ترجمته (ج٥: ١٥)، وذكر أيضاً عنه أنه لم يكن مهتماً بجمع ديوانه في حياته، فجمعه الناس بعد مماته، وأدخلوا فيه أشعاراً لغيره (ج٥: ١٧)، وبالتالي فمن المستبعد أن يكون هذا البيت له ولكن يبقى السؤال هنا هل هذا البيت من الشعر هو لابن المقرَّب كما في نسخ ديوانه؟ أم إنه لشاعر آخر غيرهما؟ لأنّ كلاًّ من ذكر هذا البيت من المؤرخين والأدباء كانوا بعد هذين الشاعرين بقرن من الزمان أو أكثر.

فقد ذكره الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، وبيتاً آخر معه في هجاء بدر الدين لؤلؤ ضمن ترجمته من كتابه الموسوعي سير أعلام النبلاء (ج٢٣: ٣٥٧) من دون أن ينسبهما إلى أحد، واكتفى بالقول: "وقيل فيه":

يعظم أعياد النصارى محبةً ... ويزعم أنّ الله عيسى بن مريم
إذا نبهته نخوةٌ أريحيةٌ ... إلى المجد قالت أرمنيته: نم

وذكرهما فيه دون نسبة أيضاً الصفدي (ت ٧٦٤هـ) في الوافي بالوفيات (ج٢٤: ٣٠٨)، فقال عنه إنه كان يقيم عيد الشعانين من أعياد النصارى، فمقته أهل العلم والدين لهذا الفعل، وقيل فيه:

يعظم أعياد النصارى ويدّعي ... بأنّ إله الخلق عيسى بن مريم

إذا نبهتـــــه نخـــــوةٌ عربيــــــةٌ   إلى المجــد قالـــت أرمنيتـــه: نم

ويلاحـظ بعـض الاخـتلاف في البيـت الأول بـين روايـة الـذهبي ورواية الصفدي؛ في حين إنّ كلا الروايتين تختلفان اختلافاً جذرياً مع البيت الأول من بيتي ابن المقرَّب هنا، وأما البيت الثاني، فهو واحـدٌ تقريبـاً عنـد ابـن المقـرَّب والـذهبي والـصفدي؛ باسـتثناء اختلاف طفيف لا يؤبه به، وما دام أنّ هذين المؤرِّخَين أي الذهبي والـصَّفدي لم ينـسبا هـذين البيـتين إلى شـاعر بعينـه، ولأنـني قـد استبعدت كـون البيـت الثـاني منـهما لابـن عُـنين كمـا تقـدم، فـلا مناص إذاً من القول بشيء من الحذر إنّ هذين البيتين قد يكونان لابـن المقـرَّب بالفعـل، وإنـه قـد قالهمـا عنـدما كـان في ضيافة بـدر الدين لؤلؤ سواءً كان ذلك بطلب منه كما في المقدمة هنا أو كان لأمر آخر غير ذلك.

وأقـول "بـشيء مـن الحـذر" لأنّ ثمـة أمـرٍ آخـر يـثير الحـيرة هنـا، فمـن الواضـح أنّ هـذا البيـت مثـار الخـلاف قـد سـبقه في الـديوان المقرَّبي بيتٌ ورد فيه الفعل (تسلطنَ)، ويعني ذلك أنّ ابن المقرَّب قد قاله بعد إعلان بـدر الـدين لؤلؤ تَسَمِّيهِ بالـسلطان، وقـد ذكـر الذهبي في تاريخ الإسلام (ج٤٦: ٦) نقلاً عن ابن الساعي أنّ لؤلؤاً تـسمى بالـسلطان في العـام ٦٣١هـ، وإن كـان الـصفدي يـصحح تسلطنه في العـام ٦٣٠هـ (الـوافي بالوفيـات ج٢٤: ٣٠٨)، وهـو – بالمناسبة – العـام الـذي تـوفي فيـه ابـن عُـنين في العـشرين مـن ربيـع الأول منه، فإنْ صـحّ أنّ هـذين البيتين هما لابـن المقـرَّب بالفعـل، وأنه قالهما إبان تسلطن بدر الدين على الموصل، وصحّ أيضاً ما نقله الـذهبي من أنّ عام تسلطن بدر الدين كان في ٦٣١هـ، أو ما ذكـره الـصفدي مـن أنّ تـسلطنه كـان في العـام ٦٣٠هـ، فإنـه سـوف

تَسَلْطَنَ بالحَدْبَاءِ عَبْدُ لُؤْمِهِ

بَصِيرٌ بلَى عَنْ نَيْلِ مَكْرُمَةٍ[321] عَمِ

إذَا أيقَظَتْهُ لَفْظَةٌ عَرَبِيَّةٌ

إلى المجْدِ قَالَتْ أرْمَنِيَّتُهُ نَمِ

يكون لذلك نتائج خطيرة من أهمها أنّ شاعرنا ابن المقرَّب كان في العراق عام ٦٣٠ للهجرة أو العام الذي بعده لأن ما ورد في مقدمة هذين البيتين هو أنّ بدر الدين هو الذي طلب من ابن المقرَّب أن يهجوه، وهذا لا يكون إلا في مجلسه، وهو بالتالي يضعف روايتي من قال إنّ ابن المقرَّب قد توفي في هذين العامين في موطنه البحرين، ولكن هذه النتيجة مرهونة بكون المراد من قول الشاعر: "تسلطن" هو تسمّي بدر الدين لؤلؤ بـ(السلطان) الذي ذكر المؤرخون وقوعه في هذين العامين المذكورين، وأما إذا كانت لفظة: "تسلطن" يراد منها مجرّد التملك والترؤس، فإنّه لا يترتب على هذين البيتين أي نتائج من هذه التي ذكرتها للتو.

[321] كانت في الأصل الرضوي: "بصيرٌ بلى عن نيل كلّ مكرمة عمي"، وينكسر البيت بذلك، ويصح لو تم حذف إحدى اللفظتين "نيل" أو "كل" منه، وما أثبتناه من البريطانية٢.

٨٣. وقال يهجو ابن الدبيثي، وقد قيل له إنّ ابن الدبيثي شاعرٌ مجيد، ومثلك يحمى على أهل الأدب:[٣٢٢]

قَالُوْا الدُّبَيْثِيُّ ذُوْ قَوَافٍ

مُحْكَمَةُ النَّظْمِ مُسْتَقِيْمَهْ

فَقُلْتُ بُعْداً لَكُمْ وَسُحْقاً

أَكُلُّ أَفْهَامِكُمْ سَقِيْمَهْ

شِعْرُ الدُّبَيْثِيِّ لَوْ عَقِلْتُمْ[٣٢٣]

---

[٣٢٢] كذا وردت هذه المقدمة في جميع النسخ التي احتفظت بهذه القصيدة (راجع جدول مقارنة القصائد في الملاحق)، وقد مرّ بنا في مقدمة القصيدة الرائية التي مطلعها:

بع واسطاً بالنأي والهجر

سبب العداوة التي حدثت بين الشاعر وابن الدبيثي هذا الذي عرفنا هناك أنه كان ضامن المكوس بواسط، وأنه عارض الشاعر في عُشر حديد كان قد جلبه معه من بغداد، فأراد أن يعشره مرتين، فهجاه بتلك القصيدة وبهذه أيضاً هنا، وقد أقذع فيهما إقذاعاً لا يليق بمثله بغض النظر عما فعله هذا المهجو.

[٣٢٣] في الروسية: "علمتم".

أبـــرَدُ مِـــنْ أمِّــهِ اللَّئِيْمَـــهْ

هُـــوَ الَّـــذِيْ تَعْلَمُـــوْنَ كَلْـــبٌ

فَهَـــلْ لِنَـــبْحِ الكِـــلاْبِ قِيْمَـــهْ

إنَّـــاْ إلَـــىْ اللّهِ مِـــنْ طَغَـــاْمٍ

تَعْتَقِـــدُ الفَـــضْلَ فِـــيْ بَهِيْمَـــهْ

قوله: "إنا إلى الله" يريد: "إنا لله وإنا إليه راجعون" كلام يقال عند المصيبة، يقال منه: استرجع ورجع، والاسم الاسترجاع والترجيع، والطغام: الجهال.

اللُّـــؤْمُ وَالـــشُّؤْمُ مِنْـــهُ جُـــزْءٌ

وَالغَـــدْرُ وَالإِفْـــكُ وَالنَّمِيْمَـــهْ

الجزء من الشيء طائفة منه، والإفك: الكذب، والنميمة: الإغراء بين الناس ونقل الكلام.

وَيُنْـــسَبُ العَـــاْرُ وَالـــدَّنَاْيَاْ

طُـــرّاً إلَـــىْ أمِّــهِ القَدِيْمِـــهْ

الأم هاهنا الأصل، وأم الشيء: أصله، وتسمى مكة أم القرى، وطراً أي جميعاً.

مَتَــــىٰ يَمُــــتْ تَــــصْرُخُ المَخَــــازِيْ

يَــــا أبَتَــــا وَا شَــــقَا اليَتِيْمَــــهْ

الصراخ: الصوت، جعله أباً للمخازي لكثرة ملازمتها له.

بَعْــــدَكَ حَلَّــــتْ بِنَــــا أُمُــــوْرُ

مُقْعِــــدَةٌ لِلْغِــــوَىٰ مُقِيْمَــــهْ

الغوى ضد الهدى، وأقامه الأمر وأقعده إذا كربه وأهمّه.

رَاْحَــــتْ جُيُــــوْشُ الــــضَّلَالِ فَوْضَــــىٰ

قَــــدْ هُزِمَــــتْ أَسْــــوَأَ الهَزِيْمَــــهْ

فوضى لا رئيس لها، وأسوأ الهزيمة: أقبحها.

وَأَدْرَكَ الحَــــقُّ بَعْــــدَ ذُلٍّ

مِنَّــــا بِأَثْــــآرِهِ المُنِيْمَــــهْ

الأثآر جمع ثأر، والثأر: الذحل، وثأر الرجل: قاتل أبيه أو أخيه أو حميمه، وقولهم يا ثارات فلان أي يا قتلة فلان، والثأر المنيم هو الذي إذا أصابه القاتل رضي به فنام.

مِـــــنْ أيـــــنَ للظُّلْــــمِ بَـــاطِنيٌّ

مِثْلُــــكَ يَسْتَــــصْغِرُ العَظِيْمَـــــهْ

يَوْمُــــكَ أبقَـــىْ أخَــاكَ دِيْنَــاً

إبلِــــيْس مُــــسْتَهْلَكَ العَزِيْمَـــــهْ

قَـــدْ كُنْــتَ ردْءَاً لَـــهُ تُـــسَاوِيْ

كُـــلَّ شَـــيَاطِيْنِهِ الرَّجِيْمَـــــهْ

مَـــنْ كُنْــتَ أوْصَـــيْتَ بالمعَاصِـــيْ

مِـــنْ هَـــذِهِ العُـــصْبَةِ الأثِيْمَـــــهْ

مَــــنْ لأذَىْ مَاجِـــدٍ كَـــرِيْمٍ

خَلَّفْــــتَ أوْ حُـــرَّةٍ كَرِيْمَـــــهْ

بَعْــــدَكَ مَــــا فُتِّــــشَتْ حَــــصَانُ

وَلاَ اشْـــتَكَى مُـــؤْمِنٌ[٣٢٤] هَـــضِيْمَهْ

وَأطْلَقُـــوْا الحُـــصْرَ وَالبَـــوَارِيْ

وَالغَـــزْلَ وَالبِـــيْضَ عَـــنْ صَـــرِيْمَهْ

الحصر جمع حصير، والبواري جمع بارية، وهي التي تعمل من القصب، وقوله: "عن صريمة" أي عن عزمٍ صادق مقطوع على إتمامه أبداً سرمداً.

تَظُـــــنُّ أنَّ الإِلَـــــهَ أهْـــــدَىْ

لَــــدَىْ الــــوَرَىْ نَظْــــرَةً رَحِيْمَــــهْ

يَـــا فَرْحَـــةَ النَّـــارِيَـــوْمَ تَـــأْتِيْ

إلَـــىْ دِيَـــارِ الـــبِلَىْ وَذِيْمَـــهْ[٣٢٥]

---

[٣٢٤] في البرلينية والروسية والبرنستنية: " موهنٌ ".

[٣٢٥] الوذيمة: الهدية أو الهدي.

كَـــمْ يَتَلَقَّـــاكَ مِـــنْ زَبَـــانٍ

قَـــسَاوَةُ الطَّبْـــعِ فِيْـــهِ شِـــيْمَهْ

مِثْـــلَ تَلَقِّيْـــكَ سُـــفْنَ مَـــاءٍ

تَحْمِـــلُ مِـــنْ (بَابْـــلٍ)[326] لَطِيْمَـــهْ

إنَّ بَغِيًّـــاً غَـــذَتْكَ طِفْـــلاً

فِيْمَـــا أَتَتْـــهُ لَمُـــسْتَلِيْمَهْ

الزبان: واحد الزبانية، والزبانية عند العرب الشرط واحدها شرطي، وبه سمي بعض الملائكة لزبنهم أهل النار إليها أي لدفعهم، والزبن: الدفع، والشيمة: الخلق، وبابل من أرض العراق، واللطيمة: العطر والطيب وبزّ التجار، وتسمى أيضاً العير التي تحمل الطيب، وبزّ التجار لطيمة، والبغي: الفاجرة، والبغاء -بالكسر- الزنا، والبُغا -بالضم- طلبك الشيء، يقول بغى الرجل طَلِبَتهُ يبغيها بُغاءَ وبُغْيَةً « وبُغَاً »[327]، والتغذية:

---

[326] تحرفت في البرلينية والروسية إلى: "نايل".

[327] ما بين القوسين من البرنستنية، وهو موافق لما في اللسان إلا أن كلمة بُغاً هي هناك بُغاية.

التربية، والمستليم هو الفاعل لما يستحق عليه اللوم.

لأنَّهَــــا قَــــدْ رَأَتْ عِيَانَــــاً

شُــؤْمَكَ مُــذْ أَنْــتَ فِــيْ المَــشِيْمَهْ

عياناً أي معاينة، والرؤية هاهنا بمعنى العلم، والمشيمة: الفرش[٣٢٨] الذي يخرج على الولد.

كَــمْ عِثْــتَ فِــيْ بَظْرِهَــا بعَــضٍّ

أَوْرَثَهَــــا الــــشَّهْوَةَ المذِيْمَــــهْ

البظر: الهنة التي في فرج المرأة، التي تأخذ منها الخافضة بعضها، والخافضة هي الخاتنة، والمذيمة أي المذمومة يعني الزنا.

تَطْلُــــبُ مِنْهَــــا المَنِــــيَّ قُوْتَــــاً

وَلَــــيْسَ بالــــصُّوْرَةِ الوَسِــــيْمَهْ

المني: ماء الرجل، والوسامة: الجمال وحسن الصورة،

---

[٣٢٨] كانت في الرضوية الأصل: "الغرس"، وفي الروسية: "الفرس"، وما أثبتناه عن البرلينية، وهو الأصوب.

ورجل وسيم أي جميل الصورة.

فَهْــــيَ تُنَــــادِيْ الزُّنَــــاْةَ هُبُّــــوْا

إِلَــــىْ حَــــرٍ يُــــشْبِهُ الأَطِيْمَــــهْ

هبُّوا أي بادروا بسرعة، وهبّ فلان بفعل كذا أي طفق، وهبّ من نومه: استيقظ، وهبّ البعير في سيره: نشط، وحر المرأة: فرجها، والأطيمة: موقد النار، وجمعها أطائم.

وَلَــــيْسَ يَرْوِيْــــكَ غَيْــــرُ مَــــاْءٍ

يَنْــــصَبُّ فِيْهَــــاْ انْــــصِبَاْبَ دِيْمَــــهْ

الديمة: المطر الذي ليس فيه برق ولا رعد، وأقله ثلث النهار أو ثلث الليل، وأكثره ما بلغ العدة[٣٢٩].

وَسَــــاْعَةَ الوَضْــــعِ جِئْــــتَ يَتْنَــــاً

غَــــاْدَرْتَ وَجْعَاْئَهَــــاْ كَلِيْمَــــهْ

---

[٣٢٩] في البرلينية والروسية: "وأكثره ما بلغ الوضع الوالادة!"، والوضع تحريف لكلمة العدة، ثم نسي حرف الواو السابق للفظة الولادة المذكورة في البيت التالي، فتشابكت اللفظتان كما نرى.

الوضع: الولادة، واليتن: الولد تخرج رجلاه عند الولادة قبل رأسه، والوجعاء: الدبر، قال الشاعر:[330]

يــومٌ مــن النَّتْــرة أو فــدعائها   تخرج روح العنـز مـن وجعائـهـا

يعني بفدعائها الذراع، وكليمة: جريحة.

وَحِــــيْنَ أَكْمَلْــــتُهُنَّ سَــــبْعَاً

مِلْــتَ إِلَــىْ الــصَّنْعَةِ الذَّمِيْمَــةْ

كَــسَّدْتَ سُــوْقَ (العلُــوْقِ)[331] حَتَّــىْ

تَرَكْــــتَ أبوَاْبَهَــــاْ رَدِيْمَــــةْ

حَتَّــــىْ لَقَــــدْ رَاْحَ كُــــلُّ علْــــقٍ

عَلَيْــــكَ فِــــيْ قَلْبِــــهِ سَــــخِيْمَةْ

---

[330] هو في اللسان أيضاً غير معرَّف.

[331] كــذا وردت هــذه الكلمــة في الأصــول، وفي الظاهريــة الغُلوق، ولا يصح، ومن معاني العلوق كما في القواميس هو ماء الفحل الذي تعلق به الناقة فيتكون الولد فيها، ولم تتضح الصورة لي فيه.

كَـــمْ مَـــارِدٍ فِـــيْ صِـــبَاكَ عَـــاتٍ

صِـــــدْتَ بِنَغْمَاتِـــــكَ الرَّخِيْمَـــــهْ

السخيمة: الحقد، والمارد: العاتي، والنغم: الكلام الخفي، وفلان حسن النغمة إذا كان حسن الصوت، والرخيم: اللين.

وَكَـــمْ لَعَمْـــرِيْ مِـــنْ أُلْـــفِ صَـــادٍ

سَـــطَتْ بِهَـــا مِنْـــكَ فَـــرْدُ مِيْمَـــهْ

شبّه فَرج المرأة بالصاد، وحلقة دبر المهجو بالميم.

حَتَّـــىْ إِذَا تِـــسْتَ بَعْـــدَ حِـــيْنٍ

وَطَالَـــــتْ الِلحْيَـــــةُ اللَّئِيْمَـــــهْ

« تِسْتَ أي صرت تيساً.»[٣٣٢]

أَصْـــبَحْتَ عَـــشَّارَ أَرْضِ سُـــوْءٍ

مَـــا بَرِحَـــتْ أَهْلُهَـــا مَـــضِيْمَهْ

---

[٣٣٢] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية.

قوله: "أرض سوء" يعني واسطاً، والذي كان بنى مدينتها ومصرها الحجاج بن يوسف.[٣٣٣]

أَسَّسَهَا شَرُّ آدَمِيٍّ

بِذَاكَ كُلُّ الوَرَى عَلِيمَهْ

قَوَّمَهُ بَعْضُهُمْ بِبُعْضٍ

وَأَنْتَ مِنْهُ أَقَلُّ قِيمَهْ

البُعْضُ من كلام العامة[٣٣٤]، وهو جعيصٌ يخرج من الإنسان بعد قضاء حاجته في مقدار بعرة الجمل وما قاربها.[٣٣٥]

---

[٣٣٣] لم يرد هذا الشرح في الطبعة الهندية.

[٣٣٤] في البريطانية: " العرب " بدلاً من " العامة " هنا.

[٣٣٥] في البرلينية: "وما أشبه"، وفي الروسية: "وما أشبهها".

وقد اتفقت جميع الأصول المشروحة على هذا الكلام باستثناء ما أشرنا إليه، ولم نجد هذا المعنى في قواميس اللغة.

نعم وجدنا في اللسان مادة (ب ع ص): البعصوص من الإنسان العظم الصغير بين إليتيه، فلا ندري إن كان صحة القراءة هنا هو البَعْص أو البَعْض.

قَاتَلَكَ اللهُ كَمْ تَعَامَى

وَتَعْكِسُ السُّنَّةَ القَوِيْمَهْ

قاتله الله أي لعنه، والعكس: ردك الشيء إلى آخره، والقويمة: المعتدلة.

تُلْزِمُ زَادَ الغَرِيْبِ مَكْساً

وَثَوْبَهُ يَا لَهَا عَظِيْمَهْ

مَهْلاً فَلِلظَّالِمِيْنَ حَتْماً

مَصَارِعُ كُلُّهَا وَخِيْمَهْ

الحتم: المقضي الذي لا بد منه، والوخيم: الوبيء.

٨٤. وقــال « أيــضاً في »[٣٣٦] صــدر كتــاب كتبــه إلى «الأمير»[٣٣٧] شمس الدين باتِكِيْن «كتبه إليه من البحرين»[٣٣٨] «وهي هذه»:[٣٣٩]

لِقَاؤُكَ عَامُهُ يَوْمٌ قَصِيْرٌ

لَدَيَّ، وَيَوْمَ لاْ أُلْقَاكَ عَامُ

وَمَاْ هَذَاْ التَّفَرُّقُ باخْتِيَاْرِيْ

وَلَكِنْ طَاْلَمَاْ عَزَّ المَرَاْمُ

عَدَاْنِيْ أنْ أَزُوْرَكَ حَاْدِثَاْتٌ

إذَاْ ذُكِرَتْ تَذُوْبُ لَهَاْ العِظَاْمُ

---

[٣٣٦] ما بين القوسين إضافة من منسوخة الموصلية، وحرف الجر " في " فقط في البرنستنية.

[٣٣٧] ما بين القوسين إضافة من منسوخة الموصلية والبريطانية٢.

[٣٣٨] ما بين القوسين إضافة من منسوخة الموصلية والبريطانية٢ والمدريدية.

[٣٣٩] ما بين القوسين إضافة من البرلينية، وهذه المقدمة لم ترد في الطبعة الهندية حيث فيها: " وقال أيضا " فقط.

مَتَــــىْ رُمْــتُ النُّهُــوْضَ تَعَلَّقَــتْ بِــيْ

هُمُــــــوْمٌ لاْ تُنِــــيْمُ وَلاْ تَنَــــاْمُ

إِذَاْ هَــــمٌّ أَطَقْــــتُ بِــــهِ قِيَاْمَــــاً

أَتَــىْ مَــاْ لاْ يُطَــاْقُ بِــهِ قِيَــاْمُ[340]

وَلاْ تَتَــــوَهَّمَنْ بِــــيْ عَنْــــكَ صَــــبْرَاً

مَتَــىْ صَــبَرَتْ عَــنِ المَــاْءِ الحِيَــاْمُ

فَلَــوْ فِــيْ الخُلْــدِ كُنْــتُ وَلَــمْ أُمَتَّــعْ

بِقُرْبِــكَ لَــمْ يَلَــذَّ لِــيَ المُقَــاْمُ

عَلَيْــــكَ وَأَيِّ أَرْضٍ كُنْــــتَ فِيْهَــــاْ

مِــــنَ اللَّهِ التَّحِيَّــــةُ وَالــــسَّلاْمُ

---

[340] كانت في الأصل: " قوام " والتصحيح من البرلينية والفيضية والبريطانية٢ والبرنستنية.

٨٥. وقال يمدح الأمير الأجل فضل بن محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي، وهو أول ما قال فيه لما ملك القطيف، وذلك سنة ست وستمائة:[٣٤١]

أَبَــتْ لَــكَ العِــزَّةُ القَعْــسَاءُ وَالكَــرَمُ

أَنْ تَقْبَــلَ الــضَّيْمَ أَوْ تَرْضَــىْ بِمَــاْ يَــصِمُ

وَطَاْلَبَتْــكَ العُــلاْ إِنْجَــاْزَ مَــاْ وَعَــدَتْ

فِيْــكَ المَخَاْئِــلُ طِفْــلاً قَبْــلَ تَحْــتَلِمُ

وَأَقْبَلَــتْ نَحْــوَكَ الأَيَّــاْمُ مُذْعِنَــةً

طَوْعَــاً لأَمْــرِكَ، وَانْقَــاْدَتْ لَــكَ الأُمَمُ

فَانْهَضْ وَسِرْ وَافْــتَحِ الــدُّنْيَاْ فَقَــدْ ضَــمِنَتْ

لَــكَ المَهَاْبَــةُ مَــاْ تَهْــوَىْ وَتَحْــتَكِمُ

فَــالبِيْضُ مَاْضِــيَةٌ، وَالــسُّمْرُ قَاْضِــيَةٌ

---

[٣٤١] في الطبعة الهندية: " وقال أيضاً سنة ست وستمائة من الهجرة الإسلامية." فقط.

وَالخَيْلُ خَاطِيَةٌ أطْرَافُهَا زَلَمُ

خَيْلٌ مَتَى صَبَّحَتْ حَيًّا لِيَوْمِ وَغَىً

فَمَا لِمُسْتَعْصِمٍ مِنْ بَأْسِهَا عِصَمُ

قَدْ عُوِّدَتْ كُلَّ يَوْمٍ خَوْضَ مَعْرَكَةٍ

ضُيُوفُ أبطَالِهَا العُقْبَانُ وَالرَّخَمُ

وَوَسَّمَتْهَا العَوَالِي[٣٤٢] فِي مَنَاخِرِهَا

طَعْنًا كَمَا وَسَّمَتْ آنَافَهَا الحَكَمُ

يَحْمِي فَوَارِسَهَا يَوْمَ الوَغَى مَلِكٌ

حَامِي الذِّمَارِ لَهُ فِي الغَايَةِ القَدَمُ

رَحْبُ الذِّرَاعِ إذَا مَا هَمَّ أنْجَدَهُ

عَزْمٌ بِهِ جَوْهَرُ العَلْيَاءِ يَنْتَظِمُ

---

[٣٤٢] كانت في الأصل: "المعالي"، وما أثبتناه عن منسوخة الموصلية والبريطانية٢ والعراقية٣، وهو أصح.

كَأَنَّــهُ مِــنْ تَمَــامِ الخَلْــقِ جَــاءَ بِــهِ

عَــادُ أَبُــوْ الــسَّلَفِ المَاضِــيْنَ أَوْ إِرَمُ

عَــفُّ الــسَّرِيْرَةِ حَمَّــالُ الجَرِيْــرَةِ وَلَــ

لاجُ الظَّهِيْــرَةِ وَالمَعْــزَاءُ تَــضْطَرِمُ

أَرْسَــى قَوَاعِــدَ مُلْــكٍ كَــانَ أَسَّــسَهَا

قِــدْمَاً أَبُــوْهُ وَبَحْــرُ المَــوْتِ يَلْــتَطِمُ

مِــنْ بَعْــدِمَا[٣٤٣] قِيْــلَ رَثَّ المَجْــدُ وَانْفَــصَمَتْ

عُــرَى المَعَــالِيْ وَمَــاتَ العَهْــدُ وَالــذِّمَمُ

وَقَــالَ قَــوْمٌ تَــوَلَّى المُلْــكُ مُنْــصَرِفَاً

عَــنْ آلِ فَــضْلٍ لَقَــدْ ضَــلُّوْا وَقَــدْ وَهَمُــوْا

---

[٣٤٣] كانت في الأصل الرضوي: " قبل أن " بدلاً من: " بعدما " وصــححناها عــن الفيــضية ومنــسوخة الموصــلية والبريطانيــة٢ والقادرية.

وَمَــا دَرَوْا أنَّ فَــضْلَ الجُــوْدِ يُكْــذِبُهُمْ

عَمَّــا قَلِيْــلٍ بِمَــا فِــيْ زَعْمِهِــمْ زَعَمُــوْا[344]

وَيَجْلِــبُ الخَيْــلَ كَالعُقْبَــانِ يَقْــذِفُهَا

عَلَــيْهِمُ القُــوْرُ وَالغِيْطَــانُ وَالأَكَــمُ

سَــوَاهِمَاً لَــمْ تَــزَلْ تَــدْمَىْ شَــكَائِمُهَا

مِمَّــا يُصَلْــصِلُ فِــيْ أَشْــدَاقِهَا اللُّجُــمُ

يَــا آلَ فَــضْلٍ أَمَــاتَ اللهُ حَاسِــدَكُمْ

غَيْظَاً تَبَوْا فِــيْ ذُرَىْ العَلْيَــاءِ وَاعْتَــزِمُوْا

فَفِــيْكُمُ البَيْــتُ مِــنْ عَــدْنَانَ تَعْرِفُــهُ

إِذَا الْتَقَــتْ لِلْفَخَــارِ العُــرْبُ وَالعَجَــمُ

بَيْــتٌ سَــمَا فَرْعُــهُ فَــوْقَ الــسَّمَا وَرَسَــىْ

[344] كان في الأصل: "رغمُ" بدلاً من "زعموا "، والتصحيح من منسوخة الموصلية والبريطانية٢ والبرنستنية.

فِيْ التُّرْبِ حَتَّى انْفَأَتْ عَنْ أَصْلِهِ التُّخُمُ

بَنَاهُ صَادِقُ بَأْسٍ فِيْ الوَغَىْ وَنَدَىً

غَمْرٌ فَلَيْسَ عَلَىْ الأَيَّامِ يَنْهَدِمُ

عِمَادُهُ الفَضْلُ وَأبْنَاهُ وَمَرْكَزُهُ

مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ نِيْطَتْ بِهِ الذِّمَمُ[345]

جَرَّارُ كُلِّ كَثِيْفِ النَّقْعِ ذِيْ لَجَبٍ

---

[345] كانت في الأصل: "الأدم"، واخترنا قراءة منسوخة الموصلية والقادرية.

ويريد بالفضل هنا فضْلَ بن عبد الله بن علي العُيوني ثاني أكبر أبناء مؤسس الدولة العُيونية، والجد الأعلى لآل فضل العُيونيين الذين منهم الممدوح، وابناه المشار إليهما في البيت هما أبو سنان محمد بن الفضل، وأبو شبيب جعفر بن الفضل، ومنهما كان حكام القطيف وأوال من الفرع الفضلي العُيوني، وبعضهم حكم الأحساء أيضاً، ومنهم والد الأمير فضل الممدوح في هذه القصيدة، وهو محمد بن أبي الحسين أحمد بن الفضل بن عبد الله بن علي المشار إليه في الشطر الثاني من هذا البيت، وفي الأبيات التالية له.

كَأَنَّمَا السُّمْرُ فِي حَافَاتِهِ أَجَمُ

تَسَاقَطُ الطَّيْرُ رَزْحَى فِي جَوَانِبِهِ

وَالوَحْشُ تَخْطَفُهَا الأَيْدِي فَلاَ تَرِمُ[٣٤٦]

رزحى الرزح: الإعياء، ورزحى أي معْيِيِّة.

خَابَتْ ظُنُوْنُ رِجَالٍ بَايَعُوْا وَسَعَوْا

فِي قَتْلِهِ، وَهَفَتْ أَحْلاَمُهُمْ وَعَمُوْا[٣٤٧]

---

[٣٤٦] في الطبعة الهندية: "فتلتزمُ".

[٣٤٧] يشير هنا إلى مَن دبَّر لقتل والد الممدوح الأمير فضل، وهو الأمير محمد بن أبي الحسين، وهم الأمير عَزِيْزُ بن الحسن بن شكر بن علي بن عبد الله بن علي العُيوني والشيخ راشد بن عَمِيْرة بن سنان بن غُفَيْلة شيخ عُقيل وأحلافها ذلك الحين، وقد استطاع الأمير فضل أنْ يأخذ بثأر والده بعد بضعة شهور من مقتله حيث رحل إلى بغداد، واستنجد بالخليفة الناصر العباسي الذي أمده ببعض الجنود والأسلحة، فعاد إلى القطيف، وقتل الأمير عزيز بن الحسن، مستعيدا ملك أبيه في القطيف وأوال، وبقي حاكماً فيهما عشر سنوات ونيّف كما ذكر صاحب النبذة التاريخية الملحقة بآخر بعض نسخ الديوان المشروحة، ويجدها القارئ ملحقة بآخر طبعتنا هذه.

بِئْسَ الأَمَانِيُّ مَنَّتْهُمْ نُفُوسُهُمُ

جَهْلاً وَيَا قُرْبَ مَا نَاجَاهُمُ النَّدَمْ

مُنُوا بِأَرْوَعَ تَتْلُوهُ خَضَارِمَةٌ

أَمَاجِدٌ مَارَسُوا الهَيْجَا وَمَا احْتَلَمُوا

مُسْتَرْعِفٍ بِلِوَاءِ النَّصْرِ يَحْمِلُهُ

نَهْدُ المَرَاكِلِ مَمْسُودُ القَرَى زَهِمُ

مِمَّا حَبَاهُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ بِهِ

لَمَّا أَتَتْهُ بِهِ الوَخَّادَةُ الرُّسُمُ

مُسْتَعْصِماً وَاثِقاً بِالنَّصْرِ مِنْهُ وَهَلْ

يَخِيبُ مَنْ بِالإِمَامِ البَرِّ يَعْتَصِمُ

أَجَابَهُ حِينَ نَادَاهُ وَقَرَّبَهُ

أَشَمُّ فِي رَاحَتَيْهِ لِلنَّدَى دِيَمُ

أَغَـــرُّ أبلَـــجُ مِـــنْ آلِ النَّبِـــيِّ بِـــهِ

يُـــسْتَدْفَعُ البُـــؤْسُ وَالـــضَّرَّاءُ وَالـــنّقَمُ

فَلَـــوْ يَـــشَاءُ لَزَجَّاهَـــا مُلَمْلَمَـــةً [348]

لاْ مَعْقِـــلٌ عَاْصِـــمٌ مِنْهَـــاْ وَلاْ أُطُـــمُ [349]

---

[348] كان هذا الشطر في الأصل:

فلو يشاء لزجّى هامة بكتيبة

وهو مختل الوزن، والتصحيح من البرنستنية والعراقية٣.

[349] يبدو لي أنّه قد سقطت أبيات من هذه القصيدة أخلت بالسياق هنا، ولعل الشاعر هو نفسه الذي أسقطها عند تهذيبه لقصائده وشعره، فالشاعر هنا يقول: "فلو يشاء لزجاها" في حين إننا قد عرفنا أنّ الممدوح بعد أن رجع بهذه الكتيبة من عند الخليفة زجاها وزجاها كثيراً حتى أدرك ثأر والده، وقتل قاتليه، فلا معنى لقول الشاعر هنا: "فلو يشاء لزجاها"؛ كما لا معنى لقوله بعد بيت من هذا البيت: "لكنه اختار إبقاءً وعارفةً"، والأمير فضل لم يبق على من قتل أباه؛ بل قتله؛ نعم يبدو أنّ الشاعر كان يلمح إلى شيءٍ كان في نفس الأمير فضل بن محمد بعد أن أخذ ثأر والده؛ كما كان هذا الشيء يشكل هوىً ورغبة شديدة لدى الشاعر أيضاً حينها، وهو احتلال الأحساء التي كانت حينها في يد الأمير محمد بن ماجد، وهو الذي استباح

تَحْوِيْ مِـنَ التُّـرْكِ وَالأعْـرَاْبِ كُـلَّ فَتَـىً

كَأَنَّـــهُ أَجْــدَلٌ مُـــسْتَلْحِمٌ قَطِـــمُ

لَكِنَّـــهُ اخْتَــــاْرَ إِبْقَـــاْءً وَعَاْرِفَـــةً

وَهَكَــذَا تَفْعَــلُ الأَخْــلاْقُ وَالــشِّيَمُ

فَنَـــاْلَ مَـــاْ كَـــاْنَ يَرْجُـــوْهُ وَأَيَّـــدَهُ

بِالنَّـــصْرِ عَـــدْلٌ قَـــضَاْهُ لَــيْسَ يُـــتَّهَمُ

فَاسْلَمْ وَعِـشْ لِلْعُـلاْ مَـاْ نَـاْحَ ذُوْ شَـجَنٍ

وَمَـــاْ تَعَاْقَبَـــتِ الأَنْـــوَاْرُ وَالظُّلَـــمُ

أموال وأملاك شاعرنا ابن المقرَّب في الأحساء، وسجنه فيها مدة من الوقت، وكان يظن حينها أنّ الأمير فضل لو تمكن من أخذ الأحساء، فإنه سوف يعيد إليه أملاكه المغصوبة، ولهذا نراه في هذا البيت هنا يقول: "فلو يشاء لزجاها ململمة"، وهو ما جعلني أخمن بوجود أبيات ساقطة في هذا الموضع يحرض فيها الشاعر ممدوحه على المسير إلى الأحساء وأخذها من يد الأمير محمد بن ماجد، ولكنه اضطر بعد ذلك إلى إسقاط هذه الأبيات لئلا يجعل للأمير محمد بن ماجد ومريديه ثغرة عليه.

وَلْيَهْنِكَ المُلْكُ يَا تَاجَ المُلُوكِ وَلاَ

زَالَتْ تُبَاكِرُكَ السَّرَّاءُ وَالنِّعَمُ

فَأَنْتَ حِصْنٌ لَنَا عَالٍ نَلُوذُ بِهِ

إِنْ عَضَّنَا الدَّهْرُ أَوْ زَلَّتْ بِنَا القَدَمُ

وَهَذِهِ دَوْلَةٌ لَوْلاَ الرَّجَاءُ لَهَا

لَمَا انْجَلَتْ كُرْبَةٌ عَنَّا وَلاَ غُمَمُ

عِشْنَا بِآمَالِهَا دَهْراً وَبَلَّغَنَا

إِدْرَاكَهَا وَاحِدٌ فَرْدٌ لَهُ القِدَمُ

فَالحَمْدُ وَالشُّكْرُ مِنَّا وَاصِبَانِ لَهُ

لاَ يَنْفَدَانِ جَمِيعاً مَا جَرَى القَلَمُ

٨٦. وقال أيضاً[٣٥٠] يفتخر بآبائه وأهل بيته « العُيُونيين، وينتسب إليهم »[٣٥١]، ويذكر طرفاً من أيامهم وفضائلهم، واقتصر على أهل وقته[٣٥٢] منهم دون من مضى منهم في الجاهلية وصدر الإسلام اكتفى عن الأوائل بالأواخر[٣٥٣]، قالها ببغداد سنة ثلاث عشرة وستمائة.[٣٥٤]

---

[٣٥٠] جاء في البرلينية هنا: "للأمير الأجل البارع علي بن مقرَّب بن منصور بن مقرَّب يفتخر .."، وفي البريطانية: "مما قال الأديب الشيخ علي بن مقرب يفتخر ..".

[٣٥١] ما بين القوسين إضافة من البريطانية والظاهرية، وفي البريطانية٢ والقادرية ومنسوخة الموصلية والأحسائية والمدريدية: "وقومه" بدلاً منها.

[٣٥٢] في البرلينية والأحسائية والمدريدية: "بيته"، وفي البريطانية: "المتأخر منهم" بدلاً من: "أهل وقته".

[٣٥٣] في البرلينية والبرنستنية والبريطانية: " اكتفى بالأواخر عن الأوائل "، وفي المدريدية: "لاكتفائه بالأواخر عن الأوائل"، والمعنى نفسه.

[٣٥٤] في الأحسائية والمدريدية: "سنة ثلاثة وعشرين وستماية"، وقد انفردتا بذلك، وما أرى الجملة إلا تحريف: "ثلاث عشرة وستمائة" المثبتة عن النسخة الرضوية الأصل وباقي النسخ.

وليعلم القارئ أنّ هذه القصيدة هي الميمية الشهيرة، وهي بالنسبة لتاريخ الدولة العُيونية بيت القصيد في هذا الديوان كُلّه، فقد ضَمَّت من شرح أخبار المنطقة وقبيلة عبد القيس والعُيونيين

قُـمْ فَاشْـدُدِ العِـيْسَ لِلتِّرْحَـاْلِ مُعْتَزِمَـاْ

وَارْمِ الفِجَاْجَ بِهَـاْ، فَالخَطْـبُ قَـدْ فَقِمَـاْ[٣٥٥]

العيس: الإبل البيض الواحد أعيس، والأنثى عيساء، والاعتزام: لزوم القصد وترك الانثناء، واعتزم الأمر: احتمله وأطاقه، وأصل العزم القوة، قال تأبط شرّاً شعراً:

وكنـت إذا مـا هممـت اعتزمـت   وأولى إذا قلـــــت أن أفعــــــلا

وحقيقة العزم توطين النفس وعقد القلب على ما ترى فعله، والفجاج جمع فج، وهو الطريق الواسع بين جبلين، وفقم الأمر وتفاقم أي عظم، والأفقم: الأعوج.

وَلاْ تَلَفَّــــتْ إِلَـــىْ أَهْـــلٍ وَلاْ وَطَـــنٍ

منـهم حكّامـاً وأمـراء وشخـصيات وكـذلك أحـداث جَـرت في عهـدهم أو قبلـه أو بعـده وكـذلك أخبـار القرامطـة والحركـات الإنفصالية التي خرجت عليهم، والجيوش العباسية التي جاءت إلى هذه المنطقة للإساتيلاء عليها، والمواضع الجغرافية الشيء الكثير، وأودّ لفت نظر القارئ إلى أنّ الكثير من هذه الأخبار لم يرد في غير طبعتنا هذه أو هو قد ورد في الطبعة الهندية ولكن باختصار مُخلّ ليس كما هو هنا، وقد أشرت إلى كلّ ذلك في مواضعه منها ومن غيرها من قصائد هذا الديوان.

[٣٥٥] في البرنستنية: " دهما ".

فَــالحُرُّ يَرْحَــلُ عَــنْ دَاْرِ الأذَىْ كَرَمَــاْ

الالتفات إلى الشيء: الصرف بالوجه والهمة إليه، والحرّ هاهنا الكريم.

كَــمْ رِحْلَــةٍ وَهَبَــتْ عِــزّاً تَــدِيْنُ لَــهُ

شُوْسُ الرِّجَاْلِ، وَكَــمْ قَــدْ أوْرَثَــتْ نِعَمَــاْ

كم هاهنا للتكثير، وشوس جمع أشوس، وهو الذي ينظر الناس بمؤخر عينيه كبراً، ودان فلان لفلان أي ذلّ وأطاع وصار بمنزلة العبد، والدين: الطاعة.

وَكَــمْ إقَاْمَــةُ مَغْــرُوْرٍ لَــهُ جَلَبَــتْ

حَتْفَــاً، وَسَــاْقَتْ إلَــىْ سَــاْحَاْتِهِ النِّقَمَــاْ

المغرور: المخدوع، وغرّه: خدعه، والحتف: الهلاك، ومات حتف أنفه إذا مات من غير قتل ولا ضرب، والنقم: العقوبات.

وَاسْمَعْ وَلاْ تُلْغِ مَــاْ أنْشَأتُ مِــنْ حِكَــمٍ

فَذُوْ الحِجَــاْ لَــمْ يَــزَلْ يَــسْتَنْبِطُ الحِكَمَــاْ

إلغاء الشيء: إهماله، وألغى الشيء: ألقاه من العدد، واللغو في الأيمان ما لا يعقد عليه القلب، كما يقول الرجل في كلامه: والله، وبلى والله، والحكمة: العلم والإتقان، والحجا: العقل، واستنباط الشيء: استخراجه.

لَـمْ يَبْـكِ مَـنْ رَمَـدَتْ عَيْنَـاهُ أَوْ سُـبلَتْ

جِفْنَـاهُ إلاّ لِخَـوْفٍ مِـنْ حُـدُوْثِ عَمَـىْ

الرمد: هيجان العين، وسبلت من السبل، وهو داءٌ يصيب العين شبه الغشاوة كأنها نسج العنكبوت.

إنَّ المَنِيَّـــةَ فَـــاعْلَمْ عِنْـــدَ ذِيْ حَـــسَبٍ

وَلاْ الدَّنِيَّـــةَ هَـــاْنَ الأَمْـــرُ أَوْ عَظُمَـــاْ

المنية: الموت، ودنيات الأمور: خسائسها، والحسب: الشرف.

مَــنْ سَــاْلَمَ النَّــاْسَ لَــمْ تَــسْلَمْ مَقَاْتِلُــهُ

مِنْهُمْ، وَمَنْ عَـاْثَ فِـيْهِمْ بِـالأَذَىْ سَـلِمَاْ

العيث: الفساد.

يقول: من ترك أذى الناس وعفّ عن أعراضهم وأموالهم لم يهابوه ولم يتحاموا جانبه، ومن عاث في أعراضهم وأموالهم تحاموه وهابوه فسلم من شرورهم.

لا يَقْبَلُ الضَّيْمَ إلاّ عاجِزٌ ضَرِعٌ

إذا رأى الشَّرَّ يغلي قِدْرُهُ وَجَمَا

الضيم: الأذى والضرر والانتقاص، والضرع: هو الضعيف الذليل، والواجم هو الذي اشتد حزنه حتى صار لا يقدر أن يتكلم.

وَذُو النَّبَاهَةِ لا يَرْضَى بِمَنْقَصَةٍ

لَوْ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ أطْرَافِ القَنَا عِصَمَا

النباهة ضد الخمول، ونبه الرجل أي ظهر وعظم، والمنقصة النقص، والعصمة: الملجأ، والعاصم: المانع، واعتصمت بالله أي امتنعت.

وَذُو الدَّنَاءَةِ لَوْ مَزَّقْتَ جِلْدَتَهُ

بِشَفْرَةِ الضَّيْمِ لَمْ يَحْسُسْ لَهَا أَلَمَا

الدناءة: الخمول والسقوط، والخامل: الساقط، والدنيء هو الدون، والتمزيق: التخريق، والشفرة: السكين، وشفرة كل شيء حده، وأحسست بالشيء: وجدت حسّه، والألم: الوجع.

وَمَنْ رَأَى الضَّيْمَ عَاراً لَمْ تَمُرَّ بِهِ

شَرَارَةٌ مِنْهُ إلاّ خَالَهَا أُطُمَا

العار: العيب، والأطم: القصر، وخلت الشيء أي ظننته.

المعنى أن ذا الأنفة والنخوة والشرف يرى حقير الظلم عظيماً، وأن ذا الدناءة من الرجال يرى العظيم منه حقيراً لخمول همته وسقوطه.

وَكُلُّ مَجْدٍ إذَا لَمْ يُبْنَ مَحْتَدُهُ

بالبَأْسِ نَقَّرَهُ الأعْدَاءُ فَانْهَدَمَا

المجد: الشرف والعز، والمحتد: الأصل، والبأس: الشدة في الحرب، ونقره أي حفره وبحثه بالمنقار، وهو المعول.

لا يَضْبُطُ الأَمْرَ مَنْ فِي عُوْدِهِ خَوَرٌ

لَيْسَ البُغَاثُ يُسَاوِيْ أَجْدَلاً قَطِمَا

ضبط الأمر: حفظه بالحزم، والخور: الضعف، وبغاث الطير: ما لا يصيد منها، والأجدل: الصقر، والقطم: الشهوان للحم، ضَرَبَ من الصقر والبغاث مثلاً يريد أن عظائم الأمور لا يطيق النهوض بها إلا ذو الشرف وأهل النجدة ومن له قديم وسابقة في الحسب.

وَلِلْبُيُوْتِ سِطَاعَاتٌ يَقُوْمُ بِهَا
لاَ خِرْوَعاً جُعِلَتْ يَوْماً وَلاَ عَنَمَا

السطاع: عمود البيت الذي يقوم عليه، والخروع نبتٌ ضعيف، وكل نبت ضعيف يسمى خروعاً، والخروع: شجرة تحمل حباً كأنه بيض العصافير يسمى السمسم الهندي، وسمي خروعاً لرخاوته، والخراعة: الرخاوة، وكذلك الخرع، والخروع بالبحرين شجرة معروفة يسمونها الخصّاب ـبتشديد الصادـ[٣٥٦]، والعنم: شجر لين الأغصان يشبه به بنان الجواري، وقيل هو أطراف الخروب الشامي، وذلك أيضاً مثلٌ ضربه يريد أن الوضيع لا يقوم مقام الشريف.

[٣٥٦] في الطبعة الهندية: " شجرة بالبحرين على أنهار الأحساء يسمّونه الخَصَّاب."

مَـا كُـلُّ سَـاعٍ إِلَـى العَلْيَـاءِ يُـدْرِكُهَا
مَنْ حَكَّمَ السَّيْفَ فِي أَعْدَائِـهِ احْتَكَمَـا

يريد أن العزّ لا يدرك بالسعي الهيّن، وإنما يدرك بالسيف وقتل العدو.

مَنْ أَرْعَفَ السَّيْفَ مِنْ هَامِ العِـدَى غَـضَبَاً
لِلْمَجْـدِ حُـقَّ لَـهُ أَنْ يُرْعِـفَ القَلَمَـا

إرعاف السيف تركه يقطر دماً من كثرة الضرب به مأخوذ من رُعاف الأنف، ورعاف القلم: خروج المداد منه، ومعنى إرعاف القلم خطّ التوقيعات به بالأخذ والإعطاء وما أشبه ذلك من أوامر الملوك والسادة وأهل الرئاسة.

المعنى أنه لا يستحق التقدم والرئاسة على الناس الرجل الجبان، وإنما يستحق ذلك الرجل الفاتك الكثير النكاية للعدو، والعظيم الوطأة على من يناوئه.[٣٥٧]

لا تَطْلُـبِ الـرَّأْيَ إلاَّ مِـنْ أَخِـي ثِقَـةٍ

---

[٣٥٧] في البرنستنية: " وإنما يستحق ذلك الرجل الجسور المتحمل لعظائم الأمور."

لا يُصدِرُ القَومَ مَن لا يُوردُ العَلَما

العلم: الراية، وإيرادها: الطعن بها كأنه يسقيها، وصدرت عن الماء والبلاد إذا رجعت، وأصدرته رجعته فرجع، والاسم الصَّدَر، والموضع المصدر.

المعنى أنه ينهى عن مشاورة الذليل والعمل برأيه، ويأمر بمشاورة الشجعان والعمل بآرائهم لأن الذليل يقصر نفسه عن عاليات الأمور، والشجاع لا يرى إلا عوالي الأمور والنهوض إليها.

وَلا تَعُدَّنَّ كَرِيماً مَن مَواهِبُهُ

تُمسِي وَتُصبحُ فِي أعْدَائِهِ دِيَما

الديم جمع ديمة، وهي المطر ليس فيه رعد ولا برق، وأقله ثلث النهار أو ثلث الليل، وأكثره ما بلغ العدة، والمواهب: العطايا.

يقول: إن كرماً على العدو ليس بكرم لأن العدو لا يراه إلا مصانعةً ودفعاً لشرّه، ولا يعده إلا رهبةً منه.

وَالبُخلُ خَيرٌ مِنَ الإِحسَانِ فِي نَفَرٍ

أَبَــرُّهُمْ بِــكَ مَــنْ أَغْــرَىْ وَمَــنْ شَــتَمَا

أغرى – بالفتح – أولع به، وأغراه غيره: زين له الولوع به، والشتم: القذف واللعن.

« يقول: إن الإمساك خير من التكرّم على قومٍ أعطفهم عليك وألطفهم بك مَنْ أغرى بحَرْبك عَدُوَّك وشتم عِرضكَ عنده وأشلى عليك من ناواك عدوانه بولده ونزيله وصاحبه وأخيه كيما يظفر بحاجته منك، وهذا طبع الأعراب في وقتنا، ومن كانت هذه شيمته فالهوان أولى به من الإكرام »[358].

وَوَاضِــعُ الجُــوْدِ فِــيْ أَعْــدَاْءِ نِعْمَتِــهِ

كَمُــوْدِعِ الــذِّئْبِ فِــيْ بَرِّيَّــةٍ غَنَمَــاْ

«رواية أخرى وعليها الشرح:

....

كَمُــوْدِعِ اللَّيْــثِ فِــيْ عِرِّيْنَــةٍ ...

الليث: الأسد، والعِرِّينة: الأجمة، شبَّه اصطناع المعروف في

---

٣٥٨ ما بين القوسين زيادة من النسخة البرلينية.

العدو بترك الغنم عند الأسد في أجمته وديعة لأنه يأكلها، فمتى جاءه المودع وقَدر عليه أكله مع غنَمه، وكذلك حكم العدو»[359].

مَـــنِ اسْـــتَخَفَّ بأرْبَـــابِ العُـــلاْ سَـــفَهَاً

وَسَـــامَهَاْ الخَـــسْفَ أدْمَـــىْ كَفَّـــهُ نَـــدَمَاْ

الاستخفاف: الهوان، واستخف به: أهانه، وأرباب العلا هم أهل الشرف والسيادة، والسّفه: الحمق، وأصله الخفة والطيش، والخسف: الأمر الشاق، يقال سام فلان فلاناً الخسف أي كلفه ما يشق عليه، والخسف: الذل، ورضي فلان بالخسف أي بالنقص، والخسف: الذل والنقصان، والخاسف: المهزول، وأما قول الله تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾[360] فإنه يريد أنه غيّبه فيها، وخسوف « الأرض وخسوف »[361] العين في الرأس ذهابها فيه، وأما قولهم بات

---

359 ما بين القوسين زيادة من النسخة البرلينية، وقوله: "رواية أخرى وعليها الشرح" من لفظ الناسخ، وقد نقل الشرح كما ترى بعد البيت في حين لم يُذكر في الأصل وباقي النسخ المخطوطة.

360 القصص: من الآية81

361 ما بين القوسين من البرنستنية.

فلان الخسف فإنهم يريدون أنه بات جائعاً، وقوله: "أدمى كفه ندما" فالمراد أنه عض كفه حتى أدماها من شدة الندم، وكذلك يفعل النّادم الشديد الندم على ما أفرط فيه من الأمور التي تشق عليه عواقبها.

أَلاْ فَسَلْ عَنْ كُلَيْبٍ كَيْفَ جَدَّلَهُ

جَسَّاْسُ هَلْ كَاْنَ إلاّ أنْ حَمَىْ فَرَمَىْ

يعني كليب وائل، وهو كليب بن ربيعة بن مرة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، وجَدَّله: رماه على الجدالة وهي الأرض، قال الشاعر:[٣٦٢]

قد أركَبُ الآلة بعد الآلة وأترك العاجزَ بالجدالة

وجسّاس « هو جَسَّاسُ »[٣٦٣] بن مرة بن ذهل بن شيبان[٣٦٤] قاتل كليب، وكان سبب قتل كليب استخفافه بأهل الشرف من قومه، واتخاذه الحمى، ورميه ناقة البسوس جارة جسّاس بن مرة.

---

[٣٦٢] هو أبو قردودة الأعرابي، انظر تاج العروس ٧ : ٢٥٤.

[٣٦٣] ما بين القوسين من البرنستنية.

[٣٦٤] بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

وَلاَ يَعُـــــزُّ الفَتَـــــىَ إلاَّ بأُسْــــــرَتِهِ

لَوْ كَانَ فِيْ البَـأْسِ عَمْـرَاً، وَالنَّـدَىْ هَرِمَـاْ

أسرة الرجل: رهطه وعشيرته لأنه يقوى بهم، ويعني بعمرو عمرو بن معدي كرب الزبيدي، وكان من فرسان العرب، وهرم هو هرم بن سنان[٣٦٥] الجواد صاحب زهير بن أبي سُلْمى الشاعر الذي كان يمدحه.

لاْ تَـرْضَ بـالْهُوْنِ فِـيْ خِـلٍّ تُعَاْشِـرُهُ

فَلَـنْ تَـرَىْ غَيْـرَ جَـاْرِ النَّـذْلِ مُهْتَـضَمَاْ

الهون: الهوان، والخل: الخليل، والمعاشرة: المخالطة، والنذل: الخسيس، والاهتضام: الظلم.

وَأخْـــسَرُ النَّــاْسِ سَـــعْيَاً رَبُّ مَمْلَكَـــةٍ

أطَـاْعَ فِـيْ أَمْـرِهِ النِّـسْوَاْنَ وَالخَـدَمَاْ

رب كل شيء: مالكه ومتولي أمره، والمملكة جمع ملك

---

[٣٦٥] بن أبي حارثة المرّيّ؛ من بني مُرَّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان.

كالمشايخ جمع مشيخة وهي جمع شيخ.

« يقول: إن من يسعى حتى يبلغ بسعيه مرتبة الملك ثم يشرك النساء والخدم يخرجنه من يده »[٣٦٦].

وَقَائِـــلٍ قَـــالَ لِـــيْ إِذْ رَاقَـــهُ أَدَبِـــيْ

وَالمَـــرْءُ قَـــدْ رُبَّمَـــا أَخْطَـــا وَمَـــا عَلِمَـــا

راقه « الشيء »[٣٦٧]: أعجبه، وشيء رائق أي معجب، والخطأ نقيض الصواب.

وَذَاكَ بَعْـــدَ سُـــؤَالٍ مِنْـــهُ عَـــنْ خَبَـــرِيْ

وَالـصِّدْقُ مِـــنْ شِـــيْمَتِيْ أَوْ أَوْرَثَ البَكَمَـــا

هَـــلاَّ امْتَـــدَحْتَ رِجَـــالاً بِـــالعِرَاقِ لَهُـــمْ

مَـــالٌ رُكَـــامٌ، وَجُـــوْدٌ يَطْـــرُدُ العَـــدَمَا

الشيمة: الطبع، والبكم: الخرس، «والذي لا يتكلَّم

---

٣٦٦ مابين القوسين زيادة من النسخة البرلينية، والضمير في يخرجنه عائد على الملك.

[٣٦٧] ما بين القوسين من البرنستنية.

أبكم»[٣٦٨] و "هلاّ" أصلها "لا" بُنِيَتْ[٣٦٩] مع "هل"، فصار فيها معنى التحضيض كما بُنيت " لو " و " لا "[٣٧٠]، وجعل كل واحد منها مع الآخر بمنزلة حرف واحد واخْتُصَّ للفعل حيث جعل فيها معنى التحضيض، والمال الركام: الكثير المجتمع، والعدم: الفقر.

فَجَاْشَـتِ الـنَّفْسُ غَبْنَـاً بَعْـدَ أنْ شَـرِقَتْ

عَيْنَـاْيَ بالـدَّمْعِ حَتَّـىْ فَـاْضَ وَاْنْـسَجَمَاْ

جاشت النفس: ظهر جزعها كما يجيش القدر، وشَرَقُ العين بالدمع: امتلاؤها به، وفاض: طفح، وانسجم: سال.

فَقُلْـتُ كَـلاّ وَهَـلْ مِثْلِـيْ يَلِيْـقُ بِـهِ

---

[٣٦٨] ما بين القوسين من الطبعة الهندية.

[٣٦٩] كانت في الأصل: " يثبت " والتصحيح من البرنستنية.

[٣٧٠] كانت في الأصل: كما بُنيت " لولا " و " ألا " وهو خطأ، والتصحيح من الطبعة الهندية، لأن مراده أن يقول أن لفظة " لولا " مبنية من كلمتين هما " لو " وَ " لا " كما أن كلمة " هَلاّ " مبنية من كلمتين هما " هل " وَ " لا ".

مَدْحُ الرِّجَالِ، وَكَمْ جُرْحٍ قَدِ التَأَمَا[371]

كلا: كلمة زجر وردع معناها انته ولا تفعل كقول الله تعالى: ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلاّ ﴾[372]أي لا يطمع في ذلك، وقد تكون بمعنى حقاً كقول الله تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ ﴾[373]، وهل هاهنا استفهام إنكار، وقد تأتي « هلْ »[374] على وجوه تكون بمعنى الاستفهام، قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ ﴾[375]، وتكون بمعنى (ما) قال الله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ ﴾[376]، وتكون بمعنى (قد) قال الله تعالى: « ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ

---

[371] في الفيضية:

فقلت كلا، وهل مثلي يليق به   مدح الرجال ليستجدي لهم نعما

[372] المعارج:٣٨

[373] العلق:١٥

[374] ما بين القوسين من البرنستنية.

[375] الأعراف: من الآية ٥٣.

[376] الأنعام: من الآية١٥٨، وأما في البرنستنية فقد ذكر آية أخرى، وهي قوله تعالى: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله) البقرة: ٢١٠

الغَاشِيَةِ﴾[377] »[378] ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾[379]، وقال الله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الأِنْسَانِ ﴾[380]، وفيه معنى الخبر أي قد أتى على الإنسان، وتأتي أمراً، ومنه قول الله تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾[381]، و ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾[382]، وتكون بمعنى السؤال، قال الله « تعالى »[383]: ﴿ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾[384]، وتكون بمعنى (أليس) قال الله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾[385]، وتكون بمعنى (ألا) قال الله تعالى: ﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾[386]، ولاق به الشيء إذا حسن به، وقولهم لا يليق هذا الأمر بفلان أي لا يعلق به، والتأم الجرح

---

[377] الغاشية: ١

[378] ما بين القوسين من البرنستنية.

[379] النازعات:١٥

[380] الانسان: من الآية١

[381] المائدة: من الآية٩١، وفي البرنستنية ذكر بدلاً منها الآية: (فهل أنتم مسلمون) هود: ١٤.

[382] الصافات: من الآية٥٤

[383] ما بين القوسين من البرنستنية.

[384] قّ: من الآية٣٠

[385] الفجر:٥

[386] الكهف: من الآية١٠٣

برأ، وقوله: "كم جرح قد التأما" يريد به التسلية لنفسه.

إِنِّــيْ عَلَــىْ حَاْدِثَــاْتِ الــدَّهْرِ ذُوْ جَلَــدٍ

تَجْلُــوْ الحَــوَاْدِثُ مِنِّــيْ صَــاْرِمَاً خَــذِمَاْ

حادثات الدهر: ما تحدثه من الأمور العظيمة، والجلد: القوة والصلابة، والصارم هو السيف القاطع، وكذلك الخذم، وجلاؤه: صقاله.

يصف نفسه بقوة العزم وعلوّ الهمّة، وأنه لا يزيده تحامل الدهر إلا شدّة نفس وقلة خنوع وظهوراً ونُبْلاً كما لا يزيد السيف دَوْسَه إلا حِدّةً.

وَلَــسْتُ أَوَّلَ ذِيْ مَجْــدٍ لَــهُ ظَلَمَــتْ

صُــرُوْفُ أَيَّاْمِــهِ العَوْصَــاْءِ فَانْظَلَمَــاْ

صروف الأيام: حالاتها، والعوصاء: الملتوية كأنما تداخل بعضها في بعض، وانظلم إذا احتمل الظلم، قال زهير يمدح هرماً:

هـو الجـواد الـذي يعطيـك نائلـه عفــواً فــيظلم أحيانــاً فــيظّلم

يَــأْبَى لِــيَ الــشَّرَفُ العَــادِيُّ مَنْــصِبُهُ

أَنْ أُوْرِدَ النَّفْسَ – حِرْصَاً – مَـوْرِدَاً وَخِمَـا

أبيت الشيء إذا امتنعت من قبوله، والشّرف: عظم القدر، والمنصب: الأصل، والورد خلاف الصدر، والمورد: الماء، والمورد أيضاً الطريق، والوخم: الوبيء.

يقول: يمنعني شرف بيتي وعلو همّتي التكسب بالمديح ممّن تشير إلى مديحه يا مخاطبي.

أَنَــا ابْــنُ أَرْكَــانِ بَيْــتِ المَجْــدِ لاَ كَــذِبَاً

وَالنَّــازِلِيْنَ ذُرَى العَلْيَــاءِ وَالقِمَمَــا

ركن كل شيء: جانبه الأقوى، وفلان « يأوي إلى »[387] ركنٌ شديد أي عزّ ومنعة، وذروة كل شيء: أعلاه، وكذلك قمته.

قَوْمِي هُمُ القَوْمُ فِـي بَـأْسٍ وَفِـي كَـرَمٍ

إِنْ ادَّعَــى غَيْــرُهُمْ مَــا فِــيْهِمُ وَهِمَــا

الوهم في الحساب: الغلط، ووَهَمْتُ في الشيء ـبالفتحـ

---

[387] ما بين القوسين من البرنستنية.

ذهب وهمك إليه وأنت تريد غيره، والوهم: الظن.

فِــيْ الجَاْهِلِيَّــةِ سُــدْنَاْ كُــلَّ ذِيْ شَــرَفٍ

بِالمَــأْثُرَاْتِ، وَسُــدْنَاْ العُــرْبَ وَالعَجَمَــاْ

سدنا من السؤدد، وهو الشرف، والمأثرات جمع مأثرة، وهي الخصلة الجميلة التي تؤثّر في الأحاديث « يقال »[٣٨٨] مأثَرَةً ومأثُرَةً ـ بضم الثاء وفتحها ـ وسميت مأثرة لبقائها في الأثر يذكرها قرنٌ بعد قرن.

وَسَــاْرَ كُــلُّ مَعَــدِّيٍّ لَنَــاْ تَبَعَــاً

يَرْعَــىْ بِأَسْــيَاْفِنَاْ الوَسْــمِيَّ حَيْــثُ هَمَــاْ

الوسمي: أول المطر، وسُمّي وسميّاً لأنه يسم الأرض، ومَعَدِّيٌّ منسوب إلى مَعَدِّ بن عَدْنان، وقوله: "وسدنا العرب والعجما" يريد بذلك ما كان من وقائع ربيعة بن نزار في قبائل العرب والعجم.

فمن ذلك « ما »[٣٨٩] كان من وقائعهم بمن كان يسكن معهم

---

[٣٨٨] ما بين القوسين من البرنستنية.

[٣٨٩] ما بين القوسين من البرنستنية.

بتهامة من قبائل العرب من مَعَدّ بن عدنان وغيرهم حتى أجلوهم عنها بعد قتل كثير، فمن ذلك ما كان من حربهم لقضاعة حتى أجلوهم عنها وسبب ذلك أن خزيمة بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن مَعَدّ ـ في قول من ينسب قضاعة إلى معدـ كان يهوى فاطمة بنت يذكر بن عنزة، واسمه عامر[٣٩٠] بن أسد بن ربيعة بن نزار، فخطبها إلى أبيها فلم يزوجه إياها، فجعل يرصده ويطلب غرته، فخرج ذات يوم يجتني القرظ،[٣٩١] فتبعه حتى صار بعيدًا عن الحي وبلغ الأرض التي يريدها، فاجتنى ما اجتنى ونام، فأتاه وهو نائم فقتله، فمضى على ذلك زمان لا يعرف كيف سبيله، وهذا هو القارظ الأول، فضربت العرب بغيبته المثل، قال بعضهم:[٣٩٢]

---

[٣٩٠] أي أنَّ عنَزة جدّ القبيلة المعروفة بهذا الاسم كان اسمه عامرَ بن أسد، وهو كذلك في كتاب المعارف لابن قتيبة (الصفحة ٩٢؛ دار المعارف بمصر) حيث ذكر أنّ سبب تسميته بعنَزَة هو قَتله رجلاً بعَنَزة، ولكن عند هشام الكلبي في كتابيه جمهرة النسب (الصفحة ٤٨٣) ونسب معد واليمن الكبير (ج١: ١٧) ذكر اسمه عمرو.

[٣٩١] جاء في اللسان: القَرَظُ: شجر يُدْبَغُ به، وقيل: هو ورَقُ السَّلَم يُدْبَغُ به الأَدَمُ.

[٣٩٢] هو بُشرُ بن أبي خازم الأسدي يقوله لابنته عميرة، وهو

فرجّي الخير، وانتظري إيابي إذا ما القارظ العنزيُّ آبا

ثم إن خزيمة بن نهد ذات يوم شرب الخمر مع فتيان من ربيعة، فعملت فيه فتغنى، فقال:

فتاةٌ كأنَّ رُضَابَ العبيـ ـر بفيها يُعلُّ به الزنجبيل
قتلت أباها على حبها فتبخل إن بخلتْ أو تُنيل

وقال أيضاً:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا
ظننت بها، وظنُّ المرء حوبٌ وإن سكنوا الأفارع والحجونا
وجالت دون ذلك من همومي همومٌ تخرج الشَجَنَ[393] الدفينا
إذا ابنة يذكرٍ شحطت وحلّت جنوب الأرض يا شحطاً مبينا
أخاف عليكمُ من آل زيدٍ رجالٌ يطلبون فيثأرونا

فحين سمعت فتيان ربيعة ذلك الشعر علموا أنه قاتل يذكر بن عنزة فوثبوا عليه فقتلوه، فغضبت قضاعة، وقالوا: يا أخوتنا قتلتم صاحبنا لأجل أبيات ترنم بها والسكر غالب

في معجم ما استعجم للبكري في مقدمته، وفي اللسان أيضاً مادة (ق ر ظ).

[393] كانت في الأصل: " الشخص " ولا معنى لها، والتصحيح من البرنستنية.

عليه، ولا تدرون له « الأبيات »[394] أو لغيره، فاجتمعت قضاعة في طلب ثأر صاحبهم، واجتمعت نزار، والتقوا، فهزمتهم نزار بعد فتكٍ[395] كثير فأجلت حينئذٍ قضاعة عن تهامة، وساروا إلى الشام، ولذلك يقول شاعر ربيعة شعراً:[396]

قضاعة أجلينا عن السهل كله إلى فلجات الشام تزجي المواشيا

بما فعل النهدي لا درّ درّه غداة تمنّى بالأفاق الأمانيا

ويذكر بن عنزة هذا هو القارظ الأول،[397] فأقامت قضاعة على نسبها من معد، وشهدوا حرب خَزَازَىْ والسُّلاّن، وكانوا مع معد، وكان رئيسهم يومئذٍ زهير بن جناب « بن هبل »[398] الكلبي، ثم إنهم انتسبوا بعد ذلك في حمير « من

---

[394] ما بين القوسين من البرنستنية.

[395] في البرنستنية: " قتل "، وهي قراءة الطبعة الهندية.

[396] ولكنه في معجم ما استعجم: عامر بن الظَّرب بن عياذ بن بكر بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان، وهو ليس من ربيعة كما ترى.

[397] وانظر قصّة هذا القارظ العنزي في مجمع الأمثال للميداني في قوله: (إذا ما القارظ العنزي آبا) وكذلك قوله: (أضَلُّ من القارظ العنزي). وهنا زيادةٌ عما هنالك لا تُغفل.

٣٩٨ إضافة من النسخة البرلينية، وهو زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن

قحطان، هذا خبر خروج قضاعة من تهامة »[399].

ومن ذلك وقائعهم عند[400] عكّ بن عدنان بقبائل غسان، وذلك أن عك بن عدنان كانوا نزلوا بأرض غسان، فأقاموا بها مدة من الزمان على نسبهم من عدنان، فبعد ذلك جرت بينهم وبين غسان حروب ظهرت فيها عك « بن عدنان »[401] على غسان، فاستنصرت غسان قبائل قحطان فأتوا في جموع كثيرة، وليس لها شأن غير جلاء عك عن الديار، فاستنصرت عك من يليها من قبائل عدنان، فكان يومئذٍ أقرب القبائل إلى عك قبائل ربيعة بن نزار، فناشدوهم القرابة لمكانهم من عدنان، فاجتمعت قبائل ربيعة وسارت في نصرتهم، والتقوا حينئذٍ، وكثرت بينهم القتلى، وكانت الدائرة على غسان ومن انضم إليها من قبائل قحطان، فانهزموا بعد قتلٍ ذريع، وأنزلت ربيعة عكاً بحيث أرادوا من منازل غسان.

ومن ذلك أيضاً إخراجهم قبائل إياد بن نزار من تهامة حتى

رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة.

399 إضافة من البرلينية.

400 دائماً ما يستخدم الشارح لفظة: "عند"، ويريد بها معنى لفظة: "مع"، وهذا الاستخدام تكرر منه أكثر من مرّة، وهو صحيح لغوياً.

401 ما بين القوسين من البرنستنية.

لحقت إياد بالبحرين، فأقاموا « بها »[402] برهةً من الزمان، فسارت إليهم عبد القيس[403] فأخرجوهم من البحرين وسكنوها، واقتسموها فيما بينهم، وكان مع إياد بالبحرين أيضاً قوم من الأعاجم كان أنزلهم إياها كسرى ملك فارس واخلاط من قبائل اليمن من الأزد وغيرها، وقوم من قضاعة يقال لهم التَّنُوْخ[404] سمّوا بالتنوخ لأنهم تنخوا بها أي أقاموا، «وذلك أنهم أقاموا باليمامة بعد نزولهم من تهامة، ثم رادوهم[405] بخبر البحرين، فساروا إليها من اليمامة»[406]، وكان

[402] ما بين القوسين من البرنستنية.

[403] وقد ذكر البكري في مقدمة كتابه معجم ما استعجم (ج١: ٨٠ ـ ٨٢) خبر خروج عبد القيس من تهامة ونزولها البحرين واقتسام بطونها لبلادها بتفصيل جيِّد، ولكن في شرح الديوان هنا زيادات لا ينبغي أن تُغفل كما سيرى القارئ، وإن كان البكري قد ذكر هناك أيضاً زيادات لا ينبغي أن تُغفل أيضاً مثل اقتسام بطون عبد القيس كبني شنّ بن أفصى وبني جَذيمة بن عوف وبني نكرة بن لكيز وبني عامر بن الحارث والعُمور وغيرهم لأراضي البحرين.

[404] وردت في الطبعة الهندية: " الشيوخ " وهو تحريف، وتنوخ من القبائل القديمة التي سكنت البحرين، وقد ذكر ذلك ابن دريد في كتابه الاشتقاق (الصفحة ٥٤٢ طبعة دار الجيل)، وذكر أنهم تنخوا بعين هجر.

٤٠٥ كذا وردت في الأصل، ولعله وقع تحريف وسقط لجملة

شوكة من بالبحرين إياد، وكانوا يُسَمَّوْن الطَّبَق لإطباقهم على الناس لشدتهم وبأسهم، وكانت شوكة عبد القيس يومئذٍ بنو شن بن أفصى، وكان رئيسهم عمرو بن الجعيد بن صبرة بن عمرو بن الدِّيل[٤٠٧] بن شن بن أفصى بن عبد القيس، وهو الذي ساق عبد القيس من تهامة إلى البحرين، فحين عَبَّوا كل قبيلة لقبيلة جعلوا شناً لإياد، وكان من رؤساء شَنٍّ سعدُ السعود الشني والأدرمُ بن نهار، فاستحرّ القتل يومئذٍ بإياد وشَنّ، فقتلت إيادُ من شَنٍّ خلقاً كثيراً، وكان ممن قتلوا يومئذٍ سعد السعود الشَّني والأدرم بن نهار، وفي ذلك يقول شاعر عبد القيس:[٤٠٨]

لأي القتـــيلين النـــوائح والبكـــا   لـــسعد الـــسعود أم لمقتـــل أدرمـــا

" جاءهم روادهم " يريد بذلك أن روَّادهم جاءوهم بخبر البحرين وخصبها وكثرة مياهها.

٤٠٦ ما بين القوسين زيادة من البرلينية.

[٤٠٧] كانت في الأصل: " الدول " والتصحيح من البرنستنية، وهو موافق لما في كتاب جمهرة النسب للكلبي.

[٤٠٨] لم يذكر البكري رؤساء بني شنّ سعد السعود الشني ولا الأدرم بن نهار ولم يذكر كذلك بيت الشعر هذا، ولم أجده في كتب الأدب وأخبار العرب التي بحوزتي أو اطلعت عليها.

وما ظهرت إياد على شن حتى كادت تفنيها[٤٠٩]، ثم إن قبائل عبد القيس ظهرت على من كان يقاتلها[٤١٠] من قبائل العرب والعجم، وأكثرت فيها القتل، فهربوا[٤١١] من بين أيديهم، فمالت عبد القيس عند[٤١٢] شن ميلةً واحدة على إياد فقتلوا إياداً قتلاً ذريعاً، وانهزمت بقية إياد ليلاً فلحقت بالعراق فكان يومئذٍ في إياد رجل « عاقل »[٤١٣] كاهن فحين نزلت عبد القيس بالبحرين وشدوا خيولهم إلى كرانيف النخل ـ والكرانيف أصول السعف الواحدة كرنافةـ أتاه من أخبره بذلك فقال: (عرف النخل أهله)[٤١٤]، وأشار على إياد بأن يجلو عن الدار،

---

٤٠٩ يحتمل أن يريد أن إياداً كادت تفني شَنَّاً أو أنّ شَنّاً كادت أن تفني إياداً أيضاً، وفي البرنستنية: " وظهرت إياد على شنّ حتى كادت تفنيها "، وهي قراءة الطبعة الهندية.

٤١٠ في البرنستنية: " مقابلها."

٤١١ في البرنستنية: " فهُزموا."

٤١٢ هذا هو الصحيح لا ما في الطبعة الهندية حيث جاء فيها: " فمالت عبد القيس على شَنّ ميلةً واحدة وعلى إياد " فكيف تميل عبد القيس على شَنّ وهم منهم ؟!، وقد تقدمت الإشارة إلى استعمال الشارح للفظة: "عند" بمعنى: "مع".

٤١٣ ما بين القوسين من البرنستنية.

٤١٤ هو مثلٌ معروف ذكره الميداني في مجمع الأمثال، وذكر قصته هذه ولكن باختصار شديد.

وقال: يا قوم أخاف عليكم أن تلقوا منهم ما لقيتم منهم بتهامة، فعصوا وأبوا إلا القتال، فكان من أمرهم ما كان، «فعند ذلك أجلوهم عن البحرين ولحقوا بالعراق»[٤١٥].

ومن ذلك ما كان من وقائع ربيعة بقبائل حمير وجموع قحطان، وقتل التبابعة والأقيال بخَزَاْزَى والسُّلّان وتوهين ملكهم وكسر شوكتهم وإطفاء جمرتهم وإنزالهم قبائلَ عدنان ديارَ اليمن إلى وقتنا هذا، ووقائعهم في العرب أكثر من أن تحصى، وإنما ذكرنا منها طرفاً لا يجد أحدٌ إلى إنكاره سبيلا.

ونذكر طرفاً من وقائعهم في العجم، فمن ذلك قَتْلُ عبد القيس مَنْ كان من ملوك[٤١٦] الفرس بالبحرين، وإخراج من أرادوا إخراجه منها من رؤسائهم، واستذلال بقيتهم، وملك بلادهم.[٤١٧]

---

٤١٥ ما بين القوسين إضافة من البرلينية.

[٤١٦] يريد بلفظة: "ملوك" هنا بعض الولاة الذين كان ملوك الفرس يولونهم على البحرين لجباية خراجها.

[٤١٧] ويقصد ببلادهم البحرين التي كانت تابعةً للفرس وقت استيلاء عبد القيس عليها كما سوف يصرّح الشارح بذلك في شرحه للبيت:

نَقَلَتْ أَوَاْئِلَهُمْ إِلَىْ (البَحْرَيْنِ) ـ كَيْ

يَبْنُوْا (مُشْقَّرَهَاْ) ـ أَنُوْ شِرْوَاْنِ

ومن ذلك أيضاً ما كان من وقائع بكر بن وائل بالأعاجم وأبناء فارس وملوك الأكاسرة وقتلهم جيوش كسرى ومقدمي جنوده وعساكره الذين بعثهم مع الهامرز وخلابزين[418] ـ ويقال خنابزين[419] ـ صاحب مقدمة كسرى يوم ذي قار، ونهبهم سواد العراق كالأُبُلّة والأنبار وغيرهما حيث يقول الحارث بن

والواقع أنه لم تكتف قبائل عبد القيس بأخذ برّ البحرين وسواحلها بل وبعض جزر الخليج الفارسي المأهولة كجزيرة أوال وجزيرة قيس وجزيرة ابن كاوان التي سُميت بذلك نسبةً إلى كاوان العبدي من عبد القيس واسمه: الحارث بن امرىء القيس بن حجر بن عامر بن مالك بن زياد بن عصر بن عوف بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لُكَيز بن أفصى بن عبد القيس. (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان؛ رسم « جزيرة كاوان »).

بل لقد وصلت الجرأة بعد ذلك في بعض بطون عبد القيس أن قطعوا بحر الخليج إلى ساحل البرّ الفارسي فاحتلوا بعض قرى الساحل منه، وهو الأمر الذي أغضب الملك الفارسي سابور ذا الأكتاف (٣٠٩ ـ ٣٧٩ م) الذي جَرَّد حملةً رهيبةً غزا بها جزيرة العرب والبحرين منها بالذات فكان إذا ظفر بأحد من العرب خلع كتفيه وتركه، ومن هنا جاء اسمه سابور ذو الأكتاف، وهي حملةٌ ذكرها بتفصيل أبو جعفر الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك، فمن أراد الاستزادة فليراجعها فيه.

[418] عند الطبري (ج١: ٦١٢): "جلابزين".

[419] وهكذا ذكره صاحب التذكرة الحمدونية.

وعلة الذُّهلي[420] حين أغار على الأُبلّة، وقتل بها خلقاً كثيراً ونهب ما كان بها من الأموال « وشرّد أهلها منها »[421] قال:[422]

أغــرت علــى نهــر الأبُلّــة غــارةً
أبالـت حبالاهـا الـصبيب مـن الـذعر
بــأرعن مــن أبنــاء بكــر بــن وائــلٍ
فأنهـب مـا فيهـا مـن الـبرّ[423] والتمـر
على رغم أنف المرء كـسرى بـن هرمـزٍ
وقـيس بـن مـسعود أذلُّ مـن الـوبر[424]

---

[420] قُرءت في الطبعة الهندية " الذهبي "، والذهلي نسبةً إلى بني ذهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، والحارث هذا هو الحارث بن وعلة بن المجالد بن يثربي بن الزبّان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة. (الكلبي: جمهرة النسب؛ الصفحة ٥٣٠).

[421] مـا بـين القوسـين مـن الطبعـة الهنديـة، وفي البرلينيـة، والروسية: "وقد كان أغار على نهر الوبلة – كذا – فأنهبها، وقتل جماعة من العجم".

[422] ورد في الطبعة الهندية البيتان الأولان منها فقط، ولم يسلما من التحريف.

[423] في البرنستنية: " البَزّ."

[424] ابتداءً من هذا البيت تبدأ المخطوطة الروسية مرافقتنا بهذه

لـــيعلم كـــسرى أنـــني فـــوق قومـــه

وأنّي ابنُ ذي الشَّدّات والصِّيدِ من بكـر

وأما الأنبار فالذي أغار عليها المكَسِّر العجلي[425]، فقتل ونهب واستنزل منها مائة[426] من الأساورة، ـوالأساورة هم الفرسان والرؤساء يعد الرجل منهم بمائةـ فضرب أعناقهم.[427]

وما زال المثنى بن حارثة الشيباني يعيث في السواد ويقتل الأعاجم حتى جاء الإسلام وقد ضعف ملك كسرى، فتولى حرب فارس[428] وقتل مُهْران صاحب مقدمة العجم، وعقر

القصيدة لأنّ ما قبله قد سقط منها كلّه بسبب كونها القصيدة الأولى فيها، ودائماً ما تتلف الأوراق الأولى في الكثير من المخطوطات القديمة.

[425] المكسّر لقبٌ له، وهو يزيد بن حنظلة بن ثعلبة بن سيّار بن حُيي بن حاطبة بن أسعد بن جذيمة بن سعد بن عِجْل بن لُجَيْم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل (ابن ماكولا: إكمال الكمال ج٤: ٤٣٦).

[426] في البرنستنية: " مائة ألف." ولا نراه صحيحاً.

[427] وفي البرلينية، والروسية: "وكان المكسر العجلي قد أغار على الأنبار وما والاها، فقتل أهلها وأنهبها واستنزل ما بحصنها من أساورة الفرس كل رجل منهم يعد بمائة رجل، فضرب أعناقهم".

[428] في البرلينية، والروسية: "العجم".

الفيل يوم القادسية، وهزم جموع الأعاجم وافتتح كثيراً من السَّواد[429]، وتوفي، «فتولى مكانه سعد بن أبي وقاص، وتزوج»،[430] امرأته سلمى ابنة حفص[431] من تيم اللاّت بن ثعلبة، «وافتتح بعد ذلك أرض العراق »؛[432] حيث يقول لها سعد ذات يوم ـحين اشتد القتال بين العرب والعجمـ: كيف ترين الناس؟ قالت: القوم أقران ولا مُثَنّى لهم، فلطم سعد وجهها غيظاً.[433]

ومن ذلك قتلهم الحَبِيْشَ[434] بعد أن تملكوا ديار اليمن وابتدعوا فيها السنن القبيحة، وذلك أن معدي كرب «الكندي»[435] جد الأشعث بن قيس نزل على حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، ويسمى المزدلف، « وكلمه

[429] في البرلينية، والروسية: "وافتتح سواد العراق".

[430] ما بين القوسين من الروسية.

[431] سبق وأسماه خصفة فيما مضى.

[432] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية.

[433] ذكره باختصار في المعارف لابن قتيبة؛ الصفحة ١٠٠.

[434] في الروسية والبرلينية: "الأحبوش".

[435] ما بين القوسين من البرنستنية.

وهو معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن ثور وهو كندة.

في النصرة و »[436] شكا إليه ما يفعل الحبيش بأهل اليمن من السنن القبيحة فيهم وفي نسائهم،[437] فنادى حارثة بن عمرو في قومه فجمعهم، وقال: ما أريد غير عُزَّابكم ومن ليس له ولد ولا كثرة مال،[438] فاجتمع إليه من قومه ممن هذه صفته خلق كثير، فركبوا معه، وجنّبوا الخيل وسار بهم مع من انضمّ إليهم من جيرانه حتى أتى ديار اليمن، ولقد سار[439] معدي كرب في قومه، فاجتمع إليهم قومٌ من أهل اليمن، فخرجت الحبش لقتالهم، فحمل عليهم حينئذٍ حارثة بن عمرو بأصحابه فقتلوا منهم خلقاً « كثيراً »[440] لا يحصى عددهم، وأجلوا بقيتهم عن ديار اليمن، فعند ذلك قال معدي كرب لقومه: يا

---

[436] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية.

[437] في البرلينية، والروسية: "وشكى إليه ما يفعل الحبيش بأهل اليمن من القبائح والسنن التي سنوها في نسائهم".

[438] في البرلينية، والروسية ذكر أنّ معدي كرب الكندي قال للمزدلف: "ما أريد إلا عزاب قومك، ومن ليس له ولد ولا كثرة مال، فصاح في قومه، فاجتمعوا عليه، فاختار من غلمانهم الذين لا نساء لهم، ولا أولاد ألف رجل".

[439] في البرلينية والروسية: "ولقيه معدي كرب في قومه" بدلاً من "ولقد سار معدي كرب في قومه".

[440] ما بين القوسين من البرنستنية، وفي البرلينية، والروسية: "فقتلوهم قتلاً ذريعاً، وابادوهم".

قوم لا تقاسموا هؤلاء الرجال من بكر بن وائل شيئاً « من هذه الغنائم، فما أسكنكم الدار غيرهم، واجعلوا نصيبكم الدور والعقارات »،[٤٤١] فأخذ حارثة وقومه جميع الغنائم من خيل وإبل وفضة وذهب وثياب وسلاح، وغير ذلك وانصرفوا بها إلى قومهم، وفي ذلك يقول[٤٤٢] شعراً:

سائل بني كندة حَضْرَموتا ... من أورد الأحبوش منا الموتا؟

ألم نجب يا معدِ إذ دعوتا؟ ... ونلت ما كنت بنا رجوتا؟[٤٤٣]

ولو تتبعنا ذلك لكان أكثر من أن يحصى، « ويريد بقوله: "وسار كل معدّي لنا تبعاً" إلى أنه لم تجتمع معدّ قاطبةً على أحدٍ من غير ربيعة لأن رئاسة العرب من معد كانت أولاً في ضُبَيْعة بن ربيعة بن نزار يمر بها في[٤٤٤] القدار الذي يلقب

---

[٤٤١] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية.

[٤٤٢] في الروسية: "قيل" بدلاً من "يقول".

[٤٤٣] ابتداءً من هذا البيت تبدأ النسخة الطهرانية المشوار معنا.

٤٤٤ جملة (يمر بها في) هكذا وردت في النسخة البرلينية والطهرانية، ولعل صحيح الجملة (يليها فيهم) القُدار، كما أن كلمة (يلقب) بعدها وردت (يلبث) وكلمة (الأضجم) وردت (الأضخم) خطئاً، والصحيح ما كتبناه، والقُدار الضَّبَعي هذا هو الحارث بن عمرو سيّد ربيعة في زمانه كلها كما ذكر ذلك في القاموس المحيط مادة (ق د ر) وانظر كتاب الأغاني ٢٤ : ٢٦٠.

الأضجم، ثم انقلبت[445] إلى عبد القيس، فكانت لعمرو الأفكل بن الجعيد بن صبرة[446] بن الدِّيْل بن شنّ بن أفصى[447]، ثم

---

[445] كذا كتبت في البرلينية والروسية والطهرانية: "انقلبت" هنا وكذا في كل الموارد الآتية ضمن هذه الرواية بالنسبة للبرلينية والروسية، وأما الطهرانية، فكتبت فيها: "انتقلت"، وعنها تم التثبيت.

[446] أقحمت في البرلينية والروسية والطهرانية هنا جملة "عمرو الأفكل" بعد كلمة "صبرة"، والأصح ما أثبتناه أعلاه، وتوضيحه في الحاشية التالية.

[447] بن عبد القيس بن أفصى، وقد ذكر الكلبي في كتابه جمهرة العرب أنّ رئاسة العرب كانت لأبيه الجعيد بن صبرة، وقد استشهد بشعر الحارث بن هَمَّام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شيبان الذي يقول فيه:

غنينا في تهامة قاطنيها ... ليالي العزِّ أيّام الجُعَيْدِ
تدين له القبائل من معدٍّ ... كما دانت قضاعة لابن زيد

وأمّا ابنه عمرو هذا فلعله ورث زعامة العرب بعد أبيه، ولكنّ الأكيد أنه كان سيّد عبد القيس دون منازع، وهو الذي سار بعبد القيس من تهامة إلى البحرين حتّى أسكنهم فيها، وقد ذكر ابن دريد في كتابه الاشتقاق أنّه تجبَّر على قومه بعد نزولهم البحرين، فسارت إليه بنو عَصَر فقتلوه، وبنو عصَر هؤلاء هم بنو عصر بن عوف بن عَمرو بن عوف بن جَذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس.

انتقلت من عبد القيس إلى النَّمر بن قاسط،[448] ثم انقلبت في بني يشكر بن بكر بن وائل، ثم انتقلت في ثعلبة ابن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وهو ثعلبة الحصن،[449] ثم انقلبت في ربيعة بن مُرّة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حُبيب بن عمرو بن غُنم بن تغلب بن وائل، ثم في ابنه كليب بن ربيعة، وكل هؤلاء قادة معدّ كلها، وما منهم إلا من سَنَّ سنّةً ليُعرف بها شرفُه وفضلُه »[450].

---

[448] وكان يليها منهم عامر الضّحيان النمري، وقد ذكره الشارح فيما مضى. انظر الفهارس الفنية.

[449] كتبت في البرلينية، والروسية والطهرانية: "الحصين"، والصحيح ما هو مثبت أعلاه (انظر السمعاني: الأنساب؛ ج٢: ٢٢٨.

٤٥٠ ما بين القوسين كله من البرلينية والروسية والطهرانية فقط، وكان في أصل الرضويّة مختصرٌ جداً، وكل الذي ورد في هذا الموضع منها هو قوله: " ويريد بقوله: وسار كل معدي لنا تبعاً ما كان من رئاسة ربيعة بن مرّة وابنه كليب بن ربيعة على جميع قبائل معدّ، وكذلك عامر الضحيان النّمريُّ من النمر بن واسط؟! ـ كذا ـ"، والأمر نفسه في البرنستنية إلا أن السطر الأخير فيها جاء كما يلي: " وكذلك عامر الضحيان النمري بن واسط؟! فهو من جملتهم".

وأما ما ذكره عن السنن التي سنّها رؤساء هذه القبائل فهي مذكورة في تاريخ ابن الأثير (ج١: ٥٢٣ طبعة دار صادر؛ بيروت

حُطْنَـــا نِـــزَارَاً، وَذُدْنَـــا عَـــنْ مَحَارِمِهَـــا

وَلَـــمْ نَـــدَعْ لِمُثَـــاوِي عِزِّهَـــا حَرَمَـــا

حطنا من الحياطة، وهي الحفظ، « والذياد: الدفع »،[451] وذدت عن فلان أي دفعت عنه، والمحارم جمع محرم، وهو ما لا يحل انتهاكه، والمحرم[452]: من يلزم حمايته.

حَتَّـــى أَتَـــى اللَّهُ بالإِسْـــلاَمِ وَافْتُتِحَـــتْ

كُـــلُّ الـــبِلاَدِ، وَأَضْـــحَتْ لِلأَنَـــامِ سَـــمَا

افتتحت البلاد أي ملكتها، وفتح البلاد: ملكها، والفتح: النصر، وسماء كل شيء: أعلاه، والأنام: الخلق.

وَفَـــضْلُ آخَرِنَـــا عَـــنْ فَـــضْلِ أَوَّلِنَـــا

يُغْنِـــي، وَلَكِـــنَّ بَحْـــرَاً هَـــاجَ فَالْتَطَمَـــا

١٩٦٥م)، وورد هذا الخبر مشابهاً لما ذكره الشارح هنا، ولكنه مبتورٌ في الأغاني للأصفهاني (ج٢٤: ٢١٧).

[451] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية.

[452] وردت في البرلينية، والروسية: "وليحرم".

« قوله: "ولكنّ بحراً هاج فالتطما" »[453] هيجان البحر: شدة اضطراب موجه، شبّه حدة خاطره وكثرة علمه بذلك، يقول: اقتصاري على مناقب المتأخرين من آبائي وأهل بيتي يغني عن اعتدادي بمناقب الأولين.[454]

شِـدْنَا مِـنَ المَجْـدِ بَيْتَـاً لا يُقَـاسُ بـهِ
ذَاتُ العِمَـادِ، وَلَكِـنْ لَـمْ نَكُـنْ إرَمَـا

المجد: الشرف، وتشييده: تطويله،[455] وذات العماد يعني القصر الذي أراد بقول الله تعالى: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾[456]، ومراده القصر الذي كان بناه عوص بن عاد بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وكان طوله في الهواء فيما ذكروا خمسمائة ذراع، وجميع لبنه من الذهب والفضة، وقوله: "لا يقاس به ذات العماد" يريد أن ما بنينا من المآثر وفعلنا من أفعال الخير بكرمنا

---

[453] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية.

[454] في البرنستنية، والبرلينية، والروسية: "المتقدمين" وكلاهما صحيح.

[455] في البرلينية، والروسية: "تطويل بناءه".

[456] الفجر:٧

وسخائنا وشجاعتنا وحلومنا وعفافنا خير من « قصر »[457] ذات العماد لأن أفعالنا « مما ينتفع به الناس »؛[458] تفيد الأجر « في الآخرة »[459] والذكر الجميل في الدُّنيا، وذات العماد إنما هو زينة لصاحبه لا ينتفع به « أحدٌ من الناس »،[460] ومراده بقوله: "لم نكن إرماً" يريد إنا قومٌ من أهل الدين والطاعة لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وآله، ومن أهل التوحيد والإقرار بالبعث والحساب، وإرم كانوا قوماً كفاراً لا يعبدون الله سبحانه ولا يقرون بربوبيته ولا نبوة أنبيائه، ولا يعتقدون بعثاً ولا حساباً، فنحن خير منهم بذلك « وحَّدْنا الله تعالى وعبدناه وأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وغيَّرنا سنن الكفر مما ابتدعته القرامطة زمان مُلْكها من تَبْطِيْل[461] الزكاة والصلاة والصيام وجحود نعمة الله تعالى عليهم، وأظهرنا الإسلام وأمرنا بالصلاة وعاقبنا على تركها، وبنينا المساجد وأقمنا بها الأذان، وأقمنا الحجّ إلى بيت الله الحرام، وكل ذلك كان قد

---

[457] ما بين القوسين من البرنستنية.

[458] ما بين القوسين من البرلينية؛ والروسية.

[459] ما بين القوسين من البرنستنية.

[460] ما بين القوسين زيادة من البرلينية، والروسية.

[461] كلمة تبطيل كذا وردت، ويريد بها إبطال.

دُثِر ونُسي مدة ملك القرامطة ».[462]

سَلِ (القَرَامِطَ) مَنْ شَظَّى جَمَاجِمَهُمْ

فَلْقَاً وَغَادَرَهُمْ بَعْدَ العُلا خَدَمَا

التشظية والفلق شيء واحد، وغادرت الشيء: تركته، والقرامط هم بنو أبي سعيد الحسن بن بهرام بن بهرشت الجَنَّابي[463] نسب إلى مذهبه، « وليس ذلك بنسب له »[464]

---

٤٦٢ ما بين القوسين إضافة من البرلينية، والروسية.

٤٦٣ في الروسية: "الجبائي"، وورد فيها اسمه: "الحسن بن بهرامة بن بهرهيت القرمطي، والأمر نفسه في البرلينية إلا أنّ "بهرهيت" وردت فيها "بهرست"، وهو أقرب للصحة.

وقد اختلف المؤرخون في نسب أبي سعيد، فأشهر أقوالهم أنه: الحسن بن بهرام بن بهرشت الجنابي كما هو في الأصل هنا، وذكروا أنه من أهل جنَّابَة – بلدة تقابل الآن جزيرة خرج (خارك) الإيرانية – ولكن ورد في هامش إحدى صفحات النسختين المخطوطتين لكتاب اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزي، ـ اللتين طبع هذا الكتاب عليهما الطبعة الأخيرة ـ نسبٌ آخر لأبي سعيد دوّنه المقريزي نفسه، وفيه أنه الحسن بن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأنّ أباه علي بن محمد هو ذاته صاحب الزنج المشهور في التاريخ، والذي احتل البحرين للفترة ٢٤٩ – ٢٥٤هـ، وذكر

عنه هذا الأخير أيضاً أنه كان مقيماً بهجر، ويعرف بين أهلها أنه شريفٌ من العلويين، وأنه كان يُكرّم ويُعطى لأجل ذلك، ثم ذكر عنه أنه خرج وجمع في هجر، فقاتله العريان بن إبراهيم – من بني مالك بن عامر بن الحارث من عبد القيس الآتية ترجمته لاحقاً في هذا الديوان – فهزمه العُريان، فانصرف علي بن محمد بعد الهزيمة إلى القطيف، وهناك تزوج بأمِّ أبي سعيد لمدة قصيرة، ثم تركها وخرج من القطيف إلى الأحساء، ومنها إلى البصرة، فظهر الحمل بأم أبي سعيد، فلما ولدته سمته الحسن، وكنَّته بأبي سعيد، وكتمته سنة خوفاً عليه، وتزوجت برجل من أهل جنَّابة، فنسب أبو سعيد إليه، ونشأ على أنه رجل من أهل جنّابة؛ ينتسب إلى من هو ربيبٌ له. (انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا؛ تحقيق جمال الدين الشيّال «القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٩٦٧م» ج١: ١٥٩ هامش ٣).

ولا يبعد أن يكون هذا الخبر النادر صحيحاً، فقد ذكر المؤرخون أنّ أبا سعيد كان يُلقب في البحرين بالسيّد (ابن الجوزي: المنتظم ج١٣: ١٤٢ ط. دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٢م)، وكذلك ابنه أبو طاهر كان يدعى بالسيّد أيضاً (المجلسي: بحار الأنوار ج٩١: ٢٥)، وكذلك ذكر أيضاً أنّ بقية أبناءه الذين حكموا بعد أبي طاهر كانوا يلقبون في البحرين بالسَّادة (تاريخ ابن الأثير ج٩: ٤٢)، حتى لقد كتبوا ذلك على نقود عملتهم الرصاصية المسكوكة في عصرهم، فكتبوا فيها: "السادة الرؤساء" (نايف الشرعان: نقود الدولة العُيونية في بلاد البحرين؛ الرياض ٢٠٠٢م الصفحة ٨٦) ولقبا السيّد والسَّادة لهما دلالتهما في المجتمعات الشيعية حيث إنّهما لا يُطلقان في هذه

«وأصل ذلك المذهب رجلٌ»[٤٦٥] من أهل الكوفة كان يقال له حمدان قرمط[٤٦٦] « فنُسب »[٤٦٧] إليه أهل مذهبه، فقيل القرامطة، الواحد قرمطي كما يقال شافعي منسوب إلى محمد بن إدريس الشافعي، وحنفي منسوب إلى أبي حنيفة النعمان بن ثابت.[٤٦٨]

المجتمعات إلا على المنتمين إلى آل البيت من نسل الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وهو أمرٌ معروف حتى وقتنا هذا.

[٤٦٤] ما بين القوسين من البرلينية والروسية.

[٤٦٥] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية، وكان في الأصل: "وأصله شخصٌ"، ففضلنا صيغة هاتين النسختين لرفع اللبس عمن يرجع إليه الضمير.

[٤٦٦] انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٨: ١٦٠.

[٤٦٧] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية، وكان في الأصل: "نسبت".

[٤٦٨] ولابن العديم في تاريخ حلب رأي آخر في تسميتهم بالقرامطة، وهو أنّ ذلك نسبة إلى بني قرمطي بن جعفر بن عمرو بن المُهيّأ بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جوثة بن طهفة حزن بن عُبادة بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وذكر أنهم نسبوا إليهم لأنّ أكثر أنصار القرامطة كانوا منهم.

هذا وقد ابتدأت دولة القرامطة في البحرين عام ٢٨٦ للهجرة بتأسيس أبي سعيد المذكور لها، وقد بدأت الحركات الانفصالية عنها في أواسط القرن الرابع الهجري حيث خرج عليهم في جزيرة

مِــنْ بَعْــدِ أنْ جَــلَّ بــالبَحْرَيْنِ شَــأْنُهُمُ

وَأرْجَفُــوْا الــشَّأْمَ بالغَــاْرَاْتِ وَالحَرَمَــاْ

يعني بالحرم مكة حرسها الله تعالى، وكان أبو طاهر سليمان[469] بن الحسن[470] القرمطي الذي يعرف بقصير

أوال أبو البهلول العبدي الآتي ذكره فيما يلي، ثم خرج عليهم في القطيف الأمير يحي بن العباس الجَذمي العبدي، ثمّ جاء الجيش العباسي إلى الأحساء بقيادة اكسك سلار الآتي ذكره أيضاً، فساعده عبد الله بن علي العُيوني على حرب من بقي من القرامطة في الأحساء وأعوانهم حتّى تمكَّن عبد الله بعد ذلك من الانتصار عليهم واحتلال قصر الإمارة عام ٤٦٨ للهجرة كما سيأتي تفصيله.

ونحيل مَنْ أراد الاستزادة عن أخبار الدولة القرمطية في البحرين إلى كتاب الجامع في أخبار القرامطة للدكتور سهيل زكّار، وهو أفضل مرجع عربي عنهم حتى الآن.

[469] في البرنستنية: "سليم"، وهو تحريف.

[470] ورد في البرلينية، والروسية: "أبي سعيد" بدلاً من "الحسن"، ولا فرق، فأبو سعيد اسمه الحسن كما مر قبل قليل.

وأبو طاهر هذا كان أشهر ملوك القرامطة في البحرين على الإطلاق، وكان صاحب انتصارات مذهلة في الحروب، وكان الرُّعبُ يسبقه إلى الجيوش المتوجهة لقتاله، فتنهزم منه قبل خوض الحرب معه، ولم يكن أكبر أولاد أبيه، فأكبرهم كان أخوه سعيد

الركاب[471] قد أغار على مكة حرسها الله تعالى، « ودخل

الذي تولى الحكم تسع سنوات ونيّف بعد موت أبيه أبي سعيد عام ٣٠٠هـ إلى أنْ شبّ أخوه أبو طاهر الذي كان له من العمر ٥ سنوات ونيّف وقت موت والده، فلما بلغ من العمر ١٥ عاماً تنازل له أخوه سعيد عن الحكم بمحض إرادته عام ٣١٥ للهجرة، ويروى أنّ ذلك كان بوصية من أبيه كان قد أوصى سعيداً بها قبل موته، وبقي أبو طاهر حاكماً في البحرين حتى وافاه أجله عام ٣٣٢ للهجرة، ولم يبلغ عمره ٣٧ سنة.

وقد ارتبط اسم أبي طاهر بالحادثة الشهيرة، وهي اقتلاعه الحجر الأسود من الكعبة وجلبه إلى البحرين عام ٣١٧ للهجرة كما سيمر بنا في شرح هذه الميمية عن قريب، ولا شك أنه كان لطيش الشباب، وزهو الملك، وحب الشهرة أثرٌ واضح في هذا الفعل المستهجن، فقد كان عمره واحداً وعشرين عاماً فقط حين أقدم على هذه الفعلة.

[471] كذا وردت في جميع النسخ المشروحة التي احتفظت بهذه القصيدة، وهي كذلك في الطبعة الهندية.

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر والوافي بالوفيات للصفدي في ترجمة ابنِ أخي أبي طاهر، وهو الحسنِ بن أحمد بن أبي سعيد المعروف بالأعصم الجنابي ذكرَ أنه كان يُعرف بقصير الثّياب، ولا أعرف إنْ كانت محرفة عن قصير الرِّكاب أو هي غير محرفة، فتكون "قصير الثياب" لقباً خاصاً بالأعصم، و"قصير الرّكاب" لقباً خاصاً بعمه أبي طاهر، وإن كنتُ أرى أنّها: "قصير الرِّكاب" في كلي الموضعين، وليست: "قصير الثياب"، فقد ورد في شعر الأعصم ما يفيد أنّ أعدائه كانوا يعيبونه بقصره، وهو قوله:

الحرم »،[472] وبلغت خيله وجنوده البيت الحرام، وقلع الحجر الأسود من البيت و« قلع »[473] الميزاب أيضاً، وحملهما إلى البحرين،[474] وبنى بالقطيف بيتاً سمَّاه بالكعبة[475]، « وجعل فيه

زَعَمُوْا أَنّنِيْ قَصِيْرٌ لَعَمْرِيْ

لاْ تُكَالُ الرِّجَالُ بالقَفَزَانِ

إنما المرءُ باللِسَانِ وبالقَلْبِ

وَهَذا قَلْبِيْ وَهَذَا لِـسَاْنِيْ

(انظر الصفدي: الوافي بالوفيات ج١١: ٢٩٠)

[472] ما بين القوسين إضافة من البرلينية، والروسية.

[473] ما بين القوسين إضافة من البرلينية، والروسية.

[474] في البرلينية، والروسية: "وأتى بهما البحرين".

[475] في البرنستنية، والبرلينية، والروسية: " الكعبة " فقط بدون الباء الأولى، ولا زال هذا الموضع معروفاً في القطيف حتى اليوم بالاسم نفسه بيد أنّ الأهالي في القطيف لا ينطقون الكاف كما تنطق في اللغة العربية الفصحى، وإنّما ينطقونها كما ينطق الحرفان اللاتينيان المتلازمان (CH).

وكان يوجد في موضع الكعبة هذا عين ماء قديمة عظيمة لا زالت تعرف باسم عين الكعبة، وإن كان ماؤها قد غار الآن، ويقع هذا الموضع إلى الجنوب الغربي لقرية الجشّ إحدى قرى القطيف بحيث يبعد عنها مسافة ميل واحد، وإلى الجنوب من العين المعروفة باسم عين الشَّنّية التي كانت في السابق تتوسط قرية

تعرف بقرية الشّنية ابتلعتها الرمال، وقد كان مبنياً إلى جانب عين الكعبة، وملاصق لركنها الجنوبي بناءٌ يقال إنه الموضع الذي وضع فيه الحجر الأسود، ولا زالت بعض آثاره يراها من يقصد هذه العين اليوم، وحادثة قلع الحجر الأسود هذه والإتيان به إلى القطيف ذكرها أبو البهلول العبدي الخارج على القرامطة في القرن الخامس الهجري حيث انتزع منهم مُلك جزيرة أوال بعد عام ٤٦٠ للهجرة أو قبله بقليل أي بعد ما يقرب من ١٢٥ سنة من تاريخ ردّ الحجر الأسود، وقد ذَكَر أبو البهلول ذلك في كتابه المطول إلى ديوان الخلافة العباسية كما سيذكر فيما يلي من هذه القصيدة، وفيه يذكر أن القرامطة قد أحضروا الحجر الأسود إلى القطيف وإلى هذا الموضع المسمى بالكعبة، كما ذكر ذلك أيضاً بعضُ المؤرخين الإسلاميين ولكن ليس بهذا التفصيل الموجود في شرح الديوان المقرَّبي، ولا مجال لنفي هذا الخبر كما حاول بعض الباحثين المحدثين الذين انقسموا بين معجب بالفكر الإيديولوجي للقرامطة فنفى عنهم هذه التهمة نفياً باتّاً، وبين مستعظمٍ لهذه الفعلة فنفاها عنهم لئلا يلتصق عارها بهذه المنطقة وذلك حسب فهمه السطحي لهذا الأمر، لأن القرامطة حينما فعلوا ذلك كانوا يفعلونه عن اعتقاد صحة ما فعلوه وفق مذهبهم، وهو ما يثبته القول الشهير لأحدهم وقد سُئل عن سبب أخذهم الحجر الأسود، فقال: أخذناه بأمر ورددناه بأمر (را. الجامع في أخبار القرامطة)، ومثل هذا الأمر مشابه تماماً لكثير من الاعتقادات التي اعتقدتها بعض الفرق الإسلامية كاستحلال الخوارج لدم كثير من المسلمين لأنهم ليسوا على مذهبهم فكانوا يسفكون حتى دماء الصحابة وفق مبدئهم هذا، ويبقرون بطون الحوامل، ولم يكن يعنيهم ما يقوله الطرف الآخر حول فساد رأيهم هذا بل كانوا

الحجر الأسود والميزاب »،[476] وقال أصرف الحج[477] إليه — فعاجله الموت، ولم يبلغ ذلك —[478] وصار كلما جعل الحجر الأسود في بعض أركانه أصبح ناحيةً عنه غير متعلق بالبناء، وكان حمله[479] الحجر والميزاب في سنة اثنتي عشر وثلاثمائة[480]،

يمضون فيه قدماً دون رادع لأنهم يفعلون ذلك عن عقيدة راسخة بحليّته؛ بل إنهم يرونه مقرباً إلى الله وإن كان عند غيرهم من الفرق الإسلامية يعد من أعظم الموبقات، وكذلك ما استحله الحجاج بن يوسف الثقفي وهو أقرب إلى موضوعنا هذا حيث استحل الكعبة في حربه لابن الزبير وضربها بالمنجنيق حتى تهدم بعض أركانها، وكان يعلل ذلك لأصحابه بأن عملهم هذا يثابون عليه من الله لأنهم يدافعون عن خليفته الأموي!! كما في تاريخ الطبري وابن خياط ومن جاء بعدهما، ولكن العجيب في الأمر أن فعل الحجاج هذا في الكعبة البيت الحرام لم يُعْطَ ذلك البعد الإعلامي الذي أعطي لأخذ القرامطة للحجر الأسود مع أن القياس الصحيح يقضي بأن الكعبة أعظم حرمة من الحجر الأسود.

[476] ما بين القوسين إضافة من البرلينية، والروسية.

[477] في البرلينية، والروسية: "حج الناس".

[478] ما بين الشرطتين إضافة من البرلينية، والروسية.

[479] في البرلينية، والروسية: "نقله" بدلاً من "حمله".

[480] كذا ورد في النسخ المشروحة، ويبدو أنه قد حصل تحريف أو خطأ من الشارح في ذكر سنة انتزاع أبي طاهر للحجر الأسود، فقد اتفق جل المؤرخين الذين ذكروا الحدث أنه كان عام ٣١٧

وكان ردهما في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وذلك بعد موته،[٤٨١] وكان مدة إقامة الحجر والميزاب بالبحرين ثلاثاً وعشرين سنة[٤٨٢] « كاملة »،[٤٨٣] وكان أبو طاهر هذا نهب الحاج مراراً، وفي زمانه قتل الحاج في بعض سراياه حملةً واحدة، ولم يستبق غير أرباب الصناعات فإنه « رفع عنهم السيف، ورجع بهم إلى البحرين »،[٤٨٤] وغنم جميع أموال الحاج، وكان عدة ما فيه « من »[٤٨٥] الجمال المحملة اثنين وثمانين ألفاً، وأسر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان[٤٨٦] التغلبي، ووزير الخلافة[٤٨٧]، وأقاما

للهجرة.

[٤٨١] بثلاث سنوات تقريباً.

[٤٨٢] هذا باعتبار حساب الشارح الذي قال إنّ أخذ الحجر كان في العام ٣١٢ للهجرة، وأن رده كان في العام ٣٣٥ للهجرة، وأما على اعتبار أنّ أخذ الحجر كان في العام ٣١٧ للهجرة، فإنّ سنة رده كانت في ذي القعدة من العام ٣٣٩ للهجرة كما ذكر ابن الأثير في أحداث العام نفسه من تاريخه، فيكون قد مكث في البحرين ٢٢ سنة.

[٤٨٣] ما بين القوسين إضافة من الروسية فقط.

[٤٨٤] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية، والطهرانية، وكانت في الأصل: "حين استبقاهم حملهم إلى البحرين".

[٤٨٥] ما بين القوسين من البرنستنية.

[٤٨٦] كانت في الأصل: " أحمد " والتصحيح من البرنستنية.

عنده أسيرين بالبحرين مدةً ثم إنه خلّى سبيلهما بعد أن فداهما بفداءٍ صار إليه.

وَلَـمْ تَـزَلْ خَـيْلُهُمْ تَغْـشَىْ سَـنَاْبِكُهَاْ

أَرْضَ العِـرَاْقِ، وَتَغْـشَىْ تَـاْرَةً أَدَمَـاْ

السنابك: أطراف الحوافر، واحدها سنبك، وغشيت الشيء: وطئته، وغشيان الشيء إتيانه، وأدم: قرية من قرى عمان.[488]

وَحَرَّقُـوْا عَبْـدَ قَـيْسٍ فِـيْ مَنَاْزِلِهَـاْ

---

[487] كان ذلك سنة ٣١٢ للهجرة، ولكن لم يرد في التواريخ التي ذكرت هذه الحادثة أنّ من بين الأسرى كان وزير الخليفة، وإنما ذكروا أبا الهيجاء وأحمد بن بدر عمّ والدة الخليفة المقتدر العباسي، فلعلّه هو المراد بوزير الخلافة هنا. وانظر الجامع في أخبار القرامطة للدكتور سهيل زكار الصفحة ٤٩٢.

[488] في البرلينية: "أدم قرية نعمان!"، وفي الروسية: "وأدم قرية بعمان"، فاتضح أنّ لفظة "نعمان" هي تصحيف "بعمان".

ولا تزال (أدم) معروفة حتى اليوم في عُمان، وتقع إلى الجنوب من نزوى بـ ٦٠ كلم، وإلى الجنوب الغربي من العاصمة العمانية مسقط بـ ١٦٨ كلم تقريباً.

وَصَــيَّرُوْا الغُــرَّ مِــنْ سَــاْدَاْتِهَاْ حِمَمَــاْ

الغرّ: الأشراف، والحمم هو الفحم الواحدة حممة.

وذلك أن أبا سعيد الجنّابي حين ملك البحرين جمع خلقاً كثيراً ممن بها من عبد القيس، وأنزلهم محلةً من البلد، وأضرم في تلك المحلة النار، فاحترقوا جميعاً، فتلك المحلة تعرف بالرمادة، « وهي محلّة من الأحساء معروفة »[489] إلى وقتنا هذا.

---

٤٨٩ ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية، وفيهن: "وذلك أنّ أبا سعيد كان قد جمع من في البحرين من عبد القيس في محلة واحدة، وأحرقهم بالنار، وذلك المكان لا يُعرف إلى الآن إلا بالرمادة، وهي محلة من الأحساء معروفة.

ومع ما قاله عنها، فإنني بحثت كثيراً في الأحساء عن موضع يُعرف بالرّمادة فلم أجد من يعرفها، فلعلها اندثرت بعد عصر الشارح؛ نعم أخبرني بعض الأحسائيين ممن لم أطمئنُ لكلامهم أنهم يعرفون موضعاً يسُمّى (الرّمادة) يقع في البرّ للشرق من قرية الرُّميلة إحدى قرى العُمران الجنوبية في الأحساء، وكان هؤلاء الذين أخبروني من غير سكان هذه القرية أو القرى المجاورة لها، وعندما سألت أكثر من واحد من سكان هذه القرية وسكان العمران لم يعرفوا هذا الموضع.

وفي ضمن السياق، فقد ذكر العالم اللغوي الشهير أبو منصور الأزهري ـ الذي أسره القرامطة في وقعة الهبير، فأقام لديهم في المنطقة عامين ـ أنه سمع فيها رجلاً من بنى كُليب « بن يربوع من

وَأبطَلُوا الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ، وَانْتَهَكُوا
شَهْرَ الصِّيَامِ، وَنَصُّوا مِنْهُمُ صَنَمَا

الانتهاك: استباحة الحرمة، « وذلك أنهم لم يكونوا يصومون شهر رمضان »، [490] ونصّوا أي نصبوا، ويعني بالصنم أبا سعيد، وذلك أن أبا سعيد حين ملك واشتدت وطأته وقهر من بالبحرين ودعا إلى نفسه وأظهر أنه صاحب الأمر، وأبطل

تميم » يقول: لما فتح أبو سعيد القِرمِطِيُّ هَجَرَ سوَّى حِظاراً من سعَف النَّخل وملأه من النساء الهَجَرِيَّات، ثم ألعجَ النارَ في الحِظار فاحترقن. (الأزهري: تهذيب اللغة ج١: ٢٧٦)، ولفظة: "ألعَج" تعني أشعل، وهي لا زالت مستعملة في المنطقة، فهم يقولون مثلاً: رأيت ناراً تلعج لعيجاً.

وأما قصّة محاصرة أبي سعيد الجنابي لعبد القيس في البحرين وفي هجر منها بالذات وتحريقه لبعضهم فقد رواها بعض المؤرخين، وأفضلهم في ذلك المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف، والنويري في موسوعته نهاية الأرب، والمقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، وقد نقل هذان الأخيران عن تاريخ مفقود لأبي الحسين محمد بن علي الأصم العلوي المعروف بأخي محسن قصّة ظهور أبي سعيد ومحاصرته أهل هجر وقتله لبعض أهلها من عبد القيس بتفصيل لا يوجد في غيره من المصادر، وهو في غاية الأهمية.

[490] ما بين القوسين إضافة من البرلينية، والروسية فقط.

الصلاة والزكاة والصوم والحج، وجميع الشريعة[٤٩١]، واستحوذ على ضعفاء الناس، وموّه عليهم، وزخرف الأقاويل الباطلة حتى صاروا يتألهونه من دون الله سبحانه، ويرون[٤٩٢] طاعته فرضاً واجباً.[٤٩٣]

وَمَـــا بَنَـــوْا مَـــسْجِدَاً للّٰهِ نَعْرِفُـــهُ

بَـــلْ كُـــلَّ مَـــا أدْرَكُـــوْهُ قَائِمَـــاً هَـــدِمَا

---

[٤٩١] في البرنستنية: " وجميع شرائع الإسلام والشرائع؟ ".

[٤٩٢] كانت في الأصل: " ويريدون " والتصحيح من البرنستنية.

[٤٩٣] ورد هذا الكلام مع بعض اختلاف في البرلينية هكذا: "ونعني بالصنم أبا سعد – كذا ـ لأنه كان قد لبس على ضعفائهم حتى صاروا يؤلهونه من دون الرجل! وجلا!"، وفي الطهرانية: "ونعني بالصنم أبا سعيد كان قد لبس على ضعفائهم حتى صاروا يتألهونه من دون الرسحل وخلا"، ومن الواضح أنه أراد بالجملة الأخيرة: "من دون الله عز وجل"، وأما في الروسية، فقد كتبت: "ونعني بالصنم أبا سعد – كذا – لأنه كان قد لبس على صفاتهم – كذا – حتى صاروا لا يخالفون أمره، ويعبدونه من دون الله تعالى".

وهذا قد يعني أنّ الروسية ليست منقولة كلها عن النسخة البرلينية، وأنها ربما أخذت عن نسخة أخرى لم ينقل عنها ناسخ البرلينية، وستأتي إضافات كثيرة للروسية لا توجد في البرلينية، وسأشير إليها في مواضعها من هذه الطبعة بمشيئة الله تعالى.

حَتَّـىٰ حَمَيْنَـاْ عَلَـىْ الإِسْـلاْمِ وَانْتَـدَبَتْ

مِنَّـاْ فَـوَاْرِسُ تَجْلُـوْا الكَـرْبَ وَالظُّلَمَـاْ

حمينا من الحمية، وهي الغيرة والأنفة، والعرب تقول إذا حمي الرجل حماً[٤٩٤]، وانتدب الرجل للأمر إذا أجاب داعيه وقام له، والكَرَب هو الغَمُّ الذي يأخذ النَّفْس، وكذلك الكربة، وكان أبو سعيد الجنابي حين ملك البحرين واستذلّ أهلها واستقام[٤٩٥] أمره بها؛ هدم ما كان فيها من المساجد[٤٩٦]، وأبطل الصلاة، وكان لا يصلّي أحدٌ بها إلا خُفْيةً مدة دولة القرامطة.

وَطَالَبَتْنَـاْ بَنُـوْ الأَعْمَـاْمِ عَاْدَتَنَـاْ

فَلَـمْ تَجِـدْ بَكَمَـاً فِيْنَـاْ وَلاْ صَـمَمَاْ

بنو الأعمام يعني قبائل ربيعة بن نزار، والبكم: الخرس، والصمم: ذهاب السمع، « يقول: ذكرونا ما عوّدت أسلافنا

---

[٤٩٤] كانت في الأصل: " جمي " والتصحيح من البرنستنية.

[٤٩٥] كانت في الأصل: " وقام " وما أثبتناه هو قراءة البرنستنية، وهي الأفضل.

[٤٩٦] في البرلينية والروسية والطهرانية هنا: "وذلك أنهم كانوا هدموا كل مسجد أدركوه بالبحرين".

وأولونا أوَّلَهم من النصرة والدفع عنهم ».[497]

وَقَلَّـدُوْا الأمْـرَ مِنَّـا مَاْجِـدَاً نَجِـدَاً

يَـشْفِيْ وَيَكْفِـيْ إِذَاْ مَـاْ حَـاْدِثٌ دَهَمَـاْ

تقليد الأمر: توليته[498] مأخوذ من القلادة التي تعلق بالعنق كأنهم جعلوا الأمر في عنقه، والنَّجِد: الشجاع ذو البأس والقوة، والحادث: الأمر العظيم، ودهم الأمر: غشي، يعني بذلك الأمير عبد الله بن علي رحمه الله « تعالى »[499]

---

٤٩٧ ما بين القوسين إضافة من البرلينية، وهو في الروسية والطهرانية باختلاف بسيط.

٤٩٨ في البرلينية كتب ناسخها هذه اللفظة: "توطيته!"، ولكنه استدرك، فكتب أعلى الحروف الأربعة الأخيرة منها، وهي "طيته" لفظة "ليته" لتقرأ مع حرفي التاء والواو قبلها "توليته"، وأما في الروسية، فكتبها ناسخها: "تطويقه"، وهي صحيحة.

٤٩٩ ما بين القوسين من البرنستنية، وقد تحرفت جملة: "يعني بذلك الأمير عبد الله بن علي رحمه الله" في البرلينية والطهرانية إلى جملة: "يعني عند البيت على زحمة منه"، ويبدو أنه اطلع ناسخ الروسية على ما كتبه ناسخ البرلينية، فلم يستسغه، فأصلحه إلى: "يعني أتى على غفلة منهما"، ووضع بعده حرف (ص) دلالة على أنه قد تم تصحيحه، لأنه فهم الجملة على أنّها تكملة لمعنى جملة "دهم الأمر".

مَاضِي العَزِيمَةِ مَيْمُونٌ نَقِيبَتُهُ
أَعْلَى نِزَارٍ إِلَى غَايَاتِهَا هِمَمَا

ماضي العزيمة أي شجاع نافذ الأمر، والميمون: المبارك، واليمن: البركة، « والنقيبة: النفس »،[500] ومعنى ميمون النقيبة مبارك الطلعة، ويقال يراد بالنقيبة المفاجأة من قولهم لقيت فلاناً نقاباً إذا فاجأك من غير أن تطلبه، وأصل النقيبة اللون، وإنما سمي النقاب الذي تلبسه المرأة نقاباً لأنه يستر نقابها أي لونها بلونه، والنقيبة أيضاً المختبر، يقال قد نقبت عن خبره ونقبت ـبالتخفيف والتشديدـ إذا بحثت عن خبره، ومنه قول الله: ﴿ فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ ﴾[501] أي بحثوا عن ذلك، ونقيبة الرجل فعله.

فَسَارَ يَتْبَعُهُ غُرٌّ غَطَارِفَةٌ

وعبد الله هذا هو مؤسس الدولة العُيونية، وهو عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي (الشيخ) بن عبد الله بن محمد (الجدّ) بن إبراهيم بن محمد (الأول) بن إبراهيم بن محمد (الثاني) العُيوني المُرِّي العامري العبدي.

[500] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية.

[501] قّ: من الآية٣٦

لَـوْ زَاْحَمَـتْ سَـدَّ ذِيْ القَـرْنَيْنِ لانْثَلَمَـاْ

الغر: الأشراف، والغطارف: السادة الواحد غطريف، وسد ذي القرنين معروف، وهو الحاجز دون ياجوج وماجوج.

إِذَاْ ادَّعَوْا يَـاْ لَـ (إِبـرَاْهِيْمَ) ظَـلَّ لَهُـمْ

يَـوْمٌ يُـشَيِّبُ مِـنْ هَـاْمِ العِـدَىْ اْلِلمَمَـاْ

الإدعاء: الانتماء والاعتزاء، وإبراهيم أبو رهط[502] الأمير عبد الله بن علي « بن عبد الله »[503] « العيوني »[504] رحمه الله[505] «تعالى».[506]

[502] في البرلينية، والروسية والطهرانية: "آل إبراهيم رهط الأمير .. الخ".

٥٠٣ ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية، وعبد الله الأخير هذا هو عبد الله بن علي الشيخ.

٥٠٤ ما بين القوسين زيادة من البريطانية، وهي ليست في باقي النسخ.

[505] في البرلينية والروسية: "رحمهم الله".

[506] ما بين القوسين من البرنستنية.

حَتَّى أَنَاخَ بِبَابِ الحِصْنِ يَصْحَبُهُ

عَزْمٌ يُهُدُّ الجِبَالَ الشُّمَّ وَالأَكَمَا[٥٠٧]

الشم: الطوال، وجبل أشم أي طويل، والآكام: الجبال الصغار الواحدة أكمة.

فَشَنَّهَا غَارَةً شَعْوَاءَ فَاشِيَةً

كَسَى بِهَا العُمَّ مِنْ حِيطَانِهَا قَتَمَا

شنّ الغارة وأشنها إذا فرقها من كل جهة، والشعواء: المتفرقة، وكذلك المشمعلة، والفاشية: الظاهرة، والحيطان يعني بها حيطان البلد، والعم: الطوال، والقتم: الغبار، وكذلك القتام.

فَأَقْبَلَتْ وَرِجَالُ الأَزْدِ تَقْدُمُهَا

كَالأُسْدِ قَدْ جَعَلَتْ سُمْرَ القَنَا أَجَمَا

---

[٥٠٧] ما بعد هذا البيت إلى قوله منها:

وجمعنا في مئينِ أربع حصرت عدّاً ولكنها أعلى الورى قدما

ساقط مع شروحه من الطبعة الهندية.

أقبلت يعني القرامطة، والأزد يعني من كان بالأحساء من قبائل قحطان لأنهم ينسبون[508] إلى الأزد.[509]

فَـصَادَفَتْ كُـلَّ لَيْـثٍ لَـوْ يَحُـسُّ بِـهِ
لَيْـثٌ بِـ (عَثَّـرَ) أَوْ (خَفَّـانَ) مَـا رَجَمَـا

عَثر[510] مكان مأسدة، وكذلك خفان[511]، يعرفان بخبث

---

[508] وفي البرنستنية: " ينتسبون ".

[509] وجاء في المخطوطتين البرلينية، والروسية في شرح البيت: "يعني القرامطة ومن حالفها من قبائل قحطان الذين بالبحرين".

وسوف يأتي لاحقاً أنّ هؤلاء الأزديون، والذين يسميهم الشارح باليمن في بعض المواضع؛ هم بنو حُمَيّ بن عيمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، وبنو حُدان بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأَزد

[510] من أوضح ما جاء عن عَثَّر هذه ـ التي تُنطق بتخفيف الثاء وتشديدها ـ هو قول الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب: "وإلى حَازّة عَثَّر تنسب الأُسود التي يقال لها أسود عَثر وأسود عِتْوَد، وهي قرية من بواديها" (الهمداني: صفة جزيرة العرب بتحقيق الأكوع؛ الصفحة ٧٧).

وذكر في موضع آخر من كتابه سواحل اليمن الغربية أي على

بحر القلزم (الأحمر) فقال: "ثم ينعطف البحر على اليمن مغرباً وشمالاً من عدن فيمر بساحل لَحْج وأبْين وكثيب برامس وهو رباط وبسواحل بني مجيد من المندب فساحل العميرة فالعارة فإلى غلافقة ساحل زبيد فكَمَران فالعطية فالجَرَدَة إلى مُنْفَهق جابر، وهو رأس عزيز كثير الرياح حديدها، إلى الشَّرْجة ساحل بلد حَكَم فباحة جازان إلى ساحل عَثر فرأس عَثر" (صفة جزيرة العرب؛ الصفحة ٦٧ – ٦٨).

ولا زالت عَثْرُ هذه معروفة بهذا الاسم المخفف حتى وقتنا هذا على الوصف الذي وصفها به الهمداني، وهي تقع شمال غرب جازان بواحد وثلاثين كيلومتراً إلى الغرب مباشرة من قوز الجعافرة، وأما رأسها الذي سماه رأس عَثر، فلا شك أنه الرأس المعروف الآن بـ(رأس الطُّرْفَة) الواقع قبالة عَثر مباشرة إذ لا رأس آخر غيره في تلك الناحية (انظر أطلس خرائط المملكة العربية السعودية؛ إعداد ونشر مكتب المهندس زكي محمد علي الفارسي ١٤٢٢هـ؛ الصفحة ٢٠٤ المرجع الشبكي F١٨).

وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد في اليمن موضع آخر يعرف بـ (عَثَّر) ولكنه يقع إلى الشرق من البحر الأحمر بـ ١٣٠ كيلومتراً وشمال صنعاء بـ ٨٠ كيلومتراً وليست هي عَثّر المشهورة بالسباع والمذكورة هنا وإنما هو تشابه أسماء لا غير.

[٥١١] اضطرب الجغرافيون القدماء في تحديد موضع خَفّان، ففي معجم البلدان للحموي: "خَفّانُ: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وآخره نون: موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً، وهو مأسدة، قيل هو فوق القادسية؛ قال أبو عبيد السكوني: خفّانُ من وراء النُّسوخ على ميلين أو ثلاثة عين عليها قرية لولد عيسى بن

موسى الهاشمي تُعرف بخفان، وهما قريتان من قرى السواد من طَفّ الحجاز، فمن خرج منها يريد واسطاً في الطَّفّ خرج إلى نجران ثم إلى عبدينيا وجُنبُلاءَ ثم قناطر بني دارا وتل فخار ثم إلى واسط، وقال السكري: خَفَّان وخَفيَّة أجمتان قريبتان من مسجد سعد بن أبي وقاص بالكوفة".

ونجران التي ذكرها غير نجران الجنوب المعروفة حتى اليوم، وإنما تلك في العراق، ولكنّ البكري في كتابه معجم ما استعجم جاء بكلامٍ مغايرٍ تماماً لكلام ياقوت حيث قال في رسم خَفّان: "خَفَّان بفتح أوّله وتشديد ثانيه، وبالنون: على وزن فَعْلان: موضع قِبَلَ اليمامة؛ أشِبُ الغِيَاض كثير الأُسد، ومَنَازِلُ تَغْلِبَ مَا بَينَ خَفَّانَ والعُذَيْب، قال عمرو بن كُلْثُوم:

لِيَهنِىءْ تُرَاثِي تَغْلِبَ بْنَةَ وَائِلِ إذا نزلوا بين العُذَيب وخَفّانِ

... وقال الشَّمَّاخ:

وأَعْرَضَ من خَفَّانَ قَصْرٌ كأنّه شَمَارِيخُ بَاهَى بانِيَاه المُشَقَّرَا

وقد ذكرتُه في رسم حُزْوى أيضاً فيما تقدّم".

ولكنه قال في رسم حزوى بعد ذكر بيت ذي الرّمة:

أَلَمَّت وحُزْوَى عُجْمة الرملِ دُونها وخَفَّانُ دونى سَيْله فالخَوَرْنَق

"حُزْوى وخَفَّان: موضعان قريبان من السواد، والخَوَرْنَق: بالحِيرة"، وأخشى أنّ البكري قد وهم، لأنه إذا أراد بالسواد سواد العراق وبالعذيب عذيب العراق، فخفّان التي في هذين البيتين ليست خفّان اليمامة، وإن كان ذلك لا يمنع وجود موضعين عُرفا باسم خَفَّان الأول قرب الكوفة، والآخر في اليمامة أو قريب منها، ولكن الموضع الذي اشتهر بالأسود هو الأول لا ريب لأنه

السباع، وما رجم أي ما نبس بحرف، والرَّجمة ـبالفتحـ كالنبأة.

لم يعهد عن اليمامة وما حولها أنها كانت موطناً للسباع وللأسود منها بالذات، وبيت ذي الرّمة الذي ذكره البكري إنما المراد به خَفّان الذي قرب الكوفة بالعراق بدليل ذكره الخورنق، وقوله أنّ حُزوى وخفّان موضعان قريبان من السواد أراد به سواد العراق لا شك، ولا يدلّ كلامه على أنه يعني خفان اليمامة، وكذلك الأبيات التي ذكرها البكري في خفان اليمامة لا تدلُّ على ذلك، وخصوصاً قول عمرو بن كلثوم عن قومه بني تغلب أنهم كانوا يسكنون ما بين العُذيب وخفّان، فالعُذيب هذا في العراق معروف بين القادسية والمُغيثة كما في رسمه عند ياقوت، وهو الذي كان مرتع صبا شاعر الكوفة العملاق أبي الطيب المتنبي، والذي ذكره متشوقاً له، فقال:

تذكرت ما بين العُذَيْب وبارقٍ

مجَرَّ عوالينا ومجرى السَّوابقِ

وبالتالي فقول عمرو بن كلثوم هو عن خفّان الكوفة أيضاً، وأيّاً كان الأمر، فخَفَّان المأسدة هو هذا الذي قرب الكوفة لا غير، وقد اشتهرت العراق بمواضع كانت الأسود تعيش فيها، وقد مرَّ بنا في هذا الديوان أنّ شاعرنا ابن المقرب قد مدح الخليفة الناصر العباسي في بعض قصائده بأنه قد قضى على الأسود التي كانت بالقرب من بغداد تعيث فساداً في مواشي أهل العراق، وهو خبرٌ معروف ومروي في بعض كتب التواريخ عن الخليفة الناصر العباسي.

فَكَــمْ صَــرِيْعٍ هَــوَىْ قَعْــصاً بِــشِكَّتِهِ
مِــنْهُمْ، وَآخَــرَ وَلَّــىْ الــدُّبْرَ مُنْهَزِمَــاْ

القعص: الموت الوحي، والشِكّة -بالكسر-: السلاح، والشاك السِّلاح وفي السلاح: اللابس السلاح التام، والدبر: الظهر، والأدبار: الظهور والأقفاء، والدبر بخلاف القبل.

وَنَثْــرَةٍ أَخْفَــرَ الهِنْــدِيُّ ذِمَّتَهَــاْ
إِنَّ الــسُّيُوْفَ المَوَاْضِــيْ تَخْفِــرُ الــذِّمَمَاْ

النثرة: الدرع الواسعة، وأخفره إذا نقض عهده أو غدر به، وخفره إذا منعه، والخفير: المانع، يقول: إن سيوفهم تهتك الدروع الحصينة التي يظنّ أهلها أنها تمنعهم من جميع السلاح فلا تصل إليهم من ورائها فكأنها قد أجارتهم وكأن سيوفهم حين قطعتها ووصلت إليهم قد نقضت عهودهم، والمعنى أن سيوفهم لا تمنع منها الدروع لمضائها.

فَاسْــتَنْجَدَتْ (عَــاْمِرَاً) مِــنْ بَأْسِــهَاْ فَأَتَــتْ
مُغِــدَّةً لاْ تَــرَىْ فِــيْ سَــيْرِهَاْ يَتَمَــاْ

المغذ: السريع السير، واليتم: البطء في السير، وكذلك الأتم.

و« يعني بعامر »[٥١٢] عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وكانوا في ذلك الوقت خفر[٥١٣] البحرين الذين لهم عليها المآكل.[٥١٤]

---

[٥١٢] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية.

[٥١٣] في البرنستنية: "خفراء"، وفي البرلينية والروسية: "وكانوا أصحاب الخفارة على البحرين"، وهي ساقطة من الطهرانية.

[٥١٤] وهذا نصٌّ صريح في أنّ مَنْ عُرفوا في هذه المنطقة باسم عامر ربيعة هم من قبيلة عامر بن صعصعة وليس كما ذهب إليه بعض الباحثين من أنهم من عبد القيس، وسيمرُّ بنا فيما يلي من شرح هذه القصيدة ذكر أبي البهلول العبدي لعامر ربيعة هؤلاء، ومنه يتضح أنهم كانوا القوة الضاربة للقرامطة في المنطقة.

وجاء في كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي (ج١: ٣٨٦) قوله:

"ويتصل بالقطيف إلى ناحية البصرة بَرٌّ مُتَّصل لا عِمارة فيه؛ أي ليس به حِصْنٌ ولا مدينة، وإنما به أخصَاْصٌ لقوم من العرب يُسَمَّون عامر ربيعة".

و الخُصُّ: بَيْتٌ من شجر أو قَصَبٍ، وقيل: الخُصّ البيت الذي يُسَقَّفُ عليه بخشبة على هيئة الأَزَجِ، والجمع أَخْصَاصٌ و خِصَاص، وقيل في جمعه خُصُوص، سمّي بذلك لأنه يُرَى ما فيه

ذُكُــــوْرُ خَــــيْلِهِمُ أُلْــــفٌ مُــــصَتَّمَةٌ

وَرَجْلُهُــمْ يُفْعِــمُ الــوَاْدِيْ إِذَاْ ازْدَحَمَــاْ

مصتمة أي تامة العدد، والرجل جمع راجل، ويفعم الوادي أي يملؤه، وأفعمت الإناء: ملأته، والضمير الذي في خيلهم ورجلهم راجع إلى عامر ربيعة لأن بعض أهل العلم ذكر عمّن تقدمه ممن أدرك زمانهم أن خيلهم الذكور كانت تبلغ ألفاً في العدد، وإناث الخيل عند العرب أكرم من ذكورها لرغبتهم في نتاجها.[٥١٥]

وَجَمْعُنَــاْ فِــيْ مِئِــيْنٍ أَرْبَــعٍ حُــصِرَتْ

عَــدًّا وَلَكِنَّهَــاْ أَعْلَــىْ الــوَرَىْ قَــدَمَاْ

من خَصاصةٍ أي فُرْجةٍ، وفي التهذيب: سمّي خُصًّا لما فيه من الخَصَاصِ، وهي التَّفارِيجُ الضيِّقةُ. (انظر لسان العرب؛ مادة «خ ص ص»).

[٥١٥] في البرنستنية:

" لأن أهل العلم ذكروا عمّن تقدمهم ممن أدرك زمانهم أن خيلهم الذّكور كانت تبلغ ألفاً في العدد، وإناث الخيل أكثر من ذكورها لرغبتهم في نتاجها"

القدم « ههنا »[٥١٦]: السابقة « والشرف »[٥١٧]؛ ذكر أهل العلم ممن أدرك قيام الأمير عبد الله بن علي رضي الله عنه[٥١٨] على القرامطة وقبائل اليمن الذين كانوا بالأحساء أن جميع القوم الذين قام بهم عليهم[٥١٩] أربعمائة رجل، وقابل[٥٢٠] بهم القرامطة، وكانوا يومئذٍ « في »[٥٢١] ثمانين أميراً من صلب أبي سعيد[٥٢٢] يركبون في التجافيف والسلاح التام، وكانت جنودهم وأهل ديوانهم في خلقٍ كثير، « وقبائل اليمن في ألوف، وعامر بن ربيعة أكثر من هؤلاء »،[٥٢٣] وكانت اليمن قد شركت عندهم[٥٢٤] في الأمر

---

[٥١٦] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية.

[٥١٧] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية.

[٥١٨] لفظ الترضية من الرضوية الأصل والبرنستنية، ولا توجد في بقية النسخ المشروحة.

[٥١٩] في البرلينية، والروسية: "الذين قام بهم على ملوك البحرين".

[٥٢٠] في البرنستنية: " وقاتل ".

[٥٢١] ما بين القوسين من البرنستنية.

[٥٢٢] أي أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي مؤسس دولة القرامطة في البحرين.

[٥٢٣] ما بين القوسين إضافة من البرلينية، والروسية.

[٥٢٤] سبق وقلت إنّ الشارح كان كثيراً ما يستخدم لفظة "عند"

من قبل قيام الأمير عبد الله بن علي بثلاث سنين، وحل عندهم القصر رجال منهم، وتَسَمى بعضهم بالأمير، وإنما شركوا في الأمر عند ضعف القرامطة وسوء تدبيرهم وهلاك خلقٍ كثير من « عامر » [525] ربيعة كانت بعثتهم القرامطة إلى أوال لينتزعوا الملك من أبي البهلول، واسمه العَوّام[526] بن محمد بن يوسف بن الزجاج، وكان قد غلب القرامطة على جزيرة أوال « من البحرين »[527] ودفع عمالهم عنها وخُطب له فيها بالأمرة، فكانت الدائرة لأبي البهلول على العسكر الذي كان ركب البحر إليه، وذلك أن جميعهم غرق بالمكان الذي بالبحر يُسَمى كَسْكُوْس أوال[528]، وكان رئيس العسكر كله رجل

بمعنى "مع" في كلامه.

[525] سقطت هذه اللفظة من الأصل والبرنستنية والطبعة الهندية، وهذا الكلام كله غير موجود في البرلينية والبريطانية، والصحيح أنهم عامر ربيعة ـ كما مرّ للتو ـ لا ربيعة، وسيذكرهم الشارح باسمهم الصحيح عامر ربيعة عند الحديث بالتفصيل عن ثورة أبي البهلول على القرامطة فيما يلي.

[526] ورد في الطبعة الهندية: " العوامر " وهو خطأ.

[527] ما بين القوسين من الطبعة الهندية.

[528] لازال هذا الموضع معروفاً حتى اليوم، وهو جزيرة صغيرة جدّاً تقع بين القطيف وجزيرة أوال إلى الشمال الشرقي من الموضع القديم المعروف بالرَّاكَة بـ ١٠ كلم داخل البحر.

يقال له بشر بن مفلح أحد العُيونيين[٥٢٩]، وكان قيام عبد الله بن علي نازلاً عليهم يحاربهم صباحاً ومساءً مدة سبع سنين حتى انتزع الدولة من القرامطة واليمن جميعاً، وملك البلاد ودفع عنها كل من كان يطمع فيها، وأبار عامر ربيعة غاية البوار، وأخذ جميع أموالهم وسبى حريمهم وذراريهم، وبعد

---

[٥٢٩] لعله بشر بن مفلح بن سُلَيْم بن الفضل بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد العُيوني. أخو سُليم بن مفلح الذي سيذكر نسبه الشارح في شرح البيت:

منا الذي لم يدع ناراً بساحته   تذكى سوى ناره للضيف إن قدما

الآتي في هذه القصيدة، وذلك لأنّ الشارح ذكر هنا أن بشراً كان قائداً لجيش القرامطة المرسل إلى أبي البهلول في بداية العقد السابع من القرن الخامس الهجري، وأخوه سُليم رحل إلى القطيف في عهد الأمير الحسن بن عبد الله بن علي الذي قتل ابن أخيه أبا سنان في نهاية العقد الثالث من القرن السادس الهجري.

ومن الجدير بالذكر هنا أنه توجد في الأحساء، ثم في قرية الشعبة منها صخرة كبيرة منفردة وسط النخيل شمال شرق القرية قريبة من بيوتها تدعى (صخرة بشر)، وربما يكون لها علاقة ما ببشر بن مفلح العُيوني هذا؛ كما يوجد في القطيف موضع قديم يسمى (البُشْري) شمال المقبرة المعروفة بالخباقة، وكان به عين ماء اتخذها الأهالي مغتسلاً لأمواتهم، وعينٌ ماءٍ أخرى في قرية الآجام تُسمى بـ(البُشْرية) أيضاً، ولا أدري إن كان لهذين الموضعين القطيفيين صلة ببشر بن مفلح أيضاً أم لا.

ذلك منَّ على الحُرَم والذراري وسيرهم إلى أرض عمان.[٥٣٠]

وما وجدت[٥٣١] في أحاديث العرب وأخبارها المدونة[٥٣٢] في الكتب في جاهلية ولا إسلام أشجع من « شبيب بن »[٥٣٣] يزيد « بن نعيم الشاري »[٥٣٤] الشيباني الخارجي ومن أصحابه، وبعد

---

[٥٣٠] وهذا يعني أنّ فلول عامر ربيعة التي دحرها عبد الله بن علي ـ كما سيذكر الشارح بعد قليل – انسحبوا نحو عُمان من غير رجعة، ولهذا أرسل عبد الله بن علي الحرم والذراري إليهم هناك.

[٥٣١] هذه أول مرّة يرد في الشرح ضمير المتكلم المستتر، وقد يكون المتكلم هنا هو نفسه الشاعر أملى هذا الكلام على راوي شعره كما أملى الكثير من الأحداث المدونة في هذا الشرح، وسوف يمر بنا في القصيدة التي أولها:

رويداً بعض نوحك يا حمام أجدك لا تنيم ولا تنام

قوله: وأجزت للراوي ... إلخ، فهذا أيضاً من كلام الشاعر.

[٥٣٢] كانت في الأصل: "المتداولة" وما أثبتناه من البرنستنية.

[٥٣٣] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية.

[٥٣٤] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، ولفظة "نعيم" تحرفت فيهن جميعاً إلى "يعم"، والمعروف في نسب شبيب أنّ جده هو نعيم بن قيس، وسبق للشارح أن نسبه كذلك في شرح القصيدة التي مطلعها:

خلياني من وطاءٍ ووسادِ

شبيب الخارجي أبو طاهر القرمطي وأصحابه، وبعد أبي طاهر وأصحابه عبد الله بن علي « العُيوني »[٥٣٥] وأهل بيته وأصحابه.

فأما شبيب فكان يجعل ثلاثين فارساً من أصحابه بإزاء ألف فارس فتكثر أصحاب شبيب فيهم القتل والجراح حتى يهزموا الألف، وكان يهزم العشرة الآلاف بالمائتين، وأكثر ما بلغت أصحاب شبيب ستمائة رجل، وكان يلقى بهم عشرين ألفاً وثلاثين ألفاً وأربعين ألفاً وخمسين ألفاً ومائة ألف وأقل وأكثر ويهزمهم، وكان قد خطب له بالخلافة في مدائن كسرى وغيرها، وخوطب بإمرة المؤمنين، واجتمعت عليه عساكر العراق والشام ولقيهم كلهم وقاتلهم « وقاتل الحجاج وعساكر العراق في خلافة بني أمية، ودخل على الحجاج بن يوسف الكوفة، فهزمه منها، وهو في مائتي فارس لا غير حتى بعث الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يستمده من عساكر الشام، فأمدهم بخلق كثير، فلقيهم جميعاً، وهمّوا بالهزيمة حتى بلغهم غرقه في الدجلة، وتحققوا ذلك، فمكثوا حتى الصباح، ورحل أصحاب شبيب تحت ليلهم، وقد تركوا شيئاً من

وسينسبه كذلك في ما يلي.

[٥٣٥] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، وقد كتبت في البرلينية والطهرانية: "العيوفى"، وهو تحريف نجت منه الروسية فقط.

أثقالهم، فغنمه أصحاب الحجاج، وغاصوا على شبيب، فاستخرجوه، وقطعوا رأسه، وشقوا بطنه، وأخرجوا فؤاده، فوزنوه، فزعموا أنه صح وزنه سبعة أرطال، وزعموا أنه كان إذا ضربوا به الأرض طفر كما تطفر المثانة المنفوخة ».[٥٣٦]

وأما أصحاب أبي طاهر القرمطي فذكر أهل العلم في كتب التواريخ أن خيله كانت تبلغ الشام والعراق ومكة وعمان، وأنه نهب البصرة ونهب الكوفة ونهب جانب بغداد الغربي، ولو لم يقطع الجسر لكان دخل الجانب الشرقي، وكان عسكره يومئذٍ ألف رجل[٥٣٧] بين فارس وراجل، ونهب الحاج،[٥٣٨] وكان في الحاج يومئذٍ عشرون أميراً تحت « يدي »[٥٣٩] كل أمير ألف فارس، وكان أمير الحاج يومئذٍ أبو الهيجاء بن حمدان، ومعه من بني تغلب ألف فارس، ومن بني شيبان ألف فارس، فحين التقاهم جيش القرمطي، وقد جعل لجيشه ميمنةً وميسرةً وقلباً، وجعل يومئذٍ أبو الهيجاء لأصحابه ميمنةً وميسرةً وقلباً، فجعل جميع الأمراء ومن تحت أيديهم ميمنةً

---

[٥٣٦] ما بين القوسين أضافة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[٥٣٧] في البرلينية والروسية والطهرانية: ذكر أنه كان في ثمانمائة فارس فقط، ولم يذكر الرجالة.

[٥٣٨] في البرلينية والروسية والطهرانية: "وأخذوا الحاج".

[٥٣٩] ما بين القوسين إضافة من البرنستنية.

وميسرةً، وجعل نفسه والألفي فارس الذين من تغلب وشيبان قلباً، وحمل بعضهم على بعض، فانهزمت ميمنة أبي الهيجاء وميسرته وهزم أبو الهيجاء والألفا فارس الذين معه قلبَ عسكر القرمطي، فحين أمعنت ميمنة أبي الهيجاء وميسرته في الهزيمة عطفت ميمنة القرمطي وميسرته على أبي الهيجاء « ومن معه »[٥٤٠]، فقتلوا منهم قتلى كثيرة، وأسروا أبا الهيجاء وجماعة من أشراف قومه تغلب وشيبان، « وأتوا به إلى البحرين »،[٥٤١] وأسروا الوزير ابن أبي الساج،[٥٤٢] « وضربوا الإتاوة على أكثر

---

[٥٤٠] ما بين القوسين من البرنستنية.

[٥٤١] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[٥٤٢] كذا ورد في الأصل، وفي البرلينية والروسية والطهرانية: "وأخذوا ابن أبي الساج؛ بعض وزراء الخليفة"، وابن أبي الساج هذا هو يوسف بن أبي الساج، ولم يكن وزيراً، وإنما كان قائد عسكر بعث به الخليفة المقتدر العباسي لمحاربة القرامطة بعد هذه الوقعة التي أسر فيها أبو الهيجاء، وقد التقى مع القرامطة في ظهر الكوفة بين الحيرة والخورنق سنة ٣١٥ للهجرة في معركة كان النصر فيها للقرامطة عليه فأسره أبو طاهر ثم قتله بعيد ذلك. انظر الجامع في أخبار القرامطة للدكتور سهيل زكار الصفحة ٤٩٧ وما بعدها، ومن المحتمل أنّ الشارح كان يعرف ذلك، ولكنه أتى به على سبيل الاختصار لأخبار أبي طاهر.

العرب ».[543]

وأما عبد الله بن علي فقام بأربعمائة رجل على القرامطة وعلى اليمن وعلى عامر ربيعة.[544]

«وكان عبد الله بن علي هو وأصحابه يقاتلون هؤلاء كلهم وينتصفون منهم في القتال، وخرج عبد الله (بن علي)[545] وحده مراراً كثيرة على عامر ربيعة كلها فهزمها، وقتل فيها وأصحابه (مشتغلون في)[546] قتال القرامطة واليمن داخل البلد، وذكروا عنه أنه طردهم يوماً حتى أخرجهم من الجرعاء كلها إلى السُّلَيْت[547]، وقلع سبعة من فرسانهم ورجع بخيلهم، وما

---

[543] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[544] في البرلينية والروسية والطهرانية: "عامر بن ربيعة".

[545] ما بين القوسين أصابه خرم في أصل البرلينية، واستدركناه من الطهرانية والروسية.

[546] ما بين القوسين أصابه خرمٌ في أصل البرلينية، واستدركناه من الطهرانية والروسية.

[547] كذا ورد في البرلينية، وتحرفت في الروسية إلى "السلبة"!، وفي الطهرانية إلى: "السلتب"، والصحيح ما في البرلينية؛ قال ياقوت الحموي في معجم البلدان في رسم السُّلَيْت:

"السُّلَيْت – بالتصغير ـ: "قرية لبني عُطارد، وهي بهدلة؟!؛ عن الحفصي، وأظنها أنا بالبحرين".

ولم يتضح لي معنى قوله: "وهي بهدلة"، وأخشى أنها تحريف جملة: "وهي بهجر"، وبنو عطارد هؤلاء هم بنو عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وبنو سعد بن زيد مناة هم أهل الأحساء التي سبق وحددتها فيما مضى، وكانت تُعرف بهم، فتسمى أحساء بني سعد، ثم غلبهم عليها القرامطة في أواخر القرن الثالث الهجري، فصارت تُعرف بأحساء القرامطة، ولكن غلبة القرامطة كانت على الإقليم ورئاسته، وأما القُرى، فهي تبقى لأهلها الذين يقطنونها من سالف الزمن ما لم يهجروها أو يُهَجَّروا منها، ولهذا كانت السُّلَيْت هذه من قرى بني سعد في الأحساء لبني عطارد بن عوف منهم؛ كما كانت قرى أحسائية أخرى لبني عمهم بني شماس بن لأي بن جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وهم الذين نزل عليهم صاحب الزنج عندما قصد الأحساء، فناصروه وشايعوه (الطبري: تاريخ الطبري ج٧: ٥٤٣).

ولازال موضعُ السُّلَيْت معروفاً حتى اليوم في واحة الأحساء، ويقع إلى الجنوب من عين الجوهرية ـ عين مدينة الأحساء القديمة ـ بمسافة كيلومترين تقريباً؛ إلى الشمال من التَّلّ المعروف اليوم باسم جبل الشبعان مذكّراً وقديماً باسم الشبعاء مؤنثاً، وكان يوجد في السابق نهرٌ يُعرف بنهر السُّليت يأخذ من عين باهلة الواقعة إلى الجنوب الغربي من السُّلَيْت، وكان يسقي هذا الموضع، فسمي باسمه.

وقد زار فيدال موضع السُّلَيْت أثناء بحثه عن آثار الأحساء، فحدد ١٦ عشر موضعاً في الواحة؛ منها موضع سمّاه بـ(الحسا ٤)، فقال عن آثار وجدها فيه ما هذه ترجمته:

زال يحاربهم جميعاً إلى مدة سبع سنوات حتى ملك البلاد»[٥٤٨] وانتزع الملك من القرامطة ومن اليمن، وخرج على عامر ربيعة فاستأصلهم جميعاً وغنم أموالهم وسبى حريمهم وذراريهم، ولم ينج من رجالهم إلا رئيسهم أحمد بن مسعر وغير أبي فراس بن الشبّاش[٥٤٩] ـ ولم يكن أبو فراس منهم، بل

"هذا الموضع، عُرِّف من قبل بعض الناس بالبُرْج الأحْمَر، ويشمل بقايا ما يبدو أنه قَصْرٌ صغير مع المساكن المحيطة به؛ على الطرف الجنوبي من آثار موضع الحسا٣ (تلال الفوليّة) إلى عين باهلة". (F. S. Vidal: ١٩٥٥. The Oasis of Al-Hasa, P. ٢٠٣)

٥٤٨ ما بين القوسين كله إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية، ولا يوجد في الأصل شيءٌ منه، وهو كذلك لم يرد في الطبعة الهندية.

٥٤٩ كتب في الرضوية الأصل هنا: "الشباس"، وفي البرنستنية: "السباش"، والتصحيح من البرلينية والروسية والطهرانية، وسوف تعود الرضوية، فتكتبه: "الشباش" لاحقاً في ذكر خبر مقتل عامر ربيعة الآتي بعد قليل.

ولم يذكر الشارح هنا ولا في الموضع القادم المشار إليه عن أبي فراس بن الشبَّاش هذا ما يمكِّننا من معرفة شيء عنه سوى قوله هنا إنه لم يكن من بني عامر ربيعة، وإنما كان نازلاً فيهم؛ كما يُفهم من ذكر خبر هروبه مع زعيم عامر ربيعة إلى البصرة أنّه ربما يكون أصله من البصرة، فالإنسان عندما ينشد الأمان يمضي إلى حيث أهله وناسه.

وقد ذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٤هـ رجلاً بصرياً سمّاه بأبي الحسن علي بن الحسين بن محمود البغدادي، وقال عنه إنه يُعرف بابن الشبَّاش، فذكر أنه توفي في هذه السنة نفسها، وذكر عنه أنه كانت له ولأبيه وعمه نعمة واسعة في البصرة وأموال كثيرة، والأهم من هذا كله ذكر أنه كانت لهذا الرجل شيعة من سواد البصرة والقرامطة والبطون المتفرقة يسرِّون طاعته ويحملون إليه ما يجرونه مجرى زكواتهم، ولعله يشير بذلك إلى الأخماس (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج١٥: ٣٣٤).

ولو تمعنا فيما قاله ابن الجوزي فإننا نجد أنّ وفاة ابن الشبّاش البصري كانت في العام ٤٤٤ للهجرة، وتاريخ هذه الوقعة هو العام ٤٧٠ للهجرة – كما سنرى لاحقا – أي أنها بعد وفاة ابن الشباش البصري بستة وعشرين سنة، وهو أمرٌ يجعلني أرجح وجود علاقة صلة نسبية بين ابن الشباش البصري وابن الشباش الحاضر لهذه الحرب في الأحساء؛ خصوصاً وأنّه يُعلم من هذا الخبر أنه كانت له مكانة عظيمة عند القرامطة، وعامر ربيعة المهزومون في هذه الحرب كانوا أعظم أنصار القرامطة بنصّ الشارح، وعليه فإنني أرجح أكثر أيضاً أنّ ابن الشباش الحاضر لهذه الحرب هو ابنُ ابن الشبّاش البصري، وأنه ما دام قد كانت لأبيه حُظوة عظيمة عند القرامطة وبطون القبائل وسواد البصرة بحيث أنهم كانوا يحملون له زكواتهم وأخماسهم، فهذا يعني أنه كانت له مكانة دينية كبيرة لديهم، وهذا الأمر جرت العادة أن تنتقل فيه الحظوة من الأب إلى الإبن سواء كان ذلك بالأهلية العلمية أو بتوصية الأب إلى ابنه، وعليه فإنني لا أجد حرجاً من القول إنّ أبا فراس بن الشباش الحاضر لهذه الحرب هو أبو فراس

كان نازلاً فيهم- هربا على فرسين لهما جوادين حتى بلغا البصرة على غاية الضر.

وَلَـمْ نَـزَلْ نَـرِدُ الْهَيْجَـاءَ يَقْـدُمُنَا

مَـاضٍ عَلَـى الْهَـوْلِ وَرَّادٌ إِذَا عَزَمَـا

أَبُـوْ عَلِـيٍّ، وَفَـضْلٌ ذُوْ النَّـدَى، وَأَبُـوْ

مُـسَيَّبٍ وَهُمَـا تَحْـتَ الْعَجَـاجِ هُمَـا

وَمِـسْعَرُ الْحَـرْبِ مَـسْعُوْدٌ إِذَا خَمَـدَتْ

وَمَاجِـدٌ وَابْـنُ فَـضْلٍ خَيْرُهَـا شِـيَمَا

الهيجاء: الحرب، وولوجها: الدخول في معتركها[550]،

بن أبي الحسن علي بن الحسين بن محمود البغدادي الأصل البصري الدار، وقد يكون هو الحسن المكنى به أبوه، ولعل حضوره مع عامر ربيعة كان في أول الأمر لتحصيل أموال زكواتهم وأخماسهم، فطلبوا منه حضور الحرب معهم، وربما كان ذلك بقصد التبرّك به والتفاؤل بوجوده معهم للنصر.

[550] يلاحظ هنا أنه شرح لفظ الولوج، ولم نجده في الأبيات الثلاثة المشروحة هنا في أصل الرضوية، وأما في البرلينية والروسية، فقد ورد فيهما: "وورودها: الدخول فيها"، ولم تذكرا

والضمير[551] راجع إلى عبد الله بن علي،[552] ومسعر الحرب: موقدها، والسعار: حرّ النار، والسعير: النار نفسها، ويسمى التنور ساعوراً لإسعار النار فيه، والسعار والسعر كالجنون، وتقول العرب: ناقةٌ مسعورة كأنها مجنونة من نشاطها، وأبو علي « هو »[553] عبد الله بن علي، وفَضْلٌ وَلَدُه،[554] وأبو مُسَيَّب وَلَدُه أيضاً، واسمه علي[555]، وهو ولده الكبير، وكان يكنّى

الولوج، فلعله قد وردت كلمة " نَلِج " بدلاً من " نَرِد " في البيت الأول منها ثم غيّرت الكلمة إلى " نَرِد " من دون أن يتم تغيير الشرح أو تعديله في أصل الرضوية، أو ربما كان ناسخها ينقل عن أكثر من نسخة، فنقل عن إحداها الأبيات، وفيها لفظة "نرد"، ونقل الشرح عن أخرى ورد فيها معنى الولوج، وفي الطبعة الهندية ما يؤيد قولنا هذا، فقد جاء فيها: " الهيجاء: الحرب، وولوجها الدخول في معركتها، وكذلك ورودها كما في بعض النسخ ورّاد وفي بعضها ولاّج." انتهى، ولكننا لم نجد في النسخ التي في أيدينا نسخةً ذكرت " نلج " أو " ولاّج ".

[551] يقصد بالضمير كلمتي ماضٍ وورّاد في البيت، وهما ليستا من الضمائر على الحقيقة.

[552] أي مؤسس الدولة العُيُونية كما سيذكر بعد قليل.

[553] ما بين القوسين زيادة من الروسية فقط.

[554] وفي البرلينية والروسية والطهرانية: "هو ابنه"، وهو الابن الثاني لمؤسس الدولة.

[555] وهذا هو علي الإبن الأكبر لمؤسس الدولة عبد الله بن

بمسيب ولدٍ له توفي بعد ملك جده البلاد « ولم يُعَقِّب،[٥٥٦] وهما هما تفخيم لفضلٍ وأخيه »[٥٥٧]، ومسعود هو مسعود بن عبد الله بن علي كان توفي قبل الملك في مدة الحرب « مات يوم

علي، وهو الذي أخذه الجيش العجمي الذي حاصر الأحساء رهينةً إلى بلاد فارس حيث وُلد له هناك ولدٌ أسماه جساساً كما سيأتي تفصيله لاحقاً في هذه القصيدة، وهو غير علي الإبن الثاني لمؤسس الدولة، والمكنى بأبي المنصور الذي صار أولاده ملوك وأمراء للأحساء من البحرين.

ويلاحظ القارئ أنّ الشاعر لم يذكر هنا علياً أبا المنصور هذا ضمن أولاد عبد الله بن علي المؤسس، وذلك لأنه لم يكن قد وُلد بعد في ذلك الحين عند قيام والده بالثورة على القرامطة.

[٥٥٦] الضمير في قوله: "لم يعقب" عائدٌ على مسيب بن علي بن عبد الله بن علي، وأما أبوه علي، فسوف يذكر الشارح فيما يلي من شرح هذه الميمية أنه ولد له ولدٌ أثناء سجنه في كرمان من جارية فارسية، وأنه سماه جساساً، وسيذكر الشارح كيف أنّ جده عبد الله بن علي بعث من تلطف فأخرج ابنه من السجن، ثم بعث من أحضر ولده جساساً إلى البحرين، وسوف يمر بنا في شرح هذه القصيدة لاحقاً أنّ جساساً هذا قد بلغ مبلغ الرجال، ولا شك أنه كانت له أملاكٌ وإقطاعات وبساتين نخل، ولعل من هذه البساتين بستان نخل كبير في جزيرة تاروت يُعرف بـ(الجساسي) كان يقع شمال قلعة تاروت وعينها بمئتي متر تقريباً، ولعله نُسِبَ إلى جَسَّاس بن علي بن عبد الله العُيوني هذا.

[٥٥٧] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية.

احترقت مَحَصَّنَةُ الشمال ولم يُعقِّب »[558]، وماجد هو ماجد بن عبد الله بن علي « قُتِل في حرب العجم[559] ولم يُعَقِّب، وبه تعرف تُرْبَة ماجد »[560]، وابن فضل يعني أبا سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي « وكان شهد الحرب »[561].

هُـــمُ بَنُـــوْهُ[562] فَــلاْ مِيْـــلٌ وَلاْ عُـــزُلُ

---

558 ما بين القوسين من البرلينية والطهرانية، ومحصّنة الشمال هذه كانت حصناً قريباً من الجرعاء التي سبق وحددت موضعها بالقرب من قلعة المحيرس شمال مدينة المبرّز، وربما بُنيت هذه الأخيرة على أطلال الأولى، ومسعود هو الابن الثالث للمؤسس.

559 سيأتي تفصيلها لاحقاً.

560 ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، ولا نعرف اليوم موضعاً في الأحساء يسمى " تربة ماجد " ولكن يوجد جنوب غرب البطالية نخل يعرف الآن بالماجدية، ولا نعرف إن كان هو " تربة ماجد " أم غيره، ولعله هي، وماجد هو الابن الرابع للمؤسس.

561 ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، وأبو سنان هو حفيد المؤسس، وأكبر أبناء ولده الفضل، وبإمكان القارئ الرجوع إلى ملحق مشجرات الأنساب في آخر الديوان للاستزادة حول أسماء أبناء المؤسس وأقاربه من العيونيين الآتي ذكرهم تباعاً.

562 قوله: "همُ بنوه" لا يعني أنّ هؤلاء الأربعة الذين ذكرهم

وَلاْ تَـــرَىْ فِـــيْهُمُ وَهْنَـــاً وَلاْ سَـــأَمَاْ

كُـــلٌّ يُعَـــدُّ لأَلْـــفٍ لاْ يَـــضِيْقُ بهَـــاْ

من أبناء الأمير عبد الله بن علي المؤسس هم كل أولاده، وإنما هؤلاء الأربعة هم الذين كانوا معه وقت قيامه على القرامطة وتأسيسه للدولة، وقد رأينا أنه مات منهم اثنان في هذه الحروب، وهما الأميران مسعود وماجد، ثم بعد أن أتم تأسيس الدولة، وبالتحديد بعد ملكه للقطيف من آل عباس الجذميين وضمها هي وأوال إلى الأحساء رزق بولده أبي المنصور علي الذي أستقل هو وأولاده بحكم الأحساء بعد موت أبيه وقتله لابن أخيه أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله، وكذلك أنجب عبد الله بن علي ثلاثة أولاد آخرين، وهم: مقلَّد والد الأمير عزيز بن مقلَّد الملقب بالتراكي، ومحمد والد الأمير هجرس بن محمد بن عبد الله اللذان – أعني عزيزاً وهجرساً – حكما القطيف بحسب كاتب النبذة التاريخية الملحقة بآخر الديوان، وآخر أولاد عبد الله المؤسس هو الأمير الحسن بن عبد الله بن علي، وهو الذي ساعد أخاه أبا المنصور علياً في الحرب التي وقعت عند واحة العُيُون من الأحساء بينهما وبين ابن أخيهما أبي سنان، فقتلاه، واستوليا على ملك القطيف وأوال منه بحيث حكم أبو المنصور الأحساء كما سبق وقلت، وتولى الأمير الحسن حكم القطيف وأوال، والأمير الحسن هذا هو صاحب النقود العُيُونية المكتشفة مؤخراً التي سُكّت باسمه في جزيرة أوال والخط أي القطيف في منتصف القرن السادس الهجري.

ذَرْعَــاً وَيُوْسِــعُهَا طَعْنَــاً إِذَا أَضِــمَا

الميل جمع أميل، وهو الذي لا يثبت على السرج، ويقال للذي ليس معه سيف أيضاً أميل، والذي ليس معه سلاح أعزل، وضاق بالشيء ذرعاً وذراعاً أي ضعف وعجز عن حمله، ويسمى المشي الذي تحرك فيه ذراعك تذريعاً، والوسع: الطاقة والجهد، وكذلك السعة، وأضِم أي غضب.[٥٦٣]

وَمَالِــكُ حِــيْنَ تَــدْعُوْهُ فَــأَيُّ فَتَــى

حَرْبٍ إِذَا مَــا الْتَقَــى الزَّحْفَـانِ فَاصْـطَدَمَا

الزحف: الجيش يزحف لقتال جيشٍ آخر،[٥٦٤] ومالك هو مالك بن بطال بن مالك بن إبراهيم « بن محمد بن إبراهيم بن محمد »[٥٦٥] العيوني أخو عبد الله بن علي « لأمِّه »[٥٦٦].

---

٥٦٣ سقط من هنا الأبيات الأربعة الآتية مع شروحها من البرنستنية.

٥٦٤ في البرلينية والطهرانية: "الزحف: الجيش يزحف إلى العدو"، وفي الروسية: "الزحف: الجيش إذا زحف إلى العدو".

٥٦٥ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية.

٥٦٦ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية.

وَمِـنْ بَنِـيْ الـشَّيْخِ عَبْـدِ اللّٰهِ كُـلُّ فَتَـىً

يُخَالُ فِيْ الـرَّوْعِ فَحْـلَ الـشَّوْلِ مُغْتَلِمَـاْ

الشول: الإبل التي قد شولت ألبانها وخفت بطونها وضروعها فارتفعت كما ترتفع كفة الميزان، وذلك بعد ما يأتي عليها سبعة أشهر من نتاجها، والمغتلم البعير الهائج.[٥٦٧]

يُنْمَـــىْ لِفَـــضْلٍ وَضَـــبَّاْرٍ[٥٦٨] وَإِخْوَتِهَـــاْ

وله ولد اسمه بطّال أيضاً سيذكره الشاعر لاحقا في هذه القصيدة، وهو ولده الأكبر، ولهذا الابن تُنسب الأسرة الأحسائية التي عُرفت فيما بعد بآل بطّال، والتي نُسبت إليهم البلدة المعروفة في الأحساء حتى الآن باسم البطالية، ومن آل بطَّال هؤلاء الأسرة المعروفة في البطالية الآن بـ(آل حَاْجّيْ)، وقد اطلعت على بعض وثائق البيع والشراء الخاصّة بهم، والتي تعود أصولها الأولى إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين ذكر فيها أنهم من آل بطّال.

[٥٦٧] ولم يذكر شيئاً عن عبد الله الشيخ المذكور في هذا البيت هنا، ولكنه سيذكر في البيتين التاليين وشرحهما ارتفاع نسبه وبعض المعلومات عن أبنائه والأسر المنتمية إليها.

[٥٦٨] كذا كتب الاسم بالرسم والتشكيل في الرضوية الأصل فقط، وأما في البرلينية والروسية والطهرانية والبريطانية والطبعة

بَنِـــيْ عَلِــيٍّ كِعَــامِرِ الخَطْــبِ إنْ هَجَمَــا

وَلَــمْ يَكُــنْ وُلْــدُ غَــسَّانٍ إذَا حَمِيَــتْ

الهندية والبريطانية٢ والقادرية والعراقية٢ والظاهرية ومنسوخة الموصلية والأزهرية فقد كُتب: "صبّار" في بيت الشعر، ولكن البرلينية ذكرته في الشرح باسم "ضبّار" بالضاد كما في الرضوية، وأما الروسية، فسمته في الشرح "ضبان" بالضاد والنون في آخره وليس الراء، وسقط في الشرح من البريطانية والطبعة الهندية، وأما في الفيضية والأحسائية، فقد جاءت قراءة الشطر الأول من هذا البيت بهذه الصورة:

ينمى إلى الفضل صَبّار وإخوته

وفي المدريدية:

ينمى إلى المجد! صبّار وإخوته

وجاء في الاستدراك على إكمال الكمال لابن ماكولا: "وأما ضبار بفتح الضاد المعجمة، وتشديد الباء المعجمة بواحدة، وآخره راء، فهو أبو الحسن علي بن المقرَّب بن منصور بن المقرَّب بن الحسن بن ضبّار بن عبد الله .. الخ" (إكمال الكمال؛ ج٥: ٢٠١ هامش رقم ٢ من طبعة دائرة المعارف العثمانية ؛ حيدر أباد الدكن)، فاتضح أنّ الصواب موافق لما في أصل الرضوية، وشرح البرلينية، ولكن سلسلة النسب هذه التي ذكرها صاحب الاستدراك ناقصة، فضبّار هو الجد الخامس للشاعر حيث سقط اسمُ ابنه عزيز بن ضبّار.

لَــوَاْقِحُ الحَــرْبِ أَنْكَاْسَــاً وَلاْ قُزُمَــاْ[569]

الأنكاس: الضعفاء، وقُزُمُ كلِّ شيء: رُذَّاله.

يعني بالشيخ عبدَ الله بن علي « بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد »[570]، وإليه ينتمي نسب العيونيين[571] أولاد

---

[569] ورد هذا البيت في البرلينية، والروسية بهذه الصورة:
ولم تكــن ولــد غــسان إذا اجتمعــت
لــواقح الحــرب أنكاســاً ولا قزمــا

٥٧٠ ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، وفيهن ورد اسمه "عبد الله بن عبد الله"، ويبدو أنّ الأصل هو عبد الله بن علي بن عبد الله، فسقط اسم عبد الله الثاني في الرضوية الأصل، وسقط اسم علي في البرلنيية والروسية والطهرانية، والأصح في نسب عبد الله الشيخ هذا ـ الذي يرجع إليه العُيونيون وغيرهم من الأسر المريّة العبدية كما سيذكر الشارح الآن – هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد العُيوني المرّي العبدي.

وقد لقَّبه الشارح هنا بالشيخ لتمييزه عن حفيده عبد الله بن علي مؤسس الدولة العُيونية، وقد أخذت أنا أيضاً بهذا التمييز في التعليقات والتوضيحات التي كتبتها وسأكتبها في الحواشي حين يتطلب الأمر ذكر ذلك، وأود أن ألفت انتباه القارئ إلى أن الشاعر علي بن المقرب هو من سلالة عبد الله بن علي الشيخ هذا كما سيأتي في الشرح نفسه هنا، وليس من سلالة عبد الله بن علي

إبراهيم بن محمد غير[٥٧٢] أولاد مالك[٥٧٣] وأولاد « عمارة بن إبراهيم »[٥٧٤] ومن ينسب إلى مسلم بن إبراهيم.[٥٧٥]

« ففضلٌ[٥٧٦] يجمع بني حَوَاريّ[٥٧٧] والمسلمين[٥٧٨] وأولاد نَصْر

المؤسس كما فهم بعض الكتاب والباحثين الذين تناولوا حياة الشاعر ودراسة آثاره.

[٥٧١] في البرلينية والروسية والطهرانية: "وهذا الأب يجمع العُيونيين كلهم".

[٥٧٢] في البرلينية، والروسية: كتب "ما خلا" بدلا من "غير" في الرضوية.

[٥٧٣] أي مالك بن إبراهيم بن محمد أخي عُمارة ومسلم الآتي ذكرهما، والذين يلتقون مع عبد الله الشيخ في جدهم المشترك إبراهيم بن محمد.

٥٧٤ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[٥٧٥] لم يذكر مسلم بن إبراهيم هذا في البرلينية، ولا في الروسية.

[٥٧٦] هو فضل بن عبد الله (الشيخ) بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد العُيوني.

[٥٧٧] وهو حواريّ بن فضل، وقد كتب الاسم في الطهرانية بكسر حرف الحاء.

[٥٧٨] كتبت في الروسية: "والمسلمتين"، وفي الطهرانية: "المسلمين!" ، وكتبت في البرلينة بغير نقط على حرفي الياء

بن شدّاد وأولاد مُنازل، وقد انقرض بنو مُنازل وبنو نصر بن شدّاد إلا رجلاً أو رجلين.

وضَبَّارُ يجمع آلَ أبي مُقَرّب[٥٧٩] وآلَ أبي يوسف.

وعليٌّ[٥٨٠] أبو عبد الله بن عليّ[٥٨١] ونُعْمان.[٥٨٢]

والنون، فكأنّ ناسخها لم يستطع قرائتها في أصله الذي ينقل عنه فرسمها رسماً، وأخشى أنها محرفة عن السُّلَميين، وهم بنو سليم بن فضل بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد، وسُليم هذا هو جد بشر وسليم ابني مفلح بن سليم العُيونيين، وبشر هو الذي رجحت أنه الذي أرسله القرامطة لمحاربة أبي البهلول العبدي في جزيرة أوال عند إعلانه الثورة عليهم في الجزيرة، وسليم أخوه هو الذي هاجر من الأحساء مغاضباً لحاكمها أبي المنصور علي بن عبد الله، فرحل إلى القطيف حالاً على الأمير أبي علي الحسن بن عبد الله، فأقطعه الظهران كما سيأتي في شروح هذه القصيدة.

[٥٧٩] وهم أسرة الشاعر.

٥٨٠ يقصد علياً أخا ضبار المذكور معه في البيت المشروح.

[٥٨١] هو عبد الله بن علي المؤسس.

[٥٨٢] وهو أخو عبد الله بن علي المؤسس، ولهما أخٌ ثالث هو الحسن بن علي جدُّ سباع بن سليمان بن الحسن، وسباع هذا كان له موقف مذكور في معركة العُيون التي وقعت بين أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي وبين عمّيه أبي المنصور علي وأبي علي الحسن، وسيذكره الشاعر فيما يلي من هذه القصيدة.

وغَسَّان[٥٨٣] يجمع أولاد هيبة وأولاد جامع النَّبْعيّ ».[٥٨٤]

تِلْكُـمْ بُنَـاةُ العُـلاْ لاْ قَـوْلُ مُنْتَحِـلٍ

كُنَّـا وَكَـاْنَ، وَلاْ بَاْعَـاً وَلاْ قَـدَمَاْ

المنتحل: المدّعي ما ليس له بأهل،[٥٨٥] والباع: الشرف، والقدم: السابقة.

سَـقَوْا صُـدُوْرَ القَنَـاْ عَـلاًّ وَقَـدْ نَهِلَـتْ

وَأَكْرَهُـوْا المَـاْرِنَ الخَطِّـيَّ فَاْنحَطَمَـاْ

العلّ: السقي بعد السقي الأول، والنهل: الريّ، والخطي:

---

٥٨٣ غسّان هو عمُّ عبد الله بن علي المؤسس، وهو غَسّان بن عبد الله (الشيخ) بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد العُيوني، وهيبةُ وجامع هما ابنا مالك النَّبْعي بن مقبل بن غسّان المذكور، وسيأتي ذكرهم مرّة أخرى في هذه القصيدة.

٥٨٤ ما بين القوسين كلّه إضافة نوعية من البرلينية والروسية والطهرانية فقط، ولا يوجد في الرضوية الأصل فيه شيءٌ، وشرح هذا البيت كلّه لم يرد في الطبعة الهندية.

٥٨٥ وفي البرلينية، والروسية: "الذي يدعي ما ليس له، وليس من أهله".

الرمح المنسوب إلى الخط، وإكراهه: شدة الطعن به، والمارن من الرماح: اللين، وانحطم: انكسر.

وَفَلَّلَ البِيْضَ فِيْ الهَامَاتِ ضَرْبُهُمُ

مِنْ بَعْدِ أَنْ أَنْهَلُوهَا فِيْ المَكَرِّ دَمَا

البيض: السيوف، وتفللها: تثلم حدودها،[٥٨٦] وإنهالها: ريُّها، والمكرّ: موضع الحرب لأنه يكرّ به فيه، والكرّة حملك الفرس على لقاء العدو.

بَزُّوا ثَمَانِيْنَ دِرْعًا مِنْ[٥٨٧] سُرَاتِهِمُ

فِيْ حَمْلَةٍ تَرَكَتْ هَامَاتِهِمْ رِمَمَا

بزوا أي سلبوا، ومنه قولهم: (من عزّ بزّ) أي من غلب سلب، وسراة القوم: خيارهم، يشير بذلك إلى وقعةٍ كانوا أوقعوها بالقرامطة ومن معهم قتلوا منهم فيها مقتلة عظيمة، ودفعوهم عن القتلى[٥٨٨]، فكان عدة المقتولين الشاكين في

---

[٥٨٦] في البرلينية، والروسية: "وتفللها: تقصّمها".

[٥٨٧] في البرلينية، والروسية: "عن".

[٥٨٨] كذا في الأصل، وفي البرنستنية: " القتل "، وأراد أنهم لم يمكنوا القرامطة ومن معهم من أخذ قتلاهم لدفنهم.

الدروع ثمانين قتيلاً، وكانت تلك الوقعة[٥٨٩] بين الشمال[٥٩٠] وبين باب يعرف في وقتنا هذا بباب الأصفر[٥٩١]، وكانت القتلى

---

[٥٨٩] في البرنستنية: " الواقعة ".

[٥٩٠] الشمال هذا ورد في الرضوية الأصل والبرنستنية والبريطانية فقط، ولم يرد في البرلينية والروسية والطهرانية، ولا يمكن أن يُراد بالشمال هنا القسم الشمالي من واحة الأحساء الذي يُسمى وفق المصطلح المحلي للواحة باسم الشمال، وأقرب الظن إلى اليقين أنّ المراد بالشمال هنا موضعٌ كان يقع بالقرب من قصر القرمطي ـ قصر قريمط الآن ـ، وقد أصبح الآن أحد أحياء البطالية، ويُعرف بالفريق الشمالي، وما يرجح هذا الظن هو أنّ الشارح ينص على أنّ هذه الوقعة كانت بين الشمال وبين باب الأصفر، ولا زال يُعرف في تلك الجهة من البطالية نهر معروف باسم نهر الأصفر، والأقرب أنه سمي بذلك لقربه من هذا الباب أو العكس، فلا يستساغ أن يكون مراد الشارح بالشمال الذي ذكره هنا المنطقةَ التي يُطلق عليها هذا الاسم في واحة الأحساء حتى الآن لضخامة هذه المنطقة واتساع أبعادها، والشارح إنما أراد أن يذكر مساحة أصغر من تلك المساحة بكثير وقعت فيها هذه الوقعة، وبما أنه ذكر أحد حدودها وهو باب الأصفر، فينبغي أن يكون الشمال المذكور قريباً منه ومن قصر القرمطي الذي كان القلعة الحصينة للقرامطة يلجئون إليها وقت الهزيمة، فيوصدون أبوابها دون مهاجميهم، وبما أنّ أحد أحياء بلدة البطالية القديمة يُعرف بالشمالي، فالأقرب أنه هو الشمال المذكور في الشرح هنا.

[٥٩١] كذا ورد في الأصول المخطوطة المشروحة التي لدينا

باستثناء البرلينية والروسية والطهرانية، فقد ورد فيهن: "عند النهر المعروف في وقتنا هذا بباب الأصفر" ولم تذكر الشمال، وسمّينه نهراً وليس باباً، ويبدو لي أنّ التسمية الصحيحة هي نهر الأصفر - وليس الأصغر كما ورد في الطبعة الهندية - وكان حتى وقت قريب يوجد شرق بلدة البطالية - التي تقوم اليوم على أنقاض مدينة الأحساء التاريخية - نهرٌ يُعرف بنهر الأصفر أو ثبر الأصفر حسب المسمى المحلي، ويبدأ هذا النهر من شرق البلدة، وعندما سألتُ بعض أهالي البطالية عن سبب تسميته بنهر الأصفر أجاب إنه منسوب إلى حاكم قديم حكم البلد كان اسمه الأصفر.

ولا زال في الأحساء مواضع تضاف إلى الأصفر مثل بحيرة الأصفر الواقعة للشرق من الواحة، وقد ذكر المؤرخون شخصاً أسموه الأصفر المنتفقي (انظر ابن الأثير حوادث سنة ٣٨٧ هـ)، وذكروا أنه هاجم القرامطة في الأحساء فتحصّنوا منه، وظل محاصراً لهم مدة من الزمان، فلعل محاصرته لهم كان عند هذا الباب من الحصن الذي عُرف فيما بعد بباب الأصفر تمييزاً له عن أبواب الحصن الأخرى كباب الحديد الذي سيمر بنا الحديث عنه في شرح الديوان هنا، ويبدو أنه نُسب إلى الأصفر أيضاً بالإضافة إلى الباب والنهر هذه البحيرة المسماة حتى الآن ببحيرة الأصفر، ومما يؤيد ذلك هو أنّ الأزهري ذكر هذه البحيرة في كتابه التهذيب، فلم يسمها ببحيرة الأصفر لأنّه أقام في المنطقة عامي ٣١٢ و٣١٣ حيث أسرته القرامطة في وقعة الهبير التي حدثت في التاريخ الأول، والأصفر المنتفقي هاجم القرامطة في العام ٣٨٧ للهجرة وما بعده، فنسبة الباب والنهر والبحيرة إليه لا شك أنها تمت فيما بعد هذا الوقت.

وإذ أوضحنا ما تقدم، فإنه ينبغي الالتفات إلى لُبْسٍ كبير وقع فيه بعض المؤرخين القدماء وبعض الباحثين المحدثين الذين استقوا منهم حول هذه الشخصية المسماة بالأصفر، ونظراً لأنّها أثرت تأثيراً ملحوظاً في المنطقة، فلا بأس لو استطردنا بتوضيح بعض هذه الملابسات عن هذا الزعيم الذي جاء إلى هذه المنطقة من جنوب العراق غازياً، فلم يكتفِ بمحاصرة حكامها من القرامطة وقطعهم عن الغزو؛ بل إنه وسم بعض المواضع فيها باسمه كبحيرة هجر الشهيرة التي صارت منذ تلك الغزوة تُعرف ببحيرة الأصفر نسبة إليه، وكذلك الحال بالنسبة لنهر الأصفر في البطالية.

لقد ذكره ابن الأثير باسم الأصفر مكتفياً باسمه فقط دون أن يذكر اسم أبيه(ابن الأثير: الكامل في التاريخ؛ ج٩: ٥٨)، إلا أنه ورد في تاريخ ابن خلدون باسم الأصغر بن أبي الحسن الثعلبي (ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون؛ ج٤: ٩١)، وهو تحريف سهل الوقوع جداً لأنّ حرفي الفاء والغين في اللغة العربية يتشابهان جداً، ولاسيما إذا وردا في وسط الكلمة كما هو الحال في اسم هذا العَلَم، وما يؤكد صحة تسميته بالأصفر كما ورد عند ابن الأثير هو أنّ المألوف والمعروف عند عرب القبائل بالمنطقة – آنذاك – أنَّ زعمائهم لا يُحَقِّرون أسمائهم ولا يستنقصونها بل كانوا يختارون لهم أسماءً مَهيْبَة أو مرعبة، ولفظ الأصغر فيه تحقير واستنقاص لرجل كان زعيم قومه بعكس لفظ الأصفر الذي كان نعتاً معروفاً لبعض مدَّعي المهدوية في الإسلام كما يقول الدكتور سهيل زكار (انظر الجامع في أخبار القرامطة؛ ج١: ٣١٣ هـ ٢) وكان أبو السرايا قائد جيش العلويين في زمن المأمون العباسي يسمِّي نفسه بـ(الأصفر بن الأصفر) (ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ

الملوك والأمم؛ ج١٠: ٨٢)، فمن الواضح أنّ لهذا الاسم صِيْتٌ عقدي، وقد رأينا للتوّ أنه كان يوجد في الأحساء أكثر من موضع منسوب إلى الأصفر يقول الأهالي إنها منسوبة إلى حاكم قديم اسمه الأصفر، وهو في رأيي الأصفر المنتفقي هذا، فالأقرب للصحة في اسمه إذاً هو الأصفر على اسم اللون المعروف.

وذكر ابن الأثير أيضاً في الموضع نفسه من تاريخه أنّ الأصفر هذا من بني المنتفق، ونسبه القاضي عبد الجبار الهمذاني المعتزلي في كتابه تثبيت دلائل النبوة عُقيليّاً (زكار: الجامع في أخبار القرامطة؛ ج١: ٣٣٠)، وليس ثمة فرق يذكر في ذلك، فالمنتفق هم بنو المنتفق بن عامر بن عُقيل، فهو عُقيلي منتفقي.

وذكر ابن الأثير في الموضع نفسه أنَّ الأصفر المنتفقي هذا جمع جمعاً كثيراً عام ٣٧٨هـ، وواقع جمعاً من القرامطة وقعة شديدة قتل فيها مُقدَّمَهم مع جمع كثير منهم، وأسر مثلهم، ثم سار إلى الأحساء فتحصن منه القرامطة، فعدل إلى القطيف فأخذ ما كان فيها من عبيدهم وأموالهم ومواشيهم وسار بها إلى البصرة (ابن الأثير: الكامل في التاريخ؛ ج٩: ٥٩ « حوادث سنة ٣٧٨هـ »)، ولكننا نجد ابن خلدون يذكر أنّ من سمّاه بالأصغر بن أبي الحسن الثعلبي استولى على الأحساء من القرامطة عام ٣٩٨هـ، وأذهب دولتهم وخطب للطائع العباسي واستقرت الدولة له ولبنيه (ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون؛ ج٤: ٩١)

وفي رأيي؛ إنّ هذا كله تخليط كبير وقع فيه ابن خلدون وأوقع به كل من أخذ عنه في مطب كبير بالنسبة لنهاية دولة القرامطة، فالذي خطب للطائع العباسي ولأبيه المطيع قبله هو زعيم القرامطة الشهير أبو علي الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجَنَّابي؛

فعل ذلك عندما ساءت العلاقات بينه وبين الدولة الفاطمية كما هو معروف؛ كما إن الخليفة الطائع توفي عام ٣٩٣ للهجرة (ابن الأثير: الكامل في التاريخ؛ ج٩: ١٧٥) أي قبل هذا العام الذي ذكر ابن خلدون خطبة الأصفر له في الأحساء بخمس سنوات؟!، ثم هاهو واضحٌ وضوح الشمس في هذا الديوان وشرحه أنّ نهاية القرامطة كانت بعد هذا التاريخ الذي حدده ابن خلدون لانتهاء الدولة القرمطية في البحرين بأكثر من خمسة عقود من الزمان حيث نرى هنا وفيما يلي أنّ الذي قضى على دولة القرامطة فعلياً وأنهاها في البحرين هي ثلاث ثورات محلية قام بها رجال من عبد القيس سكان المنطقة الأصليين أولاها ثورة أبي البهلول العبدي التي سيذكرها الشارح لاحقاً، والتي كانت في منتصف القرن الخامس الهجري في جزيرة أوال، فحرر هذه الجزيرة من ملكهم، ثم أعقبها ببضع سنوات ثورة يحي بن العبّاس الجذمي العبدي في القطيف، فاستقلّ منهم بملك القطيف، ولم يبق في ملكهم سوى الأحساء التي لم تطل بها الأيام والليالي حتى خرجت هي الأخرى من أيديهم على يد عبد الله بن علي العُيوني في العام ٤٦٩ للهجرة، وهذه التواريخ كلها بعيدة عن التاريخ الذي أعطاه ابن خلدون لنهاية دولتهم، وهو العام ٣٩٨ للهجرة.

ثم بالنسبة لاسم هذا الثائر، فالمؤكد الآن أنه الأصفر وليس الأصغر ولم يرد عند أحد غير ابن خلدون اسمُ والده الذي سمّاه مرّة أبا الحسن، ومرّة أخرى أبا الحسين (ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون؛ ج٦: ٢٩)، ثم إنه مُنْتَفِقِيٌّ عُقَيْلِيٌّ وليس ثعْلَبِيّاً أو تغْلِبيّاً كما نَسَبَ قومه في موضع آخر من تاريخه (ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون؛ ج٢ ق١: ٣١٣)، وهذا كله تخبط من ابن خلدون

والتباس وقع فيه بسبب وجود زعيمين قبليين في المشرق، وفي بلاد الرافدين بالذات حملا اسم الأصفر، وهما الأصفر المنتفقي هذا الذي هاجم القرامطة كما ذكر ابن الأثير وحاصرهم في مدينتهم الأحساء ثم كر راجعاً إلى البصرة، والثاني هو الأصفر التغلبي الذي ذكر ابن الأثير أيضاً أنه ظهر برأس العين عام ٤٣٩ للهجرة (ابن الأثير: الكامل في التاريخ؛ ج٨: ٤٦) أي بعد إيقاع الأصفر الأول بالقرامطة بأكثر من ستين سنة، وبالتالي فمن المستبعد أن يكونا شخصاً واحداً لأن الأول مُنْتَفِقِيٌّ عُقيليّ، والآخر تغلبي رَبَعيّ؛ كما إنَّ الأصفر الأول على أقل تقدير كان عمره عندما هاجم القرامطة عام ٣٧٨هـ قريباً من ثلاثين سنة، وبالتالي فلو افترضنا – جدلاً – أنه الأصفر الثاني الذي هاجم الروم عام ٤٣٩ ، فإن عمره يكون قد جاوز التسعين عاماً، ويصعب أن يكون مستعداً لمحاربة الروم هذه المحاربة الشديدة كما ذكر ابن الأثير، وبالتالي فلا مناص من القول إنهما شخصيتان لهما الاسم نفسه، ولكنّهما شخصان مختلفان، وهو ما لم ينتبه له بعض كُتّابِ التاريخ العربي، ولا سيما المغاربة منهم كابن خلدون فوقعوا في هذا المطب التاريخي، ويؤيد ما ذهبت إليه أنّ ابن خلدون نفسه قد ذكر في تاريخه من أسماه هذه المرّة بـ(الأصيغر الثعلبي)، وقال عنه إنه اعترض الحجاج عام ٣٩٤هـ عندما مَلَك الجزيرة، فوعظه قارئان كانا في الركب، فهذا الأصيغر كما ورد هنا هو نفسه الأصفر التغلبي الذي ذكره ابن الأثير وليس المنتفقي لأنّ خروجه في أرض الجزيرة وهي بلاد تغلب وليس في أرض المنتفق، وقد تحرف اسمه عند ابن خلدون إلى الأصيغر أو الأصغر فيما مضى، وتصحف نسبه التغلبي إلى الثعلبي، وكثيراً ما يكون هذا التصحيف في هذه النسبة، فقد وقعت في تاريخ ابن خلدون

من النهر المعروف بالخندق إلى الباب.[٥٩٢]

وَكَـمْ لَهُـمْ مِثْلِهَـا لَـمْ تُبْـقِ بَاقِيَـةً

إلاّ الزَّعَـانِفَ وَالأَطْفَـالَ وَالحُرَمَـا

الزعانف من الناس أراذلهم مأخوذ من زعانف الأديم، وهي أطرافه مثل الأظلاف والآذان وما لا خير فيه، والزعانف أيضاً فلوس السمك، والحرم: النساء.

لرجال تغلبيين شهيرين مثل مالك بن طوق التغلبي وحمدان بن حمدون التغلبي والد سيف الدولة، وغيرهم، وكذلك وقع هذا التصحيف في كتب تاريخية أخرى، وهو تصحيف قلما خلت منه كتب التاريخ المعتبرة، وقول ابن خلدون عن هذا الذي سمّاه بالأصيغر إنه مَلَكَ الجزيرة يتفق مع ما أورده ابن الأثير فيما مضى من أنّ الأصفر التغلبي قد ظهر في رأس العين وهي أهم بلدان الجزيرة، وكانت الجزيرة الفراتية من بلاد تغلب في تلك الأزمان هي والموصل وحران ونصيبين، ومنها كانت أشهر البيوتات التغلبية كآل حمدان وآل حبيب، وهو ما يؤيد كون الأصفر تغلبياً لا ثعلبياً، وبالتالي فالأصفر أصفران؛ الأصفر المنتفقي، وهو منسوب إلى المنتفق بن عامر بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القيسية، والأصفر التغلبي، وهو منسوب إلى قبيلة تغلب ابنة وائل الربعية، والأصفر الأول منهما هو صاحب القرامطة والذي أوقع بهم، وأما الثاني فلا دخل له بهم.

[٥٩٢] لا نعرف نهراً في وقتنا هذا يُسمى بنهر الخندق.

فَسَلَّمَ الأمرَ أَهْلُ الأمرِ وَانْتَزَحُوْا

عَنْ سَوْرَةِ المُلْكِ لا زُهْدَاً وَلا كَرَمَا

يعني بالأمر هاهنا الملك، والسَّوْرَة: المنزلة، قال الشاعر:[593]

ألم تــرَ أن الله أعطـاك ســورةً　　　تـرى كـل ملـك دونهـا يتذبـذب

وأهل الأمر يعني أهل المملكة.[594]

يقول: إنهم لم يتركوا لنا الملك سخاءً منهم ولا زهداً في الدنيا،[595] وإنما تركوه لنا كرهاً منهم لما رأوا من نجدتنا وشدة بأسنا.

وَأَصْبَحَتْ آلُ عَبْدِ القَيْسِ قَدْ ثَلِجَتْ

صُدُوْرُهَا، فَتَرَىْ المَوْتُوْرَ مُبْتَسِمَاْ

عبد القيس قبيلة عظيمة تجمع قبائل عِدّة، وهي أحد أرحاء العرب[596] « لأن أرحاء العرب سِتٌّ، فمن ربيعة بن نزار عبد

---

[593] هو النابغة الذبياني.

[594] في البرلينية، والروسية: "وأهل الأمر: أهل بيت الملك".

[595] في البرلينية، والروسية: "ولا زهادة فيه، ولا سخاءً منهم".

[596] وردت في الطبعة الهندية: "أرجاء العرب" وهو خطأ،

والصحيح ما في الأصل هنا، والأرحاء من القبائل هي كل قبيلة استغنت عن غيرها واستقلت بنفسها.

وعبد القيس هي القبيلة العربية العريقة الشهيرة التي مدح الله إسلامها في قرآن يُتلى إلى قيام الساعة، وهو قوله تعالى:

﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾؛ إذ ذكر كثير من المفسرين أنّ المراد بالذين أسلموا في الأرض طوعاً الأنصار وعبد القيس (انظر ابن أبي حاتم الرازي: تفسير ابن أبي حاتم ج٢: ٦٩٦، والسيوطي: الدرّ المنثور ج٢: ٤٨)؛ كما ورد في مدحهم على لسان الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم – أحاديث صحيحة مثل قوله: ﴿ خير أهل المشرق عبد القيس ﴾ (الإمام أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٤: ٢٠٦).

وقد ورد اسمُ هذه القبيلة برسم « عبد قيسن » في نقش عبدان الكبير المؤرخ بالعام ٣٦٠ للميلاد، والجملة التي ورد فيها اسم هذه القبيلة في هذا النقش الضخم باللسان الحميري هي قوله: "وعشرتن عبدقيسن بسين على مو بأرن سجه"، ويعني باللغة العربية الفُصحى: "وعشيرة عبد القيس بالسِّيْ على ماء بئر سجا"، والسِّي فلاة بريّة تقع شرق مكة ما بين ذات عرق إلى وجرة (ياقوت: معجم البلدان ج٣: ٣٠١)، ويشكل سهل ركبة الواسع الآن جزءاً من فلاة السّيْ، وبئر سَجَا بئرٌ عادِيٌّ قديم مشهور لا زال معروفاً حتى يومنا هذا، ويقع جنوب غرب مدينة عفيف بأربعين كيلومتراً؛ يمر به الطريق الخارج منها إلى الطائف (سعد بن جنيدل: معجم عالية نجد؛ رسم « سجا »)

وأما عبد القيس والد القبيلة، فهو باتفاق معظم النسابين: عَبْدُ القَيْسِ بنُ أَفْصَىْ بنِ دُعْمِيّ بنِ جَدِيْلَةْ بنِ أَسَدْ بن رَبِيْعَةْ بن نَزارْ بن مَعَدِّ بن عَدْنانْ، وسُمّي بهذا الاسم تعبيداً لصَنَمٍ عبده العرب من قديم الزمان اسمه (قيس) أو (القَيْس)، ففي معاهد التنصيص: "والقيس في اللغة: الشِّدَّة، وقيل: القيس اسم صنم" (العباسي: معاهد التنصيص ج١: ١٠).

وقد عُثِرَ على اسم هذا الصَّنم في نَقْشٍ لأحد الأضرحة المنحوتة في جبال مدائن صالح (الحجر) يعود إلى السنة الأولى قبل الميلاد، وصاحبه رجلٌ اسمه كما ورد في النقش: عائذ بن كهيل بن القسي، وفي هذا النقش وردت عِبارة تقول: "ولعَنَ ذو الشَّرى ومَنَاةُ وقيسُ كل من يبيع هذا القبر أو يشتريه أو يرهنه أو يهبه أو يؤجره أو ينقش عليه شيئاً آخر أو يدفنُ فيه أحداً إلا الذين كُتبتْ أسماؤُهم أعلاه" (جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام؛ الصفحات ١٠٨ – ١٠٩).

ومن المرجّح أنّ عبد القيس والد القبيلة هو من رجالات القرن الثاني الميلادي، فقد ذكر أبو المنذر هشام الكلبي أنّ معد بن عدنان كان في زمن عيسى بن مريم (ابن حجر؛ فتح الباري ج٦: ٣٩١ – ٣٩٢)، ومعد بن عدنان هو الجد السادس في سلسلة نسب عبد القيس، ولأنّ النسابة يرون أنّ القرن من الزمان في العادة يكون فيه أربعة آباء متسلسلين، فهذا يعني – إن صحّ ما قلته – أنّ عبد القيس هو تقريباً من رجالات القرن الثاني الميلادي، وأما الحديث عن هذه القبيلة وتاريخها وبطونها وأعلامها، فهو مما لا يتسع المجال للبحث فيه هنا، ولعل الله يوفقني لإخراج ذلك في بحث طويل عن هذه القبيلة أعمل عليه حالياً.

القيس بن أَفْصَى بن دُعْمِيٍّ بن جَدِيْلَة بن أَسَد بن رَبِيْعَة بن نِزَاْر، وبكر بن وائل، ومن مضر تميم بن مُرٍّ بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر، وأسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار، ومن قحطان طيّ بن أدد، وكلب بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة في قول من يقول أن قُضاعة من قحطان.[٥٩٧]

---

[٥٩٧] لأبي عبيدة في كتابه المفقود (التاج) كلامٌ نادر غاية في الأهمية عن أرحاء العرب وجماجمها احتفظ به لنا ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد، وكذلك الحازمي في عجالة المبتدي وفضالة المنتهي، ومنه يتضح أنّ عبد القيس كانت تُعدُّ ليس من أرحاء قبائل العرب فقط؛ بل ومن جماجمها أيضاً، وهو فخرٌ لم تظفر به قبيلة سواها وسوى تميم، ولهذا أحببت أن أدون هذا النص هنا لمناسبته لهذا الموضع من الديوان، ولأنه يبين عظمة هذه القبيلة عبد القيس، وهو كما يلي:

"قال أبو عُبيدة في التَاج: كانت أَرْحاء العَرَب سِتَاً وجَماجمها ثمانياً، فالأرحاء الست، بمُضَر منها اثنتان، ولرَبيعة اثنتان. ولليمن اثنتان؛ واللتان في مضَر تَميم بن مُرّ وأسد بن خُزَيمة، واللتان في اليمنِ كَلْب ابن وَبْرة وطيئ بن أدد، وإنما سُميت هذه أَرْحاء لأنها أَحْرزت دوراً ومِياهاً لم يكن للعرب مثلُها. ولم تَبْرح من أَوْطانها ودَارت في دورها كالأرْحاء على أَقْطابها، إلأ أَنْ يَنتجع بعضها في البُرَحاء وعامَ الجَدْب، وذلك قليلٌ منهم. وقيل للجَماجم جماجم لأنها يَتفرع من كلّ وَاحدة منها قبائل اكتفت بأسمائها دون

الانتساب إليها، فصارت كأنها جَسَد قائم وكلّ عُضْو منها مُكْتَفٍ باسمه مَعْروف بمَوْضعه، والجماجمُ ثمانٍ: فاثنتان منها في اليَمن، واثنتان في رَبيعة، وَأَرْبع في مُضرَ. فالأربع التي في مُضر: اثنتان في قَيْس واثنتان في خِنْدف، ففي قَيْس: غَطَفان وهَوَازن، وفي خِنْدف: كنانة وتَميم، واللتان في رَبيعة: بكر ابن وائل، وعبدُ القَيْس بن أفصىَ، واللتان في اليمن: مَذحج، وهو مالك بن أدد ابن زَيْد بن كَهلان بن سَبَأ، وقُضاعة بن مالك بن زيد بن مالك بن حِمْير بن سبأ".

ثم مثل لذلك بقوله:

"ألا تَرَى أن بَكْراً وَتَغْلِب ابني وائل قبيلتان مُتكافِئتان في القدر والعَدد فلم يَكُنْ في تَغْلِب رجال شُهِرَت أسماؤهم حتى انتُسِب إليهم واستجزئ بهم عن تَغْلِب، فإذا سألتَ الرجلَ من بني تَغْلب لم يَسْتَجْزِئ حتى يقول تَغْلَبي. ولبَكْر رجالٌ قد اشتَهرت أسماؤهم حتى كانت مثلَ بكر، فمنها شَيبان وعِجْل ويشْكُر وقَيْس وحنيفة وذُهْل، ومثلُ ذلك عبد القَيْس، ألا ترى أن عَنَزة فوقها في النّسب ليس بينها وبين رَبيعة إلا أَبٌ واحد، عَنَزة بن أسد بن ربيعة فلا يَسْتجزئ الرِجلُ منهم إذا سُئل أن يقول عَنَزِيّ؛ والرجل من عبد القَيْس يُنْسب شَيبانيًاَ وجَرْمِيًّاَ وبَكْرِيًّاَ" (انظر ابن عبد ربه: العقد الفريد؛ ط. دار الكتب العلمية ١٩٨٣؛ الصفحات ٢٨٩ – ٢٩٠)

ويلاحظ وقوع الخطأ في قوله: "والرجل من عبد القيس يُنسب شيبانياً وجرمياً وبكريا"، وصحته: "والرجل من عبد القيس يُنسب شَنِّيّاً وجَذَمِيًّاَ ونُكْرِيًّاَ" نسبة إلى شن بن أفصى بن عبد القيس وجذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن

وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، ونكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس.

كما يلاحظ في هذا النصّ أيضاً أنه سقط منه ذكر رحيي ربيعة، وهما بكر بن وائل وعبد القيس، وهو ما احتفظ به نص الحازمي المشابه لهذا النص، فقد جاء فيه:

"أمَّا الأرحاء من العرب فستّ، والجماجم تسع، وسائر العرب قبائل وعمائر ليست بأرحاء ولا جماجم، فأما الأرحاء من ربيعة: فبكر بن وائل، وعبد القيس، ومن مضر تميم، وأسد، ومن اليمن كلبٌ وطّيء. وإنَّما سمِّيت أرحاء لفضل قوَّتها وعددها على سائر العرب، ولأنها حمت دوراً ومياهاً ومرابع لم يكن للعرب مثلها فدارت في دورها دور الرَّحى على أقطابها، لا تفارق دورها طلباً للنَّجعة وإنما تردَّدُ فيها كدور الرَّحى، ولم يكن لقيس رحىً لضيق دارها، وأمَّا الجماجم فاثنتان في ربيعة، وأربع في مضر، وثلاث في اليمن؛ فجماجم مضر: غطفان بن سعد قيس عيلان، وهوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وتميم بن مرّ بن أُد بن طابخة بن إلياس بن مضر، وكنانة بن مدركة بن خزيمة بن إلياس بن مضر، وجماجم ربيعة: بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دعميّ بن جديلة ابن أسد بن ربيعة، وعبد القيس بن أفصى بن دعميّ، وجماجم اليمن: مذحج واسمه مالك بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، والأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أُدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأسمه يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وقضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ" (انظر محمد بن موسى

وقوله: "ثلجت صدورها" أي بردت مأخوذٌ من الثلج »[598] أي ذهب ما كان بها من الغيظ والكرب، والموتور الذي له الوتر عند غيره، وهو الحقد، والابتسام: الضحك لأن من بلغ إلى أخذ ثأره فرح وابتهج وسرّ فضحك، والضحك من السرور والفرح.

ثُمَّ انْتَحَيْنَا لِـ (عَـوْفٍ) بَعْـدَمَا وَرِمَـتْ

أُنُوفُهَـــا، فَفَشَـــشْنَا ذَلِـــكَ الوَرَمَـــا

انتحينا أي قصدنا، وعوف: قبيلة[599]، « وهي بيت عامر ربيعة »[600]، وهو عوف بن عامر بن ربيعة بن عامر بن

الحازمي: عجالة المبتدي وفضالة المنتهي؛ نسخة مخطوطة بمكتبة جامعة الملك سعود تحت الرقم « ٩٢٩؛ع.ح »؛ الصفحة الثانية).

٥٩٨ ما بين القوسين إضافة من البرلينية، والروسية.

٥٩٩ وفي البرنستنية: " وعوف قبيلة عامر ربيعة، وهو عوف بن عامر بن ربيعة، وكانوا أهل خفارة البحرين".

٦٠٠ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية، ويقصد بالبيت الرئاسة، وكان ذلك قبل أن تبرز عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة التي صار لها فيما بعد رئاسة عامر بن صعصعة.

صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، وكانوا أهل خفارة البحرين، وورمت أنف فلان أي تجبر وتعظم، يقال: ورم فلان بأنفه توريماً إذا شمخ وتجبر، وورم أنف فلان أي امتلأ غيظاً، قال الشاعر:[٦٠١]

.... ولا يهـاج إذا مـا أنفـه ورمـا

أي لا يكلم عند الغضب، وفششنا مأخوذ من فششت السقاء أي أخرجت ما فيه من الريح، ويقال للغضبان لأفشَّنَّك[٦٠٢] فشّ الوطب.[٦٠٣]

دُسْـناهُمُ دَوْسَـةً (مُرِّيَـةً)[٦٠٤] جَمَعَـتْ

أشْـلاهُمُ وَضِـبَاْعَ الجَـوِّ وَالرَّخَمَـاْ

---

[٦٠١] وهو في اللسان غير معرف ايضاً.

[٦٠٢] كانت في الأصل: " لأفششنك " واخترنا قراءة البرنستنية لتوافقها مع ما في اللسان.

[٦٠٣] جاء هذا الشرح في الطبعة الهندية مختصراً جداً ومخلاً، ولم تذكر نسب قبيلة عوف بن عامر.

[٦٠٤] في البريطانية والأحسائية والمدريدية والأزهرية: "مُرّية"؛ كما في الأصل هنا، وفي البرلينية والروسية والطهرانية: "مبرية!" وفي البرنستنية: "مرِّيسَةً!"، وفي الطبعة الهندية: "جرميّة".

الأشلاء: الجثث، وشلو فريسة السبع: جلده وعظامه، وأشلاء اللجام: سيوره وحديده[605]، والضباع معروفة، والرخم جمع رخمة، وهي طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة، ويقال له الأنوق.

يقول: إنا قتلناهم فاجتمعت الضباع والرخم على جثثهم لتأكل من لحومهم، ومُرية منسوبة إلى مرّة بن ذهل بن شيبان.[606]

---

[605] وفي اللسان مادة (ش ل ا): وأشلاء اللجام: حدائده بلا سيور.

[606] كذا ورد في الأصل نسبة مرية إلى مرة بن ذهل بن شيبان، وهذه الجملة غير موجودة في البرلينية والروسية والطهرانية والبريطانية والبرنستنية، ومن الواضح أن هذا الكلام حول هذه النسبة ليس من كلام الشارح الأصلي، وأنها من أحد غيره، وقد يصح هذا الكلام على اعتبار أنّ مرّة بن ذهل من ربيعة التي لطالما افتخر بها الشاعر، فهو يشبه حملتهم على أعدائهم بحملات بني مُرّة بن ذهل المشهورة في تاريخ العرب؛ إلا أنني أرى أنّ من حق هذه النسبة أن تكون إلى مُرّة بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وهي القبيلة التي انحدر منها العُيونيون كما أوضحتُ ذلك في تعليقي على أحد أبيات القصيدة التي أولها:

إليكن عني فانصرفن على مهل ... فلست بمرتاع لهجرِ ولا وصل

فراجعه هناك.

لَـمْ يَـنْجُ غَيْـرُ رَئِـيْسِ القَـوْمِ تَحْمِلُـهُ

خَيْفَانَـةٌ كَظَلِـيْمٍ رِيْـحَ تَحْـتَ سَـمَا[٦٠٧]

الخيفانة: الفرس الخفيفة شبّهت بالجرادة في خفتها، والظليم: ذكر النعام، وريح من الرياح، يقول: هبّت له ريح تحت سماء، والسماء: المطر، « وجمعه سَمِيّ، قال الزاجر[٦٠٨]:

تَلفُّـــه الرّيـــاح والــــسَمِيُّ ....

يعني هَبَّت له الرّياح تحت مَطَرٍ، وذلك أشدُّ لعَدْوِه »[٦٠٩] وأعظم لجريه، ورئيس القوم يعني أحمد بن مسعر « رئيس عامر ربيعة »[٦١٠].

ثُــمَّ انْثَنَيْنَــا بجُـرْدِ الخَيْـلِ نُجْنِبُهَـا

نَقَائِــذاً، وَأَفَأْنَــا الــسَّبْيَ وَالنَّعَمَــا

---

[٦٠٧] هذا البيت وشرحه بعده لم يردا في الطبعة الهندية.

٦٠٨ هو رؤبة بن العجاج. انظر لسان العرب مادة (سما).

٦٠٩ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية، وفي البرنستنية: " وذلك أسرع له وأعظم لجريه."

٦١٠ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية، وهذه الأخيرة سقط منها بعض الأوراق هنا.

انثنينا أي رجعنا، وجرد الخيل أي قصار الشعر منها، ونجنبها من الجنب، وهو قودها عند الرواحل، والنقائذ ما استنقذته من يد العدو أي أخذته، وأفأنا من الفيء ومن المغنم، والسبي ما يغنم من النساء والذراري، والنعم: المال كلّه يجمع الإبل والبقر والغنم.

حديث ملك عبد الله بن علي البلاد
وهلاك عامر ربيعة
ومكاتبة الديوان السلطاني.[٦١١]

---

[٦١١] هذا الخبر والأخبار التي تليه إلى ما قبل قوله:

وسل بقاروت هل فازت كتائبه ... لما أتتنا وهل كنّا لها غنما

كلها أسقط عمداً من الطبعة الهندية، وجاء عوضاً عنه خمسة أسطر فقط هي كالتالي: "والأمير يومئذٍ نظام الدين، وغاية المرام في هذه الوقائع إذلال القرامطة وخروجهم من الأحساء وجميع بلدان البحرين، وموت سننهم الفاسدة، وذلك لمّا طالت الحرب بين عبد الله وبين القرامطة واليمن وعامر ابن ربيعة بعث السلطان إليه من الجند سبعة آلاف فارس، وسار بهم الملقب بأرتق، وكان ما تجده في مطوّلات الكتب من التواريخ، ولا حاجة إليه هنا".

فمن الواضح من هذا الكلام أنّ القائمين على نشر الطبعة الهندية قاموا بحذف هذه الأخبار النادرة المثبتة في طبعتنا هنا عن عمد، ومن العجيب اعتذارهم عن حذفها بأنها موجودة في مطولات الكتب من التواريخ، وليتهم إذ فعلوا ذلك دلّونا على مطولات الكتب التاريخية هذه التي زعموا أنها ذكرت هذه الأحداث، وعلى الخصوص الخبر المتعلق بهلاك عامر ربيعة ونهاية

وذلك أنه لما طالت الحرب بين عبد الله بن علي وبين القرامطة و «من معها من قبائل»[612] اليمن وعامر ربيعة «وبلغت ستّ سنين»[613] بعث « عبد الله بن علي في السَّنة السادسة رسله إلى الديوان السلطاني، والسُّلطان يومئذٍ جلال الدولة ملك شاه بن بويه[614]، والوزير يومئذٍ نظام الملك[615]،

القرامطة، وحتى لو كان هذا الذي حذفوه هو بالفعل محفوظ في كتب التواريخ المطوَّلة لما ساغ لهم أن يفعلوا فعلتهم تلك بل إن الأمانة العلمية تفرض عليهم نقل ما يجدوه مما هم بصدد تحقيقه ونشره خصوصاً وأنّ فيه أخبار هامة حول هذا القطر المنسي في التاريخ الإسلامي علماً أنّ تصرفهم هذا قد تكرر في غير موضع.

[612] ما بين القوسين زيادة من البرلينية، والروسية.

٦١٣ ما بين القوسين من البرلينية، والروسية.

[614] كذا كتب الاسم الأخير في الرضوية الأصل والبرنستنية والروسية: "ملك شاه بن بويه"، وفي البرلينية: "ملك شاه بن بابويه"، وكلها غير صحيح، لأن البويهيين قد سقطت دولتهم آنذاك، والصحيح أنه السلطان جلال الدولة أبو الفتح ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي، المولود في التاسع من جمادى الأول سنة ٤٤٧ للهجرة والمتوفى في السادس عشر من شوال لعام ٤٨٥ للهجرة، وكان قد تولى الملك بعد موت أبيه سنة ٤٦٥ للهجرة. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان والبداية والنهاية لابن كثير.

وسيذكر الشارح بعد قليل أنّ الجيش الذي أمر بتسييره هذا الملك إلى الأحساء وصل إليها في العام ٤٦٩ للهجرة، فإذا كان

وشرح أحواله وأحوال القرامطة، وأنه يريد أن يقيم الدعوة العباسية والجلالية، ويظهر لها الخطبة بالأحساء، ويميت سنن القرامطة فأجابوه إلى ذلك »[616] وبعث السلطان إليه من الجند[617] سبعة آلاف فارس من العجم، وسار بهم أكسك[618] سلاّر

هذا العام هو العام نفسه الذي راسل فيه عبد الله بن علي ديوان الخلافة بعد ست سنوات من بدء ثورته على القرامطة، فيكون تاريخ بدء ثورته عليهم في العام ٤٦٣ للهجرة.

[615] هو الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس، أبو علي الوزير، وزر للملك ألب أرسلان وولده ملكشاه السلجوقيين ثلاثين سنة، كان من خيار الوزراء. ولد بطرسوس سنة ثمان وأربعمائة، وتوفي سنة ٤٨٥ للهجرة. انظر تاريخ ابن كثير حوادث هذه السنة.

[616] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية وهو موجود في النسخة الرضوية مع بعض الخلاف إلا أنه جُعل كالعنوان لما يأتي بعده من كلام.

[617] في البرلينية، والروسية: "الخيل" بدلاً من "الجند".

[618] كذا كتب هذا الاسم في الأصول الأربعة التي ورد فيها هذا الخبر، وهي الرضوية الأصل والبرلينية والروسية والبرنستنية، ولكن ابن خلكان نسبه على أنه أُرْتُق بن أَكْسُبْ بالكاف والباء (وفيات الأعيان ج١: ١٩١)؛ إلا أنّ أبا الفداء يرى أنّ أكسك – كما كتبه شارح الديوان المقرَّبي – هو الأصح وليس أكسب (أبو الفداء: تاريخ البشر؛ المطبعة الحسينية بمصر؛ الصفحة ٢١٩)، وذكر ابن خلكان عنه أنه جدُّ الملوك الأرتقية، وقال عنه أيضاً إنه

الملقب أُرْتُقْ بك مقطع[٦١٩] حُلْوان « وأكوارها »[٦٢٠]، وفي نفسه يومئذٍ من القطيف وما جرى لكجكينا[٦٢١] من ملك القطيف يحيى بن عباس،[٦٢٢] ونَهْبِ معسكرِه، ورجوعه كما لا يهوى «وكما لا يحب»[٦٢٣]، ونزل في طريقه البصرة[٦٢٤] فخسف بها

كان رجلاً من التركمان تغلب على حُلوان والجبل، وتوفي سنة ٤٨٤ للهجرة.

ويلاحظ أن الشارح هنا أسماه اكسك سلار، وذكر أن لقبه أُرتُق بك مقطع حُلوان في حين إن ابن خلكان ذكر أن اسمه أرتق، وأن اكسك أو اكسب هو أبوه، ولكن ابن خلكان لم يذكر اسم سلار الذي ذكره شارح الديوان المقربي.

٦١٩ في الروسية وردت جملة "حاكم حلوان" بدلاً من "مقطع حلوان"، ومعنى الجملتين واحد تقريباً.

٦٢٠ ما بين القوسين زيادة من البرلينية، والروسية.

٦٢١ سوف يورد الشارح خبر هذا القائد العباسي فيما يلي.

٦٢٢ كذا ورد هذا الاسم في أصل الرضوية هنا، وهو كذلك في البرلينية والبرنستنية، ولم يرد في البريطانية في هذا الموضع، ولكنّه ورد في الروسية "عياس"، وهو يعيدنا إلى الاسم "عياش" الذي كتب بهذا الرسم في أكثر من موضع من الطبعة الهندية، ولا يوجد ما يجعلنا نقطع بأيهما أصح (عياش) أو (عباس) في اسم جد هذه الأسرة القطيفية التي حكمت القطيف وأوال.

٦٢٣ ما بين القوسين زيادة من البرلينية، والروسية.

٦٢٤ في البرنستنية: " بالبصرة "، وفي الروسية: "ونزل في مسيره

أصحابه ونهبوا ورعوا ما مرّوا به من زروعها، وغلقت الأسواق فيها والدروب، وسدّت أبواب الدور، وأقاموا ثلاثة أيام لا يخرجون عن[٦٢٥] الماء، فخرج إليه منهم مَن خاطبه على فعله وسأله الرجوع إلى ما هو الأليق به، فقال: ما يمكن[٦٢٦] المسير إلى الأحساء وتلك الأعمال إلا أن تعطوني على ما عندي ألف جمل وخمسمائة راوية وخمسمائة ألف منّاً دقيقاً، ومثلها شعيراً، ومثلها تمراً ، وعشرة آلاف دينار أفرقها بين أصحابي، فأعطي من ذلك ما قنع به، واستنزل عن الباقي، «وسار من البصرة »[٦٢٧] في رجب، وقال أبتدئ بالقطيف، فلما

في البصرة"، والضمير المستتر في الفعل الماضي: "نزل" يعود لأكسك سلار.

[٦٢٥] كذا وردت هذه الجملة في أصل الرضوية، وفي البرلينية: "لا يخرجون من الماء" وهي قريبة جداً من الرضوية، وفي البرنستنية: " لا يخرجون يسقون من الماء، وفي ."الروسية: "لا يخرجون إلى الماء" فالضمير في يخرجون يعود إلى أهل البصرة في البرنستنية والروسية؛ في حين أنه في الأصل والبرلينية يعود إلى أصحاب اكسك سلار، وهذه من المواضع القليلة التي خالفت فيها النسخة الروسية النسخةَ البرلينية.

[٦٢٦] في البرلينية، والروسية: "ما يمكنني" بدلاً منها.

[٦٢٧] كانت في الأصل: "وسار منها"، وما بين القوسين من الروسية فقط، ولم يُذكر في البرلينية، ولكن وضع موضعه فيها علامة الاستدراك الهامشية؛ إلا أنّ خرماً أصاب الصفحة، فذهب

وصلها وجد يحيي بن عباس[٦٢٨] صاحبها قد أخلاها وانتقل إلى جزيرة أوال، فسار إلى الأحساء، فنهب ما ظفر به، وحاصرها مع عبد الله بن علي العُيوني، وصار يغزوا العرب ويأخذهم حتى بعدت « العرب »[٦٢٩] عنهم وانهزمت عامر بن ربيعة[٦٣٠] لما علموا بوصوله، فلما مضت له مدة على الحصار راسلته القرامطة واليمن على مالٍ كثير أنهم يدفعونه إليه، فقبل ذلك منهم، وهم قد امتنعوا منه وقلّ عليهم[٦٣١] الزاد، وما بقوا يجدون غير التمر والسّمك، وهو غالب أقوات أهل البحرين، واللحم ارتفع عنهم، وفنيت البقر، والحنطة في ذلك الوقت قليلة، لانقطاع زرعها، ولذلك قبل المال على أنه[٦٣٢] يندفع عنهم ويمهلهم مقدار شهر أو أقل ليتفسحوا

التصحيح معه فيما يبدو.

[٦٢٨] هنا كتب: "عباس" في جميع النسخ المشروحة بما فيها الروسية.

[٦٢٩] ما بين القوسين من البرنستنية.

[٦٣٠] في البرنستنية: " عامر ربيعة " وكلاهما صحيح، وسبق التعريف بهم، وأنهم بنو عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

[٦٣١] في البرلينية، والروسية: "عليه"، وكلاهما صحيح، فالضمير في لفظة: "عليهم" أعلاه يعود على أكسك سلار وجنده.

[٦٣٢] جاء في البرنستنية هنا بعد هذه الكلمة جملة: " للدولة العباسية " وسبب ذلك أنه قد حصل انزياح لسياق الكلام هنا

ويطمئنوا ويتشاغلوا بتقسيط المال على من له ضيعة وملك ومعيشة، وسلموا إليه رهناً على ذلك ثلاثة عشر رجلاً منهم على ذلك، فرحل أكسك سلاّر يومئذٍ[٦٣٣] عنهم « ونزل بعيداً عن البلد ينتظر دفع المال إليه »[٦٣٤]، فخرجوا إلى أمكنة لهم كانوا يجعلون بها[٦٣٥] الطعام ـ لما خافوا وما بقوا يقدرون على رفعه « لمّا دهمهم العسكر، وهو في »[٦٣٦] آبار ومغارات ومكانات خافية غامضة في بساتينهم، « فاحتملوه »[٦٣٧] إلى البلد وتقوّوا به[٦٣٨]، وعرف أكسك سلاّر ذلك منهم، فعلم

فانتقل جزءٌ جيد من الكلام من قوله " على أنه " إلى قوله: " الدولة العباسية " كما سيأتي هنا ليتداخل مع شرح البيت:

منا الذي جاد إيثاراً بما ملكت كفّاه لا يد يجزيها ولا رحما

مسبباً بعض الإرباك.

[٦٣٣] في البرلينية، والروسية: "حينئذٍ".

٦٣٤ ما بين القوسين زيادة من البرلينية، والروسية.

[٦٣٥] في البرلينية، الروسية: "فيها".

[٦٣٦] ما بين القوسين إضافة من الروسية فقط، وليس في البرلينية منه شيء، وكان مكانه في الرضوية الأصل لفظة: "من" فقط.

[٦٣٧] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية، وكان في أصل الرضوية: "واحتملوها".

[٦٣٨] كانت في أصل الرضوية: "بها"، وما أثبتناه عن الروسية.

أنهم قد مكروا به، فرجع إليهم، « وراسلهم»[٦٣٩]، فوجدهم غادرين على أشد ما كانوا فيه من الخلاف، فقتل بعض الرهائن واحتبس بعضاً ممن رأى فيه رأياً منعه من قتله، وما فعلوا ذلك إلا أنهم عرفوا أن العجم قد قابلها وقت الحرّ ولا يقدرون أن يقيموا في تلك الأرض مع نفاد الزاد وقلة المأكول، وعرف أيضاً أكسك سلاّر من نفسه وأصحابه ذلك، وأنه قد أخرب البلاد وأعمالها وسوادها، ولم يبق فيها من الزروع شيئاً، وأن أصحابه ما بقوا يحتملون المقام، وطلبوا بيوتهم وقاسوا من الحرّ مقاساة عظيمة، فشاور عبد الله بن علي في أمره، فقال: تجعل عندي مأتي فارس، وتمضي لشأنك فنحن نقضي الحاجة إن شاء الله تعالى، ففعل ذلك، وجعل عنده مائتي فارس مع أخيه البغوش، وعاد بمن معه إلى البصرة، وقد أخذ في طريقه من العرب أموالاً كثيرة تقوى بها، وكلّ ذلك من عائذ[٦٤٠] وقباث[٦٤١] والأحلاف ما سلموا إلا على

---

[٦٣٩] ما بين القوسين من الروسية فقط، وهي ليست في البرلينية.

[٦٤٠] ورد ذكرهم أيضاً في قصيدة ذات الفروع لمعاصر ابن المقرَّب الإمام الزيدي محمد بن عبد الله بن منصور الحسني المتوفى عام ٦١٤ للهجرة، وذلك في قوله منها:

و(عائذٌ) الشمُّ الذين إليهمُ   من المجد غايات العلا تتأوبُ
وقائعهم مشهورةٌ فسلوا بها   سعيد بن فضل والذين تألبوا

شماطيط شتى من قبائل طيّءٍ   أتى لهمُ بالنحس يومٌ عَصَبْصبُ

وجاء في شرح هذه القصيدة للسيد احمد بن عبدالله ابن حمزة المتوفى سنة ٦٥٦هـ:

"عائذ بن ربيعة بن عُقيل".

(انظر حمد الحُقيل: كنز الأنساب؛ ط. ١٩٨٨ الصفحة ١٨٦).

وقد ذكر الهجري في التعليقات والنّوادر هذا البطن في ستة مواضع نسبهم فيها إلى ربيعة بن عُقيل، فقال في أحدها:

"العائذي من ربيعة بنت عُقيل"

(هارون بن زكريا الهجري: التعليقات والنوادر؛ ط. دار الشئون الثقافية العامة – بغداد ١٩٨٧م؛ ج٢: التعليقة ٨١٢).

وفي موضع آخر قال:

"العائذي أحمد بن مُطرِّف من ربيعة بنت عُقيل"

(هارون بن زكريا الهجري: التعليقات والنوادر؛ ج٢: التعليقة ٨٣٦).

وهذا الاتفاق من شارح ذات الفروع مع الهجري في نسب عائذ يكفي لإزالة كلّ لبس حول نسب عائذ؛ إلا أنني أحببت أن أشير إلى اللبس الوارد عند القلقشندي عن بني عائذ هؤلاء في كتابيه (قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان؛ الصفحة ١٣٢)، و(نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب؛ الصفحة ٣٠٤)، فقد قال في الأول: "ثم من ربيعة أيضاً؛ فيما ذكر الحمداني: عائذ الحجاز"، وقال في الثاني: "بنو عائذ ـ بطن من ربيعة من العدنانية، ذكرهم الحمداني ولم يصل نسبهم، وربيعة قد

مر نسبه عند ذكره في حرف الراء المهملة؛ قال الحمداني: ومنازلهم ببرية الحجاز".

هذا ما ورد في كتابي القلقشندي نقلاً عن يوسف بن سيف الدولة بن زمَّاخ الحمداني، ، ولا شك أنّ مصدره فيما نقل هو كتاب الأنساب للحمداني هذا، وهو كتاب جليل في بابه إلا أنه مفقود للأسف، ويبدو من كلام القلقشندي أنّ نسبة عائذ إلى ربيعة بن نزار هو من قول الحمداني، ولكن لا يوجد فيما ذكره ما يُفهم منه أنّ الحمداني قد نسبهم إلى ربيعة بن نزار، ففي القلائد ورد: "من ربيعة" فقط، وفي النهاية ورد: "بطنٌ من ربيعة من العدنانية" وقبائل عدنان فيها ربائع كثيرة، وليس بالضرورة أن تكون ربيعة المذكورة في نصّ القلقشندي عن ابن زمّاخ هي ربيعة بن نزار، فالحمداني نسابة كبير؛ عالم بأنساب العرب القديم منها أو تلك التي كانت في عصره، ولا أراه أراد بربيعة ـ الذين نَسَبَ إليهم بني عائذ هؤلاء — ربيعةَ بن نزار؛ نعم ربما لم يعرف من نسبهم إلا أنهم عدنانيون من ربيعة، ولم يتضح له أي الربائع هي، فذكرهم كذلك من دون توضيح أكثر، ففهم القلقشندي من كلامه هذا أنه ينسبهم إلى ربيعة بن نزار باعتبارها الأشهر في نزار على الإطلاق، وإلا فإنّ المقصود بربيعة في كلي النصّين الذين ذكرهما القلقشندي هو ربيعة بنت عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة كما ذكر شارح ذات الفروع، وقبله أبو علي الهجري؛ بل إنَّ شارح الديوان المقرَّبي قد نصَّ في موضع آخر من شرحه لهذا الديوان على أنّ عائذ هؤلاء من قبائل عُقيل بن كعب، وذلك في شرح هذه الميمية؛ حيث سيأتي في شرح البيتين:

مِنَّـاْ الَّـذِيْ ضُـرِبَتْ حُمْـرُ القِبَـاْبِ لَـهُ

خيولهم، وكان « مسيره »[٦٤٢] إلى الأحساء في سنة تسع وستين وأربعمائة، فلما بلغ أكسك سلاّر إلى الديوان خدم وذكر ما

بالَمــشْهَدَيْنِ، وَأَعْطَــىْ الأمْــنَ وَانْتَقَمَــا
لَــوْ لاْ عِيَــاْذُ بَنِــيْ الجَــرَّاْحِ مِنْــهُ بِــهِ
لَــصَاْحَبَتْ دَهْمَــشاً، أوْ أَلْحِقَــتْ دَرِمَــاْ

".. وكان من حديثه أن سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك بن السُّميط أمراء بني ربيعة جمعوا قبائل طي وزبيد والخلط وجميع عرب الشام، واجتمع إليهم دهمش بن سند بن أجود في غزية، وساروا يريدون أرض بني عُقيل بن كعب، وهم عامر وعائذ وخفاجة وعبادة، ومن خالطهم من قبائل قيس وربيعة وغيرها".

فهذا نصٌّ صريح في أنّ عائذ من عُقيل، وبالتالي فإنّه من مضمون أقوال هؤلاء النسابة الأربعة الكبار، وهم الهجري وشارح الديوان المقرَّبي وشارح ذات الفروع والحمداني يُلاحظ وجود توافق بينهم على أنّ عائذ هم بنو عائذ بن ربيعة بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

[٦٤١] جاء في جمهرة النسب لهشام بن الكلبي في ذكر بطون عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وشخصياتها: "ومنهم قباث بن كعب بن عُقيل قاتل سُعير النميري" (انظر الصفحة ٣٣٣ طبعة بيروت ١٩٨٦م)، ومن الواضح لي أنّ بني قباث المذكورون هنا هم من نسل هذا العُقيلي.

[٦٤٢] ما بين القوسين عن البرلينية، والروسية، وكانت في أصل الرضوية: "سيرهم".

فعله في حرب أهل الأحساء وما رزقه الله عليهم من العون[٦٤٣] والنصرة، وأنه بنية العود « إليهم »[٦٤٤]، وأخذ الأحساء ومن فيها بغير توقف، وأنهى إلى الخليفة ذلك، فخرج[٦٤٥] إليه توقيع قُرِىء عليه وانصرف « بعد ذلك ».[٦٤٦]

---

[٦٤٣] في البرنستنية، والبرلينية، والروسية: " المعونة ".

[٦٤٤] ما بين القوسين من الروسية فقط.

[٦٤٥] في البرلينية، والروسية: "فأخرج" أي الخليفة.

[٦٤٦] ما بين القوسين من البرنستنية، وقد ذُكر هذا الخبر مختصراً جداً ومختلاً ومحرّفاً بعض الأسماء فيه في تاريخ غرس النعمة الصابئ (انظر كتاب الجامع في أخبار القرامطة لسهيل زكّار الصفحة ٢٤٧) حيث جاء في حوادث سنة ٤٦٩ ما هذا نصُّه:

"وفيه ـ ربيع الآخر ـ سار أرتق بك التركماني، وأبوه أكسك، فقطع حُلوان إلى القطيف، ومرّ على البصرة، فنهب ما مرّوا به، فأغلقت أسواقها، وسدت أبواب دروبها، وعدم الناس الماء ثلاثة أيام، وخرج إليه أعيان أهلها، وقبّحوا عليه ما فعل، وطلب منهم الجمال والروايا والزّاد والمال ليذهب إلى الأحساء، فأعطوه بعض ما طلب، وسار منها في رجب إلى القطيف، فوجد يحي بن العباس الخفاجي ـ كذا وردت، وهو تحريف الجَذَميْ جذيمة عبد القيس ـ صاحبها قد أخلاها، ومضى إلى جزيرة أوال، وتجَشَّم أرتق إلى الأحساء، فنهبها، وكان بقلعتها جماعة من القرامطة، فراسلوه، وخدعوه، وقالوا: نحن نعطيك عشرة آلاف دينار، ونخطب للخليفة والسلطان، فأجابهم، فقالوا: ابعد عنّا مدةً قريبة

نسخة التوقيع الذي خرج إلى اكسك سلّار[٦٤٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتوحد بالجمال والبهاء، المتفرد بالقدرة والكبرياء، المنجي من غياهب الشرك بأنوار الحق، المختار لرسالته ودينه أكرم خلقه محتداً وأصلاً، وأشرفهم درجةً ومحلاً

ليتراجع الناس ونجمع المال، وأعطوه رهائن، فرحل عنهم، فخرجوا إلى آبار غامضة في بساتينهم مملوءة طعاماً، فنقلوها إلى البلد، وعلم أرتق أنهم خدعوه، فعاد إليهم، وقتل من الرهائن عدةً، واحتبس منهم من رأى عنده رأياً، وأخرب السَّواد، ونهب القرى، وامتلأت أيدي من معه من النهب، وقاسوا من شدَّة الحرّ ما حملهم على طلب نفورهم، وكان هناك رجلٌ يُقال له عبد الله بن علي الغنوي ـ الصحيح العُيوني ـ عدوَّاً للقرامطة، فأخذ أرتق ولده معه رهينة، ورَتَّب معه مائتي فارس من التركمان، وأقام على حصار الأحساء، وكان للغنوي – بل (العُيُوني) ـ في تلك الأرض حِصْنٌ يُعرف بالمحصَّنة، وهو من بني ـ الصحيح "من بناء" ـ أبي البهلول المتغلِّب على جزيرة أوال، والحصن قريب من الجَرعاء، وقَلَّت الغلال بها، ولا يَعرف أهلها القوت إلا من التمر والسَّمك، ويطعمون بهائمهم ذلك، والحنطة متعذِّرة عندهم، فاشتدَّ الغلاء، وبلغ رطل السَّمك الجرعاني مائتي درهم رصاصاً، ومعاملتهم بالرّصاص يبلغ الدينار إلى ثمانية عشر ألف درهم وإلى عشرين ألفاً بدينار، وعاد باقي التّركمان إلى البلاد".

[٦٤٧] في البرنستنية: "مضمون نسخة التوقيع".

النبي العربي سيد الأنبياء وخاتم الأصفياء صلى الله عليه وآله «وسلم»[٦٤٨] أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، والحمد لله الذي عضد الإسلام بالخلفاء الراشدين والأئمة من بني العباس المهديين الذين أزال الله بهم البدع والمنكر، وجعل ولاءَهم سبيل النجاة يوم الفزع الأكبر، وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله، فقال عز من قائل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٦٤٩]، حتى صار إلى أمير المؤمنين من شرف الإمامة[٦٥٠] إرثه بالوجوب، وأصحب قلوب أهل الزيغ بعز أيامه الهلع والوجوب، وغدت رايات أوليائه حيث أمّت منصورة ظاهرة، وأمداد الفتوح إليهم متقاطرة متناصرة، فالله يمتع أمير المؤمنين بالنعمة فيه، ولا يخلي دولته من حميد مساعيه، ففي الأثر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال[٦٥١]: أتاني جبريل عليه السلام وعليه قباء أسود وفي وسطه كالخنجر، فقلت: يا جبريل ما هذا؟ فقال: يأتي على الناس زمان يعز الله عز وجل الإسلام بهذا

---

[٦٤٨] ما بين القوسين من البرنستنية، والبرلينية، والروسية.

[٦٤٩] النساء: من الآية٥٩

[٦٥٠] في الروسية: "الإمارة" بدلاً من "الإمامة".

[٦٥١] حاشا رسول الله أن يكون هذا الحديث المفترى من قوله، ولولا أمانة النَّقل لضربنا عن إيراده صفحاً.

السواد، فقلت: يا جبريل رئاستهم فيمن تكون؟ فقال في ولد العباس بن عبد المطلب، فقلت: يا جبريل أتباعهم ممن تكون؟ فقال: من أهل خراسان أصحاب المناطق، ومن أهل جيحون، « و »[652] دهاقنة الصعيد، وتُرْكُ اليغرغر[653] وأهل الخناجر من أهل الجبال، قلت: يا جبريل أي شيء يملك ولد العباس؟ فقال: يا محمد يملك ولد العباس « الحجر »[654]، المدر والوبر والأحمر والأصفر والمروة والمشعر والصّفا والمنحر والقبة والمفخر والسرير والدنيا إلى المحشر ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء « والله ذو الفضل العظيم »[655].

وليعلم أرتق بك بن أكسب الوقوف على خدمته والامتثال لطاعته والإحماد لمساعيه في جهاد المبطلين والقرامطة الملحدين، وليستشعر معه مناجزة[656] الله تعالى في استئصال ذكرهم وتطهير تلك البقعة من دنس كفرهم، قال الله تعالى: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ

---

[652] ما بين القوسين من الروسية.

[653] في البرلينية، والروسية: "اليعرعر" بدون إعجام العينين.

[654] ما بين القوسين زيادة من البرلينية، والروسية.

[655] ما بين القوسين من الروسية فقط.

[656] في البرنستنية: " متاجرة"، وفي البرلينية، والروسية: "وليستنفر معه مناجز الله".

قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾[657]، وليعتمد إحماد « السريرة و »[658] السيرة فيما يفتتحه من الأعمال، وليقدم أمداً بعيداً، ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾.[659]

فقام وقبل الأرض وشكر ودعا وانصرف، وحمل إليه إنزالٌ وشيء من الثياب وفرس بمركوب مغموس ومجذوف[660] بثلاث شدّات سأله تشريفاً وإكراماً رغب فيه وحضر لأجله، وانحدر إلى واسط بعزم الإتمام إلى البصرة، فلقيه الرسول من أخيه المقيم مع عبد الله بن علي بالأحساء بكتب تتضمن أن القرامطة واليمن أرسلوا إلى عامر ربيعة وجاءهم منهم خلق كثير، وساروا[661] في عدد لا يحصى ولا يُلتقى، ورأينا أمراً أعجزنا وأبهرنا، فبرزنا إليهم مستشعرين الخوف راهبين من كثرتهم مع قلة عددنا لأنا لا نبلغ منهم سهماً من خمسين سهماً، فبدأنا بعامر ربيعة فهزمناهم، وملنا على القرامطة واليمن فقتلنا منهم خلقاً « كثيراً »[662] لا يحصى عدده، وكانت

---

[657] التوبة: ١٤ ، ومن هنا تعود الطهرانية معنا بعد انقطاع.

[658] ما بين القوسين من البرنستنية.

[659] آل عمران: من الآية ٣٠

[660] وفي البرنستنية: " ومنحوت."

[661] في البرلينية، والروسية: "وصاروا".

[662] ما بين القوسين من البرنستنية.

الواقعة بيننا وبينهم بالمكان الذي يعرف بما بين الرحلين،[٦٦٣]

---

[٦٦٣] في البرلينيــة والروســية والطهرانيــة: "الــرجلين"، وهــو تصحيف.

كنت قد قلت في الطبعة الأولى إنّ الرَّحْلَيْن هذا هو نفسه الذي ذكره الشارح في أكثر من موضع باسم الرَّحْل، وكنت أعني به الموضع المعروف بالاسم ذاته الواقع جنوب قرية البطالية القائمة الآن على أنقاض مدينة الأحساء التاريخية، ولكني علمتُ مؤخراً أنه يوجد في الأحساء موضعٌ آخر يُسمى بـ(الرَّحْل) يقع الآن ضمن قرية القارة بالقرب من التلّ المعروف الآن باسم (جبل رأس القارة)، والذي أثبتُّ في كتابي (هجر وقصباتها الثلاث) أنه هو التلّ الذي كان يقوم عليه حصن المشقَّر الشهير في هجر، ويبدو لي الآن أنّ ما ذكره الشارح هنا على لسان البغوش بأنهم واقعوا القرامطة وعامر ربيعة واليمن بين الرَّحلين هو كلام صحيح، وأنه ربما أراد بهما هذين الرَّحلين لأنه سوف يذكر بعد قليل أن الوقعة بين عبد الله بن علي المؤسس وبين عامر ربيعة كانت بين النهرين محلم وسليسل، ونهر سليسل كان يمرُّ بإزاء تلّ (رأس القارة) من الجنوب، وأما نهر محلِّم فقد أثبت في كتاب (هجر وقصباتها الثلاث) أيضاً أنه كان هو الآخر يمرُّ بالقرب من هذا التلّ ذاته من الشمال؛ كما أثبت أنّ هذا النهر كان ينبع من العين المعروفة باسم عين الحارّة الواقعة شمال مدينة المبرَّز القديمة في حين إننا نعرف أنّ نهر سُليسل كان ينبع من عيني الخدود والحقل وبضعة وثلاثين عيناً بقربهما، وعليه فإنه من الجمع بين هذه المعطيات يمكننا القول إنّ وقعتهم هذه ربما كانت في اللسان الرملي الذي يُسمى الآن بـ(برّ طَيْفُوْر) أو (برّ ضُوَيْغِط)، فهذا اللسان يقع في مكان وسط بين

وقتلناهم حتى أدخلناهم القصر،[٦٦٤] فعند ذلك أذعنوا وذلّوا، والتمسوا الأمان على أنفسهم، وقد أجابهم عبد الله بن علي إلى ذلك، وذلك بعد أن أتى القتل على جمهورهم، وقد ملك عبد الله بن علي القصر[٦٦٥]، وضربت له بها الدبادب

رحل البطالية ورحل القارة، وكذلك كان يقع في مكان وسط بين نهري مُحَلِّم وسُلَيْسِل، وقد رجّحتُ أيضاً أنّ هذا اللسان الرملي ربما يكون هو الجرعاء المسماة في شرح هذا الديوان بـ(جرعاء الكباري) التي ذكر الشارح في غير هذا الموضع مطاردة بعض الحكام العُيونيين لأعدائهم في هذا الموضع.

وقد اطلعت على قول لبعض الكتّاب يرى فيه أنّ الرّحْلَيْن هذا يقع بين بلدة العمران وبحيرة الأصفر (محمد بن عبد القادر: تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد؛ ط. الرياض ١٩٨٢؛ الصفحة ١٠٠)، ولا أعرف الذي ارتكز عليه في قوله، ولا أراه المراد بما ذكره الشارح هنا حيث يتضح من جملة: "بما بين الرحلين" أنه أراد موضعين كلا منهما يدعى الرحل.

[٦٦٤] وهو قصر القرمطي المعروف الآن بقصر قريمط في البطالية، وهو غير بعيد عن الرّحل إذا لا تتجاوز المسافة بينهما أكثر من ثلاثمائة متر للجنوب الشرقي من القصر.

[٦٦٥] كانت في الأصل: "البلاد"، ولكن كتب في البرلينية والروسية والطهرانية: " القصر " بدلاً من "البلاد"، ويبدو أن القصر هو المراد لأن الشارح سيذكر بعدها جملة "صعده"، والضمير فيها يعود على مفرد مذكر، ولهذا اخترت قراءة هذه النسخ الثلاث.

والأبواق[٦٦٦]، وصعده ولم يمكن العجم من الصعود معه، وقد خطب للدولة العباسية، وذلك في سنة تسع وستين واربعمائة.

حديث قتل عامر ربيعة بالأحساء وبوارهم وسبي نسائهم وذراريهم وأخذ أموالهم[٦٦٧]

ذكر أهل العلم بذلك أنه لما تولى عبد الله بن علي على الأحساء، وسارت عنه العجم، وبقيت معه منهم بقية قليلة «طَمَعت عامر ربيعة بالبلد، وذلك أن اليمن وبقيّة القرامطة راسلوهم فقالوا: تعالوا، فما بقي أحدٌ يمنعكم من البلد»[٦٦٨]، « وأعلموهم أن العجم قد سارت عن الأحساء»[٦٦٩]، وكان عبد الله بن علي حين ملك أقرّ القرامطة واليمن بالبلد،[٦٧٠] ولم يخرجهم منها، ولا قتل أحداً منهم ـ فأقبلوا في خلق كثير لا

---

[٦٦٦] في البرلينية، والروسية: "البوقات".

[٦٦٧] جاء هذا العنوان في البرلينية، والروسية هكذا:

"خبر قتل عامر ربيعة بالأحساء، ونهب أموالهم، وسبي ذراريهم".

٦٦٨ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية، وفي البرنستنية: " بعثت القرامطة واليمن إلى عامر ربيعة وأطمعوهم بالبلد."

[٦٦٩] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية.

[٦٧٠] في البرلينية والروسية والطهرانية هنا: "أجارهم على أنفسهم".

يُحصى عدده، وحلّوا عليها، وأرسلوا إلى عبد الله بن علي يطلبون منه أن يعيد لهم ما كان لهم على عهد بقية القرامطة واليمن، فامتنع من ذلك، فاجتمعوا ولبسوا السلاح وجفجفوا[671] الخيل، وساقوا النعم قدامهم، وخرج إليهم عبد الله بن علي بمن معه « من أهل الأحساء والعجم »[672]، والتقوا بين النهرين (مُحَلّم) و (سُلَيْسِل)[673]، وقد قدمت عامر ربيعة

---

[671] جاء في تاج العروس؛ مادة (جفجف): "قال ابن دريد: جفجف النعم ساقه بعنف حتى ركب بعضه بعضاً".

٦٧٢ ما بين القوسين من البرلينية، والروسية.

[673] جاء في البرلينية هنا: "والتقوا بين نهر محلم وبين نهر سُليل" وهو تحريف سلمت منه الطهرانية التي وردت الجملة فيها هكذا: "والتقوا بين نهر محلم وبين نهر سليسل"، وأما في الروسية، فكأنّ ناسخها لم يحسن قراءة اسم نهر سُلَيْسل، فاكتفى بالقول: "والتقوا بين نهر محلم"، ولم يذكر تكملة الجملة.

وعلى كلٍّ، فمحلم وسليسل نهران هجريّان شهيران، وقد بقي نهر سليسل معروفاً باسمه حتى وقتنا هذا قبل قيام مشروع الري والصرف بالأحساء، والذي غيّر معالم الأنهار القديمة فيها، وكان هذا النهر يتكون من مياه العينين العظميين عين الخَدُوْد ـ التي كانت تُعرف في السابق باسم خَدَد – وعين الحقل وبضع وثلاثين عيناً بقربهما، وأما نهر محلم، فقد نُسي اسمه، ولكنني انتهيت من تحديده في كتابي (هجر وقصباتها الثلاث)، و(جرّه؛ مدينة التجارة العالمية القديمة)، وأوضحت فيهما أنه النهر الذي

الإبل وأقبلت الفرسان والرجالة تسوقها من ورائها ويحملونها على « العجم و »[674] أصحاب عبد الله بن علي لتدوسهم، فلما أقبلت وصار أولها في نهر (مُحَلِّم) أمر عبد الله بن علي بضرب الدبادب والطبول والبوقات[675]، وأمر أهل الخيل أن يوجفوا عليها، وأمر العجم أن يرشقوها بالنشاب وأن يضربوا وجوه الإبل، ففعلوا ذلك فرجعت الإبل على عامر ربيعة فداستهم « وقتلت منهم خلقاً كثيراً »[676]، وحمل عليهم عبد الله بن علي وأصحابه بالخيل والرجال من كل ناحية، «فانهزموا، فلحقوهم»[677]، فلم يفلت منهم صغير ولا كبير[678]

كان يخرج من عين المبرّز العظيمة المعروفة في وقتنا هذا بـ(الحارّة)، ويسير متجها إلى الشرق متفرعاً إلى عدة خلج كما ذكر الأزهري في التهذيب، ليصب بعدها في خليجين عظيمين يمضي أحدهما بمحاذاة الجزء الجنوبي لجبل الشعبة، ثم الجزء الجنوبي الشرقي منه حتى يمر بالقرب من منطقة جواثى قبل أن يصب في بحيرة الأصفر، ويمضي الخليج الآخر ليمر بين تلّي رأس القارة (المشقر)، وأبي الحصيص (الصفا)، ثم يمضي، فيسقي قرى العمران الشمالية إلى أنْ يصب في بحيرة الأصفر.

٦٧٤ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والطهرانية.

٦٧٥ ذكر في البرلينية والطهرانية أن العجم هم من فعل ذلك من أنفسهم دون ذكر لأمر عبد الله بن علي لهم بذلك.

٦٧٦ ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية.

٦٧٧ ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

«إلا أن يكون طفلاً استقبح قتله، وسبوا النساء والذَّراري وغنموا جميع الأموال، وأخذوا الحِلّة والثّقل ولم ينجُ منهم غير أحمد بن مسعر، وهو يومئذٍ رئيسهم سَبَقَ على فرسٍ له شقراء جواد، وانضمَّت إليه بَقَيّةٌ منهم قليلة كانت بعمان ونجا أيضاً أبو»[679] فراس بن الشبّاش[680] كان نازلاً فيهم، فحصل هو وأبو فراس في حلة المنتفق المقاربة للبصرة على صورة قبيحة من المرض وسوء الحال، ثم مَنَّ عبد الله بن علي على الحُرم والذراري والحريم، وأعتقهم وخلّى سبيلهم، ولم يُمكِّن العجم منهم، وحصل له من غنائمهم أربعة آلاف ناقة فيها فحولها ورعاتها[681]، وأخذ من الخيل ما أراده، وترك بقية المغنم

---

[678] كذا وردت في الأصل الرضوي والبرلينية والطهرانية أيضاً، وفي البرنستنية، والروسية: "صغيراً ولا كبيراً" فيكون فاعل يفلت ضمير مستتر يعود على عبد الله بن علي بعكسه هنا حيث يعود على عامر ربيعة.

[679] ما بين القوسين من البرلينية والروسية، وكانت في الأصل والبرنستنية: " غير الرئيس وهو أحمد بن مسعر وغير أبي فراس بن الشباس."

[680] مرّ بنا قبل قليل التعريف به.

[681] جاء في البرلينية والروسية والطهرانية هنا: "وأخذ حقه من الغنيمة، فصحّ له من الإبل أربعة آلاف ناقة فيها فحولها".

للعجم والعسكر، وذلك في سنة سبعين وأربعمائة.[٦٨٢]

الخبر الذي حدا أكسك سلاّر على الابتداء بالقطيف
عند انحداره من البصرة إلى الأحساء في نصرة عبد الله بن علي

إنما كان ذلك غضباً لكجكينا أحد حجاب السلطان جلال الدولة ملك شاه بن بويه[٦٨٣] لأنه كان « قد »[٦٨٤] وصل إلى القطيف في عسكر أكثره العرب، فَهُزِم[٦٨٥] عسكرُه ونُهِبَ رحله على زمان يحي بن عباس الجَذَمِي[٦٨٦]، وسبب ذلك أنه كان رجل علويّ يعرف بابن الزرّاد[٦٨٧] يخدم كجكينا أحد حجاب

---

[٦٨٢] أي في السنة التالية لتوليه الحكم وقضائه على حكم القرامطة الذي مرّ بنا قبل قليل أنه كان في عام ٤٦٩ للهجرة.

[٦٨٣] سبق وأشرت إلى صحة اسم هذا السلطان فيما مضى، وأما كجكينا الذي اتفقت النسخ المشروحة على اسمه هذا، فلم أعثر له على ذكر فيما لدي من مصادر.

[٦٨٤] ما بين القوسين من الروسية.

[٦٨٥] في البرلينية، والروسية: "فكسر".

[٦٨٦] نسبةً إلى بني جذيمة بن عوف بن عمرو بن عوف بن أنمار بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وهم أهل القطيف (الخط) منذ نزلت عبد القيس البحرين؛ تقاسموها مع بني عمومتهم نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس. انظر معجم ما استعجم للبكري ١ : ٨٠ وما بعدها.

[٦٨٧] هكذا اتفقت النسخ المشروحة على تسميته، ولم أجده في

السلطان، واتفق له أن انحدر إلى البصرة فلقيه بها رجال من أهل القطيف من أصحاب الأمير يحيى بن عباس صاحب القطيف وجزيرة أوال،[٦٨٨] فجرى بينهم وبينه الحديث، فقالوا لو أن السلطان يدفع إلى صاحبنا مائتي فارس من العجم[٦٨٩] لكان يأخذ مدينة الأحساء بها وبمن معه، وكان يخطب بها للسلطان، ويحمل إليه من الأموال من أعمالها كل سنة حملاً كثيراً، فقال لهم ابن الزرّاد أنا أفعل هذا وأقوم به، واعتضد برجلٍ بدوي يقال له غدّاف[٦٩٠] من أصحاب ابن مهارش

المصادر التي لدي.

[٦٨٨] إذا كان يذكره على أنه صاحب القطيف وأوال، فهذا يعني أنّ هذا الأمر قد تمّ بعد أنْ انتزع يحيى بن العباس أو العياش جزيرة أوال من أبي البهلول الذي ثار على القرامطة، أو الفُرْس الذين ذكر صاحب النبذة التاريخية الملحقة في آخر الشرح لبعض نسخ الديوان أنهم أخذوا الجزيرة من أبي البهلول، ثم أتى شريف بن الحسن بن يحيى بن عباس، فانتزعها منهم، وشريف كما نرى هو حفيد يحيى بن عباس، ولا مانع من ذلك، فقد يكون أكبر أحفاده، وذا سنٍّ وتجربة تجعل جده مطمئناً إليه في إدارة الحرب وملاقاة الجيوش تماماً كما كان الأمر مع الأمير عبد الله بن علي العُيوني وحفيده أبي سنان حيث أوكل إليه حكم جزيرة أوال والقطيف بعد موت أبيه الفضل بن عبد الله علي.

[٦٨٩] في البرنستنية: " من العرب "، وهو غير صحيح.

[٦٩٠] كذا ورد اسمه في أصل الرضوية، والبرلينية، والبرنستنية،

العقيلي[٦٩١]، ومضى معهم إلى القطيف، واجتمعوا مع ابن

وفي الروسية: "عداف"، ويبدو أنه تصحيف، وفي الطهرانية: "غداف بن مهاوش العقيلي"، وهو سبق نظر لما سيأتي بعده في هذا الخبر.

[٦٩١] كذا ورد اسمه "ابن مهارش العُقيليْ" في الرضوية الأصل، وفي البرنستنية، وأما في البرلينية، والروسية والطهرانية، فقد ورد اسمه فيهما: "ابن مهاوش العُقيلي"، والصحيح هو الأول، لأنه في هذا العام الذي حدثت فيه هذه الوقعة في القطيف، وهو العام ٤٦٨ للهجرة كان أحد أعظم زعماء عقيل في بوادي العراق هو مهارش بن مجلي بن عليب بن قبان بن شعيب بن المقلّد بن جعفر بن عمرو بن المهيا بن بُرَيْد بن عبد الله بن زيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عُبادة بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العِبادي العُقيلي العامري (ابن خلكان: وفيات الأعيان ج١: ١٩٣، وج٥: ٢٦٠، ٢٦٩)، وهو الذي لجأ إليه الخليفة القائم العباسي عندما دخل ابن البساسيري بغداد داعياً للفاطميين في آخر العام ٤٥٠هـ، ففر الخليفة منه، واستجار بقريش بن بدران العُقيلي، فأرسله قريش إلى ابن عمه مهارش هذا في حديثة عانة على الفرات (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد؛ ج٩: ٤٠٩، والذهبي: سير أعلام النبلاء؛ ج١٨: ٣١٢).

وذكر ابن الأثير في حوادث عام ٤٩٩هـ أنّ الأمير مهارش بن مجلي توفي عن عمر ناهز الثمانين بالحديثة من ذلك العام، وذكر في الموضع نفسه أن الذي تولى حكم الحديثة بعده هو ابنه سليمان بن مهارش، وذكر لهذا الأخير عدة حوادث وقعت له، ثم قال في حوادث عام ٥٢٨هـ: "وفيها توفي الأمير سليمان بن مهارش

عباس، وضمن لهم ذلك، وأنفذ ابن الزرّاد كتبه إلى السلطان جلال الدولة وإلى نظام الملك، وعاد فلم يكن له منه ما ضمنه حتى أطمعه أنه يستولي على تلك النواحي بهذه الحجة، وهوّن عنده ذلك، وشرع كجكينا مع الوزير نظام الملك في التجرد

العُقيلي أمير بني عُقيل، وولّي الإمارة بعده أولاده مع صغر سنهم، وطيف بهم في بغداد رعاية لجدهم مهارش، وللحيص بيص في سليمان بن مهارش هذا:

إذا ما عُقْيلٌ باهلت يوم فخرها
تأرَّج ناديها وطابَ نسيمُها

أنافوا على العلياء بابن مُهارشٍ
فردَّ حديثاً من عُلاهُ قديمها

ومن نسل سُليمان بن مهارش خضرُ بن بدران بن مُقلّد بن سليمان بن مهارش العِبادِي العُقيلي الذي وفد على الظاهر بيبرس مقدماً لقومه؛ كما ذكر ذلك القلقشندي في كتابه قلائد الجُمان نقلاً عن الحمداني.

وأرى أنه إما أن يكون قد وقع خطأٌ ما في كلام الشارح هنا عندما قال عن غداف البدوي إنه من أصحاب ابن مهارش، وأن الصحيح هو مهارش بدون لفظة: "ابن"، أو أنّ المراد هو أحد أبناء مهارش هذا بالفعل، والأقرب أن يكون ابنه سليمان بن مهارش هو المعني في الخبر هنا بـ(ابن مهارش)، وليس بالضرورة أن يكون شيخ قبيلة عُقيل حينها ليقرر مع تابعه غداف مثل هذا الأمر، ففي الأعراف القبلية يكون لابن شيخ القبيلة الأكبر مثل هذه الميزات حتى في ظل وجود والده شيخاً للقبيلة.

والقيام بهذا الأمر، وتنجّز جواب الكتب ثانياً فقال قد أنفذنا كجكينا بذلك، فاكتب إليه بأن يتلقاه وأصحابه في البصرة ويسيرون في خدمته إلى أن يصل إليه ويجتمعان على التدبير، وعاد ابن الزراد هذا إلى القطيف، ثم رجع وجاء إلى بغداد، وجاء سعد الدولة الكوهرائي[٦٩٢] معه على هذه القاعدة لمعاونته ومعاونة جطلخ[٦٩٣] على الكوفة وبني خفاجة، وانحدروا على أن يلحق بهم سعد الدولة ويقيم بالبصرة لتسمع العرب بكونه هناك فيحترمونهم ويخدمونهم لقربه وقرب عسكره منهم، ووصلوا إلى واسط، وجاءهم غداف البدوي بمكاتبة تقدمت منهم إليه، واجتمعا وتحالفا وتعاهدا على أن يكون المغنم مقسوماً على أحد عشر سهماً، سهمٌ للخليفة وسهمٌ

---

[٦٩٢] ورد اسمه سعد الدولة كوهرائين في تاريخ ابن الأثير، وذكر في حوادث سنة ٤٦٤ للهجرة ـ أي قبل هذه الوقعة بأربع سنوات ـ أنه تولى شحنكية بغداد من قبل السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك بطلب من الخليفة القائم العباسي.

[٦٩٣] كذا ورد اسمه في الأصل، وفي البرلينية، والروسية: "خطلخ"، وفي حين إنني لم أجد فيما لدي من مصادر من اسمه (جطلخ) في ذلك الوقت أو قريباً منه، فإن الاسم الوارد في البرلينية والروسية (خطلخ) ورد لأعلام في أكثر من مصدر تاريخي، ولكنني لم أجد فيهم من يصلح أن يكون هذا.

للسلطان[٦٩٤] وسهمٌ لنظام الملك وسعد الدولة الكَوهرائي، والبقية أربعة أسهم لكجكينا وأربعة لأصحاب ابن مهارش، وانحدروا إلى البصرة وأقاموا بها مدة، فلما عرفوا حصول سعد الدولة بواسط بنية الإتمام إلى البصرة خرجوا منها بعد أن وقع بينهم وبين الأشراف من وجوه ربيعة هيشةٌ، واعْتَدُّوا في أربعمائة فارس من العرب والعجم سوى أتباعهم، وحصلوا مع غداف وجماعته، وقد تزوّدوا لشهر استظهاراً لقطع الطريق إلى القطيف، وساروا حتى وصلوا موضعاً يعرف بجبل سنام،[٦٩٥] وهم يتوقعون أن المتنفق يسيرون معهم، وكانوا راسلوهم فوعدوهم وهم منهم على ثقة، فحين وصلوا جبل سنام قيل لهم أن بطناً من العرب يعرف بقيس وقباث[٦٩٦] قد

---

[٦٩٤] في الروسية: "وسهمٌ للوزير"، وهو خطأ من الناسخ لأنّه سيذكر الوزير بعدها، وهو نظام الملك.

[٦٩٥] سبق التعريف به في تعليقات شرح القصيدة الميمية التي مطلعها:

صعود العلا إلا عليك حرام

[٦٩٦] سبق التعريف بقباث، وأما قيس فالذي يبدو أن بني قيس هؤلاء هم بنو قيس بن جوثة بن طهفة بن حَزْن بن عُبادة بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وكان منهم أحد زعماء القرامطة، وهو زكرويه بن مهري الصوّاني أحد بني قرمطي بن جعفر بن عمرو بن المهيّأ بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس

نزلوا على طريقهم طمعاً فيهم، فتحقق عندهم الخوف منهم ومن غدر البدو الذين معهم، وطال مقامهم في الطريق حتى بلغت القوصرة[٦٩٧] التمر خمسة دنانير وسبعة وأقل وأكثر، وكذلك الشعير والذرة بالأسعار المتفاوتة، وخافوا من قيس وقباث أن يقصدوهم، فاجتمعوا وسروا ليلاً ومعهم الدليل، فوصلوا بعد يومين إلى قيس وقباث فقاتلوهم يومهم فلم يظفروا « بهم »[٦٩٨]، فعملوا حيلةً بأن جعلوا منجنيقاتهم وثقلهم من وراء تلّ وأمروا بضرب الطبول وضرب البوقات ونشر الأعلام حتى كأنهم نجدة قد وصلت «إليهم، ففعلوا ذلك، فانهزمت قباث وقيس، ولم تشكَّ أنها نجدةٌ قد وصلت»[٦٩٩] فغنموا « خيلهم و »[٧٠٠] أموالهم وحلتهم[٧٠١] وأجار

بن جوثة هؤلاء، وهو الذي قال عنه صاحب كتاب أخبار القرامطة أنه هو وأخوه من قيس من عبادة بن عُقيل بن كعب. (انظر سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة؛ الصفحة ٤٠٨ الطبعة الثالثة – دمشق ١٩٨٧م).

[٦٩٧] في الروسية: "المنّ" بدلاً من "القوصرة"، والمنّ من الأوزان المعروفة حتى الآن في المنطقة.

[٦٩٨] ما بين القوسين من البرنستنية.

[٦٩٩] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية، وفي الأخيرة لم يرد اسم قيس، وورد اسم قباث فقط.

[٧٠٠] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

كجكينا النساء والثقل وسيرهن إلى أهلهن في ظعنهن وجمالهن، فشكرت له قيس وقباث ذلك، وأرسلوا إليهم بعد أن ساروا يومين يشكرونهم ويعرضون عليهم الخدمة والمسير معهم، ويطلبون منهم الخلع، فبذلوا لهم ما التمسوه وشكروا لهم ما قالوه، ووعدوهم ما طمعوا فيه ورجوه، وتعاهدوا وتواثقوا، وجاء متقدمهم في نحو من ثلاثمائة راكب على المطايا وبأيديهم الحراب، فخلعوا عليه وعلى نيف وعشرين من أصحابه وعلى صاحب ابن مهارش وخمسة رجال كانوا معه، وضمنوا لهم رد أموالهم بعد فراغهم من قصدهم ورجوعهم إلى البصرة.

وساروا معهم يبتاعون منهم التمر والذرة بالثمن الذي يريدونه ويطلبونه من غير مقاولة ولا مراجعة إلى أن صاروا من القطيف على أربعة فراسخ،[٧٠٢] وراسلوا ابن عباس

---

[٧٠١] في البرلينية، والروسية: "حليّهم".

[٧٠٢] إن قول الشارح عن هذا الجيش القادم من العراق إنه نزل في موضع يبعد عن القطيف بأربعة فراسخ، فهذا يعني أنّ هذا الموضع ينبغي أن يكون واقعاً للشمال من القطيف أو شمالها الغربي، وأنه ينبغي أن يكون هذا الموضع به ماءٌ وفير يكفي لمثل هذا الجيش، وذلك يعني أنهم نزلوا الموضع المعروف بـ(آفان)، أو (فانْ)، وهو موضع كان يريح فيه المسافرون من القطيف إلى العراق وبالعكس، وقد ذكر نصر الإسكندري عن (آفان) هذه أنها

بوصولهم، فوجدوه بخلاف ما قيل لهم نافراً مما ذكروا، فعلموا أن ابن الزرّاد قد كذبهم، وعاد جواب ابن عباس إليهم بأن الذي استقر مع هذا الغلام -يعني ابن الزراد- أن ينفذ

"قرية برية وراء القطيف بأربعة فراسخ، لكلب جذيمة عبد القيس، ولهم بأسٌ وعدد"، فالمسافة إذاً واحدة بين كلي الموضعين بالنسبة للقطيف، وقوله عنها إنها قرية بريّة يؤكد ما ذهبت إليه، ومما يؤكد ذلك أيضاً هو ما سيذكره الشارح نفسه في قصيدة نونية قادمة قالها ابن المقرَّب في رثاء ابن عمه مذكور بن عبد الله العُيوني حيث جاءه نعيه، وهو نازلٌ بـ(فان) هذه، وكان قادماً من العراق إلى القطيف مع الجند الذين أمد بهم الخليفة الناصر العباسي فضل بن محمد بن أبي الحسين العُيوني لمساعدته في الانتقام من قتلة أبيه واسترداد ملك القطيف منهم، فمن الواضح أنّ هذه القرية البرية كانت محطة استراحة للمسافرين من القطيف إلى العراق وبالعكس.

وقد انتهيت في بحثٍ نشرته في مجلة الساحل (العدد الخامس شتاء ٢٠٠٨م) عن قرى القطيف المذكورة في قانون نامه لواء القطيف ـ الذي كتبه موظفو الدولة العثمانية عام ٩٥٩هـ ـ إلى أنّ (فان) هذه هي ما يُعرف الآن بـ(الخترشية) الواحة الملاصقة لأم الساهك من الجنوب، فهذه الواحة كان بها عيون ماءٍ وفيرة وغزيرة لا زالات آثارها باقية حتى الآن، ثم هي تقع على الطريق القديم الموصل إلى القطيف بحيث أنه لا يوجد بعدها في الطريق إلى عاصمة القطيف سوى برية صغيرة تقبع خلفها بساتين الواحة وقراها.

إلي السلطان بمائتي فارس من العجم أكون أنا متقدمهم وزعيمهم أصرّفهم على رأيي وأجريهم مجرى جندي، وأما صاحب طبل وأعلام فلا، ولست آنس إلى مخالطتك ومشاركتك أيها الحاجب -يعني كجكينا- ولا آمن الاجتماع معك ولا الالتقاء بك، وقد فعلت في معنى[٧٠٣] قيس وقباث ما أفسدت به نيّات العرب عليك وعليّ وكسرت عرضي وحصلت هاهنا كالسبع الذي في الأجمة وحولها الأعداء، ولا يمكنك المقام ولا العود، فإن أنت سلمت إليّ من معك من الجند ورجعت رددتك إلى البصرة سليماً وقصدت أنا الأحساء وأعمالها وأخذتها وأقمت الخطبة بها وجمعت أموالها وبعثت بها إلى السلطان ووفيت بما ضمنته فيها، وإن أبيت ذلك وأردت أن تكون أنت المقدم فهذه البَرِّيّة بين يديك فامض كيف شئت.

وجرت بينه وبينه مراسلات[٧٠٤] أدّت إلى أن لبسوا السلاح وقصدوه، وجرت بينه وبينهم[٧٠٥] حربٌ قتل فيها أخوه وابنه وجماعة من هؤلاء وهؤلاء، وذلك في يوم الأربعاء، ورجعوا غانمين مستظهرين ذلك اليوم بعد أن أيقنوا بالهلاك لكثرة من

---

[٧٠٣] وردت هذه اللفظة في أصل الرضوية، وفي البرنستنية، والطهرانية، ولكنها لم ترد في البرلينية والروسية.

[٧٠٤] في الروسية: "وجرت بينهما مراسلات".

[٧٠٥] في الروسية: "وجرى بينهما حرب".

خرج من عساكر القطيف، وباكروا القتال يوم الخميس، فوردت عليهم الرسائل بالرغائب والتلطف مخادعةً لهم ومخاتلة لم يتنبه علمهم إليها، وشرع ابن عباس في الحديث[٧٠٦] مع قيس وقباث، ومنّاهم على أن يغدروا بهم، ففعلوا ذلك بكرة يوم الجمعة، فأخذوا أحمالهم التي كانوا أخذوها منهم، وقد حملوا عليها زادهم وأثقالهم، وأخذوا أيضاً جمالهم التي كانوا «خرجوا»[٧٠٧] عليها من البصرة وجميع ما عليها من زاد وقماش، فبلغ الأعاجم ذلك، فساروا وراءهم، فخرج أهل القطيف إلى معسكرهم فنهبوه وأخذوه، ولم يظفروا بالعرب ولا كان لهم من خوف ابن عباس مرجع.

فأتاهم شبانة[٧٠٨] أبو الشبانات، فأقام معهم، ولولاه ماتوا

---

[٧٠٦] كذا في الأصل، وفي البرلينية، وأما الروسية، فقد وردت فيها "مراسلات" بدلاً منها.

[٧٠٧] ما بين القوسين من البرنستنية.

[٧٠٨] كذا ورد اسمه في جميع النسخ المشروحة التي ذكرت هذا الخبر، وشبانة هذا لا تسعفنا المصادر المتوفرة لنا بشيء عن نسبه وأخباره إلا ما ذكره شارح الديوان هنا من مساعدته لهذا الجيش البائس، وكذلك ذكره الشارح عرضاً ضمن سلسلة نسب بعض أولاده أو أحفاده، ومنهم ابنه غفيلة بن شبانة (يفضل مراجعة الفهارس العامة لهذا الديوان عن هذه الأسماء)، وقد ذكر هذا الرجل عرضاً ضمن سلسلة نسب ذكرها ابن فضل الله العمري في

جوعاً وعطشاً، فعمد رئيسهم كجكينا فخلع على شبانة وأصحابه وطيّب نفوسهم ووعدهم ومنّاهم، وطلب منه ومن أصحابه إحضار الزاد ليشتروا منهم كيف اقترحوا، فأرسل شبانة ولده إلى أصحابه فاجتمعوا بهم فإذا هم صاروا يشترون جلة التمر بثلاثين ديناراً أو ثوب ديباج يساوي أكثر من الثلاثين « ديناراً »[٧٠٩]، ويشترون منهم البعير بالفرس لأن الجمال أقوى من الخيل، « وأكلها من علف البرّ »[٧١٠]، ولا

كتابه مسالك الأبصار؛ حيث ذكر آل عامر من عُقيل البحرين، وعدد بعض بطونها، ثم نقل عن الحمداني يوسف بن زمَّاخ قوله إنهم قدموا على الظاهر بيبرس بصحبة زعيمهم محمد بن أحمد بن العقدى بن سنان بن عقيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر" (انظر مجلة العرب؛ ج١٦: ٧٧٩).

ولو لاحظنا سلسلة النسب هذه، فسنجد أنه يوجد فيها بعض التحريف في الأسماء، فـ(العقدى) هو تحريف (المفدّى)، و(عقيلة) تحريف (غُفيْلة)، وبالتالي فصحة النسب هو محمد بن أحمد بن المفدّى بن سنان بن غُفيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر، ولو لاحظنا فإنّ الاسم (شبانة) في هذه السلسلة هو نفسه الذي ذكره الشارح المقرَّبي في كلامه هنا لأنه سوف يذكر فيما يلي من الشرح ولده (غُفيلة)، وسينسبه على أنه غفيلة بن شبانة.

[٧٠٩] ما بين القوسين من الروسية.

[٧١٠] ما بين القوسين من الروسية.

عندهم زاد للخيل[711]، فغنموا منهم غنائم كثيرة، وساروا على أقبح حال وأسوأه حتى بلغوا البصرة على هذه الصورة بعد اليأس والإشفاء على الهلاك، وذلك في سنة ثمان وستين وأربعمائة، والأمير عبد الله بن علي قد أشفى على ملك الأحساء، « وانتزاعها من أهلها »[712].

وَسَلْ بقَارُوْتَ هَلْ فَازَتْ كَتَائِبُهُ
لَمَّا أَتَتْنَا، وَهَلْ كُنَّا لَهَا غُنُمَا ؟
وَالشَّرْكَسِيَّةَ[713] إذْ جَاءَتْ تُطَالِبُنَا
دَمَ (البَغُوْشَ)، وَفِيْنَا تَقْسِمُ القِسَمَا

---

[711] في الروسية: "وما معهم ما يطعمون الخيل".

[712] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، وقوله: من أهلها يعني أهل مملكتها من القرامطة واليمن، وقد مرّ فيما مضى أنه تم له ذلك في العام ٤٦٩هـ.

[713] الشركسية نسبة إلى شركس جيل من الناس ينحدر من الشعب الجركسي الذي يتفرع منه اربع قبائل كبيرة وهي (شركس ـ ويقال لها ايضا تركس ـ ، واذكس ، وكسا ، وآص) وتتفرع من هذه القبائل الاربع بطون وأفخاذ ذكرها البدر العيني في كتابيه (السيف المهند في سيرة الملك المؤيد) و (عقد الجمان في تاريخ الزمان)، ومنهم ينحدر قسم المماليك البرجية الذين حكموا مصر بعد المماليك البحرية.

ثِنْتَــانِ عِنْــدَهُمَا كَانَــتْ رَعِيَّتُنَــا

عَوْنَـاً عَلَيْنَــا ضَــلالاً مِــنْهُمُ وَعَمَــى

فَــأَفْرَجَ اللَّهُ وَالبِــيْضُ الحِــدَادُ لَنَــا

وَعِــزَّةٌ لَــمْ تَكُــنْ يَوْمَــاً لِمَــنْ غَــشَمَا

وَأَصْــبَحَتْ حَاسِــدُوْنَا مِــنْ قَبَائِلِنَــا

لَحْمَــاً أَقَــامَ لَــهُ جَــزَّارُهُ وَضَــمَا

لَكِــنْ عَفَوْنَــا وَكَــانَ العَفْــوُ عَادَتَنَــا[714]

وَلَــمْ نُؤَاخِــذْ أَخَــا جُــرْمٍ بِمَــا اجْتَرَمَــا

الفوز: الظفر، والوضم: ما يلقي عليه الجزار اللحم من بارية وخشبة أو غير ذلك، ويقول الرجل للرجل تركته لحماً على وضم، ومعناه تركته ذليلاً حقيراً لا يدفع عن نفسه كاللحم على خوان الجزار يقلبه مَنْ شاء.

حديث القاروتي وجيوشه الذين سار بهم إلى الأحساء

---

[714] في البرنستنية: " شيمتنا ".

يريد مُلْكَها على عبد الله بن علي العيوني[715]

وذلك أن ملكاً من ملوك العجم كان قاضي القضاة ببلاد قاروت بك[716] خرج يريد الأحساء في جيش عظيم[717]، وكان

---

[715] جاء هذا العنوان في البرلينية، والروسية هكذا:

"خبر العجم الذين جاءوا يريدون ملك الأحساء على الأمير عبد الله بن علي العُيوني أولاً".

[716] قاروت بك كذا في الأصول، وهو الصحيح وليس قارون كما هو في الطبعة الهندية وطبعة الدكتور الحلو الناقل عنها، وقاروت بك علم لأحد زعماء السلاجقة الأتراك الذين حكموا العالم الإسلامي بعد البويهيين، وهو قاروت بك أخو السلطان الب أرسلان، وقد ورد في تاريخ ابن خلدون (ط. مؤسسة الأعلمي ١٩٧١م؛ ج ٥: ٤) ما هذا نصّه:

"(فتنة قاروت بك صاحب كرمان ومقتله) كان بكرمان قاروت بك اخو السلطان الب ارسلان أميرا عليها فلما بلغه وفاة أخيه سار إلى الريّ لِطَلب الملك فسبقه إليها السلطان ملك شاه ونظام الملك ومعهما مُسلم بن قُريش ومنصور بن دبيس وأمراء الاكراد والتقوا على نهر مان فانهزم قاروت بك وجئ به إلى أمام سعد الدولة كوهرائين (تحرفت إلى كوهراس) فقتله خنقا وأمر كرمان بسير! بنيه وبعث إليهم بالخلع وأقطع العرب والاكراد مجازاة لما ابلوا في الحرب".

والسلطان ملك شاه المذكور هو الذي خاطبه عبد الله بن علي لمساعدته في حرب القرامطة كما تقدم قبل قليل، ومن هذا الخبر ـ الذي ذكره أيضاً الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء (ج١٩: ٥٥) ،

قد سبقه إليها ملك آخر في عسكر عظيم سائراً إليها على طريق البصرة من جهة خمارتكين[718]، وقد نقل اسمه إلى تلك الأعمال بعد أن بَعُدَ أكسك سلاّر إلى الشام، وخدم هذا القاضي الديوان، فلما وصلت الجيوش مع الأمراء إلى الأحساء ضرب الأمير عبد الله بن علي أنف الرأي وعينه، وقلبه بطناً وظهراً، فلم يجد غير استقبالهم بإظهار الطاعة

وذكر فيه أنّ قاروتاً كان ملك كرمان ـ يظهر أنّ بلاد قاروت هي كرمان وما حولها حيث كانت تحت سيطرة هذا الرجل المسمّى بقاروت بك، وسوف يأتي في هذه القصيدة ما يؤكد أيضاً أنّ المراد ببلاد قاروت هي كرمان، وذلك في شرح البيت:

منا الذي جاد بالنفس الخطيرة في   عزِّ العشيرة حتى استرحل العجما

حيث سيذكر الشارح أنّ قائد الجيش الذين جاءوا إلى الأحساء لأخذ ثأر البغوش سوف يأخذ الأمير علي الابن الأكبر لمؤسس الدولة العيونية عبد الله بن علي رهينةً لديه بعد يأسه من حصار البلد، فأخذه ورجع به إلى بلاده كرمان حيث بقي مسجوناً فيها إلى أنْ هرب بحيلةٍ من أبيه سيذكرها الشارح هناك.

[717] في البرلينية والروسية والطهرانية: "بعسكر كثير".

[718] كان خمارتكين هذا غلاماً للملك تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان بن داود بن سلجوق، وقد بلغ محلاً كبيراً عند السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي، وتوفي عام ٥٠٨ للهجرة. انظر معجم البلدان رسم (تتش).

والتجمل[719] في الأحوال[720] والأفعال معهم، إلا أنه لم ينزلهم عنده في القصر، بل أقام لهم الأنزال أياماً.

« وأرسل سرّاً إلى قومٍ من العرب من بادية عبد القيس يعرفون ببني الخارجية ممن يسكن رمل عُمان[721] المعروف في

---

[719] في البرلينية والروسية والطهرانية: "فلم يجد إلا أن يستقبلهم بالطاعة والتجمل".

[720] في البرلينية، والروسية والطهرانية: "الأموال".

[721] كانت في أصل الرضوية الأصل: "فبعث إلى قوم من بني الخارجية ممن يسكن الرمل الذي بين عمان والبحرين"، ويقصد به ما يعرف اليوم باسم الربع الخالي.

وبنوا الخارجية هؤلاء هم بنو عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس الذين سكنوا عمان قديماً؛ ذكرهم العوتبي في الأنساب (ج١: ١٥٠)، وذكرهم أيضاً بعض المؤرخين والكتاب القدماء، ومنهم الآمدي (المختلف والمؤتلف) عند ترجمته لشاعرهم المعروف بأبي الجويرية العبدي، وذكرهم أيضاً أبو الفرج في الأغاني عند ترجمة شاعرهم الآخر زياد الأعجم العبدي، وسيذكر شارح الديوان فيما يلي ارتفاع نسبهم عند ذكره لأحد زعمائهم في الأحساء في أواسط القرن الهجري الثالث، و هو العُريان بن إبراهيم بن الرجَّاف، وذلك في القصيدة النونية التي مطلعها:

كم بالنهوض إلى العلا تعداني

وقتنا هذا برمل خارجة، فأتته منهم جماعة، وبعث إلى متقدمي العجم وقال لهم اعلموا أن قريباً منّا أرضٌ تُعرف بعمان لا يحصى دخلها ولا يُعرف ما فيها من الذهب والفضّة وغير ذلك من الثياب والأمتعة والطِّيب، وما بها أحدٌ يمنعها منكم، وأنا أبعث معكم جماعة أصحابي من أهل خَبَرها أدلاّءً ثقاةً، فعمان أوسع من البحرين وأكثر دخلاً وما دونها غير الوصول إليها، فاطمئنوا إلى ذلك القول، وطمعوا في كثرة الأموال والغنائم، فتأهبوا للمسير، وأمدَّهم بالزاد والرواحل، وساروا مع الخارجيين، والأمير عبد الله بن علي قد تقدم إلى الخارجيين سِرّاً بأن هؤلاء العجم لا تقوى أرضنا عليهم، ولا تطيق عشيرتكم ربيعة الفرس[٧٢٢] جوارهم، وقد مَنَّيْتُهم بملك

وأرى أنّ بني الخارجية العبديين هؤلاء هم أسلاف القبيلة العربية المعروفة اليوم ببني مُرّة حيث ذكر العوتبي من أرى أنه جدّ هذه القبيلة، وهو علي بن مرّة فأنهاه إلى بني الخارجية هؤلاء، وهو كما ذكر: علي بن مُرّة بن علي بن أحمد بن يوسف بن عبد الله ابن جابر بن محمد بن زيد بن العَتَم بن كعب بن ظالم بن هزيمة بن زيد بن ثعلبة بن عامر بن معاوية.

[٧٢٢] هو ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الجد الأعلى لقبائل عبد القيس وبكر وتغلب وعنزة والنمر وغيرهم، ولقب بربيعة الفرس – على ما يذكر الأخباريون – لأنّ أباه كان قد أوصى إليه بأفراسه وخيوله بعد موته.

عُمان وأن فيها أموالاً كثيرةً ودخلاً عظيماً، فسيروا بهم، فإذا توسَّطوا الرَّمل فأنيخوا بهم على غير ماءٍ حتى ينفذ ما عندهم من الماء، فإذا أظلم الليل وناموا، فامضوا عنهم بحيث لا يعلمون واتركوهم لعلّ الله يريح منهم، فلما توسَّطوا بهم الرَّمل امتثلوا ما كان تقدَّم به إليهم عبد الله بن علي، فلما أصبحت الأعاجم طلبوا الخارجيين فلم يجدوا منهم أحداً، فبقوا لا يدرون كيف يسيرون يميناً أم شمالاً، والتَفَّت عليهم الرِّمال وعُمِّي عليهم القصد، فتقطعوا في البرية، وحمي عليهم الرَّمل[٧٢٣]، فمات جميعهم عطشاً وهلكت خيولهم جميعاً، وقيل إنَّ رجلاً « منهم »[٧٢٤] كان تحته فرسٌ جواد « وأنه »[٧٢٥] سار به إلى الأحساء ووقف به على عين[٧٢٦] نهر مُحَلِّم، فلم ينجُ منهم « من الموت »[٧٢٧] غيره، وسارت الخارجيون فغنموا أثقالهم وما

---

[٧٢٣] أصاب هذه الكلمة خرمٌ في البرلينية، فلا تقرأ، وأما الروسية والطهرانية، ففيها: "الوقت" بدلاً من "الرمل".

[٧٢٤] ما بين القوسين من الروسية فقط.

[٧٢٥] ما بين القوسين ساقط من البرلينية بسبب وجود خرمٌ فيها، واستدركناه من الروسية والطهرانية.

[٧٢٦] لفظة: "عين" سقطت من الروسية، واحتفظت بها البرلينية والطهرانية.

[٧٢٧] ما بين القوسين من الروسية والطهرانية.

وجدوا من رحالهم وأمتعتهم، وذلك في سنة أربع وسبعين وأربعمائة»[٧٢٨].

حديث العجم الذين سار بهم ركن الدولة [حين وصوله إلى الأحساء][٧٢٩] يطلب دم البغوش الذي كان قتله عبد الله بن علي

كان البغوش[٧٣٠] الذي هو أمير المأتي فارس التي لزمها عبد الله بن علي من السبعة الآلاف الذين جاءوا لنصرته من الديوان هَمَّ بمنازعة عبد الله بن علي الملك، فتحقق ذلك منه، فقتله عبد الله بن علي في السجن، فسار ركن الدولة[٧٣١] في ألفي فارس، وقصد الأحساء فأقام محاصراً

---

[٧٢٨] هذه الفقرة الطويلة بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية مع بعض الاختلافات الطفيفة التي أشرت إلى بعضها بين قوسين، والخبر موجود في الرضوية باختصار مُخِلّ، وفي الطبعة الهندية أكثر إختلالاً منها، فهما لم تذكرا وقوف هذا الناجي الوحيد على عين نهر محلم.

ومن التاريخ المذكور يتضح أنّ هذه الوقعة كانت بعد استيلاء الأمير عبد الله بن علي المؤسس على الأحساء بخمس سنوات.

[٧٢٩] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية سوى أنّ لفظة: "وصوله" في البرلينية والطهرانية جاء عوضاً عنها: "مجيئه" في الروسية، وكلاهما بمعنى واحد.

[٧٣٠] وهو البغوش أو البقوش بن أكسك سلار أخو أرتق بن أكسك الذي مرّ ذكره.

[٧٣١] ركن الدولة هذا هو داؤد بن سُقمان بن أرتق بن أكسك،

لها[٧٣٢] حولاً كاملاً، وأمدته أهل الأحساء بعضٌ رغْبةً وبعضٌ رهْبةً[٧٣٣]، ولم يبق مع عبد الله بن علي غير أهل بيته آل إبراهيم، ونفرٌ قليل من خواصه وأرباب دولته ووجوه عشيرته، فنزلوا جميعاً القصر، فبعد الحول لم يبق له طمع في الملك، فراسله في الصلح فصالحه عبد الله بن علي،[٧٣٤] ورحل عن البلاد بمن معه، وسار معهم[٧٣٥] خلق « كثير »[٧٣٦]

وقد جاء ليأخذ ثأر عمّه البغوش، وقد ذكر ابن خلدون ركن الدولة داؤد هذا عرضاً في تاريخه (ج٥ : ٥٦) وقال إنه كان صاحب كبيعا!، كما ذكره ابن الأثير في تاريخه على أنه كان صاحب حصن كيفا (تاريخ ابن الأثير ط. دار بيروت ١٩٦٦م؛ ج١٠: ٥٠٢)، فاتضح أنّ "كبيعا" تحريف "حصن كيفا".

[٧٣٢] كانت في الأصل، وفي البرلينية والروسية والطهرانية: "فأقام محاصرها"، وما أثبتناه من البرنستنية.

[٧٣٣] في البرلينية والروسية والطهرانية: وخرجت أهل الأحساء كلهم إليه، ولم يبق عند عبد الله بن علي في دار المملكة غير بني عمّه أولاد إبراهيم، ونفر قليل من أهل البلد الذين يلزمهم حماية دولته وحفظها.

[٧٣٤] جاء في البرلينية والروسية والطهرانية:

"فحين حال عليهم الحول، وتيقنوا أنهم لا يقدرون على الملك؛ راسلوا عبد الله بن علي بالصلح، فصالحهم".

[٧٣٥] كانت في الأصل: "عنده"، وكذلك في البرنستنية، وفي البرلينية: "عندهم"، وما أثبتناه من الروسية، وسبق وذكرت أنّنا اعتدنا من الشارح أن يستخدم لفظة: "عند" يريد بها: "مع".

لا يحصى عدده من أهل البلد ممن كان يقاتل معه خوفاً أن يعاقبهم عبد الله بن علي بما فعلوا من خذلانه ومعونة[٧٣٧] العجم عليه، فنادى لهم بالأمان وطيّب قلوبهم، وبذلك السبب استرد أملاكاً كثيرة مما كان قد أقطع رجالاً من وجوه البلد[٧٣٨] حين ملكه، وصفح « لهم »[٧٣٩] عن ذلك الذنب، واحتجب بعد ذلك عنهم « وكان ذلك سبب فساد ما بينه وبينهم »[٧٤٠] وتَحَفَّظَ منهم.[٧٤١]

وَلَمْ يُنَجِّ ابنَ عَبَّاسٍ[٧٤٢] بمُهْجَتِهِ

---

[٧٣٦] ما بين القوسين إضافة من البرنستنية والبرلينية والروسية.

[٧٣٧] كانت في الأصل والبرنستنية: "وعون"، وما أثبتناه من البرلينية، والروسية لأنه الأقوم.

[٧٣٨] في البرلينية، والروسية: من أهل الأحساء.

[٧٣٩] ما بين القوسين؛ زيادة عن البرلينية، والروسية.

[٧٤٠] ما بين القوسين من البرلينية، والروسية.

[٧٤١] لم يرد هذا الخبر في الطبعة الهندية، وكانت نهاية هذه الحرب عام ٤٨٠هـ كما سيذكر الشارح في شرح البيت الأخير من هذه الميمية.

[٧٤٢] كذا كتب هذا الاسم: "عباس" في الرضوية الأصل والبرلينية والروسية والطهرانية والبريطانية والبرنستنية هنا وفي المواضع اللاحقة من هذه القصيدة متناً وشرحاً.

يَمُرُّ إِذَا مَا رَآهُ النَّاظِرُ ارْتَسَمَا

أَتَى مُغِيْرَاً فَوَافَى جَوَّ (نَاظِرَةٍ)

فَعَايَنَ المَوْتَ مِنَّا دُوْنَ مَا زَعَمَا

فَرَاحَ يَطْرُدُ طَرْدَ الوَحْشِ لَيْسَ يَرَى

حَبْلَ السَّلامَةِ إلاّ السَّوْطَ وَالقَدَمَا

فَانْصَاعَ نَحْوَ (أُوَالٍ) يَبْتَغِي عِصَمَاً

ولكنه كتب هنا وفي المواضع اللاحقة من الطبعة الهندية: "عياش" وهو ما أوجد لبساً كبيراً لدى الكتاب والباحثين في تاريخ المنطقة حيث اتبعوا ما ورد في الطبعة الهندية، ومنهم نحن في بعض مواضع طبعتنا الأولى؛ مع العلم أنه حتى في الطبعة الهندية ورد فيها الاسم نفسه "عباس" وليس عياش كما أشرنا إلى ذلك في موضع سابق، وقد أشرت فيما مضى إلى ورود هذا الاسم في النسخة الروسية برسم: "عياس"، وقلت هناك يبدو أنه قد يكون "عياش"، وأقول الآن: إنه يحتمل تصحيفه عن عباس أيضاً، وبالتالي فإنه فيما يتعلق بهذا الاسم، فإننا ملزمون بكتابته: "عباس" لأنّه ورد كذلك في كل النسخ المخطوطة التي بحوزتنا، ولم تشذ عنهم سوى الطبعة الهندية، وسيظلُّ الصحيح في نطق الاسم هو: (عباس) إلى أن نعثر على ما يثبت لنا يقيناً أي الاسمين هو الأصح.

إذْ لَمْ يَجِدْ فِيْ نَوَاْحِيْ (الخَـطِّ) مُعْتَـصَمَاْ

فَـأَقْحَمَ البَحْـرَ مِنَّـاْ خَلْفَـهُ مَلِـكُ

مَـاْ زَاْلَ مُـذْ كَـاْنَ لِلأَهْـوَاْلِ مُقْتَحِمَـاْ

فَحَـاْزَ مُلْـكَ (أُوَاْلٍ) بَعْـدَمَاْ تَـرَكَ (الـ

ـعُكْرُوْتَ) بالـسَّيْفِ لِلْبَوْغَـاْءِ مُلْتَزِمَـاْ

فَصَاْرَ مُلْـكُ ابْـنِ عَبَّـاْسٍ وَمُلْـكُ أَبِـي الـ

ـبُهْلُوْلِ مَـعْ مُلْكِنَـاْ عِقْـدَاً لَنَـاْ نُظِمَـاْ

اليم: البحر، وارتسم أي كبّر ودعا، قال الشاعر:[٧٤٣]

.... وصَـلّى علـى دَنِّهـا وارْتَـسَم

والزَّعَم: الطَّمَع، والزَّعْم: الكلام، يقال هذا فيه زعم أي منازعة.

وناظرة: قرية من سواد الأحساء[٧٤٤]، والعُكْرُوتُ رجل

---

[٧٤٣] هو الأعشى. انظر اللسان مادة (ص ل ا) و (د ن ن)، وصدر البيت:

وقابلها الريح في دنّها.

مـن أهـل أوال كانـت فيـه شـجاعة[745]، وابـن عبـاس هـو زَكْـريّ[746] بـن يحيي بـن عبـاس صـاحب القطيـف، « وكـان أيضاً قد ملك جزيرة أوال بعد أخيه الحسن بن يحيي »[747]، وكـان ملـك أوال لأبي البـهلول، فملكهـا عليـه يحـيي بـن عبّاس،[748] وصارت إلى زكري بن يحيي بن عباس.

« وكـان مـن حـديث »[749] زكـريٍّ بـن يحـيِي بـن عبـاس «الجَذَميّ ـ جذيمة عبد القيس ـ»[750] حين قَتَلَ أخاه الحسن

---

[744] سيأتي التعريف بها بعد قليل.

[745] لم نجد هذا المعنى ولا هذه الكلمة في معاجم اللغة، غير أن هذا اللفظ لازال معروفاً في المنطقة، ويطلقه أهالي المنطقة على كل من لديه جرأة وشجاعة من الرجال أو شقاوة من الأطفال.

[746] كـذا كتـب اسـم هـذا العلـم في جميـع مـوارده في الأصـل الرضوي، وهو كذلك في البريطانية والطهرانية والطبعة الهندية، وفي البرلينية كتب اسمه (زكريّ) في أول مورد له فقط، ثم كتب في بقية الخبر (زكريا)، وأما البرنستنية، والروسية: فقد كتب فيهما الاسم " زكريّا " في كل موارده من هذا الخبر.

[747] ما بين القوسين؛ إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[748] في البرلينية والروسية والطهرانية: "وكان أبوهما قد ملك جزير أوال قبلها على أبي البهلول".

[749] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، وكان موضعها في الرضوية الأصل: "وذلك أن".

[750] مـا بـين القوسـين إضـافة نوعيـة مـن البرلينيـة والروسـية

بن يحي جهز سريةً وسار بها إلى الأحساء، فلما بلغ قرية من سوادها تُسمى ناظرة[751] حل هناك، وأغارت خيله،

والطهرانية.

[751] كذا ورد اسم هذه القرية في أصل الرضوية، والبرنستنية، والبريطانية، والهندية، وأما في الروسية، فوردت (ناظرة) في الشعر، و(ناطرة) في الشرح، وهو تصحيف؛ أما في البرلينية والطهرانية، فقد وردت (ناضرة) في الشعر والشرح، والمسموع من الأحسائيين في تسميتها الآن هو (ناظرة) إلا أنها وردت في وثيقة شراء عقار في العمران الشمالية تعود إلى العام ١١٨٩هـ باسم (ناضرة) بالضاد، وذلك حيث ورد في هذه الوثيقة اسم أحد الشهود من سكانها، ونصّ ما ورد فيها هو: "محمد بن راشد أهل ناضرة" (وثائق آل علي العمران: مجلد ١١٥٠ – ١٢٠٠هـ؛ الوثيقة رقم ٢٢).

ولا زال موضع هذه القرية معروفاً حتى اليوم في واحة الأحساء، وهي قرية مندثرة كانت تقع للشرق من قريتي المقدام والحُلَيْلة من قرى الأحساء، وإلى الغرب من عين الصويدرة الشهيرة بعذوبة مائها، ولعل هذا هو السبب الذي جعل زكريّاً يختار هذا الموضع ليحل فيه، ولا زال اسم ناظرة يُطلق في الأحساء الآن على جزءٍ من مقبرة هناك.

وأمّا جَوّ ناظرة، فقد كان يُطلق على كامل المنطقة الرملية التي كانت ممتدّةً بين قريتي القارة والكلابية بما في ذلك قريتي الحليلة والمقدام أيضاً، وقد ذكر ناظرة أكثر من شاعر من شعراء الأحساء بعد ابن المقرَّب، فممن ذكرها الشيخ السبعي الذي ربما يكون من شعراء القرنين التاسع والعاشر الهجريين، ففي مخطوطة المراثي

فأتى الصريخ عبد الله بن علي، فركب وخرج بمن معه من أولاده وأولاد أولاده وأهل بيته وبني عمّه وجنوده وأهل بلاده، فالتقوا هناك، فهُزمت سرية زكري بن يحي[٧٥٢] ونُهب رحله وانهزم، وتبعهُ عبد الله بن علي يأخذ خيله فارساً وفارسين وأكثر من ذلك[٧٥٣] حتى بلغ القطيف، فلم يطمع زَكْريٌّ أنَّ القطيف تمنعه، فعبر إلى جزيرة أوال، فتبعه الفضل بن عبد الله بن علي، فقاتله بمن معه شيئاً من قتال حتى قَتَل الأميرُ فضلٌ رجلاً كان يقال له العكروت أشجع أصحاب زكري، فانهزم حينئذٍ زكري، وركب

العتيقة التي كُتبت في حدود سنة ١٠٠٠ للهجرة كما يقول الشيخ آغا بزرك في (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) ـ وإن كان ذكر فيها شعراء عاشوا فيما بعد الألف بكثير ـ وردت قصيدة عينية لهذا الشيخ السبعي يرثي فيها ولداً له اسمه عليٌّ جاء فيها:

قُلْ لِلبرُوْقِ السَّاريات الْلُمَّع ... تَعْجَلْ بسَوْقِ الغَاْديَاْتِ الهُنَّع
وَتَخُطُّ أَذْيَاْلَ الحَيَاْ مجرُوْرَةً ... فيْ رَبْعِ (نَاْظِرة) خَصيْبِ المُرْبع
قَبرٌ بـ (نَاْظِرةِ) تَأرَّج تُرْبُهُ ... مِسْكاً عَلَىْ أَرْجَاْءِ تِلْكَ الأجْرُعِ

كما ذكرها أيضاً الشيخ عبد الله بن علي آل عبد القادر الأحسائي المولود سنة ١٢٧٠ للهجرة، فقال من قصيدة له:

يا نازلين على كثبان ناظرةِ ... إنا نزلنا على كثبان يبرينا

[٧٥٢] في الروسية: "فهزم عبد الله بن علي سرية زكريا بن يحي بن عباس، ونهب رحله".

[٧٥٣] في البرنستنية: " وتبعه عبد الله بن علي يأخذ خيله في ألف فارس وأكثر من ذلك ...".

البحر وخرج منه إلى العقير[٧٥٤] واجتمع بقوم من البادية فأقام معهم أياماً حتى حشد حشداً كثيراً وجنّد جنوداً من العرب وأغار بهم « بعد ذلك بمدة »[٧٥٥] على القطيف، فلقيه عبد الله بن علي[٧٥٦] فحمل على جموعه فهزمها، وقتل حينئذٍ زكري بن يحي، واستقر ملك البحرين جميعاً في يد عبد الله بن علي.[٧٥٧]

---

[٧٥٤] في البرلينية والروسية والطهرانية: "وخرج إلى مكان يعرف بالعقير".

[٧٥٥] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[٧٥٦] في البرلينية والطهرانية: ورد بعد كلمة القطيف جملة: "فانهزموا"، ولم يذكر أن عبد الله بن علي هو الذي لقي زكري بن يحي، ويبدو أنه الصحيح، فعبد الله بن علي أعطى القطيف لابنه فضل في حياته، ولم يرد أنه قد ترك الأحساء، وربما سقط في الرضوية اسم الفضل قبل اسم أبيه، فيكون صحة الجملة فيها: فلقيه الفضل بن عبد الله بن علي، وليس أبوه عبد الله.

[٧٥٧] جاء في النبذة التاريخية الملحقة بآخر الرضوية والروسية والطهرانية، ويجدها القارئ في آخر طبعتنا هذه كلامٌ فيه بعض الاختلاف حول كيفية أخذ جزيرة أوال، ففيها أنّ الذي أخذ هذه الجزيرة هو شريف بن حسن بن عباس، وذكر أنه أخذ الجزيرة من الفُرْس الذين كانوا قد أخذوها من أبي البهلول الآتي حديثه بعد قليل، وبقيت في ملكهم إلى أن عبر عليهم شريف من القطيف ، ففرقهم وملكها عليهم، وبقيت في ملكه إلى أن غزاه عبد الله بن علي، فبدأ بالقطيف، فأخذها من بني العباس، ولما

حديث مُلْك أبي البهلول ـ واسمه العوّام بن محمد بن يوسف بن الزجاج أحد[758] عبد القيس ـ جزيرةَ أوال[759]

وكان أبو البهلول هذا ضامناً لخراج جزيرة أوال من والي القرامطة[760]، وكان له أخٌ يُسمى مسلماً، ويكنى بأبي

ضبطها واستقرّ بها عبر إلى أوال، فأخذها وملكها، واجتمع له مُلكُ البحرين، ولم يبق له بها منازع إلى أن توفي.

ثم ملك الفضل بن عبد الله بن علي أوال والقطيف في زمان أبيه، وكان مدة ملكه سبع سنين، وقتل في تاروت قتله أخدام له.

[758] تصحفت في البرنستنية إلى: "أخْذ".

[759] ورد هذا العنوان في البرلينية بهذه الصورة: "ملك أبي البهلول جزيرة أوال" فقط، ومثله في الروسية ولكنها أضافت لفظة: "حديث" في بداية الجملة، وأما اسمه ونسبه فقد كتبتهما كلا النسختين في بداية الخبر كما يلي: "أبو البُهلول اسمه العوام بن محمد بن يوسف بن الزجّاج من عبد القيس" باستثناء أنّ الروسية كتبت: "بن عبد القيس"، والصحيح هو ما كتبته البرلينية لأنّ بين أبي البُهلول وبين جده الأعلى عبد القيس أكثر من هذه السلسلة من الآباء بكثير.

وفي البرنستنية جاء العنوان كما في الرضوية الأصل تماماً باستثناء التصحيف المشار إليه قبل قليل، وكذلك إضافتها لجملة: "ثم القرامطة" بعد لفظة: "أوال" وكأنه أراد أن يكتب: "من القرامطة" فأخطأ.

[760] يريد أنه كان معيناً لجمع الخراج من قبل والي القرامطة

الوليـد، وكـان خطيـب أوال، وهـم مـن أهـل التـديّن والمتظاهرين بالسُّنَن، وعَنَّ لهم أن يبذلوا للقرامطة على يد جعفر بن أبي محمد بن عَرْهَم[٧٦١] ـ وهو يومئذ الناظر بجزيرة أوال « للقرامطة »[٧٦٢] ـ ثلاثة آلاف دينار علـى تمكينـهم أن

على جزيرة أوال وهو ابن عرهم كما سيأتي بيان ذلك لاحقاً.

[٧٦١] كذا ضُبط هذا الاسم بالتشكيل في البرنستنية، ومما يجدر ذكره هنا هو أنه كان يوجد حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري حيٌّ من أحياء قرية البطالية بالأحساء يُسمّى حي العَرَاهْمَة؛ كما كانت توجد أسرة تُعرف بالعَرْهَمِي، وقد وردت أسماء بعض أفرادها مثل: عبّاد بن سبت بن حاجي العرهمي، وعبد الحسين بن إبراهيم بن حسن آل حاجي العرهمي البلادي في وثائق بيع وشراء (وثائق البدر: ٢٩، ٣٥، ٤٧، ٥٢، ٥٩، ٨٩)، وآل حاجّي المذكورون قبل قليل توجد وثائق لهم أيضاً تثبت انتسابهم إلى آل بطّال، وآل بطال هم من العُيونيين من عبد القيس كما سنرى في شرح هذه الميمية، وغنيٌّ عن القول أنّ البطالية تقوم على أنقاض مدينة الأحساء القديمة عاصمة القرامطة، وواضح من ثنايا هذه الرواية هنا أنّ القرامطة بعد عزلهم لابن عَرْهَم عن ولاية جزيرة أوال – كما سنرى – استدعوه إليهم في عاصمتهم الأحساء، فلعله كان أصلاً منها لأنه قد جرت العادة منهم ومن غيرهم من أرباب الدول أنهم لا يولّون إلا من هو منهم، أو قريبٌ منهم، فهل توجد علاقة بين ابن عرهم والي القرامطة هذا وبين حي العراهمة أو لقب العرهمي في قرية البطالية؟ من الجائز ذلك إلا أننا لا نستطيع الجزم به لعدم وجود الدليل.

[٧٦٢] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

يبنوا جامعاً ليجتمع إليهم العجم[٧٦٣] والمسافرون فإنهم نافرون من خلوّ البلد من جامع تصلى فيه الجمعة، وهم خائفون من انقطاعهم لذلك عنهم بالجملة، وذكروا أن هذا « مما »[٧٦٤] يجلب العجم إلى جزيرتهم، ويضاعف لهم الفائدة في معاملتهم ومبايعتهم.

وكتب ابن عرهم إلى القرامطة بذلك واستأذنهم فيما قالوه، فأجابوه بأن يأخذ « منهم »[٧٦٥] ما بذلوه ويفسح لهم فيما التمسوه، فأعطوه ما ضمنوه « له »[٧٦٦]، وتشاغلوا ببناء الجامع الذي ذكروه،[٧٦٧] فلما تم بناؤه صعد أبو

---

[٧٦٣] في البرنستنية: " الجمع "، ولكنه ذكر فيما بعد العجم.

[٧٦٤] ما بين القوسين زيادة من البرنستنية والبرلينية والطهرانية والروسية.

[٧٦٥] ما بين القوسين زيادة من الروسية.

[٧٦٦] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية.

[٧٦٧] وأغلب الظنّ أنه الجامع المعروف اليوم بمسجد الخميس في القرية التي تحمل الآن الاسم نفسه، والواقع قرب العين المسماة بعين بوزيدان التي ستذكر في هذا الخبر بعد قليل، وأما ما عثر عليه من نقوش في هذا المسجد تنسب بناءه إلى أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله العُيوني عام ٥١٨ (جريدة الوسط البحرانية: العدد ٢٣٥١ | الخميس ١٢ فبراير ٢٠٠٩م الموافق ١٦ صفر ١٤٣٠هـ)، فهو على الأرجح تعمير وإضافة وليس بتأسيس، وأما التأسيس فالأغلب أنه لأبي البهلول، ثم تناوب على عمارته

الوليد[768] بن الزجاج المنبر وخطب للخليفة القائم بأمر الله[769]، وصَلَّى الجُمعة، فقال من يهوى القرامطة: هذه سُنَّةُ

والإضافة إليه كإضافة المآذن من جاء بعده، وأشهرهم أبو سنان الذي عثر على نقش آخر باسمه في هذا المسجد، ورد فيه ذكر الأئمة الاثني عشر، وهو معلق في المنارة الغربية من المسجد.

والمنطقة التي فيها هذا المسجد هي ما يسمى الآن بالبلاد القديم، ويؤكد البحرانيون من أهل المعرفة والعلم في الجزيرة أنّها سُميت بذلك لأنها كانت في القديم مقر الحكم والسلطة والعلم والعلماء (البلادي: أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين؛ الطبعة الأولى؛ الصفحة ١٥٠).

[768] جاء في البرلينية والروسية والطهرانية: "فلما تم بناؤه صعد أبو الوليد علي بن الزجاج" ، وقد تقدم في بداية هذا الحديث أنّ اسمه (مسلم)، وليس (عليّا).

[769] هو الخليفة العباسي عبد الله القائم بن أحمد القادر بالله؛ ولي الخلافة بعد أبيه القادر عام ٤٢٢هـ، وبعد ٢٨ عاماً أخرجه المعروف بالبساسيري من بغداد، وخطب للخليفة المستنصر الفاطمي فيها، وكان قيام أبي البهلول على القرامطة في أوال قبل هذا الحادث بقليل لأنه سوف يأتي لاحقاً مطالبة القرامطة لأبي البهلول أن يترك الخطبة باسم القائم لبطلان ملكه بإخراج البساسيري له؛ كما سيأتي في ثنايا خطابه إلى ديوان الخلافة والتعليق عليه ما يفيد التاريخ الذي ثار فيه أبو البهلول على القرامطة.

بدعة[770] قد أحدثتها بنو الزجاج بالحيلة والخداع ويجب أن يمنعوا من الخطبة ويمكنوا[771] من الصلاة الجامعة، فلما خوطبوا على ذلك قالوا: ما بذلنا ما بذلناه وسلمنا من أموالنا ما سلمناه إلا لهذا الأمر ولأجل هذا الدين قصداً لاستجلاب العجم إلينا وإرغابهم في معاملتنا، فإن كرهتموه فردوا « علينا »[772] ما أخذتموه فنحن نمسك عما قصدناه، وإن نقصت به معيشتنا ونقصت به فائدتنا.

« فكتب ابن عرهم إلى »[773] القرامطة بالحال وأجابوا بأن لا يُعْتَرَضوا في مذهبهم ولا يُمْنَعوا من خطبتهم، فجروا على سنتهم، وصار لهم بما فعلوه السوق الكبيرة

[770] في الروسية: "بدعة" فقط من دون كلمة "سنة" قبلها.

[771] كذا وردت في كل الأصول المشروحة، وفي البرنستنية وردت: " يمنعوا " أيضاً كسابقتها، وفي الروسية: "ويمكنوا من صلاة الجماعة".

[772] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية.

[773] ما بين القوسين من الروسية فقط، وكانت في أصل الرضوية والبرلينية والطهرانية: "وكوتب القرامطة ..الخ"، وقد كتبها ناسخ الروسية أولاً هكذا: "فكتبوا إلى القرامطة"، ولكنه استدرك بعلامة هامشية، وكتب بإزاء السطر في الهامش الأيمن الجملة التي أثبتها أعلاه، وكتب بعدها كلمة "صَحّ" مما يعني أنه وجدها هكذا في نسخة أخرى بعد كتابته لها بالصورة الأولى، فصححها عليها.

والميرة[774] الكثيرة لأن « أكثر »[775] تلك النواحي إلى ذلك مائلون وبه متدينون، فاتفق أن اعترض المخالفون لهذا المذهب أبا الوليد بن الزجاج، ومنعوه الخطبة، وقالوا له: الذي كنت تخطب له قد بطل وصارت الخطبة بالعراق للمستنصر بالله صاحب مصر،[776] ويجب أن تكون الخطبة له دون من بطل حكمه، فامتنع من ذلك، وأنفذ أبو البهلول إلى القرامطة هدية قرنها بالمسألة لهم في إجرائهم على رسمهم من غير تغيير لعادتهم، فرجع الجواب بأن لا يُغَيَّر لأبي البهلول رسم، ولا يُفْسَخ له شرط، وليخطب أخوه لمن شاء وأحب، وكان ابن عَرْهَم معنياً بهم ومعيناً لهم، وكتبه ماضيةٌ إلى القرامطة بما يُحسِّن فعلهم ويبلغهم أملهم، ومضت على ذلك مديدة[777]، وأبو البهلول يزيد أمره وينمو ويقوى ويعلو.

وكَتَبَ القرامطة إلى ابن عَرْهَم بتقسيطٍ يضعه على أهل البلد ويحمله إليهم، فلحسن سيرته فيهم وجميل

---

[774] كذا في الأصل، وفي البرنستنية، وأما في البرلينية فقد وردت: "الميزة"، وفي الروسية: "الفائدة".

[775] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية، والروسية.

[776] يقصدون ما حدث من إخراج البساسيري للخليفة القائم من بغداد عام ٤٥٠ للهجرة كما سبق وأوضحت.

[777] في البرلينية، والروسية: "هنيئة".

طريقته « معهم »[778] استدعى أبا البهلول ومن يجري مجراه وأطلعهم على ما ورد عليه وواقفهم[779] على النفور عليه إذا خاطبهم بالتقسيط المتقدم به ومنع جانبهم منه حتى يجعل ذلك سبباً يعتذر به « إلى القرامطة »[780]، ففعلوا، وكتب إلى القرامطة باضطراب القوم عليه، وأنه لم يمكنه مخاشنتهم «فَكَفَّ عنهم»[781] ويشير بالاضطراب عما طلب منهم[782]، فغاظهم فعله وفعلهم، وأنفذوا بمن عزله وتولى «عليهم»[783] بدله[784] وأمروه بالقبض على من له حالٌ

---

[778] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والبرنستنية والطهرانية.

[779] كذا وردت في الأصل الرضوي، وفي البرنستنية والبرلينية والروسية والطهرانية: "ووافقهم".

[780] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية فقط.

[781] ما بين القوسين؛ زيادة من البرنستنية والبرلينية والروسية والطهرانية.

[782] في الروسية وردت جملة: "وقال الأمر إليكم في ذلك" بدلاً من قوله: "ويشير بالاضطراب عما طلب منهم" التي لم ترد فيها، ووردت في البرلينية، والبرنستنية كما في الأصل الرضوي، وفي الطهرانية: "ويسير بالإضراب عما طلب منهم" كذا بالسين، وهو تصحيف.

[783] ما بين القوسين من البرنستنية.

[784] في البرلينية والروسية والطهرانية: "بداله"، وهي لغة في

ومصادرتهم على ما قدموا عليه من عصيانهم واستعملوا من امتناعهم، فجمع أبو البهلول أهله وعشيرته وأقاربه ومن آنس «إليه»[785] ووثق به من متقدمي البلد، وعَرَّفَهُم ما ورد في معناهم، «فلما عرفوا ذلك خافوا، فعاهدم على أن»[786] يستمعوا له ويطيعوا، وقال لهم: لا يتم لنا أمر إلا بأبي القاسم بن أبي العريان، فأدخلوه فيما فعلتموه.

وكان ابن أبي العريان متقدماً على أوال من ذوي العشائر والأصحاب، فقالوا له: افعل ما ترى وقد رددنا أمرنا إليك وعوّلنا فيه عليك، فقام بهم إليه وحكى له مثل ما حكى لهم، وقال: هؤلاء القوم قد حضروا وسمعوا لي[787] وأطاعوا لي، وأنا لا أصلح لذاك إلا أن تدخل فيه معي وتكون يدي ويَدَكَ، فإن فعلت تعاضدنا وتساعدنا وحمينا أنفسنا وأموالنا، كل هذا ومبني القول على أن لا يطيعوا القرامطة إلا بعد إعادة ابن عَرْهَم، وأن يحفظوا أنفسهم من

"بدله" لا زالت مستعملة في المنطقة حتى اليوم.

[785] ما بين القوسين؛ زيادة من البرنستنية والبرلينية والروسية والطهرانية.

[786] ما بين القوسين من الروسية، وفي بقية الأصول المشروحة ورد بهذه الصورة: "فلما عرفوه وخافوه عاهدهم .. الخ".

[787] جملة: "وسمعوا لي" من الروسية والبرلينية والروسية، وكانت في الأصل الرضوي: "واستمعوا إلي"، وما أثبتناه عن الروسية والبرلينية أصح.

الناظر مكانه، فحالفهم ابن أبي العريان على ذلك، وأخذ هو « وأبو البهلول »[٧٨٨] في استدعاء مُقَدَّمِي[٧٨٩] الضّياع والسّواد وإظهارهم على ما فعلاه وإدخالهم فيما اعتزماه؛ وما بينهما مخالف لهما ولا ممتنع عليهما إيثاراً لعود ابن عَرْهَم « عليهم »[٧٩٠]، ونفوراً ممن يتولى من بعده[٧٩١]، وقالا لهم: الخراج موقوف على أربابه وغير مأخوذ من أصحابه، فإن رجع ابن عرهم سُلّم إليه وإلا فَلْيَقُرَّ كل أحد منكم بما عليه، فَسُرُّوا بهذا القول، وكان أكبر الأسباب في اتّساق الأمر.

وحصل معهما نحو ثلاثين ألف رجل، وعرف الوالي الجديد ما تم من ذلك، فجمع إليه من يتعلق به « واعتزم القبض على »[٧٩٢] ابن أبي العريان وعلى أبي البهلول بغتةً،

---

[٧٨٨] ما بين القوسين تصحيحٌ من الطهرانية، وكانت في البرلينية والروسية: "وابن أبي البهلول"، وفي الأصل الرضوي، والبرنستنية: "وابن أبي العريان"، وكلاهما خطأ.

[٧٨٩] في البرنستنية: " متقدّمي ".

[٧٩٠] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[٧٩١] في الروسية: "يتولى مكانه".

[٧٩٢] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والبرنستنية والطهرانية، وكانت في الأصل الرضوي: "وعزم على قبض ابن أبي العريان ..الخ".

فعاجلاه بالرجال وزاحفاه[793] القتال، فهرب إلى الشّذَات[794] وانصرف عنهما بعد ما قُتِل[795] من أصحابه عدة «رجال»[796]، فكتبا إلى القرامطة « ثانياً »[797] بأنّنا لا نعود إلى الطاعة ولا نرجع « إلى الموافقة »[798] عن المخالفة إلا بعد رد ابن عَرْهَم إلينا ونظره علينا، فورد الجواب إليهما بالصَّعْب الأَشَدّ، وبأن لا سبيل لابن عَرْهَم إلى العود، وأن العساكر تجيئهم وتتحكم فيهم، وأنفذ أبو عبد الله بن سُنْبُر[799] وَزِيْرُ

---

[793] في البرلينية، والروسية: "وراجعاه للقتال".

[794] كذا ورد اسم هذا النوع من المراكب البحرية في أصل الرضوية بالشين والذال المعجمتين، وكذلك نقلته عنها نسخة مجلس الشورى الإيراني، وفي البرنستنية وردت: "السدات" بدون إعجام، وفي البرلينية والروسية: "الشدات" بالشين المعجمة والدال المهملة، وفي الطهرانية: "الشدان"، ولنسخ الديوان المشروحة اضطراب كبير في كتابة اسم هذا النوع من المراكب البحرية.

وفي الصحاح (مادة « شذا »): "والشذا ضرب من السفن؛ الواحدة شذاة".

[795] في البرنستنية والبرلينية والطهرانية: " قتلا ".

[796] ما بين القوسين من الروسية.

[797] ما بين القوسين من البرنستنية.

[798] ما بين القوسين من البرنستنية.

[799] لا ينبغي أن يُفهم أن أبا عبد الله بن سنبر هذا هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن سَنْبَر الثقفي الذي كان من كبار قادة

القرامطة ووزرائهم زمن حكم أبي طاهر سليمان بن الحسن الجنابي (المسعودي: التنبيه والإشراف؛ الصفحات: ٣٣٣، و٣٣٧)، فذاك أقدم من هذا المذكور هنا بقرن أو أكثر، ولا نعرف عن هذا المذكور شيئاً غير ما ذكره الشارح هنا.

وأما آل سَنْبَر، فهم أسرة قطيفية ذات دهاء وحكمة وبصر بأمور الحرب والإدارة المدنية، وكانوا في بداية أمرهم سبعة أخوة عاضدوا أبا سعيد الحسن بن بهرام الجنابي إبان قيامه على تأسيس دولته في البحرين، وقد اشترطوا عليه أن يكون الحكم له ولولده والوزارة لهم ولأولادهم، فوافق لهم على ذلك، وتم الأمر على ما اتفقوا عليه، (سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة، الصفحة ١٤٨)، وقد ذكر التاريخ من هؤلاء الأخوة: حسين وعلي وحمدان أبناء سَنْبَر (المقريزي: اتعاظ الحنفا؛ ج١: ١٦٠)، وأخوهم الرابع الحسَن بن سَنْبَر، وهو والد أبي محمد سَنْبَر بن الحسن بن سَنْبَر الذي أعاد الحجر الأسود عام ٣٣٣هـ (المقريزي: اتعاظ الحنفا؛ ج١: ١٨٤)، وهو الذي وصفه ابن حوقل بأنه: "أكمل القوم، وأشدهم ثم تمكناً من نفسه" (صورة الأرض ط. ليدن ١٩٣٨ الصفحة ٢٥).

وتعود أصول هذه الأسرة النسبية إلى قبيلة ثقيف؛ كما رأينا من تنسيب المسعودي لأبي عبد الله الحسين بن علي، وهذا يجعلني أرجح انتسابهم إلى آل أبي العاصي الثقفي، وهي أسرة سكنت البحرين ـ ومنها القطيف ـ في زمن الخليفة عمر بن الخطاب وما بعده، وهم عثمان بن أبي العاصي الذي كان والياً على كامل إقليم البحرين للخليفة عمر، وإخوته الحكم والمغيرة وحَفْص الذين كانوا معه (البلاذري: فتوح البلدان؛ ج٢: ٤٧٧، وج٣:

القرامطة بعض أولاده إلى عُمان يحمل مالاً وسلاحاً[800] من هناك، وعرف أبو البهلول وابن أبي العُريان ذلك، فكمنا له في عوده من عُمان فقتلاه، وقتلا أربعين رجلاً معه صبراً بين أيديهما، وأخذا ما صحبه، وكان خمسة آلاف دينار وثلاثة آلاف رمح، ففرقاه في رجالهما.

وبلغ ابن سنبر ما جرى، فعدل إلى مكاتبة ابن أبي العُريان سرّاً، وبذل له البذل الجزيل، ووعده الوعد الجميل وأن يوليه الجزيرة، ويمكنه منها، فمال ابن أبي العُريان إلى ذلك وأجاب بالسمع والطاعة والانحياز عن الجماعة، وأشار بإنفاذ عسكر في البحر[801] إلى الجزيرة فإذا قرب منها « العسكر »[802] وثب هو على أبي البهلول فقتله.

وقال لأصحابه وعشيرته هذا الذي نحن فيه أمرٌ لا يتم

---

٥٣٠)، فيبدو أنه بقيت منهم ذريةٌ في القطيف، وربما يكون السنابرة هؤلاء منهم لأننا لا نعرف لثقيف من سكن البحرين منها سوى آل أبي العاصي الثقفي هؤلاء، وإلا فإنّ القطيف كانت خالصة لعبد القيس مدة طويلة من الزمن.

[800] في البرنستنية: " بحمل مالٍ وسلاح."، وفي البرلينية والروسية والطهرانية: "لحمل مالٍ وسلاح".

[801] كانت في الأصل: "عسكر من البحرين"، وما أثبته عن البرلينية والروسية والبرنستنية والطهرانية، وهو الأصح.

[802] ما بين القوسين من الروسية.

وما لنا بالقرامطة قدرة ولا في إزالة ملكهم حيلة، ويجب[803] أن ندبر أمرنا بغير ما دبرناه ونعجل تلافي ما فرطناه «فيه»[804]، فقالوا له الأمر لك ونحن معك، وابتدأ معهم في فسخ ما استقر، ونقض ما استمر، وعرف أبو البهلول الحال، فانزعج «من ذلك»[805]، وجمع أهله، «وأقاربهم»[806]، وأطلعهم «على ذلك الأمر»[807]، وقال لهم: ما لنا قدرة على ابن أبي العريان إلا بوجه لطيف لأنه أقوى «منا»[808] جانباً وأكثر رجالاً، وهو أن ترصدوا منه فرصة تنتهزونها في قتله، « وإلا »[809] فهو آكلنا ومتقربٌ بنا، وقرر مع علي بن أبي العريان ابن عم أبي القاسم قتله، وتفرقوا على ذلك،

---

[803] كانت في الأصل: " ونحب " واخترنا قراءة البرنستنية لأنها أفضل.

[804] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[805] ما بين القوسين من الروسية.

[806] ما بين القوسين من الروسية.

[807] ما بين القوسين من الروسية، وورد بدلاً منها في الأصل الرضوي، والبرلينية، والبرنستنية لفظة: "عليها" العائدة على كلمة "الحال" قبلها.

[808] ما بين القوسين زيادة من الطهرانية.

[809] ما بين القوسين من الروسية.

«ثم إن أبا العُريان مضى في بعض الليالي إلى»[810] عينٍ تسمّى (بوزيـدان)[811] يغتسل فيهـا ومعـه غـلام لـه، فقـصده وآخـر

---

[810] مـا بـين القوسـين مـن الروسـية، وكـان في أصـل الرضـوية والبرلينية والطهرانية هكذا: "وعَرف على كونه في عين .. ا لخ"

[811] بوزيـدان ويقـال أبـو زيـدان أيـضاً كمـا في البرنـستنية، ولا زالـت هـذه العـين معروفـة حتى هـذا الوقـت، وإن كـان قـد نـضب ماؤهـا كبقيـة عيـون المنطقـة، وكانـت تُعـد مـن أكثـر عيـون الجزيـرة عذوبة وصفاءً، وتقع هذه العين في منطقة البلاد القديم من جزيرة أوال بـالقرب مـن الـركن الجنـوبي الغـربي للمسجد القـديم المعـروف بمسجد الخمـيس المـار بنـا ذكـره، وقلـت إنـه المسجد الـذي أمـر بتجديد بنائه الأمير أبو سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي العيـوني المـذكور أكثـر مـن مـرّة في هـذا الـشرح، وذلـك كمـا هـو مكتـوب علـى نقـشين عُثـر عليهمـا في المـسجد ويحـتفظ بهمـا فيـه حالياً، وقد تقدم قولنا إنّه ربما يكون هو المسجد الجامع الذي بناه أبو البهلول وأخوه، فإن صحّ ذلك فهو يدل على أن منطقة البلاد القديم كما يقول كُتَّاب البحرين ومؤرخوها هي مركز جزيرة أوال وموضع الإمارة فيها زمن القرامطة والعيونيين ولعل اسمها البلاد القـديم قـد أُخـذ مـن ذلـك، كمـا يُطلـق علـى البطاليـة في الأحـساء أيضاً اسم البلاد، وهي القرية التي تقوم اليوم على أنقاض مدينة الأحساء العريقة التي كانت عاصمة الدولة القرمطية والعيونية في الأحساء، وعليه فإن مصطلح البلاد كان يقصد به موضع الإمرة فيها.

معه[٨١٢] فقتلاه وقتلا غلامه وقت عتمة، وتأخر ابن أبي العريان عن أهله وأصحابه، فانبثّوا في طلبه، فوجدوه مقتولاً، فساروا وجاءوا إلى أبي البهلول واتهموه بقتله، وطالبوه بدمه، فحلف لهم أربعين يميناً أنه ما قتله، وأرضى وجوههم بما كان له « من المآكل »[٨١٣]، فأعرضوا عنه ورضوا به.

وجاء أبو عبد الله بن سنبر بنفسه على ما استقر بينه وبين أبي العريان في مائة وثمانين شَذَاة[٨١٤] فيها من عامر ربيعة[٨١٥] عدد كثير[٨١٦]، وجمع أبو البهلول الشّذاة[٨١٧] «التي

---

[٨١٢] جاء في الروسية هنا: "فقصده، ومعه رجل من بني عمه"، ولا أعرف إلى من يعود الضمير في "عمّه" هل هو إلى ابن أبي العُريان؛ أم إلى أبي البهلول، وقد ذكر قبل قليل أنّ أبا البهلول قد اتفق مع علي بن أبي العُريان ابن عم أبي القاسم بن أبي العريان على قتله، فيبدو أنه هو المقصود.

[٨١٣] ما بين القوسين من الروسية.

[٨١٤] كذا وردت في أصل الرضوية، وفي البرنستنية: "شدّاه"، وفي البرلينية: "شداأة!"، وفي الروسية: "شدة"، وسبق التعريف بها عن الصحاح.

[٨١٥] سبق وقلنا إنهم بنو عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

[٨١٦] في البرلينية، والروسية: "خلق كثير".

[٨١٧] كذا في الأصل، وفي البرنستنية: "الشداة"، وفي البرلينية: "الشداآت"، وفي الروسية: "الشدات".

له»[818] ونزل على (حَالَة)[819]، فلما التقى الفريقان وكانت

---

[818] ما بين القوسين من الروسية فقط.

[819] كذا وردت هذه الكلمة في جميع الأصول المشروحة التي أوردت هذا الخبر، وهي الرضوية الأصل، والبرلينية، والروسية، والبرنستنية والطهرانية.

والـ(حالة) مصطلح جغرافي خليجي قديم؛ يطلق في شرق الجزيرة العربية والخليج الفارسي على كل أرض تقع بقرب مَرْسَى بحري، وقد يغمرها البحر أثناء المَدِّ، ولكنّ السفن ترسو بجوانبها على كل حال (بتصرف عن حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ؛ قسم المنطقة الشرقية؛ رسم الحالة)، ولذلك فإنّ هذا الاسم يُطلق على عدة مواضع في الخليج، ويفرق بينها بإضافتها إلى الساحل أو الجزيرة القريبة منها، أو بإضافتها إلى أي اسم آخر؛ ومن الحالات في الخليج:

حالة زعل (جنوب رحيمة).

حالة دارين (غرب دارين).

حالة أبو ماهر (في جزيرة المحرق).

حالة أم البيض (على الساحل الشرقي لجزيرة أوال جنوب شرق المعامير).

وأما (حالة) الواردة في النص هنا، والتي نزل عليها أبو البهلول بمراكبه، فالأرجحُ أنها القرية التي تقع في جزيرة سِتْرة، ولا تزال معروفة حتى اليوم بهذا الاسم، وهي كانت قرية ذات بساتين كثيرة وعيون مياه عذبة غزيرة تقع على الساحل الشرقي لجزيرة

سترة للشرق من القُرَيَّة (محمد علي التاجر: عقد اللآل في تاريخ أوال؛ ط. مؤسسة الأيام – المنامة ١٩٩٤م؛ الصفحة ٤٥)، ويبدو أن أسطول القرامطة البحري قد توَجَّه من العُقير ميناء الأحساء الشهير ـ وسيذكر أبو البهلول إخرابه له في كتابه إلى ديوان الخلافة كما سيأتي ـ وكان الطريق الساحلي القديم من ميناء العُقير إلى جزيرة أوال يتجه إلى جهة الساحل الشرقي للجزيرة، وبالتحديد إلى جزيرة سِترة التي كانت هي محطُّ السُّفن القادمة للجزيرة من الأحساء والهند وعُمان وفارس، وقد كانت القرية المعروفة بالرّحى من قرى جزيرة سِترة، والواقعة اليوم بالقرب من قرية حالة المذكورة هنا هي الميناء القديم لجزيرة سترة حيث ذكرها الأخطل عندما شبّه الظعن بسفنها ونخيل جواثى فقال:

وقد أقول لثور: هل ترى ظُعُناً ... يحدو بهنّ حَذاري مُشفِقٌ شَنِقُ
كأنّها بالرَّحَى سُفْنٌ مُلَجَّجة ... أو حائشٌ من جواثى ناعمٌ

وعليه فإن أبا البهلول قد عرف خط سير هذا الأسطول القرمطي، وأنه سوف يتوجه نحو جزيرة سترة في طريقهم إليه في البلاد القديم الواقعة في وسط الجزء الشمالي من جزيرة أوال عبر خور الكاب (آل كعب)، فرأى أن يباغتهم هو قبل أن يأتوه فعسكر في هذه القرية الساحلية الاستراتيجية المعروفة بـ (حالة)، والتي لا يمكن لأي مركبٍ يدخل خور الكاب أن يخفى على من يكون فيها، وهناك وقعت الواقعة على جيش القرامطة كما سيشير في الشرح بعد قليل.

على أنّه ينبغي الالتفات إلى أنّ الشارح سبق وذكر أنّ جيشاً أرسله القرامطة لمحاربة أبي البهلول يتكون من عامر ربيعة قد غرق عند الجزيرة المعروفة إلى اليوم باسم كسكوس، فإذا كان ذلك

شذات[820] أبي البهلول مائة قطعة قد شحنها بالرجال، وكان عند نزوله إلى الشذاة[821] قد وقع من على الفرس فانكسرت ساقه، واجتهد به أخوه أن يرجع فما رجع، وتقدم بأن ترفع الأعلام وتضرب الدبادب والبوقات، واتفق من اتفاق السوء لابن سنبر أن حط معه في الشَذات[822] خمسمائة فرس، وأكثرها لعامر ربيعة تصوراً منه دخول البلد من غير حرب، ولم يشعر بما حدث لابن أبي العريان وتجدد، فلما سمعت الخيل صوت الدبادب والبوقات ورأت المطارد والأعلام وهي خيل بدوية نفرت فغرقت بعض الشدات[823]، ووقع العرب إلى البحر وهرب ابن سنبر إلى

الجيش هو نفسه هذا الجيش المعني هنا، فعليه يكون نزول أبي البهلول على حالة إنما كان للتجهز للإبحار منها باتجاه الغازين الذين من المحتمل أنهم توجهوا لغزو الجزيرة من ميناء القطيف، ولكن سوف يأتي بعد قليل ما يُفيد أنهما كانتا وقعتين منفصلتين.

[820] كذا وردت في الأصل هنا، وفي البرنستنية والروسية: "شدات"، وفي البرلينية: "شداأت".

[821] كذا في الأصل، وفي البرنستنية والروسية: "الشدات"، وفي البرلينية: "الشداأت".

[822] كذا في الأصل، وفي البرنستنية والروسية: "الشدات"، وفي البرلينية: "الشداات".

[823] كذا وردت في الأصل بدون الذال المعجمة، وهي كذلك في البرنستنية والروسية، وفي البرلينية والطهرانية: "الشداآت".

الساحل، واستولى أبو البهلول على بقية الشذآت[٨٢٤]، وأخذ نحواً من مائتي فرس وشيئاً كثيراً من السلاح، واستأمن إليه من كان فيها من أهل السواد، وحلفوا أن ابن سنبر أخذهم قهراً لا إيثاراً وقسراً لا اختياراً، وظفر بأربعين رجلاً من أصحاب القرامطة فقتلهم، وعاد وقد ثبت قدمه وقوي أمره وتم غرضه وانتظمت حاله، ورد إلى أخيه أبي الوليد وزارته، وكاتب الديوان، وكان كتابه إلى أبي المنصور بن يوسف[٨٢٥] صاحب ديوان الخلافة يطلب العون والمدد على القرامطة ليصير إليه مُلك البحرين ويزيل دولة القرامطة ويقيم الخطبة للدولة العباسية.[٨٢٦]

---

[٨٢٤] كذا وردت في هذا الموضع، وفي البرنستنية: "الشداة"، وفي البرلينية: "الشذاات"، وفي الروسية: "الشدات".

[٨٢٥] وبهذه التسمية ذكره ابن الجوزي في المنتظم (حوادث سنة ٤٥١)، وذكر أنه كان لدى قريش بن بدران العُقيلي بعد أن خلع البساسيري الخليفة القائم العباسي، وبايع للستنصر الفاطمي عام ٤٥٠ للهجرة، وذكر أيضاً أنه صا لح البساسيري بمال يدفعه عن نفسه، فأذن له أن يعود إلى داره ببغداد في هذا العام.

[٨٢٦] هذا الخبر على طوله وأهميته حَذَفهُ ناشرو الطبعة الهندية بحجة الاختصار وعدم التطويل، فقد جاء بدلاً منه فيها ثلاثة أسطر فقط، وهي قولهم:

"وأما البهلول فهو العوّام بن محمد بن الزَّجاج أخذ ـ كذا، والصحيح أحد ـ عبد القيس جزيرة أوال ـ كذا ـ وكان أبو

البهلول ضامناً خراج جزيرة أوال، وكان له أخٌ يُسمّى مسلماً، ويكنى بأبي الوليد، والشرح في هذا يطول، فراجعه في غير هذا".

وهذه هي المرة الثانية التي يقدم فيها ناشرو الطبعة الهندية على حذف معلومات هامة جداً من الشرح بحجة عدم الرغبة في الإطالة ووجوده في مصادر تاريخية أخرى، وقد أشرتُ إلى ما حذفوه من أخبار قيام عبد الله بن علي على القرامطة فيما مضى، وهاهم يكررون هنا فعلتهم تلك من دون ذكر المراجع التي أحالوا عليها بقولهم: " فراجعه في غير هذا "، ولولا إرادة الله وتوفيقه بإخراج هذه الطبعة لظلّت مثل هذه الأخبار نسياً منسياً.

نعم لا نغمط العلامة الشيخ حمد الجاسر ـ رحمه الله ـ حقّه في هذا الموضع، فهو بالفعل قد نشر خبر استيلاء أبي البهلول هذا على جزيرة أوال من القرامطة وخطاب أبي البهلول المنشور في طبعتنا هنا، وذلك عن أوراق من شرح القصيدة الميمية هذه أطلعه عليها الدكتور عبد الفتاح الحلو، ونشر ذلك في مجلة العرب (ج٣ و ٤؛ س ١٦ رمضان وشوال لعام ١٤٠٣هـ)، ولكن ذلك حصل في مجلة العرب وليس في شرح ديوان الشاعر كما هو في طبعتنا هذه، وبذلك جمعت طبعتنا هذا الخبر في صورتيه الروائية والوثائقية.

ولم أجد في المصادر التاريخية مصدراً ذكر هذا الخبر إلا ما ورد في تاريخ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي الذي نقل عن غرس النعمة الصابئ مختصراً لهذا الخبر، وذلك في تاريخه الذي ذيّل به على تواريخ آبائه في حوادث سنة ٤٥٨ هـ (انظر سهيل زكار: كتاب الجامع في أخبار القرامطة؛ ج١: ٢٤٤)، ويبدو من الواضح أنَّ مصدر غرس النعمة هو نسخة كتاب أبي البهلول الآتية، والتي

نسخة كتاب أبي البُهلول إلى ديوان الخلافة[٨٢٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابي ـ أطال الله بقاء الشيخ الأجل الأوحد، وأدام الله تمكينه ورفعته وعُلُوّه وقدرته وبسطته، وحرس أيامه ونعمته، وكبَّ عدوَّه وخذل حسدته ـ من المستقرِّ بجزيرة أوال لسبعٍ بقين من ذي القعدة، والسلامة مستدرِّة الأخلاف، والنعمة مستقرّة الائتلاف ببركته ويُمن طائره، والحمد لله حمداً يرضيه، ويستمد المزيد من مواهبه

بعث به إلى ديوان الخلافة شارحاً فيها أحواله هذه في حربه مع القرامطة، ولكن الخبر المنقول عن تاريخ غرس النعمة المفقود ورد فيه بعض الأسماء محرَّفة مثل: الوالي ابن عَرْهَم الذي سُمّي هناك: أبن عزهم، وعين بوزيدان الشهيرة في جزيرة أوال كتب اسمها عين ثور في الخبر المنقول عن غرس النعمة؟!؛ كما إنّ الخبر في تاريخ غرس النعمة تعرّض لابتسار بعض الكلمات والجمل منه، فأدى ذلك إلى خلل في المعنى فيه.

[٨٢٧] نسخة كتاب أبي البهلول الآتية بكاملها خلت منها الرضوية والبريطانية والبرنستنية، وكذلك الطبعة الهندية، واحتفظت بها البرلينية والروسية والطهرانية فقط، ولربما كان ذلك تصرفاً من نساخ النسخ، وذلك لأنّ هذا الخطاب ورد فيه ذات التفصيل الذي مرّ بنا للتو من خبر أبي البهلول وثورته، فلربما رأى النساخ فيه تكراراً غير مسوَّغ، فأهملوه، وأما نحن فلن نهمل أي شيءٍ يرد في نسخنا عن هذه المنطقة لأهمية ذلك للبحث العلمي.

ويقتضيه، والصلاة الدائمة على محمد نبيّه المصطفى وعترته الطاهرين.

ولا يخلو ناقل علمٍ وخبر، وحامل فهمٍ وأثر من المعرفة بمن أجاب داعي الله وأطاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واتّخذ طاعته شعاره، وتلا فيها لذات الله أخباره، وكان ممن صفت سريرته، وخلصت لله ولرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ طَويّتُه، وهاجر من وطنه إليه، وقدم من مستقره ومسكنه عليه؛ الفئةُ الهَجَرِيَّة،[828] والفِتْيَةُ القَطَرِيَّة[829]، من آل عبد القيس ذوي

---

[828] في الروسية: "مع الفئة الهجرية"، وفي الطهرانية: "لفيّه لهجرته!" وهو تحريف، وما ذكر في البرلينية المثبت أعلاه هو الأصح لأنه اسم كان في قوله: "وكان ممن صفت سريرته .. الخ".

[829] كذا كتبت هذه اللفظة في أصول النسخ الثلاث، وإن كانت كتبت في الطهرانية بدون نقط تحت حرف الياء، وإن في تخصيص أبي البهلول للفتية القطريين من عبد القيس وجعله لهم بإزاء الهجريين منهم الذين وفدوا على الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو مثار تساؤل؛ لأنّ المعروف أنّ الوفادتين اللتين وفدتا على الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم – من قبيلة عبد القيس كانوا في أغلبهم من سكان القطيف وهجر، وصحيح أنّ قطر كانت من منازل عبد القيس القديمة، وعلى الأخص بني نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس (البكري: معجم ما استعجم؛ ج١: ٨١ – ٨٢)، وبني عوف بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس (العوتبي:

الحفيظة والحمية، والنفوس العزيزة الأبية، قطعوا إليه المفاوز والقفار، وواصلوا نحوه سير الليل بالنهار، له طائعين، ولأمره تابعين، وبدينه راضين، وللإسلام قابلين، [830] وبالإستخذاء والائتمار له مقابلين، وباعوا

الأنساب؛ ج١: ١٥٢)؛ إلا أنّ المعهود في عرف أهل المنطقة منذ قديم الزمان هو جعلهم للقطيف أو الخط ـ الاسم الثاني المعروف لها ـ هي الموازية لهجر، وتصديق ذلك لدى ابن المقرَّب في كثير من شعره، ومنه:

فما هجرٌ أمٌ غذتك لبانها

ولا الخط إن فارقتها لك والدُ

وبالتالي فإنه من المحتمل أن تكون لفظة "القطرية" هنا قد تحرّفت عن "القطيفية"؛ إلا إن كان أبو البهلول قد ذكر "القطرية" بالفعل، فعندها ربما ساغ لنا أن نرجح كون أبي البهلول في الأصل من عبد القيس الذين سكنوا قطر لتخصيصه ذكر هذا البلد بالذات مع هجر، وأنه ربما كان من بني عوف بن عامر بن الحارث سكان قطر المتقدم ذكرهم للتو، وقد يكون هاجر من قطر وهو صغير إلى أوال، أو أن أحد آبائه فعل ذلك.

[830] يشير هنا إلى وفود عبد القيس على الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم – وإسلامهم على يديه، وكانت لهم من دون قبائل العرب وفادتان مذكورتان في كتب السيرة والتاريخ (ابن حجر: فتح الباري ج٨: ٦٧)، فكانت الوفادة الأولى في السنة الخامسة أو السادسة للهجرة، وكانوا بضعة عشر رجلاً بقيادة الأشج العَصَريّ العَبْدِيّ، واسمه المنذر بن عائذ بن الحارث بن

أنفسهم لله تعالى بين يديه مجاهدين، ولثوابه محتسبين، ولجزائه يوم الدين راجين، ثم نصروا من بعده الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، ولم يزالوا بالدعوة العباسية ـ ثبَّت الله أركانها، وقرن بالخلود سلطانها ـ قائلين، ولدعاتها مجيبين، ولكلمتها معلنين[831] آخذين؛ طَوَىْ على ذلك الأعمارَ منهم السلفُ بعد السلف، وأخذ بحميد أثرها منهم الخلف بعد الخلف.

حتى ظهر ذلك الملعون الصابي أبو سعيد الجَنَّابي،[832] فشهر الدعوة القرمطية، وبدَّل الشّريعة الحنيفية، واستغوى من شايعه، واستهوى الذي أطاعه وبايعه، ومال بهم عن

عمرو بن زياد بن عَصَر بن عوف بن عمرو بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس (الكلبي: نسب معد واليمن الكبير؛ ج١: ١٠٥)، وكانت الوفادة الثانية في السنة التاسعة للهجرة، وكانوا في أربعين رجلاً بقيادة زعيم عبد القيس الأشهر الجارود العبدي، واسمه بشر بن عمرو بن حَنَش بن المعلى بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس (الكلبي: نسب معد واليمن الكبير؛ ج١: ١٠٣).

[831] في الروسية: "معلين"، وكلاهما جائز.

[832] في الطهرانية: "الجناني"، وهو تصحيف.

الطريقــة الإســلامية بالزخــاريف الكاذبــة التمرنحيِّــة[٨٣٣]، واشتدّت بالفئة الباغية شوكته، وكثرت في الفرقة المسلمة فتنته، وفشَت فيهم نقمته، فقتل الأبطال، واجتاح[٨٣٤] الأموال، وخرّب المساجد، وعطّل المنابر والمشاهد، وبدَّل القرآن، ومال به عن طريقه في البيان والبرهان، وحَمَلَهُ دَاعيْه من الكفر والطغيان على أنْ جَمَع العدد الجمّ من الحُجَاج والمصاحف التي كانوا يتلون منها القرآن بموضع من جانب الأحساء يعرف بالرَّمادة[٨٣٥] إلى الآن، فأضرم فيها وفيهم النار، ولم يكن لهم منه ومن تعذيبه أنصار.

---

[٨٣٣] هكـذا رُسمـت هـذه الكلمـة في البرلينيـة، وفي الروسـية: "المتمرنحيه"، ولكن بدون نقط في الياء والنون، وفي الطهرانية: "اليمنتجية"، ولم أجد هذه الكلمات أو مصادرها اللغوية في قواميس اللغة؛ كما إنني لم أجدها في ما لدي من مصادر عامة، ولم أجد من يعرفها من سكان المنطقة.

[٨٣٤] في الروسية: "واستباح"، وكلاهما يصح.

[٨٣٥] سبق للشارح أن ذكر الرمادة هذه في شرحه لبيت سابق من هذه الميمية، وهو قوله:

وحرّقوا عبد قيسٍ في منازلها

وصيروا الغرّ من ساداتها حمما

وقد علّقتُ عليه بكلام طويل، وسيأتي ذكر لها أيضاً في شرح القصيدة التي مطلعها:

كم بالنهوض إلى العلا تعداني   ناما فما لكما بذاك يدان

ثم أخـذ مأخـذه ولـده المعـروف بـأبي طـاهر، وقـصد مقصده، وبلغ من الكفر غايته وأمَدَه، فسار إلى البلاد، وأوسع فيها غاية العيث والعناد، حتى هجم على بيت الله الحرام، فقتل به سائر المجاورين ومن يتسمى بالإسلام، وسَلَب الكعبة نفيس ما عليها، واستخرج منها ذخائرها التي كانت تجمعها وتحويها، واقتلع الحجر الأسود مجاهراً بالكفر والعناد، وأراد أن ينصبه في كعبة بناها لنفسه في جانب القطيف المعروف بأرض الخط،[836] فكان كلما أثبته في كنفة[837] منها « في »[838] نهاره، وظَنّ أنه قد أخذ مستقرَّه وقراره، أصبح في اليوم الثاني متباعداً عنها،[839] ثم إنه حجب الدعوة إلى الله سبحانه في هذه الأقطار للشهادة بربوبيته ووحدانيته والإقرار « له بذلك »[840]، وأوهم من

---

[836] سبق وعرفت بالكعبة هذه وحددت موضعها بالقرب من قرية الجشّ القطيفية.

[837] هذه اللفظة من الروسية، ومكانها في البرلينية والطهرانية: "قُطْر"، وما في الروسية هو الأوفق.

[838] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية.

[839] قد لا يخلو هذا الأمر – إنْ صحّ – من فعل فاعل؛ كأن يكون بعض السكان ـ الذين كانوا في معظمهم غير قابلين بسلب الحجر الأسود – هم الذين كانوا يزيحون الحجر عن موضعه نكاية بالقرامطة.

[840] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية.

والاه من حفدته[٨٤١] حزب الشيطان وتابعه من أولي الغيّ والطغيان أنه هو الله المدَبِّر، والخالق المصوّر والمقدّر، لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عمَّا يشركون.[٨٤٢]

---

[٨٤١] الحفدة: يراد بهم هنا الأعوان والخدم، وليس ما يتبادر إلى الذهن.

[٨٤٢] بالنسبة لادعاء أبي طاهر الجنابي للألوهية وطلبه من الناس أن يقروا له بالعبدودية والربوبية، فلم يرد ذلك في مصادر معتبرة، وإنما هو مما شَنَّع به عليه وعلى القرامطة مخالفوهم؛ نعم ذكر في بعض المصادر المعتبرة بعض ما يُشَنَّع به عليهم كترك بعض العبادات كالصلاة، وهدم المساجد، وغيرها، وهو أمرٌ لا نستطيع فهمه فهماً صحيحاً لعدم وجود شيء من مصادرهم المعتبرة الخاصة يبين لنا حقيقة هذا الأمر، وأما بالنسبة لأقوال مخالفيهم المنصفة، فإنّي وجدتُ أفضل ما ورد عن السبب في ظهور بعض ما يُشنَّع به عليهم هو ما ذكره المسعودي في التنبيه والإشراف (الصفحة ٣٣٩ ط. دار صعب)، فهو يقول:

"وأخبار الغلام المعروف بالزَّكْريّ من أبناء ملوك الأعاجم من بلاد أصبهان، وروده إليهم في سنة ٣١٦، وتسليم أبى طاهر الامر إليه في سنة ٣١٩ وإجماعهم عليه، وما رسم من الرسوم والمذاهب التي أخذهم بها، وقتله لأبي حفص بن زرقان زوج أخت أبى طاهر .. وبني سلمان، وغيرهم من وجوه العسكر، وهم نحو من سبعمائة رجل، وما أظهر في العسكر من المذاهب الشنيعة، والسِّيَر القبيحة، التي لم تُعهد، ولا عُرِفت في عسكر هؤلاء القوم منذ استولى أبو سعيد على هذه البلاد وولده وزوالها

وسـيرتهم ـ أعـني القرامطـة ـ في الفجـور وتعـاطي النّكـور[٨٤٣] أكثرُ مـن أنْ أَحُـدَّ أقلَّهَـا قَـدْراً، وأن أبلـغ منـها عُـشْراً، وكـانوا علـى هـذه الـسُّنّة المـشئومة جـادّين، وبهـا آخذين، والمسلم بين ظهرانيهم[٨٤٤] يقاسي الامتحان والذلَّ والامتهان.

ولم يبق بالبحرين من ينطق بالدِّين، ويتمسّك بعُرى الحقّ المبين، صابراً على كثرة الأذى يسأل الله تعالى إماطة البلاء غير أهل هذه الجزيرة المعروفة بأوال يدفعون طامي شرِّهم وداعي أذاهم وضرّهم بالتي هي أحسن، وإن لم يكـن في ذلـك نيْـلٌ يُـسْتهْوَن[٨٤٥]، وكانـت الأيـام تنطـوي وتمضي، والسّنون تندرج وتنقضي، والقرمطي في قُوّةٍ من مملكته، وشدّة من سلطنته، متمكناً من أغراضه وطَلبته نحو مائة وأربعين سنة منذ ملك هذه الجزيرة بفرعنته[٨٤٦]،

بزواله ورجوعهم عنها، واعتذارهم عنها، وما وقع عليها من التدبير إلى أن قتل فيما قيل، وعاد الامر إلى أبى طاهر".

[٨٤٣] في الروسية: "المنكر"، وفي الطهرانية: "المنكور".

[٨٤٤] في الروسية: "أيديهم".

[٨٤٥] كانت في البرلينية: "يُستلان يستهون"، وفي الطهرانية: "يستلات ويشتهون" وما أثبته من الروسية، وشكلتها بما يتوافق مع السجع الذي التزم به في هذا الخطاب.

[٨٤٦] سوف يمر بنا في آخر هذا الخطاب أنّ أبا البهلول أرسله إلى دار الخلافة عام ٤٥٧ للهجرة، فإذا كان قد مضى على احتلا

آمناً في ذلك كلّه من مقاوم يزاحمه، ومضاد يضادده، وكلما رأى رأساً ذا حال وجاه ومال، يتوسّم فيه أمارة الشهامة، ويدلّ على سمته الصّرامة والزعامة قتله، وبالهلاك بدره وعاجله، حتى لان حبلُ دولتهم،[847] واضطرب ووهى ركن مملكتهم، وكثرت منهم الأطماع في الأرواح والأموال، واستصفاء الأملاك والأحوال.

وكنتُ راصداً[848] الوقت الذي حِينه أغمز قناتهم، وأقرعُ عند أوانه وإبَّانه صَفَاتَهم، فنهضت متعصباً[849] للدولة العباسية، والدعوة الهاشمية أدامها الله ما دام

القرامطة لجزيرة أوال قرابة المائة والأربعين سنة كما يقول أبو البهلول هنا، فهذا يعني أنّ القرامطة لم يحتلوا هذه الجزيرة إلا في العام ٣١٧ للهجرة أو قريباً منه، وكانت زعامة القرامطة حينها لأبي طاهر سليمان بن الحسن الجنابي، فيبدو أنّ أباه أبا سعيد لم يتمكن من ضمها إلى أختيها القطيف والأحساء في حياته، وأنّها لم تنضمّ إليهما إلا في عهد ولده أبي طاهر بعد سنتين من توليه الحكم، وأربعة عقود تقريباً من تأسيس أبيه لدولتهم في القطيف والأحساء.

[847] كانت في البرلينية والطهرانية: "دولته"، وما أثبتناه من الروسية، وهو الأرجح لأن الكاتب ممن يلتزمون السجع.

[848] في الروسية: "أرصد".

[849] كانت في الطبعة الأولى "ممتنعاً" اعتماداً على المصدر الوحيد حينها، وهو النسخة البرلينية، وصححناها هنا عن الروسية، وفي الطهرانية: "فنهضتُ ممتضعاً"، ويبدو أنها تحريف "ممتعضاً".

الـديموم، وأزهـرت النجـوم، ومنتـصراً لـدين الله تعـالى، ومعيداً ما طُمس من شرعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم، وبعثـت إلى مَـنْ بهـذه الجزيـرة المعمـورة مِـن وُلْـدِ عبـدالقيس أعـزّهم الله علـى التـآزر والتظـاهر والتناصـر في ذات الله، وطلباً لما عند الله، ومـا عنـد الله خـيرٌ للأبـرار، فـأقبلوا نحـوي داعـين، ولقـولي مطـيعين، وإلى نـدائي مبـادرين، فطردنـا مـن كـان بيننـا مـن ولاة القرامطـة بعـد خذلهم ومن يقـول بقـولهم، ويتمـذهب بمذهبـهم، ولم يبـق بهذه الجزيرة ـ حماها الله تعالى ـ ناظرٌ يلي أمرها، ولا آمرٌ ولا ناهٍ يدبّرها، وتصوَّر مَنْ بها أنْ لا غِنَى لهم عن زعيم[٨٥٠] يلي أمرهم، ويسددهم لما فيه استقامتهم وصلاح أمورهم، وقد تحققوا أنني أنهضُ الأكْفاء بالأعباء[٨٥١]، وأقومُهُم طريقةً إلى تهـذيب الآراء، وأكثـرهُم طلاقـة، وأوفـرهُم ديانـة وعفافـة، وأعـرفهُم بمـصادر الترتيـب، وأبـصرهُم بمـوارد التـصعيد والتـصويب، فـاجتمع رأيهـم علـى تـرقيتي درجـة الإمـارة ورتبتـها، وتقليـدي أمـور الإيالـة[٨٥٢] وكلفتـها، فامتنعـت مـن قبولهـا، ونأيـت عنـها وانقبـضت، فـأكثروا تـردادهم إلي، وعقـدوا خناصـرهم علـي، فالتزمتـها بعـد

---

[٨٥٠] وفي الروسية: "أن لا بد لهم من زعيم".

[٨٥١] في الروسية: "أنهضهم بالأكفا وبالأعبا"، وما هو مثبت عن البرلينية والطهرانية أفصح.

[٨٥٢] في الروسية: "المحكمة".

عهود إليهم عهدتها، وعقود وثيقة عليها عقدتها، أنهم يبذلون الأرواح في سبيل الله، ومجاهدة القرامطة أعداء الله، مستشعرين طاعة الدولة العبّاسية، والكلمة المباركة الهاشمية، مدة أعمارهم، ومنتهى آجالهم، وتكون طريقتهم الطاعة، ومذهبهم السُّنّة والجماعة، مذهب الإمام أبي حنيفة، به يعرفون، وعليه يحيون ويموتون،[٨٥٣] مستبصراً

---

[٨٥٣] ينبغي أن لا يؤخذ كلام أبي البهلول على ظاهره، فهذا كلام سياسي بحت، والواقع إنّ أبا البهلول كان كأغلب أفراد قبيلته عبد القيس آنذاك شيعيًّا إماميًّا، ولكن لأنّ مذهب الدولة العباسية الرسمي كان المذهب الحنفي، فأعراف السياسة تقتضي أنْ يتزلّف أبو البهلول إلى الخليفة وحاشيته بقوله هذا.

ويشار إلى أنّ المقدسي الذي توفي نحو ٣٨٠ للهجرة أي قبل أن يحكم أبو البهلول أوال بـ٧٧ سنة ذكر مذاهب بعض مدن الجزيرة العربية، فقال: "ومذاهبهم بمكة وتهامة وصنعاء وقُرْح سُنَّة، وسواد صنعاء ونواحيها مع سواد عمان شُراةٌ غالية، وبقية الحجاز وأهل الرأي بعُمان وهَجَر وصعدة شيعة" (المقدسي: أحسن التقاسيم إلى معرفة الأقاليم؛ الصفحات: ٣٢ – ٣٣)، فهو ينص على أنّ هجر ـ وهي كانت تعني إقليم البحرين كله – كان أهلها كلهم شيعة.

كما نصّ ابن المجاور الشيباني المتوفى في (٦٩٠ للهجرة) على أنّ جزيرة أوال كان بها: "ثلثمائة وستين قرية إمامية المذهب ما خلا قرية واحدة"، وهذه القرية التي استثناها كانت قرية للخوارج أشار إليها هو بنفسه في موضع آخر من كتابه هذا عند ذكره لبلاد

فيما اعتمدته وتوخّيته، وعليه صحة نيتي ومحض عقيدتي طويته، مستعيناً بالله تعالى، وواثقاً منه بحسن المعونة على ما أولانيه، وجميل المقابلة فيما أنالنيه، فتحولت إلى دار الإمارة، ومكان الإيالة والأصالة، وأقيم لسيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه وأعلى كلمته وثبّت دولته ـ في المسجد الجامع رسم الخطبة على العادة المعروفة، ثم لي بعده، إذ لا جامع في هذه الأقطار كلها مع عرضها وطولها يذكر فيه اسم الله إلا هو، وتقام الصلوات فيه سواه.

الخوارج وقراهم في الجزيرة العربية وخارجها، فقال في تعداد أسمائها: "وقرية بأعمال البحرين شذ على الراوي اسمها" (ابن المجاور الشيباني: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز؛ القاهرة ١٩٩٦م؛ الصفحات: ٣٠٨، ٣٣١)، فواضح أنها هي القرية التي استثناها في النصّ الأول.

فهذان مؤرخان أحدهما قبل أبي البهلول والآخر بعده ينصان على أنّ سكان إقليم البحرين القديم هم من الشيعة، وهذا هو المعروف عنهم في المنطقة منذ قديم الزمن، وهو ما نصّ عليه أيضاً ياقوت الحموي في رسم (عُمَان) من معجمه البلداني عندما قال عنها: "وأكثر أهلها في أيامنا خوارج إباضية ليس بها من غير هذا المذهب إلا طارىءٌ غريب وهم لا يخفون ذلك، وأهل البحرين بالقرب منهم بضدهم كلهم روافض سبائيون لا يكتمونه ولا يتحاشون وليس عندهم من يخالف هذا المذهب إلا أن يكون غريباً".

وقد تجرّدت لمناصبة القرامطة ـ خذلهم الله ـ ومحاربتهم في ذات الله، فعمدت إلى طرفٍ من أطراف مملكتهم يعرف بالعُقَير،[٨٥٤] وهو دهليز الأحساء، ومصبّ الخيرات منه إليها، وكثرةِ الارتفاعات[٨٥٥] التي جُلُّ الاعتماد عليها، فخربته، وبالحضيض الأسفل ألحقته، وقطعت المادة منه عنهم، وضيَّقت فجاج ما كان يتسع لهم وعليهم، وحميت موارد ارتفاعاتها دونهم.[٨٥٦]

وعدوت بالمدد الأوفى والعدد الأكفى والكماة الأنجاد والحُماة الأمجاد إلى ناحية الخطّ، وتعرف بالقطيف، وقد حصل بها صنمٌ من أصنامهم، وهو بعض وزرائهم يعرف بابن سَنْبَر ـ خذله الله وخذل أشياعه وأباد أنصاره وأتباعه ـ فقتلت عُدّةً وافية من رجاله،[٨٥٧] وقد امتنع « مني »[٨٥٨]

---

[٨٥٤] لا زال معروفاً حتى اليوم، وهو كان ولا زال ميناء الأحساء الأول والأخير، ولكنّه فقد أهميته اليوم بسبب تحوّل الإمارة إلى مدينة الدمام وبناء ميناء كبير فيها يتسع للسفن العملاقة بعكس ميناء العُقير وميناء القطيف، ويقع العُقير إلى الشمال الشرقي من الهُفوف عاصمة الأحساء اليوم بـ٧٠كلم، ويقصده الناس للراحة والاستجمام والتنزه.

[٨٥٥] في الروسية: "الانتفاعات".

[٨٥٦] في الروسية: "ارتفاعات دورها".

[٨٥٧] لعلّ هذه هي الوقعة التي كانت بالقرب من جزيرة كسكوس المار ذكرها في شروح هذه القصيدة؛ لأن أبا البهلول

بخيل من الأعراب يجعلها بيني وبينه كالحجاب[٨٥٩] فهي حواليه تحميه من أن تُخْضَدَ شوكتُه، وتجتث أصيلته، و«قد»[٨٦٠] اجتهدت في اجتذاب مراكب كان أعدّها للعبور فيها إلينا، والانصباب بها علينا، ولم يبلغ ما تمنّاه فينا أبداً إن شاء الله، فَمَانَعَ عَنْهَا[٨٦١] بهذه الخيل، ودافع بها دونها، ولو كان لأهل هذه الجزيرة ـ حماها الله ـ مُكْنة، أو في أيديهم من المال فُسحة لأكففت من جهتهم ما أرضَىْ من الأعراب، وسددت بذاك بيننا وبينهم الأبواب، وأنزلتُ القرامطة بالهوادي والأعالي والقوادم والخوافي لأنهم بهم يَطِيرُون، وبمكانهم يَغْتَرُّون، وعن بابهم « لا »[٨٦٢] يَفْتِرُون

ذكر هنا أنه قصد ابن سَنْبر في القطيف، وكسكوس قريبة من القطيف، وسوف يذكر أبو البهلول في ختام كتابه هذا الوقعة الأخرى التي أوقعها بابن سنبر في البحر ومرّ بنا تفصيلها، وهي الوقعة التي كانت قرب (حالة) القرية الواقعة في جزيرة سترة.

[٨٥٨] ما بين القوسين من الطهرانية، وفي الروسية: "استعد بخيل من الأعراب".

[٨٥٩] لا شكّ أنه يقصد بذلك بني عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الذين كانوا أقوى القبائل المناصرة للقرامطة، وكانوا خفراء البحرين في آخر عهدهم.

[٨٦٠] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية.

[٨٦١] أي عن القطيف.

[٨٦٢] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية.

بـل جُـلُّ[٨٦٣] مـا فيهـا[٨٦٤] مـن الإرتفاعـات بُلْغَـةُ[٨٦٥] سـاكنيها وقاطنيها وقت الإدراك[٨٦٦]، ولـو قيّض الله برحمته لنا مُراتباً يراتبنا[٨٦٧]، ومُساعداً يساعدنا بمالٍ ينفقه لوجه الله تعالى أو زكاةٍ يصرفها إلينا رغبةً فيما عندَ الله لحططت به أوزار[٨٦٨] هـذه الكفـرة، وأمطـت[٨٦٩] بقوتـه آثـار[٨٧٠] القرامطـة الفجـرة، ولأرضيت الأعراب المطيفين بهـم، المتفرقين حول بابهم، ولـسرت إلى الأحـساء بالأحـشاد والرجـال، والـصناديد والأبطال، ولملكتها واحتويتها بلا منازلة ولا قتال، ولكان ذلك أقرب زلفةً إلى الله تعالى، وأفضل عنده مما تُوْصَلُ به

---

[٨٦٣] في البرلينية والطهرانية: "جهل!"، وفي الروسية: "جهلوا"، وكلاهما لا يصح، وما أثبته هو ما رأيت أنه الأصح في قراءتها.

[٨٦٤] الضمير هنا يعود على جزيرة أوال.

[٨٦٥] وردت في الروسـية: "وبغتـة"، ومـا أثبتنـاه عـن البرلينيـة والطهرانية، وهو الأصح.

[٨٦٦] أي إدراك الرُّطب والثمار في الصيف.

[٨٦٧] في الروسية: "مرتباً يرتبنا".

[٨٦٨] كذا وردت في البرلينية والروسية والطهرانية، وما أراها إلا "أقدار".

[٨٦٩] في الروسية: "وأمتّ".

[٨٧٠] هـذه الكلمـة أثبتـها مـن الروسـية، وكانـت في البرلنيـة والطهرانية: "آصار".

أجنحةُ مجاهدي الرُّوْم، فبالله الذي لا إله إلا هو يميناً بَرَّة، وقسماً حقاً، لجهاد القرامطة وقتالهم أفضل من قتال سواهم، وإن رَشْقَاً واحداً يُرْمى به في وجوهم، وسَهْماً مرسلاً يصل إلى رجل من عديدهم لأبرّ من سبعين سهماً[871] يرمى في الهند والروم « لأنهم »[872] من ذوي الدين المذموم، وفيهم تقدم القول شعراً:[873]

وحَرَّموا الصلوات الخمسَ في هَجَرِ والكُفْرُ ينزل، والإيمان يرتحلُ

وقال آخر غيره:

وغير حرامٍ أن يُباحَ لمعشَرِ أغاروا على البيت الحرام حريمُ

فهل طائفة أحق بالمساعدة وأولى بالمرافدة والمعاونة والماكنة بالزكوات والأموال المعدة للمثوبات من هذه الطائفة المرابطة لهؤلاء القرامطة؟ وقد تُحْملُ الأموالُ الجَمَّةُ إلى الرّباطات وسائر الثغور يُطلب بها وجه الله تعالى والنصرة على عدوّه، وهذا والله هو الثغر الأعظمْ، ومساعفته بما فوق المكنة أو قدرها آثرُ وأجْسَمْ، وما أنفق

---

[871] وردت هذه الجملة في الروسية هكذا: "ليوزن بسبعين سهماً".

[872] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية.

[873] لم نجده فيما لدينا من مصادر هو والبيت الذي يليه، فلعلهما لشاعرين من شعراء المنطقة إن لم يكن ثانيهما لأبي البهلول نفسه.

فيه الفرد من الدراهم أصاب به عند الله الفائدة وأجلّ المغنمْ، وقد أكّدت عند الله النذورَ؛ إن ساعدني على ما أنويه المقدور، وكُفِيْتُ هؤلاء الأعراب، واقتدرت لهم على الإرضاء والاستجلاب، وملكت بتوفيق الله وعزّته الأحساء، ووطئت أرضها، وحويت طولها وعرضها، خرَّبت قصور القرامطة التي أسست على الكفر الصَّراح، وعمَروها بطاعة الشيطان في الإمساء والإصباح، واستبدلت بها جوامع ومنابر، وابتنيت فيها مشاهد ومنائر، وشَيّدتها بذكر الله تعالى، وأوضحت لحجاج بيت الله الحرام السبيل، وأقمت لهم على ذلك أكرم شاهد ودليل، وأظهرت الشريعة الإسلامية، وأعلنت منارها، وأوضحت في الأيام والأنام أنوارها، وصرفت الاهتمام إلى افتتاح البلاد التي يظهرني الله عليها، ويوصلني ببركة طاعة سيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ـ ثبّت الله دعوته، وأعلى كلمته ـ إليها، وكنت للدولة العباسية ـ ثبتها الله ـ والدعوة النبوية ـ أدامها الله ـ عبداً مطيعاً، وخادماً مذعناً سميعاً، وقصدت بسعودها وكثيف جنودها وخافق بنودها الشُّرَاةَ الخَوَارجَ بأرض عمان، ومردة حزب الشيطان، الداعين إلى إمام منهم نصبوه، وأخذوا مأخذه وأطاعوه واتّبعوه، ولم يغادروا إماماً بعده إلا كفَّروه واطّرحوه ونبذوه، فأقتل ـ بمشيئة الله وعونه ـ محاربهم، وأزيلهم عن مراتبهم، وأزعجهم من جوانبهم، حتى يفيئوا إلى طاعة سيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين

ـ أدام الله أيّامــه، وأنفــذ في الــورى أحكامــه ـ ويأخــذوا سنّتها، ويسلكوا سبيلها، ولا زال المولى يتَسَنَّى[٨٧٤] الجهاد في طاعته، ومُنْفِذاً[٨٧٥] الجهد لإشادة دعوة دولته، حتى ينفذ أجلــي المكتــوب، وينقطــع نيــاط نفْــسِي « ونفَــسِي »[٨٧٦] المحدود[٨٧٧] والمحسوب.

و« قد »[٨٧٨] أنهيت هذه الأحوال المتجددة والأسباب الحادثة إلى حضرة سيدنا الأجل السيد الأوحد ـ أدام الله بسطته ـ وهي من البشارة السارّة للقلوب، القاضية لإرادة المحبوب، ليأخذ حظه من الابتهاج بها، والاحتفال بمكانها لا سيّما فيما سهّله الله تعالى بلطفه في أيام سيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ـ أطال الله في العزّ الدائم بقاه، ونصر جنده ولِواه، وكبت حسدته وعِداه، وقد مَضَتْ لهذه الدولة القرمطية المشئومة مائة وأحدى وسبعون سنةً[٨٧٩] على عهد من سلف من الأئمة وولاة العهد من

---

[٨٧٤] في الروسية: "ولا زال العبد يتسلى! .. الخ".

[٨٧٥] في الروسية: "وباذلا".

[٨٧٦] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[٨٧٧] في الروسية والطهرانية: "المعدود".

[٨٧٨] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية.

٨٧٩ من المعروف أنّ بداية تأسيس أبي سعيد الجنابي للدولة القرمطية في البحرين هو العام ٢٨٦هـ (الطبري: تاريخ الأمم

الخلفاء المتقدمة، ولم يبق أحدٌ من الملوك الماضية إلا رام مملكةً من ممالك هؤلاء القرامطة، فَعَزَّ عليها مَطْلَبُها[880]، ولم يَلُنْ[881] لها مُسْتَصْعَبُها، وقد مكنني الله تعالى من بعض مملكتهم، ولو تَطَوَّلَ علي – بالمساعدة والمؤازرة والمرافدة

والملوك؛ ج٨: ١٩٦)، وهو يقول هنا إنّه قد مضى لهذه الدولة ١٧١ سنة، فهذا يعني أنّ تاريخ كتابة هذا الخطاب هو العام ٤٥٧هـ، وعليه فإنه يمكننا التأكيد على أنّ هذه الأحداث التي ذكرها في خطابه هذا وذكرها الشارح في الخبر السابق قبل أن يكتب هذا الخطاب هي أحداث وقعت بين العام ٤٥٧ للهجرة هذا، وبين العام ٤٥٠ للهجرة؛ لأنه ورد في الخبر المطول الذي أورده الشارح قبل هذا الخطاب أنّه بعد أن طلب من القرامطة الإذن له في بناء مسجد في جزيرة أوال، وموافقتهم له على ذلك؛ ذكر أنه شرع في بنائه حتى أكمله، ثم خطب فيه للقائم العباسي مدة من الوقت حتى كانت وقعة البساسيري في بغداد، وإخراجه للخليفة القائم العباسي منها عام ٤٥٠ للهجرة، وخطبته فيها للخليفة المستنصر الفاطمي، فطلب من يهوى هوى القرامطة في جزيرة أوال من أبي البهلول أن يخطب للخليفة المستنصر فأبى، وهذا يدل على أنّ إضمار النية بالخروج على القرامطة – على أقل تقدير – كان لدى أبي البهلول قبل العام ٤٥٠ للهجرة، وأما بناء المسجد الذي رَجَّحتُ فيما مضى أنه المسجد المسمى الآن بمسجد الخميس – فقد تمّ وفق هذه المعطيات قبل العام ٤٥٠ هذا بقليل.

[880] في الروسية: "فعزّ عليه مطلبه"، وكلاهما يصح.

٨٨١ كانت في الأصول الثلاثة: " يكن " ويبدو أنه تحريف، فصححته استظهاراً.

مـن ذلـك – المَقَـامُ الأشـرفُ النبـويُّ الأعظـمُ – نـوّره الله – بإنفاذهِ إلى سائرِ القُرى[882] من مواضع الإسلام بالمبادرة إلينا والاجتماع لنصرتنا وصلة جناحنا ـ من جهةٍ ترجع إلى حالٍ وسلاح أو عَدد ـ بالمساعدة لنا وما يتفق من الرجال ويتسهّل من المال ـ لِوَقْعِ الاستظهار به، والقوة بمكانه ـ لبلغت المأمول وأدركت السُّؤُولَ بعد أن لا يكون علينا طاعة ملتزمة إلا لسيّدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاه ونصر لواه ـ دون من سواه من ولاة عهده وقائدي جنده.[883]

---

[882] كانت في البرلينية: "القراة" وفي الطهرانية: "الفاه!"، والتصحيح من الروسية، وكنت قد أشرت في الطبعة الأولى قبل أن تحصل لي النسخة الروسية إلى احتمال أن تكون "القرى".

[883] هذه الجملة الأخيرة هكذا كتبت في البرلينية والروسية والطهرانية، وقصد أبي البهلول منها هو أنه يريد من الخليفة جنداً لمعاونته على حروبه ضد القرامطة على أن يكون هو القائد المطلق عليهم بحيث لا يرجع في أموره والتزامه بالطاعة إلا إلى الخليفة فقط، وليس إلى غيره من قُوّاد جنده وولاة عهده، وكانت هذه نزعة مشتركة بين أبي البهلول وبين يحي بن العباس الجذمي العبدي الذي خرج على القرامطة في القطيف بعد حركة أبي البهلول بعقدين من الزمان تقريباً، وقد مرّ بنا تنصله من القتال مع الجيش العباسي الذي جاء إلى القطيف مع القائد كجكينا لأنه لم يكن يريد أن يكون تابعاً له، وإنما أراد أن يرسل له الديوان جيشاً يكون هو – أي يحي بن العباس – القائد المطلق له، وهذا

وقد أنهيت هذه الجملة التي أنا ملابسها ومباشرها وممارسها إلى حضرته ـ أدام الله علوّها ـ لينعم[884] ـ أعلى الله شأنه ـ بالوقوف عليها، والإنعام بإنهائها إلى هذا المقام الأشرف النبوي ـ نوره الله وعظّمه، وتشريفي بالجواب الذي أدفع به عني صدمة النوائب، وأكشف بمكانه فورة الحوادث، وأتقدم بشرفه في الأنام، وأتيَّمن بيمنه بين الخاص والعام، وقد شافهت الشيخ الجليل أبا يعلى ظافر بن علي الرحي[885] أدام الله تأييده، وسلّمه لما يريده بعالي حضرته، وعند المنزلة بسامي مدته لمشاهدته بهذا المكان ما شاهده من مخالصتي وحسن طاعتي لرأيه ـ دام عالياً ـ في

الأمر المشترك بين هذين الثائرَيْن على القرامطة لم يهتم له كثيراً ابن قبيلتهما الآخر، وأعني به الأمير عبد الله بن علي العُيوني الثائر الثالث على القرامطة في الأحساء، والذي قبل بمجيء جيشٍ من ديوان الخلافة العباسية مع قائدٍ من قبل الديوان نفسه، وهو أكسك سلار بحيث كان عبد الله بن علي مساعداً له؛ حتى إذا تمكن هذا الجيش من دحر القرامطة انقلب عبد الله بن علي على قائده البغوش الذي استخلفه أخوه أكسك سلار، فقتله واستطاع أن يحكم الأحساء بالخدعة، والحرب خدعة، ثم نجح بعد ذلك في انتزاع القطيف وأوال من زكري بن يحي بن عباس الذي انتزع أوال من أبي البهلول.

[884] كذا في الروسية والطهرانية، وكانت في البرلينية: "ليعلم".

[885] لم نعثر له على ترجمة فيما توفر لدينا من مصادر.

استماعه، واستيفائه[٨٨٦] تشريفي بالجواب عنه بما يهزُّ عطفي ويرفع طرفي، واستخدامي بالأوامر النامية والمراسم العالية التي انتهي إليها وأبتجح بالسعي فيها من يد القدرة والجلال إن شاء الله.

وقد تجدد بعد الفراغ من الخدمة ما أنهيته على وجه الاختصار، وذلك أن الملعون ابن سنبر ـ خذله الله ـ جمع رجاله وحفدته وأشياعه وفرقته في العدد الكثير والجمّ الغفير، وشحن بهم الدوانيج[٨٨٧] والمراكب، وسار بهم يريد قتالي وهلاك رجالي، فاستقبلتهم بجيوش الله ذوي الدين وصحة اليقين، وهجمت عليهم في البحر، فقتلت منهم أكثرهم، وغرّقت أوفرهم، وغنم الأصحاب ـ نصرهم الله ـ ما كان عندهم من عدة وعتاد وسلاح وخيل، وأفلت هو من تحت القبضة هارباً بنفسه، وأتى القتل والأسر[٨٨٨]

---

٨٨٦ كانت الكلمة في البرلينية والروسية: "واستبقائه"، والتصحيح من الطهرانية.

٨٨٧ في الروسية: "الدوانيق"، وما في الأصل المثبت عن البرلينية والطهرانية هو الصحيح، والدوانيج مفردها دُوْنَج، وهو مركب بحري معروف في المنطقة؛ شاهده الإدريسي عند زيارته لجزيرة أوال، ووصفه بأنه أكبر من الزورق، وأن في إنشائه وِطَاء (الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق؛ ج١: ٣٨٨).

٨٨٨ في البرلينية والطهرانية: "الأمر"، وقد كتبناها عن البرلينية كذلك في الطبعة الأولى لعدم حصولنا على النسخة الروسية التي تم

علـى وجـوه جنـده وزعمـاء[889] رجالـه[890] ـ لعنـهم الله ـ وطالعت بذلك لينعم بالوقوف عليهم، ويرى بصائب الرأي العالي إمدادي بما أسير به وبقوته إلى الأحساء بمشيئة الله وعزّته[891] إن شاء الله، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلواته على خير خلقه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

مَـنْ ذَا يُقَـاسُ بعَبْـدِ اللَّهِ يَـوْمَ وَغَـىً

فِـيْ بَأْسِـهِ أَوْ يُبَـارِيْ جُـوْدَهُ كَرَمَـا

يباري أي يحاكي، والمباراة: المحاكاة والمعارضة، وعبد الله هو عبد الله بن علي العيوني «الذي قام على القرامطة»[892].

التصحيح منها في هذه الطبعة.

[889] في الروسية: "ورؤساء".

[890] وهذه هي الوقعة الثانية التي سبق وأشرت إليها، والتي قلت إنها وقعت بالقرب من جزيرة سترة قرب القرية المعروفة منها باسم (حالة).

[891] في الروسية: "وعونه".

[892] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، وأراد الشارح بذلك تمييزه عن جدّه عبد الله بن علي الأول الذي عبَّر الشاعر عنه بالشيخ فيما سبق، وقد سبق وأشرت إلى أننا قد سرنا نحن في تحقيقنا على ذلك فميزنا بين الاثنين بإلحاق صفة (الشيخ)

مِنَّـا الَّـذِيْ جَـادَ بـالنَّفْسِ الخَطِيْـرَةِ فِـيْ

عِـزِّ العَـشِيْرَةِ حَتَّـىْ اسْـتَرْحَلَ العَجَمَـا

يعني علي[893] بن عبد الله « بن علي »[894] ولده الكبير، وذلك أن الأعاجم الذين جاءوا يطلبون بدم البغوش[895] أقاموا على حصار عبد الله بن علي، ومن معه في دار الإمارة بالأحساء سنةً كاملة، وأعانهم أكثر أهل البلاد من قحطان وغيرهم من نزار، فلما طال عليهم الحصار وتيقنوا

بعبد الله الأول، وصفة (المؤسس) بحفيده عبد الله الثاني الذي قام على القرامطة وأسس الدولة العيونية.

[893] في الطبعة الهندية: " يعني عبد الله بن علي العيوني " وليس صحيحاً.

[894] ما بين القوسين من البرنستنية، وورد مكانها في البرلينية والروسية والطهرانية: "بن ابنه الكبير"، وهو غير صحيح، فعلي هذا هو أبو المسيب الابن الأكبر لعبد الله بن علي المؤسس؛ كما سبق ومرّ بنا، وسيذكره الشارح الآن.

[895] في الطهرانية: "البقوس"، وهو تصحيف: "البقوش"، ويجوز نطقه بهذا الرسم الأخير والرسم المثبت أعلاه لأن بعض سكان المنطقة القدماء يدغمون حرفي القاف والغين، تقدم قولنا أنهم كانوا بقيادة ابن أخي البغوش ركن الدولة داؤد بن سقمان بن أرتق بن أكسب التركماني.

أنهم لا يقدرون على القصر[896] راسلوا عبد الله بن علي في

---

[896] لقد مرّ بنا وها هو يتكرر هنا وسيأتي أيضاً كيف أنّ كل الجيوش التي حاصرت هذا القصر – قصر القرمطي ـ كانت تتحطم آمالها على عتبات جدرانه، وتقف تلك الجيوش بكل إمكاناتها عاجزة عن اقتحامه، وهو إنْ دلّ على شيء فإنما يدل على متانة بنيانه وقوة تحصينه منذ أن بناه مؤسسه الأول أبو سعيد الجنابي في آخر العقد التاسع من القرن الثالث الهجري، وحتى مجيء هذا الجيش في أواسط العقد الثامن من القرن الخامس، وسيظل صامداً أيضاً في وجه غزوات البدو اللاحقة في عهد أحفاد المؤسس حتى القرن السابع الهجري، وربما بعده أيضاً، ولا غرابة في ذلك، فقد بناه أبو سعيد على ربوة عالية ـ تُعرف حتى الآن باسم الرّابية في بلدة البطالية – تحيط بها بساتين النخيل الكثيفة من جميع جوانبها وخنادق الأنهار القادمة من عين الجوهرية تحيط بها من الجنوب والغرب والشمال، فكان حريّاً به أن يصمد كل هذا الصُّمود الذي تابعناه من خلال هذا الديوان وشروحه، وقد بقيت أطلال هذا القصر باقية حتى وقتنا هذا غير أنّ الإهمال وعدم الاهتمام بمثل هذه الآثار والخلفية الثقافية المتزمتة لدى بعض المتنفذين ساهمت في اندثارها وتلاشيها، ومما زاد الطين بلّة وبلاً هو أنه عندما أراد هؤلاء المتنفذون بناء مدرسة لأولاد البلدة لم يجدوا – وربما يكون ذلك بعمد – غير موضع هذا القصر الأشم لبناء هذه المدرسة!!، فقاموا بهدّ ما تبقى من أبنيته وحيطانه، وردم ما كان واضحاً منها ليبنوا فوق رفاتها تلك المدرسة!!، وقد ذكر ذلك أستاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر عند حديثه عن البطالية في المعجم الجغرافي ؛ قسم المنطقة الشرقية.

الصلح بأن يقود إليهم ابنه علياً من صاحبهم البغوش الذي قتله عبد الله بن علي[897]، فامتنع عبد الله من ذلك، وقال هذا شيءٌ لا أفعله، وبذل لهم الدية مضاعفةً فلم يقبلوا غير القِوَد ولا يكون أحداً غير علي، فبلغ ذاك علياً، «فقال: أَنا أفعل وأسلّم نفسي إليهم لحفظ الدولة وسلامة العشيرة، فقال أبوه: لا يكون هذا، فخرج إليهم»[898] فقاد نفسه، وقال أفتدي بنفسي دولة أبي وأهل بيتي وسلامة عشيرتي وصلاح البلد والرعية، ولم يشاور أباه في ذلك مخافة أن يمسكه ولا يوافقه عليه، فحينئذٍ رحلت العجم ورحلوا به معهم إلى كِرمان، وأقام بها في توكيلهم مدةً، فبعث إلى السلطان يسأله جاريةً تلهيه، فبعث إليه جاريةً حسنة المنظر حسنة الغناء[899]، فغشيها، فحملت

---

[897] في الطبعة الهندية ذكرت أنّ الذي قتله هو ابنه علي المذكور، وقد مرّ بنا فيما مضى أنّ الشارح نسب عملية قتله إلى الأمير عبدا لله المؤسس، وإن كان ذلك لا يمنع أن يكون ابنه علي هو المنفذ لعملية القتل بأمر والده، ولكني أستبعد ذلك لأنّه لو كان هو الذي قتله لبادر ابن أخي البغوش إلى قتله ساعة حصوله في يده.

[898] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[899] في الطبعة الهندية: " جارية حسناء ذات جمال وغنى ونعمة " وفاتهم أنه كيف تكون امرأة ذات غنىً ونعمة جاريةً تُهدى لمن طلب ؟!!.

منه، فولدت غلاماً سمّاه جسّاساً، « فظهر[900] جسّاس، وكان فارساً عظيماً »[901] ثم إن عبد الله بن علي بعث رجلاً من أهل الأحساء من بني أمية، ثم من ذرية عثمان بن عفّان يقال له عزيز[902] بن محفوظ ليحتال في إخراجه، وبعث معه مالاً كثيراً، فسار ذلك الرجل حتى بلغ كرمان، فما زال يتوصل إلى السجّان حتى صار بينه وبينه أنس وخلطة بعد هدايا أهداها إليه وتحف أتحفه بها[903] من الجواهر وغير ذلك، ففطن السجّان، وعلم أن له غرضاً، وأنه يريد التوصل إليه به، فسأله وقال: هل لك حاجةٌ فأقضيها؟ فأخبره الخبر، واحتال السجان في إخراجه فأخرجه ليلاً، ودفعه إلى ذلك الرجل الأموي، وأظهر مع الغداة أنه هرب من السجن، فسار به الأموي متخفياً حتى خرج من أعمال كرمان، وسار ظاهراً حتى بلغ البحرين، « وما مات إلا

---

[900] في الروسية: "فكبر".

[901] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية، وهي في الطهرانية بدون جملة: "فظهر جساس".

[902] كذا كُتب هذا الاسم في الرضوية الأصل، وكتب في البرنستنية: "عُزَيْر" وقد ضبطته بهذا الشكل، ولم يُذكر هذا العَلَم في البرلينية والروسية حيث اكتفتا بالقول إنه رجل من الأحساء من بني أمية؛ في حين لم يرد عنه أي شيءٍ يُذكر في البريطانية.

[903] في البرنستنية: " إياها ".

بالأحساء »[٩٠٤] ونشأ ولده جساس في كرمان حتى مضت له سنوات، وبعث إليه جدّه من جاء به إلى الأحساء، فظهرت منه شجاعة عظيمة حتى إنه ما كان ينزل الحرب إلا بالسيف وبالدَّبّوس ولا يقاتل إلا بهما.

مِنَّا الَّذِيْ قَامَ سُلْطَانُ العِرَاقِ لَهُ
جَلاَلَةً وَالمَلاْ وَالبُعْدُ بَيْنَهُمَا

يعني الفضل بن عبد الله بن علي،[٩٠٥] وكان من حديثه أن قوماً من التجار عبروا في البحر قاصدين البحرين[٩٠٦]،

---

[٩٠٤] ما بين القوسين من البرلينية والطهرانية.

[٩٠٥] وهو ثاني أولاد المؤسس، وكان من أشد أعوان والده في تأسيس الدولة، وهو الذي ملك جزيرة أوال على الأمير زكري أو شريف بن يحي بن عباس كما مرّ بنا، وقد أعطاه أبوه حكم القطيف وأوال في حياته، ثم أعطاهما لابنه أبي سنان محمد بن الفضل بعد مقتل والده فضل، وكان مقتله في جزيرة تاروت على يد خدمٍ له كما ورد في النبذة التاريخية عن حكام القرامطة لمؤلف مجهول، والملحقة بآخر هذا الديوان.

[٩٠٦] وفي الروسية: "قاصدين جزيرة البحر" هكذا، ومن الواضح أنّ البحر تحريف البحرين، وقد يكون ما في الروسية هو الصحيح، وأنّ المراد بجزيرة البحرين أوال التي كانت تحمل كلا الاسمين، وكان الأمير فضل حين أعطاه والده حكم القطيف وأوال قد اتخذ من القطيف عاصمة لملكه لسبع سنين، ثم إنه ارتحل

فانكسرت بهم السفينة، وكانوا قريباً من البرّ، فسلمت الرجال وغرقت «جميع»[907] الأموال، وكان مع بعضهم في ما حكي من الذهب العين مائة ألف دينار «في صندوق».[908]

«وملكها[909] يومئذٍ الفضل بن عبد الله، فبلغه الخبر، فبعث بمراكب[910] فيها قومٌ من الغاصة الذين يغوصون في البحر، فغاصوا على الأموال فأخرجوها من البحر وجاءوا

عنها إلى أوال، فاتخذها عاصمة له لمدة سبع سنين قبل أن يُقتل في تاروت.

[907] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية.

[908] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية، وفي البرلينية والطهرانية: "وكان في جملة التجار تاجر معه مائة ألف دينار في صندوق"، وفي الروسية: "وكان معهم تاجر معه مائة ألف في صندوق".

[909] كذا في البرلينية، وفي الروسية: "وملك الجزيرة يومئذٍ الفضل بن عبد الله"، وهو يؤيد ما قلته من أنّ المعني بجزيرة البحرين هو جزيرة أوال لأنّ الفضل مات وأبوه حيٌّ يرزق، فلم يكن ملكاً للبحرين بمعناه الإقليمي الواسع، وإنما حصل ذلك لولده أبي سنان الذي حكم مكان أبيه الفضل في القطيف وأوال، ثم حكم الأحساء أيضاً بعد موت جده المؤسس.

[910] كذا وردت في البرلينية والروسية اللتين اخترنا روايتهما لاتساقها مع الإضافة التي ستلي، وكانت الجملة في الرضوية الأصل: "فبعث الأمير الفضل بن عبد الله بن علي شذآة فيها غاصة".

بها إلى الأمير الفضل بن عبد الله، ومن عادة الملوك أن تأخذ كلّ مالٍ تنكسر به كل سفينة، فلما حصلت الأموال عنده أمر بأن تجتمع التجّار إليه، فاجتمعوا، فلما مثلوا بين يديه قال لهم: كلّ من له شيء من المال فليذكره ويذكر علامته ويأخذه »[911] فصار كلّ منهم يذكر ماله من المال عدةً ووزناً ونقداً ويُسَلَّم إليه حتى تسلموا أموالهم ولم يبق غير ذلك التاجر « صاحب المائة ألف دينار »[912] لم يتكلم ولا ذكر أيّ شيء له من المال أَيَاْسَاً من الرَّدّ، فأشار «إليه»[913] بأن يتكلم ويذكر ماله فما تركه الأياس[914] يتكلم حتى لج عليه « وقال: ما جئتَ هاهنا إلا ولك مال، فتكلم فإنّا ما تقدمنا إلا بمجيء من له مال، فأي شيء كان ذلك رددناه، فما بقي غير صندوق، فإن كان لك رددناه، فما لنا إليه حاجة، فقال: يا مولانا هو لي إلا أني ما طمعت في رده لجلالة ما فيه من المال »[915]، فحينئذٍ ذكر أن له مائة

[911] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، وهو موجود في أصل الرضوية باختصار مخلّ.

[912] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[913] ما بين القوسين من البرنستنية.

[914] في البرنستنية: "اليأس" وهو الأفصح غير أن قراءة الأصل لا يزال أهالي المنطقة يستخدمونها، فهم يقولون: آيَسَ منه أياساً وهو آيس؛ أي يأسَ منه يأساً وهو يآئس.

[915] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية

ألف دينار، وأخبر بعدد ما فيه ووزنه، وذكر له عدة أكياسها وأسفاطها التي هي فيها، « فأمر له بردّه، فأخرجوه في مجلسه وعدّوه عليه ووزنوه، فحصل مائة ألف دينار »[916] وتسلمه بأجمعه، فتعجب من ذلك جميع الحاضرين من التجار[917] واستعظموا ذلك، واشترى ذلك التاجر بجميع ذلك « لؤلؤاً وجوهراً من البحرين »[918]، وقصد[919] بها إلى العراق، فأخرج منه للبيع في سوق الجواهر جواهر ثمينة لها قيمة كثيرة، « فوصل إلى السلطان كثرة ما عند ذلك التاجر من اللؤلؤ والجواهر »[920]، فبعث إليه فأحضر بين يديه، فقال له: تأتيني بأحسن ما عندك[921]

باختلافات طفيفة.

[916] ما بين القوسين من البرلينية والطهرانية، وهو موجود في أصل الرضوية باختصار مخلّ.

[917] في البرنستنية: " فتعجب جميع من في البحرين من التجار."

[918] ما بين القوسين من البرلينية والروسية، وكانت في الأصل والبرنستنية: " جواهر كباراً وصغاراً ".

[919] في البرنستنية والبرلينية: "وصعد به"، وفي الروسية: "وسافر به إلى العراق".

[920] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، وكان في الأصل هكذا: "فبلغ ذلك السلطان، فبعث .. الخ".

[921] في البرلينية، والروسية: "بجميع ما عندك".

مــن الجــواهر « لنقوِّمــه »[922] وتأخــذ ثمنــه، فأتــاه بعــدة جواهر[923]، فصار السلطان يدفع إليه في العقد الذي قيمته ثلاثة آلاف دينار ألف دينار وألف ومائتين[924] وما قارب ذلك، «فعرف التاجر ذلك منه وتحقق عنده أنه ما يقوّمه بتلك القيمة إلا ليغضب التاجر، وربما غلب عليه الغضب فبدرت منه كلمة جعلها حجةً وأخذ المال بسببها»[925] فـضحك التــاجر ولم يقطــب لــه وجهــاً، فتعجــب منــه السلطان، فقال: يا مولانا ما أردت من هذا المال فخذ بلا ثمن، فإن ذلك كله هبةٌ لي من رجلٍ عربي، فشقّ السلطان عينيـه[926]، وقـال: ويلـك؛ « كيـف الخـبر »[927]، ومـن هـذا «الرجـل»[928] العـربي، ومـا سبب ذلـك، فقـال التـاجر: أمـا

---

[922] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية.

[923] في البرلينية، والروسية والطهرانية: "فأحضره جميعه، فعظم في عين السلطان".

[924] في البرنستنية: " الذي قيمته ثلاثة آلاف دينار ومائتي دينار ألف دينار وألف ومائتي دينار"، وفي البرلينية والروسية: "إذا كان ثمن الشيئ ألف دينار قوّمه بخمسمائة دينار أو دون ذلك".

[925] مـا بـين القوسـين مـن البرلينيـة والروسـية مـع اختلافـات طفيفة.

[926] في البرلينية، والروسية والطهرانية: "بصره".

[927] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[928] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

العربي فالأمير الفضل بن عبد الله بن علي « العُيُوني »[929] ملك البحرين، وأما هبته المال فسببها كيت وكيت، وقص عليه القصة من أولها إلى آخرها، فأمر السلطان في الحال أن يؤتى « له »[930] بجام فيه شيء من الشراب، فأتي « له »[931] به، فقام قائماً وشربه، وقال شربي هذا « فتوّةً »[932] إلى الفضل بن عبد الله بن علي العيوني « ملك البحرين »[933]، وأقبل على التاجر، وقال: احتكم في مالك ما شئت « إن شئت تبايعنا أنصفناك وأعطيناك الثمن »[934]، فصار يشتري منه بما يحتكم من الثمن الأوفى، « وأشار السلطان إلى شرائه، وخرج ببقية المال »[935].

مِنَّـاْ الَّـذِيْ[936] حَـاْزَمِـنْ ثَـاْجٍ إلـىْ قَطَـرٍ

---

[929] ما بين القوسين من البرلينية والروسية.

[930] ما بين القوسين من البرنستنية.

[931] ما بين القوسين من البرنستنية.

[932] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، وهي غير موجودة في أصل الرضوية، وفي البرنستنية: "تَفَتّيَاً" بدلاً منها.

[933] ما بين القوسين من البرلينية والروسية.

[934] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية.

[935] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[936] في البريطانية٢: "هذا الذي" بدلاً من "منّا الذي" هنا، وهي

وَصَـيَّرَ الرَّمْـلَ مِـنْ مَـاْلِ العَـدُوِّ حِمَـىْ

« ثاج أرضٌ من أراضي السَّوْدة؛ بينها وبين البحرين مـسيرة خمـس ليـالٍ[937]، وقطـر أرضٌ علـى سـاحل البحـر

قراءة جيدة أيضاً لأن الممدوح في كلا البيتين واحد، وهو الأمير فضل بن عبدالله بن علي، ولو أنه قال: "وهو الذي" لكانت أفضل من القراءتين معاً.

[937] هذا لا يكون أبداً، فثاج هي من الستار المعروف اليوم بوادي المياه، وهذا الوادي يشكل الحدود الغربية لما كان يعرف في السابق باسم البحرين كـإقليم، فكيف يكون بين ثاج وبين البحرين خمس ليالٍ ؟! وحتى لو كان الشارح ـ إن كان هذا الخطأ منه وليس من الناسخ ـ يقصد بالبحرين الأحساء أو القطيف أو أوال فالمسافة بين هذه المواضع وبين ثاج لا تصل إلى خمس ليالٍ في ذلك الزمان، وهي إلى ليلتين من القطيف أو ثلاث من الأحساء أقرب للصحة، وقد ذكر المسعودي في التنبيه (الصفحة ٣٣٧) خروج أبي طاهر الجنابي من الأحساء قاصداً مكة للإغارة على الحجيج، فذكر أنه قسم عسكره إلى نصفين في الجابرية، وقال عن هذه إنها تبعد عن الأحساء ثلاثة أيام، والجابرية هذه تقع فيها ثاج، وكانت قديماً تُسمى السِّتار الجابري الذي ذكره الأزهري في التهذيب (انظر مادة « ستر »)، وقد سبق وذكرها الشارح فيما مضى من هذا الديوان وعلَّقتُ على كلامه هناك.

والمسافة الحقيقية بين ثاج والقطيف ١٣٠ كلم، وبينها وبين الأحساء ١٨٠ كلم.

معروفـة، والرَّمـل يعـني طريـق عمـان المعروفـة برمـال[٩٣٨] خارجـة »[٩٣٩]، وكـان « الأمـير »[٩٤٠] الفـضل بـن عبـد الله بـن علي قـد حمى هـذه الأمـاكن بجميـع مـا بينـها مـن الأراضـي والمياه والمراعي « وبين البحرين أن تُرعى مراعيها أو ينزل بها بدويٌّ أو يجوزها إلاّ أن يجلب بجلبه إلى البحرين للبيع والـشراء مـن شـاةٍ أو بعـير أو سمـن أو كـساء أو صـوفٍ أو دينار أو ما أشبه ذلك »[٩٤١].

---

[٩٣٨] كانـت في أصـل البرلينيـة: "رمـان"، وكنـا قـد صـححناه ترجيحاً في الطبعة الأولى اعتماداً على وروده في مواضع أخرى من الديوان، وذلك قبل أن تحصل لنا النسختان الروسية والطهرانية، وبعد أن حصلتا لنا وجدنا أنّ الطهرانية كتبتها كما في البرلينية، ولكن الروسية كتبتها: "الرمال" تماماً كما رجّحنا في الطبعة الأولى.

[٩٣٩] ما بين القوسين من البرلينية والروسية، وهو موجود في أصـل الرضـوية باختـصار مخلّ جـداً حيـث جـاء فيهـا كمـا في البرنستنية: " ثاج وقطر والرمل أماكن معروفة. " انتهى

[٩٤٠] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[٩٤١] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، وهو موجود في أصل الرضوية باختصار مخلٍّ جداً حيث جاء فيها كما في البرنـستنية: "ولا يحل بها بـدوي ولا يرعاهـا"، وأمـا في الطبعـة الهندية فلـم يـرد فيهـا منه سوى قولـه: "ثـاج وقطـر والرمـل أمكنـة معروفة، وكان الأمير فضل قد حماها من أن تُرعى".

مِنَّــا الَّــذِيْ حِــيْنَ عَــدَّ الألْــفَ خَازِنُــهُ

لِــــضَيْفِهِ قَــــالَ ضَــــاعِفْهَا أَرَىْ أَمَمَــــا

مضاعفة الشيء أن تضيف إليه مثله، والأمم: الشيء اليسير.

يعني «بذلك»[٩٤٢] الأمير أبا سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي، وذلك أنه وفد عليه رجلٌ فتقدم إلى صاحب الخزانة بأن يدفع إليه ألف دينار، فقال صاحب الخزانة: «أيها الملك إنّ»[٩٤٣] الألف كثيرة ولا تقوى الخزائن[٩٤٤] على مثل هذا العطاء، فقال «له أحضر لي الألف، فإن رأيتها كثيرة أمرت له ببعضها»[٩٤٥]، فأحضر

---

[٩٤٢] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[٩٤٣] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية.

[٩٤٤] وفي الروسية: "ولا تقوى الجزيرة"، فإما أن تكون "الجزيرة" تحريف الخزينة أو الخزائن، أو أنّه كان يقصد بها جزيرة أوال لأنّ أبا سنان وأبوه الفضل قبله قد اتخذاها دار الملك، وقد عثر على نقشي ترميم داخل المسجد المعروف بمسجد الخميس كتب فيهما أنّ من أمر بترميمه هو أبو سنان محمد بن الفضل بن عبد الله، والنقشان موجودان في المسجد حتى الآن.

[٩٤٥] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية، وكتب مكانها في الأصل الرضوي جملة: "فقال: أحضرها لي حتى

الخازن كيساً فيه ألف دينار، فصبها على نطع بين يديه، فجعل يعد مائةً مائة ويصيرها صبرةً[٩٤٦] حتى عد عشر مئات وجعلها في عشر صُبَر[٩٤٧] فجعلها أبو سنان تحت يده بطرف عصاه، وقال: هذا كلّه ألف؟ فخلط الأمير بعضها ببعض وقال: ما أرى الألف إلا قليلا، فزد عليها ألفاً أخرى وسلّم الجميع إليه، فأقلّ من هذا تقصير في حقّه لقصده إلينا، فزاد عليها ألفاً وأعطاها الرجل.[٩٤٨]

مِنَّا الَّذِيْ مَنْ نَدَاهُ مَاتَ عَامِلُهُ

غَمَّاً، وَأَصْبَحَ فِيْ الأَمْوَاتِ مُخْتَرَمَا

المخترم: المقتطع[٩٤٩]، واخترمه الموت: اقتطعه.

هذا الأمير أبو سنان محمد بن الفضل[٩٥٠]، وكان من

أعرفها".

[٩٤٦] في البرنستنية: " صُرَّة " بدلاً من " صبرة " وكلا الكلمتين يصح.

[٩٤٧] جاء في البرلينية والروسية والطهرانية في هذا الموضع: "حتى أكمل الألف، وقد جعل كل مائة بمعزل عن المائة الأخرى".

[٩٤٨] ورد هذا الخبر في الطبعة الهندية باختصار مخلٍّ جداً.

[٩٤٩] كانت في الأصل: " المنقطع " والتصحيح من البرنستنية.

[٩٥٠] في البرلينية والروسية والطهرانية: "يعني الأمير أبا سنان

حديثه أن عامله على « جزيرة »[951] أوال « من البحرين »[952] أتى إليه بمال كثير[953] من الذهب واللؤلؤ والجوهر، «وفي جملته جوهرة قيمتها ألف دينار، وكيس فيه ألف دينار، وفيه من اللؤلؤ والجواهر شيءٌ كثير »[954]، وكان في الحضرة رجل من أهل العراق يعرف بالتغلبي «تغلب بن وائل»[955]،

أيضاً".

[951] ما بين القوسين من الطبعة الهندية.

[952] ما بين القوسين من الطبعة الهندية.

[953] في البرلينية والروسية والطهرانية: "وذلك أن عاملاً له أتاه من أوال بمال كثير"، وهذا يعني أنه كان في القطيف.

[954] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية والطهارنية.

[955] ما بين القوسين من البرلينية والطهرانية، وفي الروسية: "وكان بحضرته رجل يعرف بالتغلبي بن وائل"، فيبدو أنه قد سقط اسم تغلب، وهذه الجملة الاعتراضية غير موجودة في أصل الرضوية، وقد أفادتنا كثيراً في رفع اللبس والاشتباه عن نسب هذا الشاعر لأن بعض النسخ نعتته بالثعلبي وكذلك فعلت الطبعة الهندية.

ولم يذكر الشارح اسم هذا الشاعر التغلبي العراقي، والأبيات الثلاثة التي ذكرها له لا تفيدنا في معرفته لأن بعضها نسب لغيره كما سنرى بعد قليل، ولكن العماد الأصفهاني ترجم في قسم شعراء العراق من خريدة القصر لشاعر عراقي تغلبي سماه أبا المعالي؛ سالم بن علي بن سلمان بن علي بن العودي التغلبي،

وكـان شـاعراً فاضـلاً أديبـاً، فـأمر بـدفع ذلـك المـال كلـه

وذكر أن موطنه بلدة النيل الفراتية بالعراق؛ كما ذكر أنه عندما ورد واسطاً سنة خمسين وخمس مئة؛ ذُكر له أنّ هذا الشاعر كان بها للاسترفاد بشعره، فكونه تغلبي النسب، ومن العراق، ويسترفد بشعره، وإدراكه للعام ٥٥٠ حيث كان قد مرّ على موت أبي سنان بضع عشرة سنة، فهذه كلها مسوغات تجعلنا نرجح أنّ هذا الشاعر المشار إليه بالتغلبي من قبل شارح الديوان المقرَّبي قد يكون هو سالم بن علي العودي التغلبي النيلي، ويؤيد ذلك أنّ العماد الأصفهاني ذكر في الخريدة أكثر من شاعر من العراق كانوا يرحلون إلى البحرين ويمدحون ملوكها في عهد أبي سنان ومن بعده من الحكام العُيونيين كعلي بن الحسن بن إسماعيل العبدي البصري، وحسام الدولة محمد بن المغيث الحنفي البصري اللذَين كانا من مادحي الأمير أبي سنان هذا، وذكر العماد للأخير منهما قصيدة دالية في مدحه قال فيها ذاكراً اسمه واسم أبيه وجده:

أَمِيلا صُدورَ العِيسِ نحوَ محمَّدٍ
فـثَمَّ الجَنابُ الرَّحْبُ والكَرمُ العِدُّ

أميلا فمن بحر الأمير محمَّدِ بْـ
ـنِ فضلِ بْنِ عبد اللهِ يُستعذَبُ الوِردُ

وكالحسن بن علي الرحبي من مادحي الأمير الحسن بن عبدالله بن علي عم أبي سنان وحاكم القطيف وأوال بعده، فلا يمنع أن يكون سالم بن علي التغلبي قد جاء هو الآخر إلى البحرين لمدح أبي سنان ـ الذي يبدو أنه كان له صيتٌ كبير لدى شعراء العراق ـ ويكون هو التغلبي المذكور في هذا الخبر.

إليه،[956] فقال له العامل: أيها الملك[957] أنت تدري أيش قيمة هذا المال؟[958] فقال: وما هو؟ فعدّ مالاً كثيراً في جملته جوهرة قيمتها ألف دينار، فقال: ادفعه إليه ولا أراه كثيراً كما تقول، ولو كان أكثر من ذلك لكان أحبّ إلينا، فانشقَّت مرارته فغشي العامل من الغم فمات،[959] والتغلبي هذا هو القائل في أبي سنان رحمه الله بعد موته رثاه بمرثية وقد أتى « إلى »[960] الأحساء في ملك الأمير أبي المنصور علي بن عبد الله بن علي، فخرج لزيارة قبر أبي سنان رحمه الله،[961] فحين صار القبر منه مدى البصر نزل من على

---

[956] وفي البرلينية والروسية والطهرانية: "فأشار إليه بتسليم ذلك المال كله إلى ذلك الرجل التغلبي".

[957] في البرنستنية: " يا مولانا ".

[958] في البرلينية والروسية والطهرانية: "فقال له العامل: أتعطيه ما لا تدري ما هو؟!".

[959] في البرلينية والروسية والطهرانية: "فانشقت مرارة ذلك العامل من الغم، فمات".

[960] ما بين القوسين من البرنستنية.

[961] قوله فأتى إلى الأحساء، ثم ذكر زيارته لقبر أبي سنان وأخيه، فهذا يدلُّ على أنّ أبا سنان مدفون في الأحساء، وهو غير مستبعد لأنّ أبا سنان قُتل في معركة العُيون من قبل عميه أبي المنصور علي وأبي علي الحسن ابني عبد الله بن علي، والعيون في الأحساء، فلعل عمَّيه هذين دفناه في مقبرة أهلهم العُيونيين

الفرس ومشى حتى بلغ القبر، ولما صار مع القبر انكبّ عليه يبكي، وأنشأ يقول:

عزيــزٌ أن أعاتــبَ فيــكَ دَهْــراً قَلِــــيلاً هَمُّــــــهُ بمعنفِيْـــــهِ

وأنْ أَلْقَــى المُلُــوْكَ ولـستَ فِـيْهم وأنْ أطَـأ التُّـرابَ وأنـتَ فِيْــهِ[٩٦٢]

بالجش من الأحساء، والتي سبق وذكرها الشاعر في البيت الذي يقول فيه:

إذَاْ جِئْــتُمُ أَرْضَ (الحَــسَاْءِ) وَقَاْبَلَــتْ
قِبَـــاْبٌ بـــــضَاْحِيْ بَرِّهَـــاْ وَتِــــلاْلُ

وعلق الشارح على القباب بقوله إنها القباب التي كانت على قبور ملوك الأحساء بالجش، فيبدو أنّ قبر أبي سنان ضمن هذه القبور.

[٩٦٢] وجدتُ هذين البيتين في كتاب فوات الوفيَّات للكتبي منسوبين لأبي الفتح أحمد بن عبيد الله بن فضال المعروف بالماهر الحلبي. (ج١: ١٠٧)، وهي كذلك منسوبة إليه في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي، ودمية القصر للباخرزي، وخريدة القصر للعماد الأصفهاني، والماهر الحلبي هذا توفي في حلب سنة ٤٥٢ للهجرة أي قبل أكثر من قرن من موت الأمير أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي العُيوني، ونصّ الرواية هنا أنّ التغلبي قال هذين البيتين في أبي سنان بعد موته، فإن لا يكن قد تمثّل بهما على قبره ونسبها إليه من جاء بعده، فإن هذا التغلبي كان منتحلاً لهما، ولكن بعد إجراء بعض التغيير عليهما لأن صورتهما في فوات الوفيات كما يلي:

برغمـي أن أعنّـف فيـك دهـراً قلــــيلاً فكـــــره بمعنِّفيــــه

ثم التفت إلى قبر أخيه أبي شبيب جعفر بن الفضل[٩٦٣] بإزائه، وأنشأ يقول:

إطبـــاق لـــوحين علـــى بحـــر	أعجوبـــةٌ مـــن عجـــب الـــدَّهر

مِنَّـــا الَّـــذِي جَـــادَ إيثَـــارًا بِمَـــا مَلَكَـــتْ

كَفَّـــاهُ لا يَـــدَ يَجْزِيْهَـــا وَلا رَحِمَـــا

اليد: النعمة.

يعني الأمير أبا فراس عزيز بن الفضل بن عبد الله بن علي، [٩٦٤] وكان من حديثه أن التغلبي هذا امتدحه ذات يومٍ

وأن أطـأ التـراب وأنـت فيـه	وأن أرعى النجوم ولست فيها

وأما البيت الآخر الذي ذكره بعد التفاته إلى قبر أبي شبيب فلم نجده في كتب الأدب التي بين أيدينا، فيبدو أنه له.

[٩٦٣] يعتبر أبو شبيب جعفر بن الفضل بن عبد الله ثاني أولاد الأمير فضل بن عبد الله بن علي، وسيذكر الشارح بعد قليل خبراً عنه مع ابن عمه أبي مقدم شكر بن علي بن عبد الله، والأمير جعفر بن الفضل هذا لم يلِ الحكم، ولكن وليه من أحفاده فاضل وجعفر ابنا معن بن شبيب بن جعفر بن الفضل بن عبد الله، وقد مدح شاعرنا فاضلاً منهم في قصيدة قد مضت، ولم أجد له في أخيه جعفر بن معن شيئاً، وقد يكون مدحه ولكن ضاع الشعر الذي مدحه به.

[٩٦٤] هو ثالث أولاد الأمير فضل بن عبد الله بعد أبي سنان وأبي

بقصيدة، فتقدم إلى صاحب خزانته أن يدفع إليه جميع مفاتيحها وأن يتنحى له عنها ويترك له جميع ما فيها، وكتب له بالتصرف في جميع أملاكه من مال وعقار، فقال التغلبي: « أيها الملك[٩٦٥] ما يحسن مني أن أسلبك جميع ما خوّلك الله، وبعض ذلك لي »[٩٦٦] فيه غنىً وسعة، فقال: عليك به فنحن نخلفه « كلّه، وما يضرّنا إعطاؤك إيّاه »[٩٦٧]، فقام التغلبي وقبّل الأرض بين يديه وقبل قدميه، وقال: يا مولاي أسألك أن تنجح لي حاجةً أطلبها منك وشفعائي إليك فيها هؤلاء الأمراء الحاضرون وهؤلاء المشايخ والرؤساء، فقال: ما هي؟ قال: « أيها الملك أنا متوجّه إلى أهلي، وأريد من جملة الإنعام عليّ أن تقبل الأملاك والعقارات »[٩٦٨] وأن تعطيني عن جميع ذلك ألف دينار فلي فيها كفاية، فقال: لا أحب أن أغبنك هذا الغبن كلّه، فما زال يُقَبِّل قدمه ويستشفع إليه بجميع الحضرة حتى استقر أنه يعطيه أربعة آلاف دينار، وأعطاه إياها، فشكر له ودعا وخرج من عنده.

شبيب المتقدمين، ولم يلِ الحكم.

[٩٦٥] في البرنستنية: " يا مولانا ".

[٩٦٦] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[٩٦٧] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[٩٦٨] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

مِنَّـــا الَّــذِي أَنْهَــبَ اصْــطِبْلاتِهِ كَمَــلاً[٩٦٩]

وَهْــيَ الجِيَــادُ اللَّــوَاتِي فَاتَــتْ القِيَمَــا

وَكَـــانَ إنْ سَـــارَ فَالعُقْيَـــانُ تَتْبَعُـــهُ

لِــــسَائِلٍ رُدَّ أَوْ مُــــسْتَرْفِدٍ حُرِمَــــا

الإصطبل: زرب الخيل، والعقيان: الذهب.

يعني « بذلك »[٩٧٠] الأمير أبا شبيب جعفر بن الفضل بن عبد الله بن علي، وكان من حديثه أن الأمير أبا مقدم شُكْرَ بن علي بن عبد الله بن علي كان له فرسٌ جواد فنفق أي مات، فبلغ خبره الأمير أبا شبيب فأمر بأربعين فرساً تساق إليه خلفاً من فرسه، فحين وصلت إليه الخيل قال له المرسل بها: هذه الخيل بعث بها إليك ابن عمك أبو شبيب خلفاً من فرسك، فأخذ منها فرساً وردّ البقية وقال لا حاجة لي إلى ذلك كلّه، فحين بلغت الخيل إلى أبي شبيب راجعةً سأل رسوله الخبر، فأخبره أنه أخذ منها فرساً،

---

[٩٦٩] في الفيضية:

منا الذي وهب الغُرَّ العتاق نداً .... ألـــــخ

ويقال وهبه ماله كملاً أي كلّه. انظر اللسان مادة (ك م ل).

[٩٧٠] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية.

فرجَعَ وأمَر بردّها ثانية « وقال لرسوله ردّ بها إليه: لا يكون يخاف عليّ الفقر حتى يردّها عليّ، قل له يربطها فما بقيت أملكها »[971]، فردّها أبو مقدم، وقال: ما لي إليها حاجة خيلي كثيرة ـيطول عمره ـ[972] وهو إلى الخيل أحوج مني، فردها أبو شبيب إليه ثالثة، « فردها شُكْرٌ، وقال مالي إليها حاجة، فحين رآها أبو شبيب قد أقبلت راجعةً »[973] نادى أبو شبيب في من حوله وفي من يسمع صوته بأن انتهبوا الخيل الراجعة والخيل الباقية في الإصطبلات فكل من حاز منها شيئاً فهو له، فانتهبت تلك الخيل وجميع الخيول في الإصطبلات.

وكان أبو شبيب هذا كلما أراد الركوب أمر بعض

---

[971] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[972] إنّ هذه العبارات مثل قوله هنا: "يطول عمره"، وقوله قبلها: "لا يكون يخاف" هي عبارات من الواضح أنها من اللغة المحليّة الدارجة، وهي لا زالت تستعمل في المنطقة حتى هذا الوقت.

[973] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية، وكان مكانه في الرضوية الأصل: "فشكر ودعا له"، وواضح أنّ قوله: "فشكر" هو تحريف: "فردها شكر"، وبهذه الإضافة من البرلينية والروسية تم إصلاح الخطأ الواقع في الرضوية الأصل والبرنستنية.

الغلمان « الذين يركبون معه »[٩٧٤] أن يأتي صاحب الخزانة فيأخذ منها شيئاً من الذهب يجعله في قراطيس، فيجعل في قرطاس خمسة دنانير وفي قرطاس عشرة دنانير وأقل من ذلك وأكثر « فكل من »[٩٧٥] يلقاه في طريقه ويطلب منه «شيئاً يأمر الغلام أن يدفع إليه من ذلك قرطاسة، فيسلمها إليه الغلام»[٩٧٦]، وإن فضل من ذلك شيء إلى وصوله إلى باب القصر وكان عنده أحد من العيونيين أمر بدفعه إليه، وإلاّ يكن عنده أحد منهم جالساً « أمر بدفعه إلى »[٩٧٧] شيخ باب القصر وإلى الغلمان الذين في خدمته.[٩٧٨]

مِنَّـا الَّـذِيْ فَـضَّ أَمْـوَالَ الخَـزَائِنِ فِـيْ
غَـوْثِ الرَّعِيَّـةِ لاَ قَرْضَـاً وَلاَ سَـلَمَاْ

---

[٩٧٤] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[٩٧٥] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية، وبدلها في الرضوية الأصل: "لمن".

[٩٧٦] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[٩٧٧] ما بين القوسين من البرنستنية.

[٩٧٨] جاء في الروسية هنا ما هذا نصه: "فإذا رجع وبلغ باب القصر، فكل من رآه بباب القصر أمر الغلام بتسليم ذلك المال إليه كثيراً كان أو قليلاً، وإن لم يكن يرى أحداً يأمره بدفعه إلى من يكون من بني إبراهيم جالساً في الباب، أو بعض الحفدة".

وفي البرلينية والطهرانية مشابهٌ له، ولكن فيه خرمٌ ونقص.

وَأهْمَـلَ الـدَّخْلَ ذَاْكَ العَـاْمَ، فَاْنتَعَـشَتْ

بـِهِ الرَّعِيَّـةُ حَتَّـى جَـاْزَتْ القُحَمَـاْ

الفض: التفرقة، وفض الشيء: فرّقه، والقرض معروف، والسَّلَم: الدين، والقحم: الشدائد.

يعني الأمير أبا المنصور علي بن عبد الله بن علي، [٩٧٩]

---

[٩٧٩] هو خامس أبناء الأمير المؤسس عبد الله بن علي بعد علي الأكبر والفضل ومسعود وماجد، وقد ولد في السنة التي انتزع أبوه فيها القطيف من زكري بن يحي بن عباس الجذمي وضمها إلى الأحساء تحت حكمه، فكناه لذلك بأبي المنصور، ويبدو أنه كان لا زال صغيراً على تحمل أعباء الحكم عندما توفي أبوه في العام ٥٢٩ للهجرة؛ كما يبدو أنه كان أكبر أبناء أبيه بعد موت أخويه مسعود وماجد في حروب أبيهم ضد القرامطة، وموت أخويه علي الأكبر وفضل في حياة أبيهم بعد الحرب، ولهذا فإنّ أباه أوصى بالحكم إلى حفيده أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله؛ ربما لأنّ أولاده علي وإخوته مقلد ومحمد والحسن كانوا صغاراً كما قلت، أو ربما لأنّه رأى في حفيده أبي سنان من الجلد والقوة والحكمة ما جعله مؤهلاً للحكم أكثر من أعمامه الصغار فأوصى له، وأرى أنا أنّ كلي هذين الأمرين قد جعلا عبد الله بن علي المؤسس يفضل ابن ابنه أبا سنان على أولاده في حكم البلاد؛ إلا أنه عندما أكمل أبو سنان ١٨ سنة في الحكم كان عمه أبو المنصور عليّ قد بلغ من القوة والجلد ما جعله يرى نفسه أحق من

وذلـك أن أهـل الأحـساء جـرت علـيهم شـدة عظيمـة مـن الحروب وغلاء الأسعار في سنة تعرف بسنة السُّلَيْمات[٩٨٠] - جـرى فيهـا وقعـة بمكـان يـسمى (الـسليمات)، [٩٨١] وسمـي السليمات لشجر سَلْمٍ نابت فيه – كانت العرب الذين هم البادية قد أخربوا فيها ثمار النخل والزروع بالقيظ، فرحلوا عنـها، فزرعـت أهـل الـبلاد الحنطـة والـشعير، فحـين دنـا

ابن أخيه بالحكم، فكشَّر له عن أنياب التحدي والتقى ومعه أخوه أبو علي الحسن بن عبد الله مع ابن أخيهما أبي سنان في معركة فاصلة قرب العُيون من الأحساء عام ٥٣٨ للهجرة أسفرت عن مصرع أبي سنان على يدي عمّه أبي المنصور كما سنرى فيما يأتي من شروح هذه القصيدة، وبعد ذلك تقاسم أبو المنصور وأخوه أبو علي تركة ابن أخيهما، فاستقل أبو المنصور بحكم الأحساء، فكانت له ولولده، واستقل أخوه أبو علي بحكم القطيف وأوال، وقد ظلَّ أبو المنصور حاكماً للأحساء فترة طويلة بدأت من سنة قتله لابن أخيه أبي سنان عام ٥٣٨هـ، وانتهت بقتله على يد ابنائه منصور ومُسيَّب وأحمد كما سيذكر الشارح لاحقاً، ولكن من دون ذكر الأسباب أو سنة قتلهم لأبيهم.

[٩٨٠] كذا ورد اسمها "السليمات" في الرضوية الأصل والبرنستنية والهندية، وأما في البرلينية والروسية والطهرانية ورد اسمها "السلمان"، ولم تذكر سبب التسمية بعكس الأخريات.

[٩٨١] أخبرني بعض أهالي الأحساء أنه يوجد إلى الجنوب من مدينة الهفوف موضع يُدعى السُّليمات، ولكنني لم أتحقق ذلك، ولا أعرف إن صحّ ذلك هل هو المذكور هنا أم غيره.

حصادهم حشدت العرب، وسيّر عندهم[٩٨٢] ملك القطيف عزيز[٩٨٣] بن مقلد بن عبد الله بن علي عسكره، فحلوا على

---

[٩٨٢] سبق وقلت إنه دائماً ما يكتب الشارح كلمة (عند) بدلاً من (مع)، وإذاً فهي هنا بمعنى (معهم).

[٩٨٣] وهو المعروف بالتراكي الذي ذكره كاتب النبذة الختامية عن حكام القرامطة والعُيونيين في آخر الديوان، وذكر أنه حكم بعد وفاة عمه أبي علي الحسن بن عبد الله الذي توفي عام ٥٤٩هـ؛ كما ذكر أنه بقي في الحكم سبع سنوات حيث قتله ابن عمه هجرس بن محمد بن عبد الله، فيكون عام مقتله هو ٥٥٦هـ، وقد ذكره أيضاً العماد الأصفهاني في خريدة القصر في القسم الخاص بشعراء الأحساء والقطيف في ترجمة الشاعر السكوني العبدي، وسماه قوام الدين بن المنصور عزيز بن المقلَّد بن علي بن عبد الله العبديّ (العماد الأصفهاني: تكملة خريدة القصر وجريدة العصر ؛ قسم شعراء العراق؛ الصفحة ٨٥٣)، وقد وقع فيه خطئان أولهما هو قوله: "بن المنصور"، والصحيح هو: "أبو المنصور"، والثاني هو جعله والده: "المقلد بن علي بن عبد الله"، والصحيح هو: "المقلد بن عبد الله بن علي".

ولم تذكر الطبعة الهندية نسب هذا الأمير، فظنّ بعضُ الكتاب أنه ابن الأمير أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي، وهو غير صحيح بل هو ابن عمّه.

وأما والده مقلد بن عبد الله، فلم يذكره الشاعر ولا شارح شعره في هذا الديوان، وبالخصوص في شرح القصيدة الميمية، ويبدو أنه كان من الأولاد الذين ولدوا للمؤسس بعد تأسيسه

للدولة العُيونية.

وقد كان يوجد في القطيف في القرنين التاسع والعاشر أسرة ذات ثراء وأملاك يدعون بـ(آل مُقلّد)، وكان لهم مشيخة وزعامة في القطيف، وهم ممدوحو أبي البحر جعفر بن محمد العبدي الخطي الشاعر القطيفي المشهور، ولكنه نسبهم في أكثر من موضع في شعره إلى بكر بن وائل (انظر عدنان العوامي: ديوان أبي البحر الخطي ج١: ٢٢٧)، وهو غير ممتنع، فقد كان في القطيف أسر من بني شيبان البكريين، وقد مدح ابن المقرَّب أحد مشائخهم، وهو محمد بن عبد الله بن سنان الشيباني بالقصيدة الرائية التي مطلعها:

ماذا بنا في طلاب العز ننتظر

ولكن ينبغي أن لا نغفل حقيقة مؤداها أنّ بعض العُيونيين – ومنهم ابن المقرَّب نفسه – كانوا يفضلون الانتساب إلى ربيعة أو إلى بكر بن وائل منها نظراً لصيتها الكبير أكثر من انتسابهم إلى عبد القيس، ومن الطريف أنّ بعض المتملكين لبعض النسخ المخطوطة من أهالي القرن الثاني عشر الهجري ـ وهذه المخطوطة تحتفظ بها مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض ـ قد كتب تملكاً على هذه المخطوطة، وضمَّن هذا المتملك سلسلة نسبه حتى رفعها إلى الأمير العُيوني الشهير محمد بن أبي الحسين، ثم إلى جده عبد الله بن علي مؤسس الدولة العُيونية، ثم أعقب بعد ذلك بقوله: "الوائلي نسباً؛ الشافعي مذهباً" (انظر جبر بن سيار: نبذة في أنساب أهل نجد؛ تحقيق راشد بن عساكر؛ الصفحات ٩٣ – ٩٤؛ الحاشية رقم (٤)، وفي أصل هذه الحاشية نسب جبر بن سيار ابن مقرَّب على أنه وائلي أيضاً مع أنه من عبد القيس، وهو أمرٌ دوّنه بعض معاصري ابن المقرَّب من كتاب بغداد كما أوضحت في ترجمته

الأحساء قريباً من السُّلَيْمات، فخرجت إليهم أهل الأحساء، فجرت بينهم وقعة عظيمة كانت الدائرة فيها على أهل الأحساء هُزموا هزيمة عظيمة قُتل فيها الأمير السُّمَيْط بن أبي المنصور[٩٨٤] والأمير أبو مذكور بطال بن مالك، وزعموا أن القتلى والأسرى بلغت ستمائة بين

الخاصة الملحقة بهذا الديوان، وهذا كله لما قلته قبل قليل من حب انتساب بعض العُيونيين ـ ولا سيما أثناء ضعف دولتهم وبعد سقوطها ـ إلى بكر بن وائل، أو وائل على العموم، وهو النسب الذي اختصت به بعد ذلك قبيلة عنزة الشهيرة في وقتنا هذا، وعلى ذلك فإنه قد يجوز أنّ آل مقلَّد الزعماء القطيفيون المذكورون في شعر أبي البحر الخطي هم من نسل مقلد بن عبد الله بن علي العُيوني والد أمير القطيف عزيز بن مقلد المذكور هنا حتى وإن نسبوا أنفسهم أو نسبهم أبو البحر إلى وائل.

وأيضاً فقد اطلعت على وثيقة تعود للعام ١٣٣٤هـ؛ بخصوص قسمة ميراث أحد أعيان بلدة البطالية، وهو حاجي بن علي آل بطال ذكر فيها أنه كان من ضمن أملاكه في البطالية بستانٌ يُسمى بـ(المُقَلّدي)، ولا أدري إن كان منسوباً إلى مقلد هذا أم إلى غيره، وإن كان الأظهر أنه منسوب له لأن آل بطال هؤلاء ينحدرون هم أيضاً من العُيونيين سكان هذه البلدة القدامى كما تشهد بذلك وثائقهم القديمة والكثيرة، ومنها هذه الوثيقة.

[٩٨٤] جاء في الطبعة الهندية أن الذي قُتل هو أبو المنصور، ولم يرد السّميط كما هو هنا، وهو خطأ طريف لأنه سيرد فيها كما هو هنا بعد قليل قوله: "فأمر الأمير أبو المنصور بالخزائن ... إلخ".

أسير وقتيل، فالقتلى منها ثمانون رجلاً، والبقية أسرى، ونهب الزرع، وكان قبل ذلك قد أصاب الزرع في السنة التي قبل هذه السنة اليرقان، فقتل جميع الغلة، فجرت على الأحساء مشقة عظيمة لاجتماع هذه الأحوال «عليها»[985]، فأمر الأمير أبو المنصور بالخزائن ففتحت، وفرقت على أهل الأحساء، «و» صار يأمر لكل بيتٍ بشيء معلوم من الحنطة والتمر والشعير «في كل شهر»[986] مقدار الكفاية حتى بلغوا ثمرة القيظ، وعند قدوم الحصاد أمر مناديه «أن»[987] ينادي في الناس بأن من كان للسلطان عنده شيء من ضمان الأرض أو مكوس السلطان فليستعن به على سنته، وما زال يفرق فيهم النفقات[988] حتى أخصبوا وكثرت ثمارهم، وصالحوا العرب وذهبت تلك الشدة.[989]

مَنَّا الَّذِيْ جَعَلَ الإِقْطَاعَ مِنْ كَرَمٍ

---

[985] ما بين القوسين من البرنستنية.

[986] ما بين القوسين من البرلينية والطهرانية.

[987] ما بين القوسين من البرنستنية.

[988] في الطهرانية: "ومازال يفرق فيهم التمر والحنطة حتى .. الخ".

[989] ورد هذا الخبر في الطبعة الهندية باختصار مخلّ وأخطاء كثيرة.

إِرْثاً تَوَزَّعَهُ الوُرَّاثُ مُقْتَسَمَا

وَجَادَ فِي بَعْضِ يَوْمٍ وَهْوَ مُرْتَفِقُ

بِأَرْبَعِيْنَ جَوَاداً تَعْلُكُ اللُّجُمَا

يعني الأمير أبا علي الحسن[990] بن عبد الله بن علي،[991]

---

[990] في الطبعة الهندية: " أبا الحسن بن عبد الله " وهو خطأ.

[991] وهذا هو أصغر أولاد المؤسس عبد الله بن علي، وقد حكم القطيف بعد وقعة العُيُون عام ٥٣٨هـ، ومساعدته لأخيه أبي المنصور علي ضد ابن أخيهما أبي سنان محمد بن الفضل؛ كما سبق وذكرت في أكثر من موضع.

وذكر صاحب النبذة التاريخية أنه بقي حاكماً للقطيف وأوال مدة أحد عشر سنةً؛ كما ذكره العماد الأصفهاني في القسم العراقي من خريدة القصر، في ترجمة الشاعر الحسن بن علي الرَّحبي، وفيه: "الأمير أبو علي الحسن بن عبد الله بن علي صاحب القطيف"، وذكر للشاعر الرّحبي هذا قصيدة في مدحه؛ كما ذكر أنه طلب من هذا الشاعر أن ينشئ قصيدة على وزن قصيدة مشهورة في وقته.

والحسن بن عبد الله هذا هو – كما سبق وقلت – صاحب النقود العُيونية المسكوكة في جزيرة أوال والقطيف بين الأعوام (٥٤٤ – ٥٤٩هـ)، والتي قدّم عنها دراسة مطبوعة الأستاذ نايف بن عبد الله الشرعان؛ نشرها مركز الملك فيصل للبحوث

وذلك أن قوماً من عبد القيس يعرفون بالدياسمة[٩٩٢] خرجوا

والدراسات الإسلامية عام ٢٠٠٢م، وقد كُتب على الوجه الأول لهذه العملات كلها: "لا إله الا الله، محمد رسول الله، عليٌّ ولي الله"، وكتب في ظهرها: "جمال الدنيا والدين الحسن بن عبد الله بن علي"، وكانت هذه العملات مما حسم الجدل القائم في قضية تشيع العُيونيين لصالح من قالوا بتشيعهم كما صرّح الشرعان.

[٩٩٢] كذا كتب الاسم في الرضوية الأصل والبرلينية والروسية والبرنستنية والطهرانية، ولم يرد في البريطانية، وكتبوه في الطبعة الهندية: " الرياشمة "، وقد ساهم ذلك الخطأ في جهالة الكتاب والمطلعين بهذا البطن العبقسي الذي كان لهم شهرة جيدة في تلك الفترة، وقد ذكر الشاعر في ديوانه الدياسمة في موضع سابق، وذلك في القصيدة التي مطلعها:

دع الكاعب الحسناء يهوي ركابها
وتبنى لها في حيث شاءت قبابها

حيث ورد فيها:

وكل همامٍ ديسميٍّ إذا سطا
على الخيل يوماً قيل وافى عذابها

وعلّق الشارح بقوله:

"ديسمي منسوب إلى ديسم بن الضَّماد أحد بني عامر، وكان لهم عددٌ وانقرضوا إلا عدة يسيرة".

ويقصد ببني عامر بني عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وقد كان لي تعليقة حول نسب هذا البطن وذكر الشاعر القطيفي الحسين بن ثابت له

من الأحساء حين ملكها أبو المنصور خوفاً منه، وكانوا في ذلك الوقت « يركبون في »[993] سبعين[994] فارساً « غير الرجّالة والقارّ والخلوف منهم »[995]، فقصدوا الأمير أبا علي[996] بالقطيف، فحين بلغوا إلى باب القصر أمر بإصعادهم إليه فأصعدوا إليه، وأشغلهم عنده بالحديث، وقد تقدم إلى وزرائه حين بلغه علم وصولهم قبل أن يصعدوا إليه أن يخلو لهم دوراً وأن يتقدموا إلى أصحاب الخزائن بأن يحملوا إلى تلك الدور من الحنطة والشعير والأرز والتمر ومن سائر الحبوب ومن الأواني والقدور

في ذلك الموضع فراجعه هناك، هذا وسوف يمرُّ بنا ذكرٌ لهم أيضاً في شرح هذه الميمية في البيت الذي يقول فيه:

منا الذي عام حرب النائلي جلا

يوم السّبيع ويوم الخائس الغمما

فانظره هناك.

[993] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[994] وفي البرنستنية: " خمسين".

[995] ما بين القوسين إضافة من البرلينية، وقد وجدنا صعوبة في تهجئته، ويقصد بالقارّ المستقرّ في القرية، وبالخلوف الذي يتخلف في الحيّ عن الجيش، ولم يرد في الروسية في هذا الموضع سوى جملة: "غير الراجل منهم".

[996] ورد في الطبعة الهندية: "أبا الحسن" والواقع إنه أبو علي الحسن بن عبد الله بن علي كما في أول الشرح هنا.

والفرش والبسط والزلالي[997] والخدم ما يحتاج إليه أهل الدور، وأمر لكل واحد منهم ما يقوم به أوده من البساتين والأراضي، وسجل لهم بتلك الدور والبساتين والأراضي كتباً بحُكْم الهبة يتوارثها[998] خلف عن سلف، ولم يقوموا من مجلسه حتى أخليت لهم الدور وحملوا إليها جميع ما يحتاجون إليه مما ذكرناه، وخرج عند كل رجل منهم غلام يسير معه إلى الدار التي أخليتْ له، ويصرفه في الأملاك «والنخيل»[999] التي كتب له بها.[1000]

وحضره ذات يوم جماعة من الشعراء ففرق عليهم أربعين فرساً كلها قد ركبت.

وَمُطْعِمُ الطَّيْرِ عَامَ المَحْلِ فَاسْمُ بِهِ

---

[997] الزلالي: جمع زُوْلِيّة، وهي البساط أو السجادة العجمية التي تصنع من الصوف، ولا زالت هذه اللفظة مستخدمة في المنطقة حتى وقتنا هذا، والاسم معرّب من اللفظة الفارسية (زيلو).

[998] في البرنستنية والروسية: " يتوارثونه"، وفي البرلينية: "يتوارثه".

[999] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[1000] لا زال في قرية القديح من قرى القطيف بستان نخل به عين ماء قديمة تعرف بالديسميّة أغلب الظنّ أنها منسوبة إلى الدياسمة هؤلاء، ويبدو أن هذا البستان هو من البساتين التي أكرمهم بها أمير القطيف هذا.

مِنَّـا إِذَا صَـرَّ[1001] خِلْـفُ الغَيْـثِ فَانْـصَرَمَا

يعني الأمير أبا مقدم شكر بن أبي علي الحسن بن عبد الله بن علي، وبلغ من كرمه أنه مرّت على الناس سنةٌ مجدبة شديدة القحط، فرمى طير البر « كله »[1002] « في »[1003] البلاد من غراب وغيره، فصار يجعل « كل يوم »[1004] لكل جنس من الطير شيئاً من المأكول، فيجعل للغراب التمر وللفواخت[1005] وغيرها من الحنطة والشعير « والأرز »[1006] وحب العصفر وغيره من أجناس الحبوب ينثرها في الأمكنة التي تقع فيها ويمنع الصيادين من صيدها.

مِنَّـا الَّـذِيْ أَنْفَـقَ الأَمْـوَالَ عَـنْ عَـرَضٍ

حَتَّـىْ رَأَىْ شِـعْبَ شَـمْلِ العِـزِّ مُلْتَئِمَـا

مَـــلاْ المُـــسُوْكَ قَنَــــاطِيْرَاً مُقَنْطَـــرَةً

[1001] في البرلينية: "ضنّ"، وفي الروسية: "ظن".

[1002] ما بين القوسين من الطهرانية.

[1003] ما بين القوسين من البرنستنية.

[1004] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية.

[1005] كانت في الأصل: " الفواتخ " والتصحيح من البرنستنية.

[1006] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية.

مَـاْ حَـاْبَ فِـيْ جَمْعِهَـاْ يَوْمَـاً وَلاْ أَثِمَـاْ

المسوك جمع مسك، وهو جلد الشاة وغيرها من البهائم والحيوان، والقناطير من الذهب وزن معروف، وهو مختلف فيه، والحوب والإثم واحد.

يعني الأمير أبا يوسف علي بن يوسف بن ضبّار بن عبد الله بن علي[1007] أمير الرحلين[1008] على عهد عبد الله بن علي، وكان من حديثه أنه عند قيام عبد الله بن علي على القرامطة واليمن قلّ عليه المال، وكان أبو يوسف رجلاً كثير المال « موسراً »[1009]، فخاف أن يضعف عبد الله وينتقض عليه الأمر، فأمده بأموال كثيرة حتى قوّاه، وكان في جملتها ملء جلد رقبة بعير من الذهب العين والخشل والفضة، « فكان من أسباب قوّته »[1010] وذلك عند وصول العجم وفراغ ما في يده « وعجزه عن القيام بهم وبمحاربتهم »[1011].

[1007] وهو عبد الله بن علي الشيخ جدُّ المؤسس.

[1008] في البرلينية والروسية والطهرانية: "صاحب إمرة الرجلين!"، وهو تصحيف، وقد سبق التعريف بالرحلين وتحديد موضع كلٍّ منهما فيما مضى من شرح هذه القصيدة.

[1009] ما بين القوسين من الطبعة الهندية.

[1010] ما بين القوسين من الطبعة الهندية.

[1011] ما بين القوسين؛ من الروسية، وكانت في الأصل وفي

مِنَّــــا المُــــسَوَّرُ تَعْظِيْمَـــــاً وَوَالِـــدُهُ
كَـذَاكَ كَـانَ فَـنَحْنُ الـسَّادَةُ العُظَمَـا

يعني الأمير أبا شكر المبارك بن الحسن «أبي مقرّب»[1012] بن عزيز بن ضبّار بن عبد الله،[1013] وكان له سواران من ذهب في رأس كل سوار منهما درتان ثمينتان[1014] ـ وكان أبوه أبو مقرب الحسن بن عزيز أيضاً كذلك، «ولم يتسوَّر غيرهما»[1015] ـ وكان[1016] أميرَ الرَّحل[1017] بعد أبيه، وكان إليه

البرلينية: "على القيام بهم" فقط، ويعني بالعجم الجيش الذي قدم لأخذ ثأر البغوش الذي قتله الأمير عبد الله بن علي، وكان هذا الجيش كما سبق ومرّ بنا بقيادة ابن أخي البغوش داؤد بن سقمان بن أرتق.

[1012] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية.

[1013] وهو عبد الله بن علي الشيخ، والمبارك بن الحسن هذا يكون شقيق مقرَّب بن الحسن الجدُّ الثاني لشاعرنا علي بن المقرَّب بن منصور بن مقرَّب بن الحسن.

[1014] في الطهرانية: "درّة ثمينة".

[1015] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية.

[1016] الضمير المستتر هنا يعود إلى أبي شكر المبارك بن الحسن.

[1017] ورد الاسم في الرضوية الأصل: "الرجل"، ولم يرد في الهندية؛ كما إن البيت كله ساقط من البرنستنية، وأما في

حكم الديوان والخزائن والإقطاع والجند كما كان لأبيه بعد عمّه[١٠١٨] أبي يوسف، ورجع الأمر بعد أبي شكر إلى أخيه مقرب بن الحسن،[١٠١٩] « وكان هؤلاء الرجال ذوي منزلة وخطر جليل وفضل وشرف وسؤدد »[١٠٢٠].

البرلينية، فقد ورد فيها: "وكانت امرأة الرجل؟!" كذا، وفي الروسية: "وكان أمر الرجال"، وفي الطهرانية: "وكانت امره الرجل"، وهو كله تحريف لما في الأصل، والتصحيح من البريطانية، فالمقصود هو الرحل الموضع المعروف حتى الآن في بلدة البطالية بالأحساء، وهو أحد الرحلين، وسيأتي التعريف به.

[١٠١٨] الضمير في: "عمّه" يعود إلى أبي شكر المبارك أيضاً، لأنّ أباه الحسن بن عزيز بن ضبار، وأبو يوسف علي بن يوسف بن ضبار أخوان من الأم؛ أمهما جميعاً مريم بنت نعمان بن علي كما مرّ بنا في شرح قول الشاعر:

ويجمعنا في الأمهات ابن يوسفٍ
علـيٌ ونعمان الأغر الحلاحل

فهما أخوان من الأم وابنا عمٍّ من الأب، وعليه فإنّ أبا يوسف يكون عمَّ المبارك.

[١٠١٩] وهو الجدُّ الثاني لشاعرنا علي بن المقرب كما سبق وأوضحت، وقد جاء في البرلينية هنا قوله: "وكانت أمرة الرجل – كذا – وأمور الإقطاع والدواوين لأبي يوسف، ثم من بعده لأبي مقرَّب"، والبيت وشرحه ساقط من الروسية والبرنستنية.

[١٠٢٠] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية، وشرح هذا البيت ورد في الطبعة الهندية باختصار مخلٍّ جداً.

مِنَّــا الَّــذِي كُــلَّ يَــوْمٍ فَــوْقَ دَارَتِــهِ

دَاعٍ يُنَــادِي إِلَيْهَــا الجَــائِعَ الــضَّرِمَا

يقـال دار ودارة، والـضَّرَم: أشـدُّ الجـوع، والـضَرِم: الشَّديد الجوع.

يعني محمد بن حَوَاريّ[1021] بن الفضل « بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد »[1022]، وكان فارساً شجاعاً جواداً، وكان له منادٍ ينادي على سطح داره إلى الطعام بأعلى صوته « كل يوم »[1023].

[1021] كانت في أصل الرضوية: "جواري"، وفي البرلينية والروسية والطهرانية: "الجواري"، ولم يرد في البرنستنية، وفي الهندية: "يغني بذلك محمداً جده الفضل"، ويبدو أنّ لفظة "جده" تحريف "جواري"، وما أثبتناه عن البريطانية ترجيحاً.

[1022] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية، وقد سقط منهن اسم عبد الله بن علي (الشيخ) قبل (عبد الله بن محمد)، ويحسن بالقارئ أن يرجع إلى ملحق مشجرات النسب الملحق بآخر طبعتنا هذه لتسهيل معرفة ذلك عليه.

هذا ويبدو أنّ شاعرنا سيسهو وسيكرر ذكر هذا الفارس بعد ١٧ بيتاً، وسيذكر هناك بعضاً من أخبار فروسيّته الخارقة.

[1023] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

مِنَّـا الَّـذِيْ لَـمْ يَـدَعْ نَـاْرَاً بِـسَاْحَتِهِ

تُـذْكَىْ سِـوَىْ نَـاْرِهِ لِلْـضَّيْفِ إِنْ قَـدِمَاْ

« يعني سُليم بن مفلح بن سُليم بن الفضل[١٠٢٤] بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد العُيوني وكان خرج من الأحساء »[١٠٢٥] أول ملك الأمير أبي المنصور متعتباً عليه، فسار إلى الأمير أبي علي الحسن بن عبد الله بن علي فحين بلغه بالقطيف شرّفه تشريفاً عظيماً، وانحدر من

[١٠٢٤] وهنا سقط أيضاً عبد الله بن علي الشيخ بعد الفضل، وسبق للشارح أن ذكر نسب فضلٍ هذا عند شرح البيت:

ينمى لفضلٍ وضبار وأخوتها

بني عليٍّ كعام الخطب إن هجما

[١٠٢٥] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، ولا يوجد في الرضوية الأصل ولا في بقية النسخ المشروحة، وسُليم بن مفلح هذا يبدو أنه الأخ الأصغر لبشر بن مفلح العُيوني القائد الذي أرسله القرامطة لمحاربة أبي البهلول عام ٤٥٧هـ، فانكسر جيشه قرب جزيرة كسكوس الواقعة بين القطيف وجزيرة أوال، وقد مرّ حديثه في أول هذه القصيدة في شرح البيت:

وجمعنا في مئينٍ أربعٍ حُصرت

عدّاً ولكنها أعلى الورى قدما

رأس القصر حين رآه[١٠٢٦] من بعيد حتى التقاه ماشياً قبل أن يبلغ باب القصر، وأقطعه بلداً تُسمى الظهران على ساحل البحر،[١٠٢٧] وكانت ذلك الزمان الظهران لها دخلٌ كثير[١٠٢٨]

[١٠٢٦] وفي البرلينية والروسية والطهرانية: "حين عرف وصوله".

[١٠٢٧] في البرلينية والروسية والطهرانية: "سِيْف البحر"، والظهران في الواقع لا تقع مباشرةً على السِّيف أو الساحل، ولكنها قريبةٌ منه بحيث كانت تبعد أقرب نقطة منها مسافة كيلومترين إلى الشرق منها اللهم إلا إن كانت في السابق تتسع بحيث تصل إلى ساحل البحر عند الدوحة البحرية المعروفة اليوم باسم دوحة السَّيْح الواقعة عليها واحة عين السَّيْح الزراعية التي يبدو أنها الرُّقعة الزراعية الوحيدة التي قاومت الجفاف والتصحّر آلاف السنين لتبقى حتى اليوم واحةً غنّاء تشهد بما كانت عليه الظهران من نمو زراعي في السابق.

[١٠٢٨] في البرلينية والروسية والطهرانية: "عظيم"، وهو يدلّ على مدى ما كانت تتمتع به الظهران ذلك الوقت من رخاء، ولا يكون ذلك إلا بوجود مدينة قديمة كانت قائمةً قبل ذلك الوقت بكثير، وقد عُثر حديثاً جنوب مطار الظهران ـ بينه وبين واحة السَّيح ـ على بقايا مقبرة عظيمة تثبت وجود حياة حضارية فيها لا تقل عن مثيلاتها في واحة القطيف وجزيرة أوال، ويبدو أن هذا البلد قد ظلّ مزدهراً حتى أيام العُيونيين كما نرى في الشرح هنا، ولا نعرف ما الذي طرأ عليه بعد ذلك حتى صار خراباً يباباً، وواضح من قول الشارح: "وكانت ذلك الزمان الظهران .. الخ" أنها خربت في أيّامه لأن الأمير أبا علي الحسن بن عبد الله بن عليّ

من البر والبحر وثمار النخل والزروع، فنزل قصرها، وأقام بها، وحرّم أن توقد بها نارٌ للضيافة غير ناره حتى مات.[1029]

وَصَاحِبُ البَيْتِ مِنَّا حِينَ تَنْسُبُهُ

لَوْ لَمْ نَجِدْ غَيْرَهُ سُدْنَا بِهِ الأُمَمَا

يعني الأمير أبا سنان محمد بن الفضل،[1030] ويعني بالبيت بيت غُفَيْلة بن شَبَانْة[1031] شيخ[1032] عامر « بادية

الذي أقطع سليم بن مفلح العُيوني هذا البلد حكمَ القطيف وأوال من (٥٣٨ – ٥٤٩هـ)، والشارح أغلب الظن أنه لم يتجاوز في كتابته لهذا الشرح العام ٦٥٠ للهجرة، فيكون خراب هذا البلد وهجرة أهله عنه قد وقع بين هذين التاريخين، وهو مقدار قرن من الزمان.

[1029] ورد هذا الشرح في الطبعة الهندية مبتور الأول، وأخطأ ناشروها عندما ذكروا أن المعني في هذا البيت هو الأمير أبو المنصور علي بن عبد الله بن علي، ولم يذكروا سليم بن مفلح هذا ولا نسبه، وسوف يكرر الشاعر ذكر سليم بن مفلح هذا فيما يلي من هذه القصيدة.

[1030] سبق وذكر الشاعر بعض أخبار أبي سنان فيما مضى من هذه القصيدة.

[1031] كذا ورد اسم هذا الزعيم واسم والده "غُفَيْلة بن شبانة" في جميع النسخ المشروحة، ولم تختلف عليه واحدة منها باستثناء أنّ

البحـرين »[١٠٣٣]، وكـان مـن حديثـه أن غُفَيْلـة أراد الحلـول

الطهرانية نسي ناسخها حرف الباء، فكتب اسم والده: "شانه"، وسبق وذكرنا نسب أبيه شبانة، وأنه شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر بن عوف بن مالك بن ربيعة بن عوف بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وقد كان هذا الشيخ منجباً كثير الأولاد، ويُقال لأولاده (الغُفَيْلات) كما سبق ومرّ بنا في طرّة القصيدة الميمية التي مطلعها:

إلى كـــم مـــداراة العـــدا واحترامهـــا
وكـــم يعترينـــا ضـــيمها واهتـــضامها

وسيذكر الشارح فيما يلي من هذه القصيدة تسعة أبناء له، وتفصيل أحوالهم في ذلك الموضع.

[١٠٣٢] وفي البرلينية والروسية والطهرانية: "راس"، وفي الهندية: "رئيس".

[١٠٣٣] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية.

وعامر المذكورون هنا، والذين نعتهم بـ(بادية البحرين) هم بنو عامر بن عوف بن مالك بن ربيعة بن عوف بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وقد حلّوا في خفارة البحرين محل بني عمهم عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ـ والذين يُعرفون أيضاً باسم عامر ربيعة ـ بعد أن قضى عليهم عبد الله بن علي في الموقعة التي كانت بين نهري محلم وسُلَيْسل، والتي مرّ بنا تفاصيلها فيما مضى من شروح هذه القصيدة، ومن بني عامر بن عوف هؤلاء انحدرت عدة بطون وأفخاذ وأسر عرفت في تاريخ المنطقة؛ منهم: (القُدَيماْت) نسبة إلى جدهم قُدَيْمة بن نباتة

وقت القيظ على القطيف، وفيها أبو سنان[١٠٣٤]، فبعث إليه

بن عامر، والقديمات هؤلاء يرى بعض الكتاب أنه يُنسب إليهم الحيُّ المعروف في مدينة المبرّز بحي القديمات (ابن عبد القادر: تحفة المستفيد؛ الرياض ١٩٨٢م؛ الصفحة ١١٣)، ومنهم الغُفيلات المارّ ذكرهم للتوّ، والشَّبَّانَات نسبة إلى شَبَانة بن غُفَيْلَة، والحَجَاجفَة نسبة إلى حَجَّاف بن غُفَيْلة، وقد ذكرهم الشارح في خبر يوم صفواءفي القصيدة النونية التي مطلعها:

سائل ديار الحيّ من ماوان

ما أحدثت فيها يد الحدثان

ومنهم أيضاً: آل المُفدَّى بن سنان بن غُفَيْلَة، وهم الذين أصهر إليهم الأمير محمد بن أبي الحسين، وكان لهم دورٌ ملموس في الأخذ بثأره، وتثبيت مُلك أولاده بعده.

غير أنّ أشهر البطون؛ بله القبائل التي انحدرت من بني عامر بن عوف هذه قبيلةُ (العَمَاير) نسبة إلى عَمِيْرة بن سنان بن غُفَيْلة المذكور هنا، وهي القبيلة التي حكمت البحرين بعيد سقوط الدولة العُيونية، والذين منهم آل مانع وآل عصفور بن راشد بن عَمِيْرة بن سنان بن غُفَيْلَة المذكورون في المصادر التاريخية (ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون؛ ج٢ ق١: ٣١٣ ط. مؤسسة الأعلمي – بيروت١٩٧١م)، وقد ظل اسم العماير هذا قائماً حتى وقتنا الحالي، وهم بطونٌ وأفخاذٌ وأسر كثيرة كانت ولا زالت تقطن المنطقة في عينين (الجبيل) وبرّ القطيف، وفي عنك منها، ثم في الدمام، وقد انضموا إلى الحلف القبلي الكبير المسمى بـ(بني خالد).

[١٠٣٤] في البرلينية والروسية والطهرانية: "وأبو سنان مالكها ذلك

أبو سنان بأن لا تحل على القطيف وحلّ على الأحساء، فالأحساء أحمل بك من القطيف[١٠٣٥]، فأبى غفيلة إلا المحل[١٠٣٦] على القطيف، فتقدم إليه[١٠٣٧] بأنك إن حللت على القطيف خرجت إليك بالجنود وزاحفتك القتال، فحل غفيلة على القطيف مراغمةً لأبي سنان، فخرج أبو سنان في جموعه وعساكره، وانحدر[١٠٣٨] غفيلة بمن معه من العرب، والتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً، فحمل أبو سنان على غفيلة ومن معه فهزمهم حتى أدخلهم حلتهم، وقصد أبو سنان لبيت غفيلة فقطع أطنابه حتى رماه على الأرض، فرجع غفيلة وأصحابه يكرون بعد الهزيمة على أبي سنان وعساكره[١٠٣٩]، فَهُزِمَت عساكر أبي سنان ولم يثبت غيره، فأحاطوا به كما

الزمان"، وهو محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي حفيد المؤسس كما تقدم القول في ذلك.

١٠٣٥ في البرلينية والروسية: "فهي تحتملكم غير احتمال القطيف".

١٠٣٦ حقها أن يقول الحُلوْل

١٠٣٧ في البرلينية، والروسية والطهرانية: "فأرسل إليه".

١٠٣٨ كانت في أصل الرضوية: "والتقاه"، وما أثبته من البرلينية والروسية، وهو الأنسب للسياق لأنه سوف يذكر لفظة "فالتقوا" الآن.

١٠٣٩ في البرلينية والروسية والطهرانية: على عساكر القطيف فهزموهم.

يحيط بياض العين بسوادها، وصبر لهم، وضَرَب فيهم بالسيف حتى قَتَل منهم جماعةً، وفي جملتهم رجل شقّه بالسيف نصفين، فَسُمِّي من ذلك اليوم الشّقاق[١٠٤٠]، فأفرجوا له عن الطريق إلى البلاد، فسار ولم يتجاسر أحد منهم أن يتبعه حتى وصل البلد وأهلها قد يئسوا[١٠٤١] منه، ورجع غفيلة بعد تلك الوقعة يظعن عن القطيف إلى الأحساء.

مِنَّـا الَّـذِيْ عَـاْمَ حَـرْبِ النَّـاْئِلِيِّ جَـلاْ

(يَوْمَ السُّبيع)، وَ(يَوْمَ الخَاْئِسِ) الغَمَمَـاْ

السّبيع هو السبيع بن غفيلة[١٠٤٢]، والخائس بستان من

[١٠٤٠] لقد مرّ بنا في شرح البيتين الأخيرين من القصيدة اللامية التي أولها:

صداق المعالي مشرفيٌ وذابلُوسابغةٌ زعفٌ وأجرد صاهلُ

قول الشارح عن سبب تلقيب أبي سنان بـ (شقاق الفوارس) أو (الشَّقاق) أنه ضرب يوم الثَّنِيَّات شخصاً فشق من أعلى رأسه إلى سُرّته، وعليه فإن يوم الثّنيّات هذا هو هذا اليوم هنا، وإن الثَّنيّات موضع في منطقة القطيف.

[١٠٤١] في الروسية: "آيسوا"، وهي لغة أهل المنطقة الأصليين حتى اليوم.

[١٠٤٢] كانت توجد ـ حتى عام ١٢٥٠ للهجرة ـ ضمن حدود

بساتين الأحساء.[١٠٤٣]

يعني الأمير أبا مقدم شكر بن علي بن عبد الله بن علي[١٠٤٤]، والنائلي رجلٌ يقال له حمّاد من بني نائل من

البطالية أرضٌ تُعرف بـ(أرض السُّبيع) كانت تقع بين القويع شرقاً والسداس غربا؛ اطلعت على ذلك في وثيقة (رقم ٣٧) أهداني إياها ضمن عدة وثائق الصديق أحمد البدر الذي أتوجه له بالشكر الجزيل، وربما كان لأرض السبيع هذه علاقة ما بالسبيع بن غفيلة المذكور هنا؛ خصوصاً وأنّ هذه الحرب وقعت عند مدينة الأحساء التي تقوم على أنقاضها اليوم قرية البطالية، وسوف يذكر الشارح بستان الخائس، وهو لا زال معروفاً بهذا الاسم حتى الآن في البطالية، وهذا يرجح كون أرض السبيع ربما سُميت بذلك باسم السبيع بن غفيلة، ولا غرابة فالسبيع من الغُفيلات، ثم من القُديمات، وهم الذين كان الحكام العُيونيون يهدونهم بساتين وأملاك الأحساء في آخر دولتهم اتقاءً لشرهم وكسباً لودهم وطمعاً في مناصرتهم لهم، وتوجد في الأحساء عدة مواضع تنسب إلى هؤلاء البدو مثل: حي القُديمات بالمبرز الذي تقدم القول إنه منسوب إلى قديمة بن نباتة جد السبيع هذا، والعجرَّشي وهو نهرٌ قرب بلدة القارة من الأحساء سُمي بذلك نسبة إلى عجرّش بن غُفَيلة أخي السبيع، ولا يبعد أن تكون أرض السّبيع هذه منسوبة إلى السبيع بن غفيلة هذا.

[١٠٤٣] لا يزال معروفاً حتى اليوم في بلدة البطالية من الأحساء، وانظر ما يلي.

[١٠٤٤] وهو الذي تقدمت له القصة مع ابن عمه أبي شبيب جعفر

الأحـلاف[1045] كانـت اجتمعـت عليـه عـرب الأحـساء[1046]

بن الفضل بن عبد الله بن علي في الخيول التي أهداه إياها وردها عليه بعد أن أخذ واحداً منها فقط.

[1045] كذا ورد اسم هذا البطن في الرضوية الأصل والروسية، وفي الطهرانيـة: "النـابلي" في الـشعر وشـرحه، وكتـب في البرلينيـة: "نايل" وكذا النسبة إليه، ولا فرق في ذلك، فهو تسهيل للـهمزة علـى جـاري المعتـاد لـدى أهـالي المنطقـة، وأمـا "الأحـلاف" فقـد وردت كذلك في الرضوية الأصل والبرلينية والروسية والبريطانية والطهرانية، وأما في البرنستنية، فقد وردت فيها: "الأخلاّ!"، وفي الهندية: "الأخلاف".

وإنّ قـول الـشارح عـن بني نائل هـؤلاء إنهـم من الأحـلاف هـو قـول مبـهم، ولا يفيـد العلـم بهـم، وسـوف يمـرّ بنـا ذكـر هـؤلاء الأحلاف فيما يلي في قول الشاعر معيراً لقومه العيونيين:

فَكَفَـىْ لَكُـمْ بِـ (قُدَيْمَـةٍ) وَ (مُقَـدَّمٍ)
وَبِـ (عَبْـدَلٍ)، وَالنَّكْـدِ مِـنْ (حرْثَـاْنِ)
وَبِـ (جَعْفَـرٍ) وَ (بِمُـسْلِمٍ) وَ (مُطَـرِّفٍ)
وَ (يَزِيْـدَ) وَ (الأَحْـلاْفِ) وَالبُـدْوَاْنِ

كمـا إنـه قـد مـرّ بنـا في خـبر إكـسك سـلار مـع القرامطـة في الأحساء قول شارح الديوان عنه بعد انتهاء حصاره لها: "وعاد بمن معه إلى البصرة، وقد أخذ في طريقه من العرب أموالاً كثيرة تقوى بها، وكـلّ ذلك من عائذ وقبـاث والأحلاف ما سلموا إلا على خيولهم"، فمن الواضح من هذا القول أنّ الأحلاف هؤلاء كانوا يسكنون الجهات الشمالية للقطيف ولأحساء على الطريق القديم

«الـذين هـم باديتـها»[1047]، وقـالوا: أنـت الثـائر الـذي يملـك البحـرين، ونحـن نحـارب عندك[1048] حتى تخـرج أهلـها منـها، ويكـون لنـا[1049] ملكهـا، وأجمعـوا علـى حـرب الأحـساء، وجـاءوا مـن كـل جهـة، ومـا كـان في البلـد مـن أهلـها غـير القليـل[1050] لأن أكثـرهم كـان حَـالّاً في القـرى والـسواد مـن

المتجه منـهما إلى البـصرة بـالعراق، وتلـك الجهـات كانـت ذلـك الوقت من منازل عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وأحلافها من عامر وغيرهم.

وسنرى في هذا الخبر بعد قليل كيف أنّ الشارح سيذكر كيف أنّ هـذا النـائلي قـد اجتمعـت عليـه عـرب البحـرين الـذين هـم باديتها؛ كما سيذكر بعدها أنّ عامر عُقيل كلها قد اجتمعت مع كل عرب الأحساء لهذه الحرب مع حماد النائلي هذا، وهذا كله يجعلنا نـرجح كـون بني نائل هـؤلاء مـن بـني عـامر بـن صعـصعة، ولكنهم ليسوا من عُقيل نسباً لقوله عنهم إنهم من الأحلاف.

[1046] في البرلينية والروسية والطهرانية: "البحرين".

[1047] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية.

[1048] سبق وذكرت أنّ لفظة "عِند" دائماً ما يستعملها الشارح بدلاً من "مع".

[1049] في البرنستنية والبرلينية والروسية: " لك ".

[1050] في البرلينيـة والروسـية والطهرانيـة: "غـير جماعـة مـن آل علي، ونسبهم من آل إبراهيم".

ويبدو أنهم غير آل علي بن عبد الله أبي المنصور لأنه لم تجر عادة

جهة القيظ وجمع الثمرة وأمنهم ذلك الزمان، « وأهل سواد الأحساء وأكثر أهلها قد خرجوا إلى نخيلهم وضياعهم كما جرت عادتهم في القيظ، فحال البدو بينهم وبين الانحدار إلى البلد، وأرادوا خلوها منهم ليقهروا من بقي بها، ويولوها هذا الرجل النائلي »[1051]، فأمسكوهم في منازلهم التي بالسواد، ولم يمكنوهم من النزول إلى البلاد تضعيفاً للبلد ولمن فيها.

وكان مُلْكُ البلد يومئذ لأبي سنان،[1052] وكان نازلاً بالقطيف وموليها الأمير أباً مقدم شكر بن علي[1053]، فاجتمعت عامر[1054] كلها وجميع من يحل على الأحساء من

الشارح أن ينسب آل أبي المنصور إلى آل إبراهيم بهذه الصورة.

[1051] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والطهرانية، والكلام نفسه ورد في الروسية، ولكن بدون ذكر أهل السواد في أوله، واكتفت بالقول: "وأكثر أهل الأحساء .. الخ".

[1052] هو الأمير محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي، وقد مرّ بنا في مواضع كثيرة من هذا الديوان، وترجمتُ له في بعضها.

[1053] وجاء في البرلينية والروسية والطهرانية في هذا الموضع ما هذا نصه: "وواليها ذلك الزمان أبو مقدم من قبل ابن عمه الأمير أبي سنان، وأبو سنان يومئذٍ مقيمٌ بالقطيف".

[1054] سبق وقلت إن عامر هؤلاء هم بنو عامر بن عوف بن مالك بن ربيعة بن عوف بن عامر بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

العرب، وأغاروا على الأحساء مع الحَمَّاد النائلي، ولم يزالوا يباكرونها بالغارات ويراوحونها، ويراوحون أهلها القتال ثلاثين يوماً « من الغداة إلى العشي ».[1055]

فلما كان وفاء يوم الثلاثين جمعوا أنفسهم ولم يُبقوا من يحمل السيف[1056]، وباكروا القتال من كل باب للبلد،[1057] وضايقوا أهل البلد، ودخلوها من نواحيها بعد قتل كثير، وكان الأمير أبو مقدم قد ركب ووقف بالرَّحْل[1058]، وضم

[1055] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[1056] جاء في البرلينية والروسية والطهرانية في هذا الموضع ما يلي: "حتى كان آخر يوم من الثلاثين اجتمع جميع من يحل على الأحساء، وظنوا أنهم يفتحونها ذلك اليوم، وينهبونها".

[1057] هذا يدلُّ على أنّ مدينة الأحساء المسوَّرة كان لها أكثر من باب، وقد تقدم من أبوابها باب الحديد وباب الأصفر فيما مضى.

[1058] ذكر الشارح الرّحل هذا أكثر من مرّة فيما تقدم، وسيأتي أيضاً فيما يلي من شرح هذه القصيدة الميمية، وإنْ كان أهم نصٍّ ذكره الشارح عن الرَّحل هو النص الذي جاء في شرح قول الشاعر من لامية متقدمة:

وَإِمَّاْ انْتَدَىْ بَعْضَ البَوَاْدِيْ وَبَعْضُهُمْ

سَوَاْءً بضَاْحِيْ البَرِّ أَوْ بَاْحَةِ (الرَّحْلِ)

فقد رأينا كيف علّق الشارح عليه بقوله: "والرَّحل يحتمل أن يكون يريد به المكان الذي بالأحساء بالبحرين يعرف بالرحل، وهو أعظم مكان منها وأشرفه لأنه مجتمع الملوك والمشايخ وأكابر

البلد، وفيه مجلس الحكم، وبه تجتمع العساكر وقت الحرب، وهو قريب من دار السلطنة".

ونظراً لما كان للرحل هذا من أهمية قصوى لدى حكام الدولة العُيونية، فقد كانوا يولون إمرته لذوي القوة والجلد من رجال أسرتهم، فكان أوَّل من وليه منهم هو الأمير أبو يوسف علي بن يوسف بن ضبّار بن عبد الله بن علي الشيخ في بداية عهد المؤسس، ثم وليه بعد أبي يوسف هذا ابنه يوسف في عهد الأمير المؤسس أيضاً، وبعد يوسف بن علي تولى إمرة الرَّحْل أبو مقرب الأول الحسن بن عزيز بن ضَبَّار بن عبد الله بن علي الشيخ في عهد الأمير عبد الله بن علي المؤسس أيضاً، وبعده تولاها ابنه أبو شكر المبارك بن الحسن بن عزيز، ثم أعطاها الأمير أبو سنان محمد بن الفضل ـ الذي حكم بعد جده ـ محمد بن بدر بن مُورق بن ذَوَّاد بن نعمان بن علي بن عبد الله بن علي الشيخ، وبعده وليها حَوَارِيٌّ بن رشيد بن حَوَارِيّ بن فضل بن عبد الله الشيخ – طيلة ملك أبي المنصور علي بن عبد الله – ثم بعده تولاها جامعُ بن فضل بن محمد بن حَوَاريْ بن فضل بن عبد الله الشيخ، وبعد جامع عادت إمرته إلى أولاد حَوَاريٍّ بن رشيد.

ولا زال الرحل معروفاً باسمه حتى اليوم، ويقع الآن ضمن حدود بلدة البطالية التي تقوم على أنقاض مدينة الأحساء التاريخية؛ إلى الجنوب الشرقي من قصر قريمط (قصر القرمطي) بمسافة ثلاثمائة متر تقريباً، وكان حتى وقت قريب أرضاً جرداء تحف بها بساتين النخيل من جهاتها الشرقية والجنوبية والغربية، وأما من الجهة الشمالية، فيحدها الطريق القادم من عين الجوهرية وقصر قريمط، ونظراً لكون الرَّحل أرضاً جرداء لا زرع فيها،

إليه بني عمّه وكل من يحمل السلاح من وجوه عشيرته وجنده، ومن انضمّ إليه[1059]، « وآلى الأمير أبو مقدم على نفسه أن لا يترك[1060] اليوم أحداً من أهلها الخارجين يدخل، وأن لا يقاتلهم إلا بأصحابه وبمن معه، وكان في مجلسه من سواد الأحساء قومٌ من ربيعة ثم من عبد القيس يعرفون بالدَّياسمة،[1061] وكانوا أهل شجاعة ونجدة، فانحدروا ليقاتلوا مع أهل البلد، فأمر الأمير أبو مقدم بردِّهم، وقال: الذي أغنى عنكم وعن غيركم طول هذه المدة يغني عنكم اليوم، فرجعوا.

وكانت البدو يُصَبّحون البلاد من كل وجه وناحية،

فقد جعله ذلك مكاناً مفضلاً لهواة اللعب فاتخذوه ميداناً لذلك.

[1059] جاء في الطهرانية هنا: "وكان خبر نيتهم هذه أتى أبا مقدم بالليل، فجمع بني عمه، ومقاتلة أصحابه بالرحل".

[1060] كانت في الأصل: "ان تركت"، والأصح ما أثبته أعلاه استرشاداً بالجملة المعطوفة عليها مباشرة، وهي قوله: "وأن لا يقاتلهم".

[1061] وهم الذين مرّ بنا فيما مضى من شروح هذه القصيدة أنهم خرجوا من الأحساء بعد أن تولاها أبو المنصور علي بن عبد الله العُيوني والد الأمير أبي مقدم هذا الذي ولي الأحساء لابن عمه أبي سنان قبل أن يقتله أبوه في معركة العُيون الآتي خبرها فيما يلي، فخرج الدياسمة هؤلاء خوفاً منه وقصدوا أخاه الأمير الحسن بن عبد الله في القطيف كما مرّ.

فدخلوا جانبها الشرقي كلّه لخلوّه[1062] من أكثر أهله، فخرج إليهم الأمير أبو مقدم بمن معه من بني عمه[1063] ومن حاشيته وخدمه »[1064] فلما اشتغلت العرب[1065] حمل عليهم بنفسه وبمن معه حملةً صادقة « فيضرب بالسيف أوّل من لقيه منهم، وكانت إيّاها، فولّوا الأدبار »[1066] وقَتَلَ فيها خلقاً كثيرا، فهربوا من بين يديه، فتبعهم يطردهم حتى أخرجهم عن جرعاء المَرْدَى[1067]، وقتل منهم خلقاً لا

[1062] في البرلينية والطهرانية: "بخلوة".

[1063] في البرلينية والطهرانية: "عمومته".

[1064] ما بين القوسين إضافة نوعية من البرلينية والروسية والطهرانية فقط.

[1065] كذا وردت في الرضوية الأصل، وكذلك في البرنستنية، وأما في الهندية، فقد وردت فيها: "فلما اشتغلوا في النهب"، ويحتمل أن تكون الجملة قد تحرفت عن: "فلما اشتعلت الحرب".

[1066] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[1067] وردت في الأصل الرضوي: "المردي" بياء منقوطة في آخرها وبدون تشكيل، ولكن نسخة مجلس الشورى الإسلامي الإيراني التي هي منسوخة عن الرضوية كتبتها: "المردى" بدون نقط ولا تشكيل، وفي البرنستنية كما في الأصل الرضوي، ولكنها ضبطتها "المُرْدِي" ـ بضم الميم وتسكين الراء وكسر الدال ـ وفي الهندية: "الجرعى" بدون إضافة، وفي البرلينية والروسية والطهرانية: "جرعاء الكَباري"، وكلا الجرعاوين كانتا موجودتين

يحصي « عددهم »[١٠٦٨]، وحكي أنهم وجدوا أقواماً منهم أمواتاً « ملقين على الأرض »[١٠٦٩] بغير ضربة « سيف » ولا طعنة « رمح إلا أنهم طال عليهم العدو والهزيمة والخوف

في الأحساء، فجرعاء المَرْدَىْ هذه لا شك أنها (المرداء) ذاتها التي ذكر أصحاب معاجم الأمكنة والمواضع أنها صحراء هجر كما في معجم البلدان رسم (المرداء)، وأما جرعاء الكباري فلا زال يوجد في الأحساء شرق عين باهلة منها موضع يدعى الآن (أبو الكباري) يقع للشرق من التل الصغير الذي يدعى الآن بـ(الشبعان)، وقديما بـ(الشبعاء) للجنوب الشرقي من مدينة الأحساء (البطالية) ويقع هذا الموضع موازياً من الشرق لجرعاء السّليت التي مرّ بنا ذكرها في شرح هذه القصيدة؛ في خبر طرد عبد الله بن علي لبعض البدو من عامر ربيعة إلى جرعاء السُّليت هذه، فيبدو أنها مع جرعاء الكباري من المواضع التي يرضى العيونيون بطرد أعدائهم إليها عن بلدتهم، والذي يبدو لي أن جرعاء (الكباري) هي ذلك السهل الصخري الرملي القديم الذي كان يُسمى بـ(برّ طَيْفور)، ويُسمى أيضاً (برّ ضوَيْغِط)، وهو موضع غير بعيد عن موضع جرعاء المَرْدَى التي حددتُ موضعها في كتاب (هجر وقصباتها الثلاث) بأنه البرُّ الواقع بين المثلث المتكوَّنة رؤوسه من جواثى والقارة والحليلة.

[١٠٦٨] ما بين القوسين؛ زيادة من البرلينية والروسية والبرلينية.

[١٠٦٩] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية، وقد أصاب موضعه خرمٌ في البرلينية، فذهب به.

والتعب، فماتوا »[1070]، فبعد تلك الوقعة يئسوا من ملك البلاد ومن نهبها، فبعثوا في الحال يطلبون الصلح، فصالحهم، وإنما سُمّي بالخائس للقتلى الذي وقعت فيه من العرب ذلك اليوم، وذلك أنها جافت ونتنت رائحتها، فصار لا يجوز بذلك المكان إلا من يشدّ على أنفه من نتن الرائحة، فلذلك سمي الخائس[1071]، « ويسمى أيضاً يوم

[1070] ما بين القوسين من الروسية، وورد في البرلينية والطهرانية: "إلا أنه طال به العَدْوُ في الهزيمة والخوف فظهر نَفَسُه وربا حتى قتله " وفيها اضطراب واضح.

[1071] جاء في البرلينية والروسية والطهرانية هنا ما هذا نصُّه: "وسُمِّي ذلك اليوم يوم الخائس لأنه حمل عليهم فيه (في الروسية: "منه")، والخائس ضيعة (في الروسية: "بستان") من بساتين الأحساء.

ولا زال هذا البستان أو الضيعة يعرف بالاسم نفسه حتى هذا اليوم، وهو من بساتين قرية البطالية يقع إلى الجنوب الغربي من الرَّحْل المذكور أكثر من مرّة في الديوان وشرحه والذي يقع هو الآخر جنوب شرق قصر القرمطي (قريمط)، ومن الطريف في الأمر أن أصحاب هذا البستان القائمون عليه هم عائلة من البطالية تُعرف بآل مقرب، وهم يقولون: إنهم من نسل الشاعر، وليس لديهم ما يثبت ذلك سوى قولهم، وقد أخبرنا القائم على هذا البستان، وهو الحاج محمد بن علي بن علي بن علي بن حسين آل مقرب في مجلس عمدة البطالية الحاج ناصر بن علي آل الشيخ شتاء عام ١٤١٤هـ أنهم قد حفروا في البستان لحرثه وتقليب

الكـوارج لأن البـدو بلغـوا عنـد دخـولهم البلـد كـوارج الفخارين[1072] أهل الخزف[1073] ، ويسمى أيضاً يوم نونان[1074]

تربته فوجدوا جماجم وعظام بشرية كثيرة أينما حفروا فيه، فلعلها من بقايا أولئك القتلى المذكورين هنا.

[1072] هذه الكلمة إضافة من الروسية فقط، ولم ترد في البرلينية.

[1073] لا زال (الكَـوَارج) معروفـاً حـتى اليـوم، وهـو الآن أحـد أحياء بلـدة القـارة بالأحساء، وهـو بالفعـل موضـع صـنع الخـزف والفخار في هذه القرية وفي واحة الأحساء كلها منذ الأزل، وحتى اليـوم، ويقـع جنـوب شـرق البلـدة ملاصـقاً للجبـل المسمى قـديماً بالشبعان، والمعروف حالياً باسم جبل القارة، ولا زالـت صناعة الخزف والفخار قائمة في إحدى مغارات هـذا الجبـل القريبـة مـن الكوارج.

وكنت في الطبعة الأولى قد قلت في هذا الموضع ما يلي: "ولكن ينبغـي لنـا أن لا نجـزم بأنـه هـو الموضـع المـذكور في الـشرح، فمـن الجائز أن يكون المقصود به موضعاً آخر يحمل الاسم نفسه والصِّفَة يقع في قرية البطالية التي تقوم اليوم على أنقاض مدينة الأحساء التي حـصلت بهـا الوقعـة في بـستان الخـائس الواقـع جنـوب القريـة اليوم".

ولكنني الآن ـ بعد كثير من التقصّي والبحث في واحة الأحساء وبلداتها ـ لم أجد موضعاً آخر في الأحساء يُسمى (الكوارج) غير هذا الموضع الواقع داخل بلدة القارة، وبالتالي فإنني أرى أنه هو فقط المعني بالاسم الوارد في كلام الشارح هنا.

[1074] كـذا ورد الاسـم في البرلينيـة والطهرانيـة "نونـان" بـثلاث

لموت من مات فيه بلا ضربة ولا طعنة، ومن ذلك اليوم طلبوا الصُّلح، وما رجعوا أغاروا عليها غارةً أخرى[١٠٧٥]، وأما السُّبَيع وهو ابن غفيلة؛ قتله أيضاً أبو مقدم في تلك الحرب، وهو قد حشد جمعاً[١٠٧٦]، ونزلوا مكاناً غربيّ البلد يعرف بجرعاء المنظرة،[١٠٧٧] فحمل عليهم، فالتقوه بسُبَيْع،

نونات بعد الأولى منها واو، وبعد الثانية ألف ممدودة، وقد كتب فيها الاسم مرّتين كنوع من التأكيد من قبل الناسخ أنه الاسم الصحيح، وفي الروسية ورد الاسم فيها: "تونان" بتاءٍ فوقها نقطتان، ثم واو فنون فألف فنون ثانية، وقد تُقرأ "تونات" لأنّ النقطة التي على الحرف الأخير مشبعة بعض الشيء، فهي بين النقطة والنقطتين، وأياً كان الأمر، فهذا الاسم غريب، وبالرغم من أنّ الشارح قد بين سبب تسمية هذا اليوم به إلا انه يبقى غريباً مع كذلك.

[١٠٧٥] هذه اللفظة زيادة من الروسية فقط.

[١٠٧٦] كتبتُ هذه الجملة في الطبعة الأولى: "وقد حشدوا جميعاً" نقلاً عن البرلينية على اضطرابها لعدم وجود نسخة أخرى ذكرت هذا الجزء من هذه الحرب، ولكن بعد الحصول على النسخة الروسية، فقد تم تصحيح الجملة عنها كما أثبته في الأصل، وأما الطهرانية فقد كتب فيها كما في البرلينية.

[١٠٧٧] وهي نفسها الجرعاء التي كانت تقوم عليها سوق الأحساء الشهيرة التي ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب، وابن حوقل في صورة الأرض، والذي ذكر أيضاً أنها تقع غرب مدينة الأحساء كما ذكر الشارح هنا، وقد تقدم القول إنها تقع

وكان فارس القوم، فضربه أبو مقدّم بالسيف ضربةً لم يرد[1078] غيرها، وعاث فيهم حتى أخرجهم من الجرعاء إلى السّليْت[1079] »[1080].

مِنَّــا الَّــذِيْ مَنَــعَ الأَعْــدَاْءَ هَيْبَتُــهُ

حَــرْبَ الـبلاْدِ فَمَـاْ شَـدُّوْا لَهَـاْ حُزُمَـاْ[1081]

اليوم غرب الحافّة المزروعة لنخيل الشِّراع شمال مدينة المبرّز القديمة، وكانت تشرف عليها القلعة التي تُعرف الآن بقلعة المحيرس.

[1078] كذا وردت الكلمة في النسخ الثلاث البرلينية والروسية والطهرانية، ويحتمل تصحفها عن: "يَزِدْ".

[1079] في النسخة الروسية: "السلب"، وفي الطهرانية: "السليب"، وأما البرلينية فذكرته صحيحاً كما هو مثبت أعلاه، والسُّلَيْت يقع جنوب شرق جرعاء المنظرة بالقرب من العين المعروفة بعين باهلة للشمال منها، وقد سبق وحددته فيما مضى.

[1080] ما بين القوسين إضافة نوعية من البرلينية والروسية والطهرانية.

[1081] كانت في الأصل الرضوي: "له حُرُما"، وفي البريطانية والبرنستنية: "له حُزُما"، وأما في البرلينية والروسية، فقد وردت فيهما: "لها حزما"، وهي القراءة التي ارتضيناها؛ يريد أن يقول إنّ هيبة هذا الممدوح قد منعت الغزاة من أن يشدوا لغزو البلاد حزم إبلهم.

وَمَـــاْتَ يَطْلُـــبُ يَوْمَـــاً يَـــسْتَلِذُّ بــــهِ

يُطَبِّـــقُ الأَرْضَ نَفْعَـــاً وَالحَـــضِيْضَ دَمَـــاْ

يعني الأمير أبا ماجد محمد بن أبي المنصور علي بن عبد الله بن علي، وكان من حديثه أن جميع العرب الذين يحلّون على الأحساء اجتمع مشايخهم وذوو الرأي منهم، وقصدوا شبانة بن غفيلة،[1082] وهو يومئذٍ رئيس عرب البحرين من عُقَيل وغيرها[1083]، وشكوا إليه قلة الإنصاف من الأمير أبي المنصور لهم، «وجراءة أولاده وأهل بيته»،[1084] وجرأة أهل البلد عليهم في ذلك الزمان، وقالوا: نحاربهم حرباً نذللهم بها عنا، ونذيقهم فيها بأسنا، وأرادوا رأي شبانة في ذلك، وعزموا على التجريد للحرب، فقال

[1082] كتب اسمه في البرلينية والروسية والطهرانية في مستهل ظهوره في هذا الخبر: "أبو شبانة"، ولكنهن عدن فكتبنه "شبانة" فيما بعد، وهو الصحيح الموافق لما في الأصل الرضوي، وهو شبانة بن غُفيلة بن شبانة بن قُديمة بن نُباتة بن عامر بن عوف بن مالك بن ربيعة بن عوف بن عامر بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

[1083] وفي البرلينية والروسية والطهرانية ورد بدلاً من هذه الجملة قوله: "وهو يومئذٍ شيخهم جميعاً".

[1084] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية.

لهـم « شـبانة »[1085] لا تعجلـوا الأمـر فإننـا ننظـر وتنظـرون، وضـرب لهـم في ذلـك ميعـاداً يأتونـه فيـه ولا يتخلـف مـن مشايخهم أحد، فاجتمعوا للميعاد، وقصدوا شبانة جميعاً، وأداروا الرأي فيما بينهم، فقال « لهم »[1086] شبانة حين رأى ميلـهم « كلـهم »[1087] إلى الحـرب: عُـدّوا لي كـم في الأحـساء من فارس « يعد بجماعة من الفرسان؟ »[1088] « فقالوا: كثيرٌ ونحـن أكثـر، فقـال لهـم عُـدُّوا فرسـان[1089] الفرسـان ـ وفيهـا يومئذ ثمانمائة فـارس ـ فعَدُّوا فرسانهم الـذين يُعـد الفـارس بمائة فارس وأكثر مـن ذلـك »[1090]، فـصحّ عـددهم أربعـين فارساً، فقال لهم شبانة: هـذه أربعون فارساً، والأمير أبـو ماجد عن أربعين مثلها « تكون ثمانين »[1091] مع عساكر أبي المنصور وجنوده « والله »[1092] مـا نطمـع أن نقف بـين يـديهم

[1085] ما بين القوسين إضافة من البرنستنية والطهرانية.

[1086] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[1087] ما بين القوسين زيادة؛ من الروسية والطهرانية.

[1088] ما بين القوسين زيادة من البرنستنية.

[1089] هذه اللفظة من الطهرانية فقط.

[1090] ما بين القوسين إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية مع اختلاف طفيف.

[1091] ما بين القوسين زيادة من البرلينية و الروسية والطهرانية.

[1092] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية.

ولا نقاتلهم[١٠٩٣]، فاصبروا، فهذا الأمر ينتهي، فطول مدة[١٠٩٤] أبي ماجد ما حاربوا الأحساء ولا عدت[١٠٩٥] لهم عليها فرس، وكان « وا يذكرون أنَّ »[١٠٩٦] أبا ماجد كثيراً ما كان يقول: وددت أني طاردت خيل عامر يوماً إلى الليل[١٠٩٧]، فمات ولم يظفر بذلك منهم لذلهم عن حربه.

مِنَّاْ الَّـذِيْ ضُـرِبَتْ حُمْـرُ القِبَـاْبِ لَـهُ

[١٠٩٣] في البرنستينة: " نقابلهم"، وفي البرلينية والروسية والطهرانية: "ما تقابلونهم بالحرب".

[١٠٩٤] يقصد بقوله: "مدة" هنا أي طول عمر أبي ماجد، وليس ما قد يتبادر إلى الذهن من أنها تعني فترة حكمه لأن الأمير أبا ماجد لم يحكم، وكان الحكم لأبيه أبي المنصور، ثم صار لأخيه منصور بعد أن قتل والده أبا المنصور، ومراد الشاعر أنّ أبا ماجد كان من أعظم قوّاد أبيه أبي المنصور وفرسانه، وهذا هو الذي منع البداة من غزو الأحساء مدة وجوده على قيد الحياة مع أبيه.

[١٠٩٥] في البرنستنية والروسية: " غارت"، وفي البرلينية والطهرانية: "أغارت".

[١٠٩٦] ما بين القوسين من البرنستنية.

[١٠٩٧] هنا أصاب البرلينية خرم ذهب بهذه الجملة، وفي الروسية والطهرانية وردت الجملة هكذا: "والله إني لأشتهي أن أشبع يوماً إلى الليل من طراد عامر".

بالمـشْهَدَيْنِ، وَأعْطَـىْ الأمْـنَ وَانْتَقَمَـا[1098]

لَــوْ لا عِيَــاْذُ بَنِــيْ الجَــرَّاْحِ مِنْــهُ بِــهِ

لَــصَاْحَبَتْ دَهْمَــشَاً، أوْ ألْحِقَــتْ دَرِمَــاْ

دَرِمُ: رجلٌ من العرب قُتل فلم يُطلب بثأره، فقيل: (أودى درم) أي هلك، فصار يضرب به المثل لمن يقتل ولا يؤخذ له ثأر ويذهب « دمه »[1099] هدراً، [1100] ويعني

[1098] من هذا البيت إلى البيت الذي يقول فيه: "ما قابل الألف إلا وانثنت هرباً .. الخ" وردت الأبيات فقط، ولم ترد شروحها في البرلينية، وقد كُتب هذا البيت فيها والاثنا عشر بيتاً بعده من دون شرح، ولكن الناسخ قام بترك فراغات بين هذه الأبيات الاثني عشر بقصد أن يملأها بالشرح لاحقاً، ولكنه لم يفعل، فبقيت كذلك ، ووردت الأبيات نفسها مع شروحها في الروسية والطهرانية، وبإضافات لم أجدها في غيرهما، ونظراً للشبه الكبير جداً بين هذه النسخ الثلاث، فلا مناص من القول أنّ هذه النسخ الثلاث ترجع إلى نسخة أمٍّ واحدة، ولكن ذلك لم يمنع ناسخيهن في حالة وجود نقص في النسخة الأم أن يلجئوا إلى نسخ أخرى من الديوان لإكمال النقص، ويبدو أنّ هذا ما فعله ناسخا الروسية والطهرانية.

[1099] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية فقط.

[1100] وفي مجمع الأمثال للميداني:

بالمشهدين مشهد « أمير المؤمنين »[1101] عليّ « بن أبي طالب »[1102] عليه السلام[1103] بنجف الكوفة[1104]، ومشهد ابنه الحسين عليهما السلام[1105] بالغاضرية، وبنو الجراح[1106] هم الأمراء الذين يعرفون ببني ربيعة رهط سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك[1107] بن السّميط،[1108] ودهمش هو دهمش

أَوْدَى دَرِمٌ: هو دَرِم بن دُبّ بن مرة بن ذُهْل بن شيبان.

قَالَ أبو عمرو: كان النعمان بن المنذر يطلب دَرِماً وجَعَل فيه جُعْلاً لمن جاء به أو دلَّ عليه، فأصابه قوم، فأقبلوا به إليه، فمات في أيديهم قبل أن يبلغوا به إليه فقيل ''أودى دَرِم''

يضرب لمن لم يدرك بثأره.

[1101] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[1102] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[1103] في البرنستنية: " رضي الله عنه "

[1104] في الروسية والطهرانية: "بظهر الكوفة".

[1105] في البرنسنتنية: " رضي الله عنه ".

[1106] كتبت في الروسية: "الخوارج!"، وأما الطهرانية فقد اتفقت مع الأصل المثبت.

[1107] في البرنستنية: "يزيد"

[1108] سبق التعريف ببني ربيعة الطائيين هؤلاء في تعليقي على هذا الخبر نفسه في شرح البيتين:

وَلَمَّا أَتَتْ أَهْلُ الشَّآمِ يَقُودُهَا

بن سند بن أجود[1109] سيد غزية، [1110] والذي ضربت له القباب بالمشهدين هو الأمير محمد بن أبي الحسين[1111] أحمد بن أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي العيوني.

وكان من حديثه أن سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك « بن السُّميط »[1112] أمراء بني ربيعة جمعوا قبائل طي وزبيد والخلط وجميع عرب الشام، واجتمع إليهم دهمش بن سند بن « أجود في »[1113] غزية، وساروا

إِلَيْهِ الرَّدَىْ قَوْدَ الجَنِيْبِ لِرَاْكِبِ

سَعِيْدٌ وَمَسْعُودٌ وَرَهْطُ حُدَيْثَةٍ

يَسِيْرُوْنَ جُرْدَ الخَيْلِ بَيْنَ النَّجَاْئِبِ

[1109] تحرّف في الروسية والطهرانية إلى: "أجرد".

[1110] كتب في الروسية والطهرانية: "الغَزَويّ" نسبة إلى غزية، وهو صحيحٌ، وغزية هذه قبيلة مشهورة من طيّ، وقد سبق التعريف بها في تعليقي على شرح البيت:

وَهَلْ مَنَعَتْ مِنْهُ غَزِيَّةُ دَاْرَهَا

بِأَسْمَرَ عَسَّاْلٍ وَأَبْيَضَ قَاْضِبِ؟

[1111] كتبت "الحسن" خطئاً في الروسية والطهرانية.

[1112] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية هنا، وإن كانت الرضوية الأصل قد ذكرت ذلك كما رأينا قبل قليل.

[1113] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية فقط، وقد كتب أجود أجرد في الروسية، وأما الطهرانية فكتبته صحيحاً.

يريـدون أرض بـني عُقيـل « بـن كعـب »[1114]، وهـم عـامر وعائـذ[1115] وخفاجة « وعبادة »[1116] ومـن خـالطهم من قبائـل قـيس وربيعـة وغيرهـا، وكـان « الأمـير »[1117] محمـد بـن أبي

[1114] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية فقط.

[1115] كتبـت في الروسـية (عايـد) بتـسهيل الهمـز، وبـدال غـير معجمة، وفي الطهرانية: "عايذ"، ومن الواضح هنا أنّ الشارح قد جعل عامر وعائذ من قبائل عُقيل قارناً لهم ببني خفاجة وعبادة المعروف ارتفاع نسبهم إلى عُقيل، وقد ذكر ابن عنبة في كتابه عمدة الطالب (الصفحة ١١٦) عامر وعائذ هؤلاء عند حديثه عن بني يوسف الأخيضريين أهل اليمامة، فذكر أنهم كانوا نحو ألف فـارس مـع عـامر وعايـذ، ولكنـهم ـ أي الأخيـضريين – كـانوا يحفظون شرفهم، ولا يدخلون فيهم غيرهم، مما يدل على وجود حلفٍ كان في ذلك الزمان بين هاتين القبيلتين العُقيليتين، وقد سبق وتحدثت عن قبيلة عائذ العُقيلية، وذكرت نسبها إلى عُقيل، وذكرت أيضاً أنهم هم الوحيدون الذين نسب إليهم الإمام الزيدي محمد بن الإمام عبد الله بن منصور شرف النصر في هذه الوقعة المكرر ذكرها هنا؛ كما مرّ بنا في تعليقي على شرح القصيدة التي أولها:

منال العُلا بالمرهفات القواضب   وسمر العوالي والعتاق الشوازب

فراجعه هناك.

[1116] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية فقط.

[1117] ما بين القوسين من البرنستنية.

الحسين[1118] يومئذٍ قد رأس على « جميع »[1119] قبائل العرب الذين بالمشرق وعلى قبائل غرب[1120] العراق «من عُقيل»[1121] وغيرها، وكانت له مملكة البحرين، فلما سمعت «بنو»[1122] خفاجة وعبادة[1123] ومن يليها من قبائل قيس بتجهيز الأمراء تلك السّرايا وطلبهم أرض بني عُقيل بعثوا إلى الأمير محمد بن أبي الحسين ـ وهو يومئذٍ بالأحساء ـ من يخبره الخبر ويستنهضه، ودخلهم من ذلك رعب عظيم، وانحازوا[1124] لهم عن الطريق، وكان[1125] أيضاً في ذلك الوقت قد أفسد

[1118] في الروسية والطهرانية: "الحسن".

[1119] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[1120] في البرنستنية: " عرب ".

[1121] ما بين القوسين من البرنستنية، وفي الروسية والطهرانية: "جميع قبائل العرب من ربيعة ومضر".

[1122] ما بين القوسين من البرنستنية.

[1123] خفاجة هم بنو خفاجة بن عمرو بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وعُبادة هم بنو عُبادة بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وقد كان لكلي القبيلتين ذكرٌ وشهرة في أحداث العراق في ذلك العصر وما قبله.

[1124] في الروسية والطهرانية: "وأجفلوا".

[1125] كانت في الأصل: "وكانوا"، وما أثبته عن الروسية والطهرانية.

قد أفسد دهمش وقومه في الحاج وطلبوا منهم ما لم تجر به عادة، وخافوه وقبَّحوا غاية التقبيح، فشكا الحاجٍ إلى الخليفة الناصر لدين الله، فبعث الخليفة يومئذ رسولاً إلى الأمير محمد بن أبي الحسين يخبره بذلك[١١٢٦] ـ « وكان مقيماً ذلك الوقت بالأحساء »[١١٢٧] – ويتقدم إليه بالنهوض إلى دهمش وقومه والتنكيل بهم والنكاية فيهم بحسب ما يقدر عليه[١١٢٨]، « فاتفق وصول رسول عُقيل ووصول رسول الخليفة »[١١٢٩]، فنهض «محمد بن أبي الحسين[١١٣٠] من الأحساء»[١١٣١] يومئذٍ، واستنهض جميع العرب الذين

[١١٢٦] وفي الروسية: "يشكو إليه من دهمش بن أجرد – كذا – وقبح ما يعمل بالحاج"، وفي الطهرانية: "فشكوا إليه أمر دهمش بن أجود وقبح ما يعمل بالحاج".

[١١٢٧] ما بي القوسين إضافة من الروسية والطهرانية.

[١١٢٨] وفي الروسية والطهرانية: "ويأمره بتجهيز سريّة إليه لعله أن يظفر به أو بماله".

[١١٢٩] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية فقط.

[١١٣٠] كانت في أصل الروسية: "الحسن" كسابقاتها، ولم ترد في الطهرانية، ولكنني صححتها اعتماداً على المشهور في هذا الاسم.

[١١٣١] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية فقط، ويؤيده ما قاله الشاعر في قصيدته اللامية التي مدح بها الأمير محمد بن أبي الحسين، وهي التي مطلعها:

صِـــدَاْقُ المَعَـــاْلِيْ مَـــشْرِفِيٌّ وَذَاْبِـــلُ

وَسَـــاْبغَةٌ زُغْـــفٌ وَأجْـــرَدُ صَـــاْهِلُ

وقد جاء فيها قوله:

فَـسَاْرَ مِـنَ الأحْـسَاْءِ تَطْـوِيْ بـهِ الفَـلاْ
عِتَـــاْقُ المَـــذَاْكِي وَالمَطِـــيُّ الـــذَّوَاْمِلُ

فهذا يعني أن هذه الوقعة حدثت في أول ملك الأمير محمد بن أبي الحسين للأحساء لأنه قد مرّ بنا في طرة القصيدة التي مطلعها:

مَنَـــاْلُ العُـــلاْ بالمُرْهِفَـــاتِ القَوَاضِـــبِ
وَسُـــمْرِ العَـــوَاْلِيْ والعِتَـــاقِ الـــشَّوَاْزِبِ

التي قالها الشاعر في هذا الأمير أيضاً قول الشارح إنّ الشاعر قالها فيه عام ٥٩٩هـ وقت تملكه على الأحساء، وقد ذكر فيها هذه الوقعة نفسها التي حدثت بين هذا الأمير وبين هؤلاء المذكورين هنا من عرب بني ربيعة وغزية، فيبدو أنها كانت في بداية العام ٥٩٩ للهجرة أي قبل أن يمدحه بهذه القصيدة البائية التي يبدو أنه قالها فيه بعد هذه الوقعة بوقت قصير جداً، وقد سبق وذكرت أنّ هذه المعركة كان لها صِيْتٌ كبير في وقتها على الرغم من أنني لم أرها فيما لدي من مصادر تاريخية إلا ما ورد في قصيدة ذات الفروع للإمام الزيدي محمد بن الإمام عبد الله بن منصور بن حمزة المتوفى في صنعاء عام ٦١٤ للهجرة، فهو بالتالي كان معاصراً للحدث، ولكنه جعل فخر هذه المعركة لبني عائذ بنت ربيعة بن عُقيل فقط، وقد ذكرت ذلك بالتفصيل مع ذكر الأبيات التي قالها في ذلك من قصيدته في تعليقي على شروح القصيدة البائية التي ذكرت مطلعها قبل قليل.

بالبحرين ومن يليهم من عائذ وجميع جنوده «وعساكره»[1132] حتى لحق بالعراق، وانضمت إليه الأعلم والمنتفق،[1133] ولحق[1134] بعبادة وخفاجة « وبمن بأرض العراق من بني عُقيل »[1135]، وقد أجفلوا عن أرضهم، فثبتهم[1136] حتى استكمل جيوشه[1137] وسار « بهم »[1138] حتى لقي جموع[1139] الأمراء من بني ربيعة، وجميع من حشدت من طي وزبيد وعرب الشام، وكان ذلك بظهر الكوفة، فالتقوا واقتتلوا غير كثير، فحمل عليهم الأمير محمد، وحملت أولاده لحملته، وحملت جميع جيوشه فانهزمت جموع طي ومن

[1132] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[1133] الأعلم هو الأعلم بن خُوَيلد بن عوف بن عامر بن عُقَيْل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، والمنتفق قبيلةٌ لها شهرةٌ واسعة في تاريخ العراق والفرات الأوسط في ذلك العصر وما قبله، بل وما بعده أيضاً، وهم بنو المنتفق بن عامر بن عُقَيْل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

[1134] في الروسية: "فالتقى".

[1135] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية فقط.

[1136] في الروسية: "فبثّهم في تلك الأرض".

[1137] في الروسية والطهرانية: "حتى استكملت عساكره".

[1138] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية فقط.

[1139] في الروسية: "حتى التقى بالجموع أمراء .. الخ".

معها حتى بلغوا رحالهم، ثم إن الأمراء بني ربيعة أرسلوا إلى الأمير محمد يناشدونه النسب والقرابة « ويطلبون منه الجوار »[1140] ويذكرونه الحمية لأنهم يقولون إنّ أمراء بني ربيعة من ربيعة بن نزار[1141]، فرقّ لهم، وعطف عليهم، فأجارهم وأجار أهلهم وأموالهم، وامتنع من جوار دهمش لما كان تقدم من أمر الخليفة فيه، فهرب[1142] دهمش وسبق حتى دخل مشهد[1143] علي « بن أبي طالب »[1144] عليه السلام[1145]، وتحرم به[1146]، فأقام مستجيراً بقبره، فأقام الأمير محمد بن أبي الحسين « على دهمش »[1147] الحرّاس بباب المشهد يحفظونه لأن لا يهرب[1148]، وبعث إلى الخليفة الناصر لدين

[1140] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية فقط.

[1141] في الروسية والطهرانية: "ربيعة الفَرَس"، وكلاهما واحد لأنّ ربيعة بن نزار كانوا يلقبون بذلك.

[1142] في الروسية والطهرانية: "فانهزم".

[1143] في الروسية: "مسجد".

[1144] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[1145] في البرنستنية: " رضي الله عنه ".

[1146] في البرنستنية: " فتحرم بقبره"، وفي الروسية: "واستجار بقبره"، وفي الطهرانية: "واستجار بغيره"، وهو تحريف.

[1147] ما بين القوسين من البرنستنية.

[1148] في الروسية والطهرانية: "فأقام عليه الحراس عند القبر".

الله رسولاً يخبره بذلك[١١٤٩]، وأنه هرب ودخل المشهد واستجار بضريح « قبر »[١١٥٠] عليٍّ « بن أبي طالب »[١١٥١] عليه السلام وأنه قد أقام عليه الحرّاس يحفظونه ليرى الخليفة فيه رأيه، ويتقدم بما أراد « لأنّ غير الخليفة لا يجوز له أخذ رجل مستجير بضريح أمير المؤمنين عليه السلام »[١١٥٢]، فبعث الخليفة رجالاً من الديوان ليقبضوا على دهمش بغير إزعاج ولا تشديد في القبض لأجل سبقه إلى القبر واستجارته به، ووردوا به إلى بغداد مع غلمان الأمير محمد بن أبي الحسين[١١٥٣]، فلما صار في قبضة الديوان بعث الخليفة إليه فاستتابه حينئذ الخليفة عن الفساد وعن إدخال الضرر على الحاج، فتابَ وخلع عليه، و « بعد ذلك »[١١٥٤] خَلَّى

[١١٤٩] في الروسية والطهرانية: "يخبره بحديث دهمش".

[١١٥٠] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية فقط.

[١١٥١] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[١١٥٢] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[١١٥٣] في الروسية والطهرانية اختلاف واضح في الرواية، ولندرة هذا النص، فإنني أدونه هنا ليفيد الباحثين، وهو كما يلي: "فبعث إليه الخليفة بأنا قد أذنا في أخذ دهمش، ورسمناه، فتمثّل ذلك به، فدهمش رجلٌ مفسد، فاستخْرَجَ دهمشاً، وبعث به إلى بغداد مع قومٍ من غلمانه، فاستتابه الخليفة، وخلع عليه، وأطلقه لكون دخوله واستجارته بضريح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب".

[١١٥٤] ما بين القوسين من البرنستنية.

سبيله، فلم يعاود دهمش إلى شيء يدخل على الحاج ضرراً حتى مات.

مِنَّا الَّذِيْ أَصْحَبَ المُجْتَازَ مِنْ حَلَبٍ

إِلَى العِرَاْقِ إِلَى نَجْدٍ إِلَى كَدَمَا

كدم: قريةٌ بعمان.[١١٥٥]

يعني « أيضاً »[١١٥٦] الأمير محمد بن أبي الحسين لأنه كان في زمانه قد أخذ على أيدي مفسدي العرب[١١٥٧] حتى صار الراكب يسير إلى عمان وإلى العراق وإلى نجد وإلى الشام من البحرين فلا يذعره أحد « خوفاً من ابن أبي الحسين »[١١٥٨]، وكذلك القافلة أين أدركها الليل أناخت ما عندها من

[١١٥٥] في الروسية: "من عُمان"، وفي الطبعة الهندية: " أدم " وهي قرية عمانية أيضاً، وقد سبق وقلت إنّ أدم تقع إلى الجنوب من نزوى بـ ٦٠ كلم، وإلى الجنوب الغربي من مسقط العاصمة بـ ١٦٨ كلم، وأمّا كدَم، فهي من القرى العمانية القديمة، وتقع شمال بهلا بـ١٦ كيلومتراً، وتسمى الآن بالحمراء، والنسبة إليها كَدَمي، وقد نُسب إليها عدة من رجال عُمان وعلمائها.

[١١٥٦] ما بين القوسين من البرنستنية.

[١١٥٧] في الروسية والطهرانية: "قد أمن الناس حتى .. ا لخ".

[١١٥٨] ما بين القوسين إضافة من الطهرانية.

الخوف شيء مدة زمانه.[1159]

مِنَّا الَّذِيْ كُلَّ عَامٍ[1160] بالعِرَاقِ لَهُ

رَسْمٌ سَنِيٌّ إلَى أنْ ضُمِّنَ الرَّجَمَا

الرجم: القبر.

هذا أيضاً الأمير محمد بن أبي الحسين، وكان الخليفة الناصر لدين الله قد عظمه وشرفه تشريفاً جليلاً، وفرض له « رسماً يأتيه »[1161] في كل سنة من ديوان الزمام ببغداد ألفاً ومائتي ثوب من معمول مصر عَتَّابي[1162] وخوارزم ونيشابور أكثرها الإبريسم، ومستعمل بغداد[1163]، وفُرض له في

[1159] جاء في الروسية هنا: "حتى صار الراكب والقافلة يسيرون من الشام إلى البحرين إلى عُمان، وكذلك من العراق ومن نجد لا يتعرض لها أحد خوفاً من أبي الحسين"، وقد كتب الناسخ بعدها حرف (ص) كناية عن أنه صححها عن نسخة أخرى.

[1160] في الروسية: "يوم"، والصحيح ما في الأصل أعلاه، وسيؤكده الشارح في الشرح.

[1161] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[1162] العتابي نوع من الثياب التي كانت تصنع في مصر. انظر صبح الأعشى للقلقشندي ١١ : ٣٣٣

[1163] جاء في الروسية والطهرانية في هذا الموضع: "ومستعمل العراق؛ أكثرها الإبريسم".

البصرة « ميرةً »[1164] كل سنةٍ ألف وخمسمائة حمل من الحنطة والشعير والأرز والتمر « مدّة حياته ».[1165]

مِنَّا الَّذِيْ رَكَزَ الرُّمْحَيْنَ ضَاحِيَةً
وَجَوَّزَ العَرَبَ العَرْبَاءَ بَيْنَهُمَا
حَتَّىْ احْتَوَىْ مَا اصْطَفَاهُ مِنْ عَقَائِلِهَا
غَصْبًا، وَهَانَ عَلَيْهِ رَغْمُ مَنْ رَغِمَا

عقيلة كل شيء: خياره، ورغم من رغم: غيظ من اغتاظ، والإرغام: الغيظ، والإرغام: الإذلال.

يعني أيضاً محمد بن أبي الحسين، وكان قد جمع قبائل عامر وعائذ وخفاجة وعبادة والأعلم والمنتفق وجميع من ينزل على البحرين من العرب، وغزا بهم قبائل طي، فاجتاحوا أموالهم اجتياحاً لم يسمع بمثله[1166]، فحينئذٍ أمر الأمير محمد بن أبي الحسين بإحضار جميع الغنائم[1167] وأمر

[1164] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[1165] ما بين القوسين من الطبعة الهندية.

[1166] جاء في الروسية والطهرانية في بدلاً من هذه الجملة: "فغنموا غنائماً كثيرة" فقط.

[1167] وفي الروسية والطهرانية: "فأمر بجمعهم، وجمع ما عندهم من الغنائم، فاجتمعوا، وجمعوا الغنائم".

غلمانه بأن يركزوا رمحين، وتقدم إلى جميع تلك القبائل أن لا يجوز أحدٌ منهم بمغنمه إلا من بين الرمحين الذين أمر بركزهما[1168]، ووقف على فرس[1169] في جماعة من أصحابه وغلمانه، وصار كلما جاز أحدٌ بما حصل له من المغنم[1170] واستحسن منه شيئاً أمر غلمانه أن يسوقوه إليهم ويضموه عندهم له حتى جازت تلك القبائل كلها من بين الرمحين «ومن لا يجوز من بين الرّمحين أخذه أصلاً»[1171]، فجمع من الإبل ومن الخيل والخدم والأمتعة ما لا يحصى عدده[1172]، وغنَّم من أراد وخيّب من أراد لأنه يأخذ من كسب هذا ويعطيه الآخر بعدما يأخذ لنفسه ما أراد فلا يقدر أحدٌ أن ينكره.

(وَيَوْمُ سِتْرَةَ) مِنَّا كَانَ صَاحِبُهُ

[1168] وفي الروسية والطهرانية: "وأمر بعض غلمانه أن يركزوا رمحين، ويجيزوا جميع أولئك المخلوقين! كلهم بجميع غنائمهم من بينهما".

[1169] في الروسية والطهرانية: "فرسه".

[1170] في الروسية والطهرانية: "وصار كلما مرّ بينهما شيءٌ من المغنم واستحسنه أمر بأخذه".

[1171] ما بين القوسين من الطبعة الهندية.

[1172] وفي الروسية: "واصطفى من تلك الغنائم ما لا يُحصى كثرته".

لاقَتْ بِهِ (سَامَةٌ) و (الجَاشَكُ) الرَّقِما[1173]

[1173] كذا كُتبت في الأصل "الجاشك"، وكذلك هي في البرنستنية والبريطانية، وفي البرلينية: "الحاشك"، وفي الطهرانية: "الحاش ال!"، وهو تحريف، وفي الروسية كُتبت "الجاشه" وهو كذلك، ولكنهما كتباها في الشرح: "الجاشك"، ثم ذكرا ما يدل على أنهم قوم من الفرس.

والجاشك: مدينة وميناء فارسي يطلُّ على مدخل مضيق هرمز من بحر العرب، وهي مدينة كانت وما زالت ذات أهمية استراتيجية كبيرة لمن يملكها، ولهذا أقامت فيها حكومة الهند البريطانية محطة تلغراف وصفها لوريمر في دليل الخليج؛ بل قدّم وصفاً دقيقاً وشاملاً لمدينة جاشك ومينائها وتضاريسها وتقسيماتها الإدارية والنواحي التابعة لها في أكثر من عشرين صفحة. انظر (دليل الخليج ؛ القسم الجغرافي؛ ج٣: ١١٣٠ – ١١٥٥).

وقد ذكرها قبل ذلك ياقوت الحموي في معجم البلدان في رسم (الجاسك) معرّبة، فقال:

"جَاْسَك: بفتح السين المهملة، وآخره كاف؛ جزيرة كبيرة بين جزيرة قيس وعُمان قبالة مدينة هرمز؛ بينها وبين قيس ثلاثة أيام، وفيها مساكن وعمارات؛ يسكنها جند ملك جزيرة قيس، وهم رجال أجلاد أكفاء لهم صبر وخبرة بالحرب في البحر وعلاج للسفن والمراكب ليس لغيرهم".

إلى أن يقول: "ولقد حُدِّثت أنّ الرجل منهم يسبح في البحر أياماً وأنه يجالد بالسيف وهو يسبح مجالدة من هو على الأرض".

أَلْفَيْنَ غَادَرَ مِنْهُمْ مَعْ ثَمَانِيَةٍ

صَرْعَى فَكَمْ مُرْضَعٍ مِنْ بَعْدِهَا يَتُمَا

الرقم: الداهية، وسترة قرية[١١٧٤] بجزيرة أوال.

وأما سامة المذكورون مع الجاشك، فهم قبيلة مشهورة من أهل عُمان، وهم يدَّعون أنهم من بني سامة بن لؤي بن غالب القرشي، ولأمير المؤمنين علي وأولاده – عليهم السلام – رأي مشهور في أنهم ليسوا من نسل سامة، وفي ذلك يقول الحِمّاني شاعر العلويين (المسعودي: مروج الذهب؛ ط. دار إحياء التراث - بيروت ج١: ٥٣٧):

وسامة منا وأما بنو ه فأمرهم عندنا مظلمُ

ويعرفون في التاريخ أيضاً بأنهم بني ناجية، وهي زوجة سامة بن لؤي يقول الرواة إنه تزوجها وكان لها ولد من غيره فأنجب هذا الولد كل مَنْ عُرفوا ببني سامة هؤلاء، وهناك أقوال أخرى ذكرها الزركلي في ترجمة علي بن الجهم من قاموسه لا داعي للإطالة بذكرها هنا.

وكان لبني سامة هؤلاء أخبار كثيرة في تاريخ عمان ذكر طرفاً منها العوتبي في كتابه الأنساب الذي طبعته وزارة التراث القومي والثقافة بعمان.

[١١٧٤] في الروسية والطهرانية: "جزيرة أوال"، فكأنه أراد أن يقول جزيرة بأوال، فنسي الباء.

وسِتْرَة جزيرة معروفة في أوال حتى وقتنا هذا؛ تقع في مدخل

خور الكاب (آل كعب) إلى الشرق من منتصف الجزء الشمالي للجزيرة الأم أوال (جنوب المنامة)، ويفصل بين سترة والجزيرة الأم ممرٌ بحري ضيّق، وفي عصرنا الحاضر رُبط بين سترة والجزيرة الأم أوال بجسر لعبور السيارات.

وتعتبر سترة ثالث أهم جزيرة في أرخبيل جزر أوال (البحرين) بعد جزيرة أوال الأم وجزيرة المحرَّق التي كانت تُعرف بسماهيج قديماً، وكانت سترة تضم عدة قرى وعيون غزيرة وبساتين نضرة مع ما كان يأتيها من خيرات البحر، ومن قرى هذه الجزيرة: (القُرَيَّة – الحَالَة – مَهَزّة – سَفَالَى – مَرْكُوْبَاْن – وَاْدْيَاْن – الخَارِجيَّة) (بتصرف عن محمد علي التاجر: عقد اللآل في تاريخ أوال؛ الصفحة ٤٥).

[1175] كتب في الروسية: "الزبير" في جميع مواردها من هذا الخبر، وفي الطهرانية كتب ناسخها اسم: "الزير" في هذا المورد من الخبر، ثم كتبه: "الزبير" في بقية الموارد اللاحقة وهو تحريف، وفي جميع النسخ المشروحة الأخرى التي ذكرت هذا الخبر كتب: "الزّير" على اسم لقب المُهَلْهِل أخي كليب الشهير، وأما في الطبعة الهندية فقد كتبوه: "الزئر" مع كتابة نقطتي الياء تحت كرسي الهمزة أرادوا بذلك صحة قراءة الاسم بالصورتين أي بالهمزة وبالياء مسهّلة، ولا أعرف كيف فاتهم أنّ المسموع المشهور في هذا الاسم هو بتسهيل الهمز.

[1176] سقطت لفظة "بن" هذه من ناسخ الرضوية الأصل في هذا الموضع، ولكنه سيذكر اسمه صحيحاً: "الزير بن أبي علي" في موضعين قادمين من هذا الخبر، وثبَّتَتْ النسخة البرنستنية هذه

بن علي، وذلك أن الملك «جمشيد المعروف بـ»[1177] باكرزا[1178]

اللفظة في هذا الموضع وفي الموضعين الآخرين أيضاً، وفي الروسية ورد اسمه هنا: "الزبير بن الحسن بن علي بن عبد الله بن علي"، والصحيح أنه: "الزير بن الحسن أبي علي بن عبد الله بن علي"، فشارح الديوان أو ممليه كان أحياناً يذكر اسم الأمير العُيوني، ثم يلحقه باسم كنيته، فبدلاً من أنْ يقول محمد بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان محمد كان يكتبها أحياناً: محمد بن أحمد أبي الحسين بن محمد أبي سنان، وهذا الأمر سبب ربكة كبيرة لنساخ الديوان، فكان بعضهم يسبقه قلمه فيقلب لفظة "أبي" إلى "بن" دون أن يشعر.

[1177] ما بين القوسين؛ إضافة نوعية من الروسية والطهرانية فقط، وقد خلت منه كل النسخ، وقد كتبه الناسخان هنا: "حميد"، ولكنه في نصّ الاتفاقية التي أبرمها ابن هذا الملك مع الأمير فضل بن محمد بن أبي الحسين العُيوني ـ والتي انفردت المخطوطتان الروسية والطهرانية بالاحتفاظ بها من دون النسخ الأخرى — ورد هذا الاسم في موضعين من هذه الاتفاقية، ففي الروسية كتب في الموضع الأول: "جمشيد"، وفي الآخر: "جمسيد"، وأما في الطهرانية، فكتب في كلي الموضعين: "حمشيد"، ومن الواضح وقوع تحريف في الاسم، ولكن لكون هذا الملك فارسي كما ذكر ياقوت عنه في رسم (قيس) من معجمه، ولأنّه لم يؤلف الاسم "جمسيد" في التاريخ الفارسي بعكس الاسم الأول: "جمشيد" الذي هو اسم أحد ملوك الفرس القدامى، وتسمى به أكثر من شخص قبل الإسلام وبعده، فلهذا رجحت أنّ صحة اسم هذا الملك هو: (جمشيد).

بن أسعد[1179] بن قيصر صاحب جزيرة كَيْش[1180] كان قد

[1178] كُتب هذا اللقب (باكرزار) في جميع المواضع من هذا الخبر في الرضوية الأصل والبرنستنية، ولكنّ ناسخ الرضوية كتبه في النبذة التاريخة الملحقة بآخر الديوان ـ عن حكام القرامطة والعيونيين – (باكرزا) بدون حرف الراء الأخير، وعلى نهجها سارت نسخة مجلس الشورى المنسوخة عنها، ولم يرد هذا اللقب في شرح البريطانية ولا في شرح البرلينية لخلوهمامن هذا الخبر، وأما الهندية، فقد سموه في أول موضع: "باكرزاز"، وفي المواضع الثلاثة التالية من الخبر سموه "أبا كرزاز"، وقد أخذنا عنها في الطبعة الأولى، ولكن وبعد أن وفق الله بالحصول على المخطوطتين الروسية والطهرانية، فقد اتضح لنا أنّ الصحيح في تهجئة هذا اللقب؛ هو (باكرزا)، وذلك لوروده كذلك في النبذة التاريخية الملحقة بالرضوية الأصل، ولأنّ النسختين الروسية والطهرانية التزمتا هذه التهجئة لهذا اللقب في كل المواضع التي ورد فيهما؛ سواءً ما كان منها في هذا النص من شرح هذه القصيدة هنا، أو تلك التي وردت في النبذة التاريخية التي ألحقها بعض المعاصرين لسقوط الدولة العُيونية في آخر هذا الديوان.

[1179] كذا ورد الاسم في الرضوية الأصل ومنسوختها الشورائية والبرنستنية والطهرانية، ولم يرد في البرلينية والبريطانية لخلوهما من هذا الخبر، وأما في الروسية، فقد كتب فيها: "سعيد" في هذا الموضع، ولكنها بعد ذلك بقليل ذكرت إضافة لا توجد إلا فيها جاء فيها أنّ هذا الملك المسمى جمشيد كان أشد ملوك بني الأسعد بن قيصر بأساً، وهذا يعني أنّ اسم أبيه هو "أسعد"، وعلى ذلك اعتمدت.

حارب[1181] البحرين، « وكان أشدّ ملوك بني الأسعد بن قيصر بأساً، وهو أول من تسمّى بالملك، ولم يُسمَّ به أحدٌ

[1180] وفي الروسية والطهرانية: "ملك جزيرة كيش".

وكيش تعجيم قيس، ولا تزال جزيرة كيش معروفة حتى اليوم من جزر إيران الواقعة في الخليج الفارسي بين جزيرتي هُندرابي وفرور الكبرى إلى الغرب من بندر لنجة بـ٨٥ كلم تقريباً.

ولياقوت الحموي المعاصر لآخر دولة العُيونيين؛ كلامٌ هامٌ يحسن إيراده لما فيه من ذكر للعلاقات التي كانت تقوم بين حكام هذه الجزيرة وبين حكام الدولة العيونية، وما كان يأخذه منهم من أموال باهظة، فقد جاء في رسم (قيس) من معجم البلدان لياقوت قوله: " وقيس: جزيرة، وهي كيش في بحر عمان؛ دورها أربعة فراسخ، وهي مدينة مليحة المنظر ذات بساتين وعمارات جيدة، وبها مسكن ملك ذلك البحر صاحب عمان، وله ثلثا دخل البحرين، وهي مرفأ مراكب الهند وبر فارس وجبالها تظهر منها للناظر، ويزعمون أن بينهما أربعة فراسخ؛ رأيتها مرارا، وشربهم من آبار فيها، ولخواص الناس صهاريج كثيرة لمياه المطر، وفيها أسواق وخيرات، ولملكها هيبة وقدر عند ملوك الهند لكثرة مراكبه ودوانيجه، وهو فارسي، شكله ولبسه مثل الديلم وعنده الخيول العراب كثيرة والنعمة الظاهرة، وفيها مغاص على اللؤلؤ وفي جزائر كثيرة حولها وكلها ملك صاحب كيش".

[1181] كانت في الأصل الرضوي: "جازت"، والتصحيح من البرنستنية، ولم تذكر البريطانية ولا البرلينية هذا الخبر، وفي الروسية والطهرانية ورد الخبر بصيغة أخرى سنذكرها لاحقاً.

من ملوك كَيْش قبله »[1182]، فجمع جموعاً عظيمة[1183]، وسار بها في المراكب حتى بلغ بها إلى جزيرة أوال « يريدُ مُلْكَها، والتغلّب عليها دون ملوك البحرين من بني عبد الله بن علي، ونفي العرب منها »[1184]، فانحدرت تلك الجموع بتلك القرية التي تعرف بسترة.

« وكان مُلْكُ القطيفِ وأوال يومئذ لشُكرُ بن الحسن[1185] بن عبد الله بن علي، فلما بلغه ذلك وَلَّى أخاه

[1182] ما بين القوسين؛ إضافة نوعية من الروسية والطهرانية، وقد خلت منها كل النسخ.

[1183] وفي الروسية والطهرانية: "فجمع الجيوش والعساكر".

[1184] ما بين القوسين؛ إضافة هامة من الروسية والطهرانية، وقد خلت منها جميع النسخ المشروحة.

[1185] كانت في أصل الروسية والطهرانية: "الحسين"، وهو سهو من الناسخ الأصلي لأنه سبق وكتب اسم أبيه: "الحسن في أول هذا الخبر، وسوف يكتبه: "الحسن" كذلك بعد قليل، وأيضاً فإنّ كل النسخ المشروحة التي ذكرت تفصيل هذا الخبر كتبته: "الحسن"، وهو الحسن بن عبد الله بن علي أصغر أبناء مؤسس الدولة العُيونية، وصاحب الدراهم العُيونية المكتشفة أخيراً، والتي ورد فيها اسمه: "الحسن"، وكذلك ذكره العماد الأصفهاني في الخريدة ؛ قسم شعراء العراق، وسماه أبا علي الحسن بن عبد الله كما سبق ومرّ بنا.

الزير بن الحسن[1186] حرب باكرزا »[1187]، وبعث عنده بعض

[1186] في الروسية كتب: "الحسين" بعكس الطهرانية التي كتبته: "الحسن".

[1187] ما بين القوسين من الروسية والطهرانية، وكانت في الطبعة الأولى نقلاً عن الرضوية الأصل بهذا النص: "وكان الأمير الزير بن أبي علي قد بعثه أخوه الأمير أبو مقدم شكر بن أبي علي حين سمع بتجهيز الملك باكرزا العساكر إلى أوال"، وما أثبته هنا عن الروسية أكثر اتساقاً وأوضح في المعلومات.

وأما في الطبعة الهندية، فقد قلبوا الحال رأساً على عقب هنا، فجعلوا المعني بهذا الخبر الأميرَ أبا علي الحسنَ بن عبد الله بن علي العُيوني أي والد الزير وإخوته، وبعكس مخطوطات الديوان المشروحة التي ذكرت هذا الخبر، فقد انفردت الطبعة الهندية بالقول إنّ الزير ـ الذي هو عندها لقب الحسن بن عبد الله بن علي كما قلت للتو ـ لم يباشر قتال الملك أبا كرزاز – كذا كتبوه – بنفسه في جزيرة أوال، وأنه بقي في القطيف، وذكرت أنه أرسل أخاه الأمير (أبا مقدم شُكرَ بن أبي علي) في جيش لصدهم، وهنا يذوب الثلج ويبين المرج، فإذا كان أخو الزير ـ الذي هو عندهم أبو علي الحسن بن عبد الله ـ هو أبو مقدم شكر بن أبي علي كما دوّنوا اسمه، فهذا مطابق لنسب هذا الأخير في بقية النسخ المخطوطة في هذا الموضع وفي المواضع الأخرى من الديوان، وبالتالي فإنّ الزير هو ابن أبي علي الحسن بن عبد الله وليس هو الحسن نفسه، وإنما الحسن الذي هو صاحب النقود العُيونية المكتشفة هو والد الأميرين الزير وشُكر؛ وسيجد القارئ في النبذة التاريخية التي ألحقها بعض المعاصرين للشاعر بآخر ديوانه – وهي

عسكر القطيف، وأمَّره عليهم.

« فعبر الزير بالمراكب مع بعض الجند والخيل إلى أوال، ووصل باكرزا بجنوده وعساكره إلى أوال، وجنوده كلها من الجاشك ومن بني سامة »[١١٨٨]، فحين انحدرت جموع الملك باكرزا وحصلوا بسترة؛ سار إليهم الأمير الزير بن أبي علي بمن معه، « فخرجوا من البحر بالخيل والرجال، وكان خروجهم من تجاه أرض سترة، وخرج معهم أخو الملك، وكان يقال له نَامْسَار[١١٨٩]، فالتقوا بتلك الأرض »[١١٩٠]، « فاقتتلوا شيئاً من قتال »[١١٩١]، فحمل

بآخر طبعتنا هنا – صحة نسب الزير وإخوته كما ذكرتها نسخ الديوان هنا، إلا أنّه هناك سيذكر أنّ شكر بن الحسن توفي قبل هذه المعركة، وأن الذي تولى الحكم بعده هو أخوهما الثالث علي بن الحسن بن عبد الله، وأنه هو الذي وقعت هذه الواقعة في عهده، فأرسل أخاه الزير لخوض المعركة، فكان أنْ تمَّ له هذا النصر الكبير.

[١١٨٨] ما بين القوسين إضافة من الروسية والطهرانية فقط.

[١١٨٩] كذا كتب هذا الاسم في الأصل الرضوي، وفي الروسية والطهرانية: "نمسار"، وفي البرنستنية والطبعة الهندية: "نام سار"، ولم يرد في البرلينية والبريطانية لخلوهما من هذا الخبر.

[١١٩٠] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية فقط.

[١١٩١] ما بين القوسين؛ من البرنستنية، وورد في الرضوية الأصل: "فاقتتلوا قتالاً" فقط.

عليهم الزير حملةً، صبروا له فيها ساعة، « وحملتْ خيلُه لحلمته »[1192] ، ثم انهزموا، فضرب فيهم بالسيف حتى جمد الدم على يده وقائم سيفه، فما تخلصت يده ـ فيما ذكروا ـ من قائم السيف حتى سُخِّن لها ماءٌ وصبّ عليها فأذاب الدم، [1193] فانحلّ وتخلصّت يده.

ولم يسلم منهم إلا عدّةٌ يسيرةٌ سبقت إلى المراكب، وكان عدة القتلى من أصحاب باكرزا ألفين وثمانيمئة[1194] قتيلاً، « ولم يفلت منهم غير القليل »[1195]، وأسروا يومئذٍ (نامْسَار) أخا الملك باكرزا، «وأتي به أسيراً إلى القطيف»[1196]، وهرب الملك باكرزا بمن أفلت من القتل إلى جزيرة كَيْش، فلما بُلِغَ بـ (نامْسَار) أخي الملك إلى الأمير شُكْر منَّ عليه وأطلقه « بغير فدا »[1197] وسيّره إلى كَيْش.

« فصارت الفُرْسُ إذا بكى الصغير منهم؛ قالوا له:

[1192] ما بين القوسين من الروسية والطهرانية.

[1193] في الروسية والطهرانية: "فما انحلّ حتى سخنوا الماء، وغمس يده فيه".

[1194] كذا كتبت في الأصل الرضوي، وفي الروسية والطهرانية: "وثمانماية".

[1195] ما بين القوسين إضافة من الروسية والطهرانية.

[1196] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية فقط.

[1197] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

"أسكت وإلا نادينا لك الزير"، فيسكت الطفلُ من الرهبة التي وقعت له في صدورهم، وصاروا إذا أوردوا شيئاً من دوابّهم الماء، ولم تشرب؛ قالوا يخاطبون الدابّة: "لَعَلّ الزِّيْر في الماء حتى تخافي!! لَمَ لا تَشْرَبي[1198]؟!" »[1199].

[1198] في الطهرانية: "حتى تخافي أن تشربي".

[1199] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية والطهرانية فقط، وليست في بقية النسخ، وهي إضافة نادرة لهاتين النسختين مع ما لهما من إضافات أخرى مضت، وأخرى ستأتي.

وهاتان الجملتان: "تسكت وإلا نادينا لك الزّير"، وقوله في مخاطبة الفرس"لعلّ الزِّير في الماء حتى تخافي" هما كما هو واضح من الكلامٌ المحلّي الدارج، وقد مرّ بنا مثيلٌ له في خبر الأميرين أبي فراس جعفر بن الفضل وأبي مقدم شكر بن علي وقصة الأفراس التي ترددت بينهما، وذلك مثل قوله هناك: "يطول عمره"، و"لا يكون يخاف عليّ الفقر"، ومن الواضح أنّه يوجد بعض الكلام الدارج في المنطقة ضمِّن في هذه الشروح من الديوان، ويبدو أنّ نساخ الديوان قد تصرَّفوا في بعض هذا الكلام الدارج، فغيروا صيغته في بعض المواضع.

وسبق وذكرت في الموضع الأول الذي وردت فيه الجملتان: "يطول عمره"، و"لا يكون يخاف علي الفقر" أنّ هاتين الجملتين لا زالتا تُستعملان في المنطقة، وكذلك الحال بالنسبة للجملتين الواردتين هنا، وهما: "تسكت وإلا نادينا لك الزير"، و"لعل الزير في الماء حتى تخافي"، فهما أيضاً لا زالتا تُستعملان في المنطقة حتى اليوم، ولكن بدون ذكر الزير، فالنساء دائماً ما يقلن لأطفالهن

مِنَّـــا أَبُـــوْ يُوْسُـــفٍ وَالمُرْتَجَـــىْ حَـــسَنُ

زَيْـــنُ الإِمَـــارْةِ وَالبَيْـــتِ المُنِيْـــفِ هُمَـــاْ

أبو يوسف: علي بن يوسف بن ضَبَّار بن عبد الله، وحسن هو أبو مُقَرَّب الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبد الله.[1200]

عند ارتفاع صراخهم: "تسْكتْ لوْ ناديْنا لك الوَاْوِيْ"، والوَاْوِيْ هو الاسم المحلي الدارج لابن آوى في المنطقة؛ وبالنسبة للجملة الثانية، فهي شبيهة بجملة قالها بعض الأتراك الناجين من وقعة القهدية – موضع غرب العُقير – عام ١٩٠٢، وقد حدثت هذه الواقعة الشهيرة إثر توجّه حامية تركية تتكون من ٢٣٠ فارساً وراجلاً كانت تخفر قافلة خارجة من ميناء العُقير إلى الهُفوف، وعند وصولهم إلى موضع يُعرف بـ(أمّ الذرّ) قرب القهدية فاجأهم كمينٌ لآل بحيح من آل مُرّة كان كامناً خلف تلال القهدية العالية، فتمكنوا من قتل وأسر جميع أفراد الحامية التركية، فيذكرون أن أحد هؤلاء الأسرى الذين أطلق سراحهم أصابه ذهول شديد من هذه الوقعة وما فعله آل بحيح بزملائه، فيقال إنه كان إذا أراد أن يورد فرسه الماء بعد ذلك، وتجفل الفرس يقول مخاطباً لها: "ما لك لا تشربين .. بحيحْ فِي الماء؟!"، وهي جملة شبيهة جداً بجملة العجم الذين ذهلوا هنا من شجاعة الزير بن الحسن بن عبد الله، ولكن الفرق يكمن في أنّ بحيح قبيلة والزير فردٌ واحد.

[1200] سبق وذكر الشاعر أبا يوسف في شرح البيتين:

مِنَّــاْ الَّــذِيْ أَنْفَــقَ الأَمْــوَاْلَ عَــنْ عَــرَضٍ

وَيُوْسُـــفُ وَأبُـــوْ شُـــكْرٍ وَإخْوَتُـــهُ

حُلْيُ العُلاْ، وَكَعَـاْمُ الـدَّهْرِ إنْ عَرِمَـاْ[1201]

يوسف هو يوسف بن « أبي يوسف »[1202] علي بن يوسف، وأبو شكر هو المبارك بن « أبي مقرَّب »[1203] الحسن بن عزيز، وإخوته بنو أبي مقرب الحسن بن عزيز، وهم مقرب[1204] والمبارك أبو شكر[1205] ونصر ومحبوب ومنصور

حَتَّـىْ رَأىْ شِـعْبَ شَـمْلِ العِـزِّ مُلْتَئِمَـاْ

مَـــلاْ الْمُـــسُوْكَ قَنَـــاْطِيْراً مُقَنْطَـــرَةً

مَـاْ حَـاْبَ فِـيْ جَمْعِهَـاْ يَوْمَـاً وَلاْ أثِمَـاْ

وسبق وأوضح الشارح في غير هذه القصيدة أنّ هذين العلمين العُيونيين اللذين قرنهما في هذا البيت وهما أبو يوسف وأبو مقرَّب هما أخوان من الأم، وأمهما هي مريم بنت نعمان بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد.

[1201] هذا البيت وشرحه بعده لم يردا في الطبعة الهندية.

[1202] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[1203] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية، وأبو مقرَّب كنية الحسن بن عزيز.

[1204] وهو الجدُّ الثاني للشاعر.

[1205] يبدو أنّ سبب تكرار الشارح لاسم المبارك أبي شكر مع أنه قد ذكره قبل قليل، وهو أيضاً الذي يعود عليه الضمير في

وعزيز ومحرّز ومزيد ستة رجال[1206] كانوا إذا جلسوا جاءوا إلى أخيهم أبي شكر، وهو يومئذٍ أمير الرّحل، فإذا اجتاز بهم المارُّ قال لصاحبه: انظر إلى القمر والكواكب حوله، يعني بالقمر أبا شكر والكواكب أخوته، وكان لكل شخص من بني إبراهيم فضل، وكان أولاد هذين الرجلين أبي مقرب وأبي يوسف أعظمهم تجبراً وأشدهم نخوةً وأكثرهم مالاً وأقربهم منزلةً من عبد الله بن علي.[1207]

وأبو مُقَرَّب هو الذي أدركته العجم حين قدومها إلى

لفظة: "إخوته" لأنّه هنا بصدد ذكر أبناء أبي مقرَّب الحسن بن عزيز، فذكره ضمنهم، ولو أنه لم يذكره معهم واكتفى بذكره الأول فقط لكان أفضل للسياق فيما مضى وما سيأتي.

[1206] لا ندري لم قال ستّة، وهم ثمانية كما ترى، ولعلها كانت في الأصل سبعة فتحرفت إلى ستة، فيكون عددهم سبعة أخوة لأبي شكر المبارك، وهو ثامنهم، وسيأتي في شرح القصيدة التي أولها:

علام وفيم ظلماً تلحياني ذراني لا أباً لكما ذراني

أنّ مجموع أولاد أبي مقرّب ثمانية، وهذا هو الصحيح كما عدد أسمائهم هنا.

[1207] جاء في الروسية والطهرانية هنا: "ولم يكن في آل إبراهيم بعد بني عبد الله بن علي أعظم تجبراً ولا أشمخ أنوفاً من هؤلاء الرجال وولدهم".

الأحساء[1208] بـ (العيون)[1209]، « لقيهم وهم في ألفي فارس[1210]، فامتنع منهم »[1211]، فأغاروا عليه، فصار كلما لحقته منهم جماعة عطف عليهم فردهم[1212] حتى سبقهم إلى البلاد[1213]، ـ « والعُيون عن البلاد على أربع فراسخ »ـ[1214]،

[1208] يريد الجيش الذي جاء إلى الأحساء بقيادة داؤد بن سقمان بن أرتق للأخذ بثأر عمه البغوش، وقد سبق فيما مضى من شروح هذه الميمية حديث هذا الجيش.

[1209] وفي الروسية والطهرانية: "أما أبو مقرّب، فهو صاحب يوم العجم على العُيون"، والعيون هي الواحة المعروفة الواقعة شمال الأحساء، وسيترجم لها الشارح في مطلع القصيدة الهائية:

تُرى حيث أعلام العُيون تراها

فخلوا لأعناق المطي براها

[1210] في أصل الروسية: "لقيهم وهو في ألفي فارس".

[1211] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[1212] كتب في الروسية والطهرانية هنا: "وصار كلما وصل إليه أول خيلهم؛ كرّ عليها حتى يردها على أعقابها".

[1213] جاء في الروسية: "ونحى نفسه إلى البلاد".

ويقصد بالبلاد مدينة الأحساء العاصمة، وكان حتى وقت قريب يطلق هذ الاسم على البطالية التي تقوم على أنقاض تلك المدينة، فيقال لها: "البلاد" (انظر البلادي: أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين؛ ط. النجف ١٣٧٧هـ، الصفحة ٤١٠ هامش ١)، ثم بعد سقوط الدولة العُيونية بمدة

وأنذر الناس « بهم »[1215]، فانضمّ أهل السوقات بما يعز عليهم من أموالهم وحريمهم بالقصر، ولم يخلفوا شيئاً من أموالهم التي تعز عليهم فتلحقه العجم، فما بلغتهم العجم حتى تأهبوا لهم وتحصنوا عنهم.

وأما يوسف، فكان « فارساً عظيماً »[1216]؛ قد التقى خيل الأمير الحسن بن يحي بن عباس صاحب القطيف قبل ملك عبد الله بن علي،[1217] فطاردهم فطعنوه طعنةً ألقته عن فرسه بعد أن جَرَح فيهم جراحات كثيرة، فأسروه وأتوا به « الأمير »[1218] الحسن بن يحي، فأخلى له داراً، وأمر له

سُمّيت بـ"بلاد آل بطّال" نسبة إلى بني بطال بن مالك، والذين مرَّ بنا وسيمر أيضاً أخبار بعض أفرادهم، ثم بعد ذلك خففت التسمية إلى (البطالية)، وهي كذلك حتى وقتنا هذا، وتوجد لدي بعض الوثائق العائدة لهذه البلدة ورد فيها اسم (بلاد ابن بطال).

[1214] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية، وليست في بقية النسخ.

[1215] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[1216] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[1217] يقصد بذلك قبل ملك عبد الله بن علي للقطيف من آل عباس الجذميين وأخذها منهم، وليس قبل ملكه للأحساء كما سيتضح من تتمة الخبر.

[1218] ما بين القوسين إضافة من الروسية والطهرانية.

بطبيب جِرَاْحِي[1219] يداوي جراحته، فلما بريء عرض عليه المقام عنده ـ « بعد أن خلع عليه »[1220] ـ وأن يدفع إليه ألف دينار ويُقْطعهُ من الأملاك ما يحتكم، ويُحَكِّمه في البلاد ودخلها، فـ « امتنع من المقام معه و » قال: يومٌ أرى فيه عبد الله بن علي أحبُّ إليَّ من القطيف وجميع دخلها[1221]، فخلع عليه وأعطاه مالاً كثيراً وحمله « على فرس »[1222]، وسيّره إلى الأحساء.

مِنَّـاْ الَّـذِيْ أبطَـلَ المَاْشُـوْشَ فَاْنقَطَعَـتْ

[1219] يبدو أنّ الطبَّ في القطيف ذلك الوقت كان في حالٍ جيدة بحيث أنّه يوجد جَرّاحون متخصصون في الجراحة كهذا الطبيب الذي أحضره أمير القطيف لهذا الأسير، وكان يوجد أيضاً بلا شكّ أطباء متخصصون في العظام وكسورها، وقد اشتهرت القطيف حتّى وقت قريب بوجود هؤلاء الأطباء فيها ممن شاهدناهم بمرأى العين، ولا شكّ أيضاً أنه كان يوجد أطباء متخصصون في الأمراض الباطنة التي كانوا يعالجونها بالنباتات والأعشاب البرية كما هو موجود فيها حتى الآن كذلك.

[1220] ما بين القوسين إضافة من الروسية والطهرانية.

[1221] جاء في الروسية والطهرانية هنا: " وقال لا أختار المقام معك على المقام عند عمّي".

[1222] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

آثَارُهُ، وَامَّحَى[1223] فِي النَّاسِ وَانْطَسَمَا

الـذي أبطـل الماشـوش الأمـير أبـو شـكر المبـارك بـن الحسن أبي مقرب.[1224]

والماشـوش بدعـة[1225] ابتـدعها القرامطـة بـالبحرين وجعلوهـا دينـاً،[1226] وهـو أن تجمـع الرجـال والنساء في ليلـة عنـدهم معلومـة في الـسنة ويـشعلون الـشمع والـسُّرُج[1227]،

[1223] في الروسية: "وانمحى"، وهما بمعنى واحد.

[1224] وردت لفظة "بن" بين الحسن وأبي مقرَّب في بعض النسخ المشروحة التي أوردت هذا الخبر، وهي مقحمة بلا ريب، لأنّ "أبا مقرب" هي كنية الحسن بن عزيز لا كنية أبيه عزيز كما رأينا في شرح البيت السابق، ولهذا لم تذكر هذه اللفظة في الطهرانية وقد مرّ بنا في مقدمة هذا الديوان التي كتبها الشارح نفسه أنّ شاعرنا هو علي بن مقرب بن منصور بن مقرب بن الحسن بن عزيز، ومن هذه السلسلة يتضح أنّ أبا مقرَّب الأول هو الحسن بن عزيز.

[1225] في الروسية والطهرانية: "ليلة".

[1226] في الطهرانية: "وأمروا بها" بدلاً من جملة: "وجعلوها ديناً".

[1227] في الروسية والطهرانية هنا: "وفعالهم فيها أن يجتمع الرجل وابنته أو أخته، أو والدته، أو خالته، أو عمته، أو بعض محارمه، ثم يحضرون في مكان واحد، فإذا صاروا خلقاً كثيرة من الرجال والنساء، وقد أشعلوا الشمع والسرُج عمدوا إلى الشمع والسُّرُج، فأطفئوها .. الخ".

ويقومون يرقصون ويختلطون، وفيهم أخت الرجل الحاضر وأمه وأبوه وخالته وعمته ومحارمه وغير ذات محارمه، فإذا أرادوا الجلوس للرقص أطفأوا الشمع واختلطوا ورقصوا بعد إطفاء الشمع والسُّرُج « ساعة بعد اختلاطهم، ثم »[١٢٢٨] قبض كل رجلٍ منهم بيد امرأة من المجمع ونام هو وإياها جميعاً وواقعها كائنةً من كانت محرماً له أو غير ذات محرم.

فحين ملك عبد الله بن علي البلاد، وكانت ليلة من لياليهم « التي يجتمعون فيها »[١٢٢٩]؛ عرف بذلك الأمير أبو شكر المبارك بن الحسن، فركب في غلمانه ودخل عليهم الدار التي هم فيها، فأمر بضربهم وسلبهم فضربوا ضرباً عظيماً، « وضربتهم الغلمان، وأمر بسلبهم »[١٢٣٠]، فسلبوا ومضوا هاربين، وذكروا أنهم كان فيهم رجلٌ ضرير «فعرف صوت الأمير أبي شكر»[١٢٣١]، فصار يقول: يا مولانا

[١٢٢٨] ما بين القوسين إضافة من الروسية والطهرانية.

[١٢٢٩] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[١٢٣٠] ما بين القوسين زيادة من الطهرانية فقط.

[١٢٣١] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية؛ وإن صحّت هذه الرواية، فإنّ معرفة هذا الرجل الضرير لصوت أبي شكر يدلُّ على أنه كان يعرفه في السابق، وقد تكون معرفته له قبل قيام الدولة العُيونية، وعلى أية حال، فإنّني أرى أنّ العُيونيين كانوا من أعوان القرامطة قبل أن يثوروا عليهم، فقد رأينا كيف أنّ القرامطة عندما أرسلوا جيشاً لقتال أبي البهلول العبدي الثائر

والله ما نحن في شيء مما يدخل عليكم الفساد في دولتكم، وإنما هذا الذي نحن فيه شيء نراه في مذهبنا، فآلى أبو شكر « على نفسه »[١٢٣٢] لئن « رجعتم، أو اجتمعتم، أو » اجتمع منكم اثنان على هذا لأعملن فيكم السيف لا العصا، فأمات هذه البدعة إلى وقتنا هذا، فما بقيت تعرف بالبحرين. [١٢٣٣]

عليهم في جزيرة أوال كان قائد ذلك الجيش رجلٌ من العُيونيين، واسمه بشر بن مفلح العُيوني.

[١٢٣٢] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[١٢٣٣] ما بين القوسين زيادة من الروسية، وفي الطبعة الهندية؛ جاء في الهامش الأيسر للشرح كلامٌ كتبه ناشروها كحاشية على قول الشارح:

"يجتمع الرجال والنساء في ليلة معلومة لديهم"

فكتبوا هنا قائلين: "هيَ الليلةُ العَاشِرةُ من مُحَرَّم، وأوَّلُ ليلةٍ من بُرْجِ الحَمَل المُسَمَّى بالنَّيْرُوْز".

ولا يخفى ما في كلامهم هذا من غَمْزٍ للشيعة الإمامية في المنطقة، والذين دأبوا من قديم الزَّمَان على إحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين – عليه السلام – في ليلة العاشر من المحرَّم من كلِّ عام، فأرادوا ربط هذه الليلة العظيمة الشأن لدى شيعة المنطقة بليلة الماشوش السيئة الصِّيت تاريخياً؛ الساقطة توثيقاً واعتباراً، وقد فات ناشري الطبعة الهندية، أو الذي كتب هذه الحاشية أنّ ليلة النيروز أو أوّلُ ليلة في برج الحمل لا يمكن أن توافق دائماً

الليلة العاشرة من شهر المحرم في كلّ عام، فالمحرّم شهرٌ قمري يعتمد منازل القمر؛ في حين إنّ الحَمَل هو برجٌ شمسي يعتمد منازل الشمس، والشهور القمرية لا تكون دائماً موازية للأشهر الشمسية، فقد يصادف أن يكون شهر محرم في الشتاء أحياناً، وأحياناً أخرى يكون في فصل الصيف أو الخريف أو الربيع، أما النيروز فوقته ثابت في بداية فصل الربيع دائماً، فكيف تكون هذه الليلة هي ليلة العاشر من المحرم في كل عام؟!.

وليلة الماشوش المشار إليها هنا لا تعدو كونها خبراً من تلك الأخبار التي لفقها مخالفو القرامطة وأعداؤُهم، والتي لم تأتنا إلا من مؤلفات هؤلاء المخالفين والأعداء وأقوالهم، وليس من مؤلفات القرامطة وأقوالهم، أو مؤلفات الفرقة المرجعيّة لهم، والتي نُشر منها الكثير في الآونة الأخيرة، فلم نجد فيها ذكراً لليلة الماشوش هذه، ولا ما يفيد مثل هذا التحلل الخلقي الذي وُصِموا به، وهو وحده يكفي لإسقاط مثل هذه الأخبار التي طالما ضربت على هذا الوتر الحساس لدى الأمم الشرقية، ولهذا كان مألوفاً لدى هذه الأمم من قديم الزمان أنه إذا أراد شخصٌ ما إسقاط شخصٍ آخر أو جماعة لدى هذه الأمم، فما عليه إلا أن يتهمهم بمثل هذه الأمور حتى يسقطوا أو يُنظر إليهم بعيون الريبة والشك على أقل تقدير.

ويكفي أن أذكر هنا دليلاً واحداً على استنكار القرامطة لمثل هذه التهم التي اتهمهم بها أعداؤهم، وهو ما ذكره أحد ألد أعداء القرامطة – فكراً وتوجهاً – وهو القاضي عبد الجبار الهمذاني في كتابه (تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد) حيث ذكر أنّ علي بن عيسى بن داؤد بن الجراح وزير المقتدر العباسي أرسل رسالة إلى

ولد أبي سعيد الجنابي مؤسس دولة قرامطة البحرين يؤنبهم فيها على أفعالهم التي سمعها عنهم، ومنها غدرهم بأهل البحرين وقتلهم لهم، فأجابوه بجواب طويل كان من ضمنه اعترافهم بما فعلوه بأهل البحرين، وكان اعتذارهم عن ذلك هو قولهم: "إنّ أهل البحرين بغوا علينا، وغدروا بنا، ورمونا، وقالوا إنا نشترك في أزواجنا، ونرى الإباحة، وتعطيل الشريعة، وقد كذبوا علينا، ونحن قومٌ مسلمون، وما نحل من اتهمنا بغير الإسلام" (سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة؛ ج١: ٣٠٠ ـ ٣٠١)، ويتضح من هذا الخبر – الذي رواه من لا يُتهم بموالاة القرامطة – أنّ اتهام القرامطة بهذه الأمور قديمٌ جداً يعود ـ حسب هذا الخبر ـ إلى بدايات القرن الرابع الهجري، وربما كان قبله أيضاً، وبالفعل توجد بعض الروايات التاريخية التي مصدرها ناسٌ من أهل البحرين تذكر وجود مثل هذه الأعمال الإباحية لدى القرامطة (ابن الأثير: الكامل في التاريخ؛ ج٧: ٤٩٤، وسهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة؛ ج١: ٢٩٩).

غير أنّ ليلة الماشوش التي اتهم ابن المقرَّب وشارح شعره القرامطة بها لم يوصم بها قرامطة البحرين فقط؛ بل وُصم بها أيضاً قرامطةُ اليمن، وتعدى ذلك إلى أهل السُّنة كما سنرى، بل وتعدى الأمر إلى المسيحيين أيضاً، والبداية كانت من عند الشابشتي (ت. ٣٨٨هـ) الذي قال عن دير في العراق اسمه دير الخوات (انظر: الديارات؛ ط. دار الرائد – بيروت ١٩٨٦م؛ الصفحة ٩٣):

"هذا الدير بعكبرا، وهو دير كبير عامر؛ يسكنه نساء مترهبات متبتلات فيه، وهو وسط البساتين والكروم؛ حسن

الموقع؛ نزه الموضع؛ وعيده الأحد الأول من الصوم؛ يجتمع إليه كل من يقرب منه من النصارى والمسلمين، فيُعَيِّدُ هؤلاء، ويَتَنَزَّهُ هؤلاء، وفي هذا العيدِ ليلةُ المَاْشُوْش، وهي ليلة تختلط فيها النساءُ بالرجالِ، فلا يَرُدُّ أحدٌ يدَه عن شيء، ولا يَرُدُّ أحدٌ أحَداً عن شي. وهو من معادن الشَّرَاب، ومَنازلِ القَصْفِ، ومَوَاطِنِ اللَهْو".

ونقل ياقوت فحوى كلام الشابشتي هذا مع تصريحه بالنقل عنه، وذلك في رسم « دير الخوات » أيضاً، ولكنه تصرَّف فيه تصرفاً مخلاً، فقد حوَّر جملة: "يسكنه نساء مترهبات متبتلات" فكتبها: "وأكثر أهلها نساء"؛ حذف لفظتي: "مترهبات" و"متبتلات"؛ كما قام بحذف جملة: "والمسلمين، فيعيِّد هؤلاء، ويتنزّه هؤلاء"، واقتصر على جعل الذين يجتمعون فيه هم النصارى فقط من دون المسلمين، والقارئ يدرك مغزى فعل ياقوت هذا، فهو لا يريد أن ينسب إلى المسلمين ما سيرمى به هذا الدير لاحقاً، وليته إذ نزَّه المسلمين من ذلك نَزَّه النصارى أيضاً عنه، فواضح من نصّ النصِّ أنّ النساء الساكنات لهذا الدير وُصِفْن بـ(مترهبات متبتلات)، وهو يناقض التهمة التي وُصِمْنَ بها في آخر هذا النصّ.

وبعد الشابشتي بنصف قرنٍ تقريباً نجد تعريفاً لليلة الماشوش عند البيروني (ت. ٤٤٠هـ) في كتابه (الآثار الباقية من القرون الخالية؛ ط. ليبزيج ـ ألمانيا ١٨٧٨م؛ الصفحة ٣١١) مغايراً جداً لتعريف الشابشتي، ونصُّ ما ذكره فيه هو قوله:

"وأما ليلة الماشوش ـ وهي ليلة جمعة زعم الذاكرون لها أنهم يطلبون فيها المسيح – فقد اختلفوا فيها فبعضهم قال إنها ليلة الجمعة التاسعة عشر من صوم إيليا، وبعضهم قال إنها الجمعة

التي صُلب فيها المسيح، وهي الصَّلَبوت، وبعضهم قال إنها جمعة الشهداء، وهي بعد الصَّلَبوت بأسبوع، والترجيح للقول الأول".

فهي عند البيروني ليلة جمعة في حين إنها – كما رأينا – عند الشابشتي ليلة يوم الأحد، ولم نرَ البيروني قد ذكر عن هذه الليلة الفعل القبيح الذي وصمه بها الشابشتي، والذي ذكره مما يكون فيها هو مجرَّد طقوس كنسية مسيحية.

وقد أيّد الأب أنستاس الكرملي البيروني، وذكر أنّ الأصل في تسمية (الماشوش) هو (الحاشوش)، وذكر أنها لفظة آرامية الأصل وضعها نصارى العرب ليشيرو بها إلى الجمعة التي تألم فيها المسيح، وهي جمعة الصلبوت التي ذكرها البيروني (بتصرف عن الأب أنستاس الكرملي: مجلة لغة العرب؛ مايو ١٩٣٠م؛ العدد ٨؛ الجزء ٥؛ الصفحة ٣٦٨)؛ كما نفى الأب أنستاس الكرملي في الموضع نفسه ما وَصَم الشابشتي به المسيحيين في هذه الليلة سواءً أكان في دير الخوات أو في غيره، وذكر كذلك أنه ليس المسيحيين فقط الذين وصموا بمثل هذا التحلل الأخلاقي، وإنما يوجد جماعات أخرى نالهم منها نصيب، فذكر القرامطة اعتماداً على هذا الموضع من ديوان شاعرنا ابن المقرَّب، وذكر أيضاً اتهام العراقيين من مسلمين ومسيحيين ويهود لفرق اليزيدية والكاكائيين والشبك والصابئة بقيامهم بمثل هذا الأمر؛ كما نص على أنّ المسلمين في سوريا ولبنان يتهمون الدروز والنصيرية به أيضاً (بتصرف عن الأب أنستاس الكرملي: مجلة لغة العرب؛ المورد السابق نفسه).

ومع كل ما ذُكر، ومع ما لما ذُكر من خطورة وإثارة تُتْلعُ لها الأعناق ذهولاً إلا أنه من المريب فعلاً أننا لا نجد شعراء العربية في

القـرون الثالـث والرابـع والخـامس الهجـريين قـد ذكـروا (ليلـة الماشوش) في شعرهم، وهم الذين لم يغادروا صغيرة ولا كبيرة من الظواهر الغريبة إلا ذكروها، وحتى أولئك الشعراء الذين هجوا القرامطة بكل سوء استطاعوا إليه سبيلا لم نجد في شعرهم إشارة إلى هذه الليلة، وهذا ابن المعتز من شعراء القرن الثالث الهجري (ت. ٢٩٨هـ)، وهو من العباسيين أنفسهم أنشأ أرجوزة من ٤١٨ بيتاً ذكر فيها أعداء الدولة العباسية في وقته وقبله، ومن ضمنهم القرامطة الذين ذكر عنهم كل قبيح، ولكنه لم يذكر عنهم ليلة الماشوش هذه؛ بل حتى مجرد الإباحية لم يذكرها فيهم، وهو معاصر لبداية دولتهم، ولو كان سمع أنه لديهم مثل هذا الأمر لذكره.

ولم نجد لهذه الليلة ذكرٌ أيضاً لدى شعراء القرن السادس الهجري إلا ما ورد – ولمرّة يتيمة – في شعرٍ ذكره أبو شامة المقدسي في كتابه الروضتين (طبعة دار الكتب المصرية؛ القاهرة ١٩٩٨م؛ ج٢: ٣٨٣) للعماد الأصفهاني صاحب الخريدة، ومع ذلك فإنّ ذكره لها لم يفدنا شيئاً لأنّه لم يذكر ما تعنيه هذه الليلة، أو من كان يحييها، أو أين كانت تُحيي، وإنما كل الذي فعله هو تضمينها في قطعة شعرية له قالها في بغلة له، وهو قوله منها:

أَصْـبَحَتْ بَغْلَتِـيْ تَـشَكّىْ مِـنِ العُـرْ
يِ وَأَسْـرَاجُها بـِـلا كَنْبُـوشِ

قُلْـتُ كُفّـيْ فَخَـيرُ يَوْمِـكِ عِنْـدِيْ
أَنْ تَفُـوْزِيْ بـِالتِّبْنِ أَوْ بالحَـشِيْشِ

وَافْرَحِـيْ لَيْلَـةَ الـشَّعِيْرِ كَمَـا يَفْـ
ـرَحُ قَـوْمٌ بلَيْلَـةِ المَاْشُـوْشِ

وكذلك لم أجد ذكراً لـ(ليلة الماشوش) في كل ما لديّ من مصادر تاريخية غير التي سبق وذكرتها هنا أو سأذكرها لاحقاً، وقد زار ناصر خسرو الأحساء في عهد القرامطة، وذكر في رحلته ما للقرامطة وما عليهم في المنطقة، ومنها بيع لحوم الكلاب والقطط والحمير، وذكر ما يروى عنهم من ترك الصلاة والصوم؛ إلا أننا لا نجده قد ذكر وجود مثل هذه الليلة عندهم.

وأما قرامطة اليمن فقد اتُّهموا أيضاً بوجود ليلةٍ شبيهة بليلة الماشوش؛ ربما كان أول من اتهمهم بها القاضي البهاء الجندي الشافعي صاحب كتاب السلوك، وقد اتهم بها علي بن الفضل الحميري (ت. ٣٠٣هـ) مؤسس دولة القرامطة في اليمن، فادّعى عليه أنه بنى داراً لأتباعه يجتمعون فيها رجالاً ونساءاً ويكون فيها مثل ما ذكره شارح الديوان المقرَّبي تماماً (البهاء الجندي: أخبار القرامطة باليمن؛ ضمن كتاب تاريخ اليمن؛ ط. جلبرت ورونكتشن – لندن ١٣٠٩م؛ الصفحة ١٤٧)، ولكنه لم يسمِّ تلك الليلة بأي اسم يذكر في هذا المقتطف، وإنْ كنا نجد مؤرخاً يمنياً من أهل القرن الحادي عشر الهجري، وهو يحي بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي الزيدي (ت. ١١٠٠هـ) يسميها بعد ثمانية قرون على موت علي بن فضل بـ(ليلة الإفاضة)، ونصُّ على نقل ذلك من كتاب السّلوك للبهاء الجندي نفسه، ولكنه لا يوجد في المقتطف المطبوع منه ضمن كتاب تاريخ اليمن، ومما ذكره عنها أنّه في سنة ٥٤٨ للهجرة تظاهر قومٌ من (يام) بمذهب الباطنية، وأحيوا ليلة الإفاضة (غاية الأماني في أخبار القطر اليماني؛ ط. دار الكتاب – القاهرة ١٩٦٨م؛ الصفحات ١٧٢، ٣٠٩؛ حوادث سنة ٣٠٣هـ).

وذكر يحي بن الحسين نفسه ليلةً أخرى أو هو في الواقع يومٌ يشبه ليلة الماشوش، ولكنّ المسألة هذه المرَّة خرجت عن ربقة القرامطة والإسماعلية لتدخل في ربقة أهل السنّة والجماعة، وتتخذ لها اسماً جديداً أيضاً هو السُّبوت نسبة ليوم السَّبت الذي تمارَسُ فيه (غاية الأماني؛ الصفحة ٤٩٥)، وفاعلها هذه المرّة على ما ذكره هذا المؤرخ هو الملك المؤيّد داؤد بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول حيث قال عنه إنه كان يخرج بعسكره من زبيد إلى النخل في يوم السّبت ويأمر أهل زبيد بالخروج معه بنسائهم، فتقع هنالك مفاسد عظيمة واختلاط فاحش وسماع وطرب، ثم ذكر عن بعض شعراء الفقهاء أنه كتب إلى بعض أقاربه:

تجَنَّبْ عن زَبيْدَ ولا تطاها … ولا تَغْرُرك يا ابن أخي زبيدُ
ففي يوم السُّبوت ترى مساوِ … أتتها يوم سبتهمُ اليهودُ

مع أنّ يوم السبوت هذا قد ذكره ابن بطوطة في رحلته عندما وصل إلى زبيد، فلم يذكر إلا خيراً؛ حيث قال: "ولأهل هذه المدينة – يعني زبيداً – سُبُوت النخل المشهورة، وذلك أنهم يخرجون في أيام البسر والرّطب في كل سبت إلى حدائق النخل، ولا يبقى بالمدينة أحدٌ من أهلها ولا من الغرباء، ويخرج أهل الطرب وأهل الأسواق لبيع الفواكه والحلاوات، وتخرج النساء ممتطيات الجمال في المحامل، ولهن مع ما ذكرناه من الجمال الفائت الأخلاق الحسنة والمكارم، وللغريب عندهن مزية، ولا يمتنعن من تزوِّجه كما يفعله نساء بلادنا، فإذا أراد السفر خرجت معه وودّعته، وإن كان بينهما ولدٌ فهي تكفله وتقوم بما يجب له إلى أن يرجع أبوه، ولا تطالبه في أيام الغيبة بنفقة ولا كسوة ولا سواها، وإذا كان مقيماً، فهي تقنع منه بقليل النفقة والكسوة لكنهن لا

تخرجن عن بلدهنّ أبداً، ولو أعطيت إحداهنّ ما عسى أن تُعطاه على أن تخرج من بلدها لم تفعل، وعلماء تلك البلاد وفقهاؤها أهلُ صلاح ودين وأمانة ومكارم وحسن خلق". (ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة؛ ط. دار صادر – بيروت؛ الصفحة ٢٤٧)، وقد ذكرته على طوله ليتبين القارئ ما كان عليه هؤلاء النسوة العفيفات، وأنّ مجرّد اختلاطهن بالرجال لا يعني الغمز في شرفهنّ.

فها نحن نرى شهادة عيان من ابن بطوطة بأنّ السبوت ما هو إلا يوم جميل من أيام السنة مثل العيد يخرج فيه أهالي زبيد للتنزه في بساتينهم رجالاً ونساءً – ولا ضير في ذلك – ولكن من اتبع هواه بالغ في جعل هذا اليوم يوم سوء وانعدام أخلاق، وإنما الأمر هو على ما وصفه ابن بطوطة.

فمن كلِّ ما ذُكر يتضح لنا أنَّ ليلة الماشوش أو الإفاضة أو السُّبوت كلّها مسميات مختلفة لأيام سعيدة من السنة يتشارك في إحيائها والفرح بها بعض المجتمعات رجالاً ونساءً من دون سوء، ولكنّ بعضَ المغرضين أبى إلا أن يجعل من هذه الأيام محصورة بفعلٍ واحد ألا وهو الإباحيّة الجنسية.

وقد انقسم الباحثون والكتاب المعاصرون حول ليلة الماشوش إلى قسمين، فقسمٌ ذكرها على أنه أمرٌ مسلّمٌ به لا يقبل الشك أو النّقاش، ومن هؤلاء ناشرو الطبعة الهندية كما رأينا، وقسمٌ آخر نفى هذه التهمة نفياً قاطعاً لا يقبل الشّكَّ أو النّقاش أيضاً معتبرين أنها من تلفيق أعداء القرامطة لهم ليُنَفِّروا عنهم النّاس كما جرت عليه العادة في أيام الدولة العباسية التي ما فتئ كتابها ومؤرخوها يصفون كلّ معارض للدولة بأقبح الصِّفات وأشنعها وفي طليعتها

انتهاك الأعراض والإباحة الجنسية فضلاً عن الزندقة والمروق عن الدين الحنيف من وجهة نظر الدولة العباسية وكتابها بالطبع.

ولي رأيٌ ثالث أودُّ عرضه هنا، وهو أن الناس كثيراً ما يسيئون الظنَّ ببعضهم البعض، ثم إنّهم جُبلُوا بطبيعتهم على شيء يعد أخطر ما أفرزته الصراعات الفكرية والعقائدية ألا وهو التهويل الناتج عن عدم إدراك وفهم الفكر الآخر، والتجاوز بإلصاق كل تهمة له لمجرّد أنه مخالفٌ له في الرأي، وهو مصداق أبسط القواعد الأساسية المأثورة: ((الناس أعداء ما جهلوا))، فقد رأينا في رواية الشابشتي – وهو شيعي إسماعيلي كان من خواص الخليفة الفاطمي العزيز بالله – إلصاقه التهمة بزوّار دير الخوات، ونحن نعلم أن الدَّير عند المسيحيين هو موضع يتعبد فيه الرُّهبان ويؤمه المسيحيون للتبرك والتوسل والاستغفار رجالاً ونساءً مما ينتج عنه اختلاط بين الجنسين ولكنه اختلاط تعبدي تبيحُه الشرائع والديانات كما هو الحال لدى المسلمين عند قصدهم للمساجد العظمى كالبيت الحرام والمسجد النبوي وبيت المقدس، وكذلك الحال عند زيارتهم ـ أي المسلمين ـ لأضرحة الأئمة والأولياء المسلمين حيث يكون فيها اختلاط لا بد منه بين الجنسين، ولكن ليس كل اختلاط بين النساء والرجال يجب أن يؤوّل على أنه إباحيّة جنسية!!؛ كما هو الحال لدى بعض ذوي الفكر الضحل أو النفسيات المريضة، والعجيب أنّ شارح الديوان المقرَّبي الذي وصم القرامطة بهذه التهمة سوف يذكر في شرح البيت:

رَعَـــىْ اللهُ (الثُّلَــيْمَ) وَسَـــاْكِنِيْهِ
وَأَجْرَاْعَـــاً تَكَنَّفَهَـــاْ الـــثِّلاْمُ

قوله عن الثلام أنه: "مكان بظاهر البلد من دونه إلى البلد

أجاريع رمل يخرج أهل البلد إليها في الأعياد، وفيها يكون مواكبهم وصلاة ملك البلد العيدين، وتخرج النساء والجواري والغلمان للفرجة وإظهار الزينة في كل عيد ثلاثة أيام"، فهذا في عهد العُيُونيين، وتحت ناظرهم، فهل يصح لأحد أنْ يقول إنّ هذا اختلاط فاحش أو إباحي تحصل منه مفاسد بين الرجال والنساء؟!.

وعليه ربما كان بالفعل للقرامطة ليلة فرح كلّ عام – قد تكون النيروز أو غيره من المناسبات – يجتمعون فيها وينشدون الأهازيج ويظهرون الزينة نساءً ورجالاً كما يحدث ذلك في مناسبات الأعياد والمواليد، ولكن بدون ذلك الاختلاط القبيح أو تلك الإباحية التي ذكرها مخالفوهم لأنّ ما كان يحدث في تلك الليلة داخلياً – والذي كان مقتصراً على فئة معينة كما يُفهم من النّصّ – هو أمرٌ غيبي بالنسبة لمن هم خارج المجلس، والذين هم بطبيعة الحال أهل فكرٍ مخالف لمن هم داخله، ويرون بطلان مذهبهم أصلاً، وبالتالي فإنه لا يُستساغ أبداً ما قاله بعض الرواة عن تلك النهاية الإباحيّة (الفانتازيّة) لهذا المجلس، ونقصد بها الاختلاط بين الجنسين في قاعة واحدة ثم الرّقص سويّةً وصولاً إلى أحداث الفصل الأخير المثير، وهو إطفاء الشموع وقبض كلّ رجل على يد امرأة من الجمع لمواقعتها كائنةً من كانت حتى ولو كانت أمّه أو أخته؟!!، فمن الواضح أنّ هذه الجزئية هي من مزايدات أعداء القرامطة حيث ظنوا أنها أفضل طريقة لمحو جذورهم من المنطقة؛ مستغلين تحسس المجتمع من مثل هذه الأمور الخادشة للحياء.

مِنّاْ الأَمِيْرُ أبُوْ فَضْلٍ مَتَىْ اخْتَصَمَتْ[1234]

بَنُوْ الوَغَىْ كَاْنَ فِيْ أرْوَاْحِهَاْ الحَكَمَاْ

مَاْ قَاْبَلَ الأُلْفَ إلاّ وَانْثَنَتْ هَرَبَاً

كَأنَّهَاْ الوَحْشُ لاْقَتْ ضَيْغَمَاً ضَغِمَاْ

أبو فضل: محمد بن حواري[1235] بن الفضل[1236]، وكان فارساً جواداً يعد بألف فارس، ولقي خيل الأمير الحسن بن يحي بن عباس الجذمي صاحب القطيف مراراً وهزمها[1237]، وكان قد راسله الحسن بن يحي بأن يجيء إليه

[1234] في الروسية: "اجتمعت".

[1235] ورد هذا الاسم في الرضوية الأصل: "حواري" تارة، و"جواري" تارة أخرى، وكذلك الحال بالنسبة للنسخة الروسية، وفي الطهرانية كتب: "جواري" في كل موارده من هذا الخبر، وفي البريطانية لم تذكره سوى في موضع واحد لاختصارها هذا الخبر، وكتب فيه: "حواري" من دون نقطة، وكذلك أيضاً في الطبعة الهندية، وقد أثبت ما رجّحتُ أنه الأصح أعلاه.

[1236] ابن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد العُيوني، وقد سبق وذكره الشاعر فيما مضى من هذه القصيدة.

[1237] في الروسية: "وبرز مراراً إلى خيل ابن عباس بأجمعها،

القطيف، وبذل له على ذلك من المال شيئاً كثيراً من الذهب والجوهر والإقطاع والتحكيم في مملكته « بالقطيف وأوال، وبعدة بساتين ومراكب وغاصة، وأن يفارق ابن علي[١٢٣٨] ويأتي إليه، فأبى، وقال: لو خرج لي عن جميع ملكه على أن أفارق صاحبي ما فعلت ذلك، فحين لم يجد إلى خروجه سبيلاً أظهر إلى فرسان خيله بأن من أتاني برأس ابن حواري فله وزنه ذهباً، وكان عنده جماعة من عامر ربيعة،[١٢٣٩] وهم أهل بأس ونجدة وشجاعة، فضمنوا له ذلك، وركبوا من القطيف، وكان ابن حواري كثير الخروج إلى ضيعةٍ له بالشِّراع[١٢٤٠] تسمَّى البديع،[١٢٤١] وفي

فطردها".

[١٢٣٨] يقصد عبد الله بن علي المؤسس.

[١٢٣٩] سبق وقلت إنهم بنو عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

[١٢٤٠] لا زال الشِّراع معروفاً باسمه هذا حتى اليوم، وهو موضع نخل كبير جداً يقع بين طرف الشُّهَيْبي جنوباً وطرف أبي سَحْبَل بالقرب من بلدة الشّعبة شمالاً، ويحده من الغرب مدينة المبرَّز ولواحقها، ومن الشرق بلدة البطالية ولواحقها، وكانت تسقيه كلّه مياه عين الحارّة الواقعة غرب منتصفه بالقرب منه، وهو يُقسَّم لكبره إلى ثلاثة أقسام: شراع (العُيُوني) في الجنوب، وشراع (المقابل) في الوسط، وشراع (الشِّعَبَة) في الشمال.

[١٢٤١] لا زال البديع معروفاً في نخيل الشِّراع حتى اليوم، ولدي صورة وثيقة وقفية يعود أصلها القديم إلى عام ٩٠٠هـ، ثم جُددت

عام ١٠٣٣هـ، وجُددت مرّةً أخرى عام ١٢٨٠ ، ثم كان التجديد الأخير لها عام ١٣٢١هـ، وهي التي لدي صورة منها أهداني إياها الصديق الأستاذ أحمد البدر من أهالي القارة ضمن صور وثائق عدة أسميتها (وثائق البدر)، وقد أعطيتُ هذه الوثيقة الرقم (١٤٣).

وقد ورد في آخر تجديد لتلك الوقفية أنّ البديع هذا كان قبل عام ٩٠٠ للهجرة مُلكاً لمن سُمّي بـ(فضل بن فاضل بن عمر بن العُيوني)، وأنه قد تصدَّق به في العام المذكور على ولده عمر بن فضل مع ثلاثة بساتين أخرى تقع في الشراع أيضاً، وهي (البُسيتين) و(الكعيبي) و(النميلي)؛ كما جاء في الوثيقة نفسها أنّ البديع كان يحده في ذلك الحين (الصّروالي) من الغرب، ونهر (أبا العباس) من الجنوب، و(الصخري) من الشرق، ونهر (القُرَيْبة) من الشمال.

و(الصخري) ونهرا (أبا العَباس) و(القُرَيْبة) لا زالت معروفة حتى الآن، وهذان النهران يتفرعان من أضخم أنهار عين الحارّة، وهو المعروف بالشمالي، ويتضح من كون ضيعة البديع تقع إلى الشمال من نهر أبا العباس، وإلى الجنوب من نهر قُرَيْبة أنّ هذه الضيعة تقع في شراع الشعبة، وفي هذا الجزء من الشراع يوجد بالفعل موضع نخل كبير يُسمى الصَّخري حتى الآن، وهو ملك لآل العفالق من سكنة المبرَّز، وسيذكره الشاعر مرّةً أخرى في القصيدة التي مطلعها:

من ذا أفتاك بسفك دمي

فوفقاً لهذه الوثيقة يكون بستان البديع هو البستان الواقع

طريقه نهرٌ عظيم يُسمّى الحارّ،[1242] وكان إذا أتى ضيعته نزل إلى ذلك النهر يغتسل، فقصدوا ذلك المكان يلتمسونه، فأحسّ بهم الفرس وهو في الماء، فنصَبَ أذنيه، «ثم صرمهما»[1243]، وصهل ورمى ببصره نحوهم[1244]، فأمر الغلام الذي يغسل الفرس أن ينظر نحو قصد الفرس، فنظر، فإذا بالخيل وقد وصلت، فأخبره الخبر، فركب وليس عليه غير غلالة رقيقة، فخرج شعر جسده من

للغرب من الصخري هذا.

[1242] كذا كتب هذا النهر في الروسية، وفي الطهرانية كتبته: "الجاز".

ويُطلق اسمُ (الحارّ) اليوم على أحد أنهار عين أم سبعة الشهيرة في الأحساء، وكان يجري إلى الشرق منها ساقياً كل ما يمرّ به من بساتين طرف السُّحَيْمِيّة؛ إلا أنه – وفقاً لما سأذكره – ليس هو المراد بنهر الحار الوارد في قول الشارح هنا، فعطفاً على ضوء ما تقدم من تحديد ضيعة البديع في الحاشية السابقة، فإنّ نهر (الحارّ) المذكور في كلام الشارح هنا كان يقع في الشراع، وبالفعل كان حتى وقتٍ قريب يوجد نهرٌ يُسمَّى الحارّ كان يتخلّج من النهر الشمالي النهر الرئيس لعين الحارّة، وهو يقع بالقرب من ضيعة البديع التي حددتها قبل قليل، وقد أوقفني على قصبة نهر (الحار) القديمة علي بن عايش البراهيم من سكنة المبرَّز، وهو من العاملين في مشروع الري والصَّرف.

[1243] ما بين القوسين زيادة من الطهرانية فقط.

[1244] في الطهرانية: "قصدهم".

الغلالة من عظم ما ركبه من العزم[١٢٤٥]، فما كان غير أن عاينوه فانهزموا، فطردهم من ذلك المكان إلى مكان قريبٍ من الجبل يعرف بالمُسَيَّح[١٢٤٦] فبلغ ابن عباس خبره وخبرهم بعد ذلك فضحك « عليهم »[١٢٤٧]، وقال لهم: يا بني الإماء تريدون أن تقتلوا ابن حواري؟!، فخجلوا ولم يتكلموا.

وأغارت ذات يوم خيل ابن عباس في ثمانمائة فارس حتى بلغت مكاناً من الشّراع يعرف بالسلاميّة،[١٢٤٨] فخرج عليهم، فما كان إلا أن رآهم، فحمل عليهم فطردهم إلى أن بلغ المسيّح وهو نهر قريب من الجبل، والأمير الحسن بن يحي بن عباس في بقية الخيل بالجبل، وهو يراها تطرد ولم يرَ خلفها خيلاً تطردها، فلما بلغه أولهم قال لهم:

[١٢٤٥] في الطهرانية: "الجهل!".

[١٢٤٦] كذا كتب الاسم في النسختين الروسية والطهرانية، وقد ذكره الشاعر في موضع آخر من شعره، وهو قوله:

فكيف إذا ما أصبحت عينُ مالكٍ

وحبل الغضا من دونهم، والمُسَيَّحُ

وقد بيّنت هناك موضع هذا النهر فلا داعي للتكرار.

[١٢٤٧] مابين القوسين إضافة من الطهرانية فقط.

[١٢٤٨] تقع السَّلاّميّة في ساقية عين الحارّة إلى الشرق من مدينة المبرَّز؛ بينها وبين قرية البطالية؛ أخبرني بذلك أبو علي حسين بن أحمد آل موسى من سكنة المبرَّز مشافهةً.

ويلكم أرى الخيل يطرد بعضها بعضاً، فقالوا له: ـ أعزَّك الله ـ يطردها محمد بن حواري، فضحك حتى فحص الأرض برجله[1249]، وقال: أعزّك الله يا ابن حواري وكثَّر في ربيعة من نظرائك»[1250].

ومن حديث محمد بن حواري أنه[1251] لما طعن الأمير

[1249] في الطهرانية: "فضحك ودقّ الأرض برجله".

[1250] ما بين القوسين كله من الروسية والطهرانية فقط، ولم يرد منه شيءٌ في بقية النسخ، وكنا قد دوّناه في الطبعة الأولى قبل أن نحصل على هاتين النسختين نقلاً عن أستاذنا الشيخ حمد الجاسر – رحمه الله – الذي اطلع على أوراق منها كانت عند الدكتور عبد الفتاح الحلو – رحمه الله – فدون منها هذين الخبرين عن ابن حواري في كتابه المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية ج٣: ١٣٥٩ رسم (الشراع).

[1251] جاء في الروسية هنا: "ومن حديثه أن عُقيلاً حين انكسرت، وأسنّ الأمير عبد الله بن علي ولم يقدر ساعة يمسك السيف من الكبر.. الخ"، وفي الطهرانية: "ومن حديثه أن عُقيلاً حين كبر سنُّ الأمير عبد الله بن علي، ولم يبق ساعده يمسك السيف من الكبر.. الخ".

ولا تناقض بين قوله عُقيل هنا وفي نص الرضوية الأصل ذكر عامراً لأنّ عامر هؤلاء هم من عُقيل بن كعب، ومنهم كانت البطون التي احتلت بادية البحرين بعد هلاك عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة كما سبق وأوضحت فيما تقدم.

عبد الله بن علي في السنّ، وضعف ضعفاً ما بقي يقدر معه على سلّ السيف من غمده من الكبر والضعف طمعت عامر في خفارة على البحرين، فأغاروا عليها، وصاروا ينتهبون أطرافها، وذلك بعد موت أولاد عبد الله بن علي الكبار[١٢٥٢] وموت أخيه لأمه أبي مفرج مالك بن بطال[١٢٥٣] وأبي يوسف علي بن يوسف[١٢٥٤] وأبي مقرب الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبد الله وكبار بني إبراهيم، وأهل الأحساء يدفعونهم عنها مدة ستّ سنين.[١٢٥٥]

وكانوا يأتونها في القيظ وقت الثمرة لا غير، و« في السنة السابعة »[١٢٥٦] التقوا هم وإياهم لقيةً بـ (عقور)[١٢٥٧]

[١٢٥٢] وهم علي الأكبر والفضل ومسعود وماجد الذين سبق الحديث عنهم في شروح هذه الميمية.

[١٢٥٣] بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد، وقد تقدم حديثه.

[١٢٥٤] بن ضبّار بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد.

[١٢٥٥] وفي الروسية والطهرانية: "فكانوا أهل البلد يتلقونهم والأحساء كلها في ظهورهم، ولا يتركونهم يصلون إلى شيء منها مدة ست سنين".

[١٢٥٦] ما بين القوسين إضافة من الروسية والطهرانية.

[١٢٥٧] كذا ورد هذا الاسم في الرضوية الأصل بدو ن إشكال ولا تشكيل، وكتبت كذلك في نسخة مجلس الشورى الإسلامي

بإيران المنسوخة عن الرضوية، ولم يرد هذان البيتان ولا شرحهما في البرنستنية، وورد البيت الأول ساقطاً منه الشرح في البرلينية، وقد أخلّت البريطانية بشرحهما إخلالاً كبيراً، فلم يرد فيه هذا الاسم، وكذلك فعل ناشرو الطبعة الهندية، وفي الروسية والطهرانية كتبت: "بعبور السهلة!"، والأقرب أنها تحريف لجملة "بعقور السهلة" التي في الرضوية، وقد كان مصدرنا الوحيد من النسخ المخطوطة للديوان في كتابة هذا الاسم هو النسخة الرضوية الأصل، فكتبناها: "عقور السهلة" في الطبعة الأولى.

إلا أنني كتبت في الهامش عند هذه النقطة في الطبعة الأولى ما يلي:

"جاء في مخطوطة المكتبة الروسية: وفي السنة السابعة كان القتال بفقور السهلة بدلاً من عقور التي وردت في أصل الرضوية".

وكان مصدري في هذا الذي كتبته هو الشيخ حمد الجاسر – رحمه الله – فيما كتبه ضمن المستدركات التي الحقها بالجزء الثالث من معجمه الجغرافي عن المنطقة الشرقية، وبالتحديد في الصفحة ١٣٦٠، وذلك لأنّ النسخة الروسية لم تحصل لي بعد، ولكن بعد حصول النسخة الروسية وجدتها ذكرتها هكذا: "وفي السنة السابعة كان القتال بعبور السهلة" وفرق بين "عبور" و"فقور"، فرجعت إلى ما كتبه الشيخ حمد في معجمه مرّة أخرى، فوجدته قد كتب في الهامش تعليقاً على كلمة "فقور"؛ قال: "في إحدى النسخ المخطوطة (العبور)"، ولم ألتفت لهذه الملاحظة منه في الطبعة الأولى، فمن الواضح أنه نقلها إذاً عن مخطوطتنا الروسية، ولكن يبقى السؤال، وهو من أين أخذ الشيخ – رحمه الله – تسمية هذا الموضع بال(فقور)؟! لقد اتضح لي أنه أخذه عن ابن عبد القادر،

السهلة «قرية في جنوب سواد الأحساء مما يلي البَرِّيّة»[1258] ، واشتد بينهم القتال، فقتلوا محمدَ بنَ حواري قتله رجل من قِبَاْث[1259] ، فهُزمت أهل الأحساء حين قتل، واصبح القتال يوم ثانٍ بالسُّلَيْت[1260] قريباً من البلد، ودفعوا أهل الأحساء

فهو كان أول من سماه بهذا الاسم (انظر: تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد؛ الصفحة ١٠١ طبعة الرياض)، ولا أعرف من أين أخذه ابن عبد القادر الذي ذكر في الموضع نفسه وجود موضع يُعرف بالفقر بالقرب من السهلة رجح كونه هو الفقور التي ذكرها.

ولكنني ارتضيت هنا (العقور)، وثبتها عن الرضوية الأصل لأن السهلة لا زال موضعها معروفاً حتى الآن، وكانت حتى وقت قريب تقع في جنوب سواد الأحساء مما يلي البرية – كما وصفها شارح الديوان – وموضعها الآن يقع إلى الشمال الغربي من بلدة الطرف من الأحساء، وإلى الشمال منها غير بعيد عنها توجد قريةٌ لا زالت تعرف حتى اليوم باسم (العقار)، فلعلها هي المراد بـ(عقور) السهلة الواردة في الشرح هنا.

[1258] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية والطهرانية.

[1259] هم قباث بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (هشام الكلبي: جمهرة النسب؛ الصفحة ٣٣٣).

[1260] وفي الروسيّة والطهرانية: " فحين قتلوا محمد بن حواري أصبح القتال في اليوم الثاني بالسّليب بحيث يرون حصن البلاد"، والصحيح السُّلَيْت كما في الأصل وليس السليب، وتقدم أنّ السليت يقع جنوب قرية البطالية.

عن نخيلها وزروعها، فعند ذلك أطعموهم عليها في السنة السابعة، وجعلوا لهم عليها سهماً من ثلاثة أسهم من ثمار النخل.

وكان سبب قتل محمد بن حواري أنه « مَرَّ »[1261] يطرد خيل قباث وجمع عامر، وقد حمل عليهم فلحق منهم رجلاً راجلاً، فاحتقره فلم يضع فيه سلاحه، « فتجاوزه »[1262]، فحين تعدّاه بالفَرَس زَرَقَهُ « ذلك الرجل زرقةً كانت فيها منيّته »[1263] وزرق[1264] ذلك الرجل زرقةً وقعت فيه، فصرعه، فمات ذلك الرجل بتلك الزرقة.[1265]

مِنّا الأَمِيرُ حَوَارِيٌّ وَوَالِدُهُ

[1261] ما بين القوسين زيادة من الروسيّة والطهرانية، وفيها: "أنه مرّ به لرد الخيل"، والضمير في "به" يعود على القباثي.

[1262] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية، وفي الطهرانية: "فجازه"، ومعناهما واحد.

[1263] ما بين القوسين من الروسية والطهرانية.

[1264] الضمير في هذه اللفظة يعود إلى ابن حواري أي أنه قتل قاتله.

[1265] هذا الشرح لم يرد منه في الطبعة الهندية سوى ثلاثة أسطر فقط في ذكر مقتل ابن حواري، ولم تذكر الأخبار التي سبقت ذلك عنه.

فَاذْكُرْهُمَـا فَلَقَـدْ طَابَـا وَقَـدْ كَرُمَـا

« يعني »[١٢٦٦] حواري[١٢٦٧] بن رشيد بن حواري[١٢٦٨]، وكان صاحب إمرة الرحل مدة ملك أبي المنصور « حتى مات »[١٢٦٩]، وكان فارساً «شجاعاً جليل الخطر»[١٢٧٠] جواداً[١٢٧١] ذا نخوة وحمية.[١٢٧٢]

« وكان أبوه رشيد بن حواري من شجعان آل إبراهيم ورجالهم »[١٢٧٣].

[١٢٦٦] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[١٢٦٧] كذا في الأصل: "حواري" في الشعر والشرح، وكذلك الحال في البريطانية، ولم يذكر في الطبعة الهندية، وأما في الروسية والطهرانية، فقد كتب الاسم: "جواري" في الشعر والشرح.

[١٢٦٨] ابن الفضل بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد العُيوني، وهو ابن أخ محمد بن حواري الفارس القوي المتقدم حديثه في البيت السابق.

[١٢٦٩] ما بين القوسين زيادة من الطهرانية.

[١٢٧٠] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[١٢٧١] في الروسية والطهرانية: "كريماً"، وكلاهما واحد.

[١٢٧٢] وفي الروسية والطهرانية: "ذا أنفة وحمية".

[١٢٧٣] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية فقط، وليست في بقية النسخ.

وَفِــــيْ سُـــلَيْمٍ لَنَـــا عِـــزٌّ وَمُفْتَخَـــرُ

وَمُفْلِـــــحٍ وَهُمَـــــا للهِ دَرُّهُمَـــــا

سليم بن مفلح الذي كان أقطعه الأمير أبو علي الظهران[1274] ، فنزلها وحرّم أن توقد بها نارٌ للضيافة غير ناره، وكان من رجال[1275] آل إبراهيم وفرسانها، « وهو قاتل قائد فرسان العجم الذين كانوا عند ابن عباس، وسالبه سيفه الذي يُعرف بالسليمي[1276] ؛ من جياد سيوف البحرين »[1277].

[1274] في الروسية والطهرانية: "صاحب حديث الظهران"، وانظر هذا الحديث في شرح البيت المتقدم من هذه الميمية:

منا الذي لم يدعْ ناراً بساحته

تذكى سوى ناره للضيف إنْ قدما

[1275] في الروسية والطهرانية: "فرسان"، ولم ترد لفظة "وفرسانها" بعد لفظ "إبراهيم".

[1276] هذه قراءة الروسية، وفي الطهرانية: "السكيمي!"، ولم يبن لي معناه، ولعل ما في الروسية هو الأصح.

[1277] ما بين القوسين؛ إضافة نوعية من الروسية والطهرانية فقط، وليس في بقية النسخ منه شيء، وابن عبّاس هو يحي بن عباس الجَذَميّ العبدي حاكم القطيف حينها، وكلمة "قائد" لم تكن مثبتة، وأثبتها أنا لأنه من الواضح أنه يتحدث عن شخصٍ

« ومفلح أبوه بن سليمان[1278] بن الفضل بن عبد الله بن محمد، وكان من سادات آل إبراهيم ورجالها »[1279].

واحد، واخترت كلمة "قائد" دون غيرها لأنها شديدة الشبه بكلمة "قاتل" التي قبلها، ومن المعتاد أنّ النساخ كثيراً ما يسهون في مثل هذه الحالات فتسقط منهم إحدى الكلمتين المتشابهتين.

[1278] كذا كُتب هنا: "سليمان"، وقد مرّ بنا في شرح البيت:

منـــا الـــذي لم يـــدع نـــاراً بـــساحته
تـذكى سـوى نـاره للـضيف إن قـدما

أنه" "سُلَيْم"، وأرى أنّ هذا هو الصحيح، فالمألوف لدى هذه الأسرة وأسر المنطقة قديماً وحديثاً هو حرص الرجل على أنْ يُسمي أحد أبنائه على اسم أبيه دائماً مما يجعل في سلسلة نسب الأسرة الواحدة أسماء تتكرر أكثر من مرّة، ويبدو أنّ مفلح والد سُليم المذكور في هذا البيت لم يكن بدعاً في ذلك، وقد كان لهذه العادة أثرها الواضح في إرباك النساخ الذين كانوا يفاجئون بوجود أسماء متشابهة في سلاسل نسب هذه الأسرة، فيظنون أنّ ذلك سهوٌ أو خطأ، فيتصرفون بالحذف والتغيير في سلاسل نسبهم، وقد مرّ بنا ذلك فيما مضى، وها هو يتكرر في هذا البيت كما سنرى بعد قليل، وسيأتي أيضاً فيما يلي.

[1279] ما بين القوسين؛ زيادة نوعية من الروسية والطهرانية فقط، وليست في النسخ الأخرى بما فيها الرضوية الأصل التي اكتفت في هذا الموضع بالقول: "ومفلح أبوه كان فارساً جوادا" فقط من دون رفع نسبه.

ولكن سلسلة النسب هذه التي احتفظت لنا بها الروسية نقص

وَفِــيْ أمِيْــرٍ وَسُــلْطَانٍ لَنَــاْ شَــرَفٌ
- نَسْمُوْا بِهِ - وَابْنِ بَـدْرِ اللّيْـثِ بَعْـدَهُمَاْ

أمير بن ذوّاد[1280] بن النعمان بن علي بن عبد الله بن

منها اسم عبد الله بن علي الشيخ، فصحة نسب هذا العلم هو سليم بن مفلح بن سليم بن الفضل بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد، وقد مرّ بنا نسب جده الفضل بن عبد الله صحيحاً في شرح البيت المتقدم من هذه الميمية، والذي يقول فيه:

ينمـــى لفـــضلٍ وضـــبارٍ وإخوتهـــا
بـــني علـــي كعـــام الخطـــب إن هجمـــا

[1280] كذا ورد اسمُ هذا العلم في الرضوية الأصل والبريطانية، وقد سقط البيت وأول الشرح بعده من البرلينية، وهو مع شرحه كله ساقط من البرنستنية، وأما في الروسية والطهرانية والطبعة الهندية، فقد كتب الاسم هكذا: "داود"، ولكن الطبعة الهندية ورد فيها: "أمير أبو داود"، وقد انفردت بذلك عن باقي النسخ.

وورد في وقفية مدرسة القبة بالهفوف، وهي تعود للعام ١٠١٩هـ اسم عقار وقفه من أوقف هذه المدرسة عليها، وهذا العقار يدعى بـ(الذوّادية)، وذكر في الوقفية أنه يقع في طرف الجبري، فلعله منسوبٌ إلى ذوّاد العُيوني هذا (انظر عن الوقفية؛ عبد الكريم بن عبد الله الوهبي: العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية إيالة الحَسَا؛ ملحق رقم ٢).

محمد[١٢٨١]، وسلطان بن علي بن ذوَّاد بن النعمان، وكانا فارسين مشهورين جوادين، وكان سلطان « بن علي بن ذوّاد »[١٢٨٢] هذا صاحب أمر الشمال من الأحساء[١٢٨٣] « حتى

[١٢٨١] في الروسية والطهرانية: "أمير بن داود بن نعمان بن علي" فقط، ولم ترفع بقية نسبه كما فعلت الرضوية، وإن كانت الرضوية قد سقط منها (عبد الله بن علي) الشيخ؛ بين علي وعبد الله بن محمد في هذه السلسلة؛ وقد ذكرت تفصيل هذا النسب عند الحديث عن نسب الشاعر في مقدمة الديوان، وكذلك في البحث الملحق عن حياته وشعره وأسرته في آخر الطبعة الأولى من هذا الديوان، وفي هذه الطبعة أيضاً.

[١٢٨٢] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية، وكُتب الاسم في الأولى: "داود"، وفي الثانية: "داوود" كما قلت في الحاشية السابقة، وقد تم تعديله على الرسم الذي كتبه به ناسخ الرضوية الأصل، وإن لم يذكره في هذا الموضع هنا.

[١٢٨٣] سبق وأوضحت أنّ المراد بمصطلح (الشمال من الأحساء) هو ما يدعوه الأحسائيون اليوم باسم قرى الشمال، أو جهة الشمال، ويعنون به بلدة المبرَّز المعروفة وكل ما يقع شمالها من قرى ونخيل وعيون، وبتحديد أكثر، فإنّ ما يُسمى بجهة الشمال من الأحساء هي كامل اللسان الصخري المسمى بلسان المُحَيْرِس مع كامل القرى والبساتين والعُيون التي تقع للشمال منه، وهي قرى الشعبة والقُرَين وجُلَيْجْلة والجَرْن والشّقَيْق والمطيرفي، والذي يطلع على خارطة فضائية لواحة الأحساء سوف يلاحظ أنّ هذه القرى وبساتينها وعُيونها منفصلة بواسطة لسان المُحَيْرِس هذا عن

توفي، وكان فارساً مشهوراً، وكان »[١٢٨٤] قد أسرته « البدوُ حين أغاروا على الأحساء يريدون عليها الخفارة، فخرج عليهم، فعثر به فرسُه[١٢٨٥]، فاسروه، وطلبوا فداه »[١٢٨٦] فحرم عبد الله بن علي فداه منهم، وقال لا تسمع العرب أن رجلاً من آل إبراهيم يعرف له ثمن[١٢٨٧].

فأقام في الأسر مدة، ثم إن أختاً للرجل الذي أسره

باقي واحة الأحساء، وتُسمى القرى الواقعة للجنوب والشرق من هذا اللسان مع بساتينها وعُيونها عند الأحسائيين بمسمى قرى الشَّرق أو جهة الشَّرق، وهو تقسيمٌ عُمل به حتى وقتنا الحاضر ضمن الدوائر الرسمية.

[١٢٨٤] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية، ولا يوجد في الأصول الأخرى شيءٌ منه، وقد أكمل به النقص الحاصل في الطبعة الأولى.

[١٢٨٥] في الطهرانية: "وخرج عليهم، فحمل، ففز به فرسه" يريد أنّ فرسه انتصب على رجليه الخلفيتين، فسقط منه.

[١٢٨٦] ما بين القوسين؛ زيادة نوعية من الروسية والطهرانية فقط، ولم يرد في أي نسخة أخرى، وكان مكانه بياض في الأصل الرضوي أشرنا إليه في الطبعة الأولى، وهاهما هاتان النسختان قد سدّتا هذا الفراغ ولله الحمد.

[١٢٨٧] جاء في الروسية والطهرانية في هذا الموضع: "فامتنع عبد الله بن علي لئلا تسمع العرب أنّ آل إبراهيم يعرف الرجال منها فداء"، وانتهتا إلى هنا بالنسبة إلى خبر هذا الأمير ولم تكملا بقية القصّة.

تحدثت عنده بأن تطلقه ويتزوجها إذا بلغ أهله وبلاده، وعاهدته على ذلك، فأعطاها على نفسه عهداً بالوفاء بذلك، فأطلقته ليلاً، وحملته على فرسٍ لأخيها أجود ما عند الحي، وكانوا بأقصى الشّمط[١٢٨٨] مما يلي البصرة،

[١٢٨٨] لم نعرف الشّمط هذه، ولم يذكرها البلدانيون، وأغلب الظنّ أنها محرفة عن الشَّيْط وهو أحد الشيطين الشهيرين في الصمّان الذي وقع عندهما أحد أيام العرب، وهو يوم الشيّطين بين بكر وتميم، ويقع الشَّيط هذا غرب القرية العليا وشرق اللصافة من الصَّمّان، وهي مواضع كانت كلها في ذلك الوقت لبني عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهم الذين أسروا هذا الفارس العُيوني، وقد مرّ بنا في قصيدة لامية متقدمة قول ابن المقرَّب:

أقول لركبٍ من عُقيل لقيتهم
وأعناقهم للقريتين تمال

وقول الشارح هناك إنّ القريتين موضعين بأعلى السّودة يقال لإحداهما القرية العليا وللأخرى القرية السُّفلى، وكذلك قول ابن المقرَّب من قصيدة لامية أخرى قد تقدمت يمدح فيها آخر الأمراء العُيونيين في القطيف وأوال، وهو محمد بن محمد بن أبي الحسين الذي كان مقيماً مع أخواله من آل المُفَدَّى من الغُفَيْلات من بني عُقيل بأرض الشواجن:

ألم يأتِ من أرض الشواجن يختطي
خرابي أجواز الفلا والخمائلا

والشواجن هذه تقع أيضاً في السّودة بالقرب من القرية العليا،

فركب الفرس وهلّل، وانتبه به الحي، فركبوا الخيل في أثره، فسبقهم، فنجا إلى الأحساء، وكانت تلك الفَرَس أجود ما في البحرين من الخيل.[١٢٨٩]

« وكان أمير بن ذوّاد من فرسان آل إبراهيم »[١٢٩٠].

وابن بدر هو محمد بن بدر بن مورق بن ذوّاد[١٢٩١] بن نعمان بن علي، وكان فارساً شديد البأس[١٢٩٢]، وكان الأمير أبو سنان قد أعطاه إمرة الرحل بعد الأمير مُقَرَّب بن الحسن، وقتله الأمير سباع بن سليمان بن الحسن بن علي بن عبد الله بن علي؛[١٢٩٣] « الذي أخرجوه[١٢٩٤] يومَ العُيون

وتقع فيها مياه اللصافة واللهابة، فهذا يدل على أنها كلها كانت لبني عُقيل مما يقوي القول بأنّ الشمط المذكورة في كلام شارح الديوان المقرَّبي هي تحريف الشيْط، ويعضد ذلك أيضاً قول الشارح عنها هنا إنها مما يلي البصرة، وهي كذلك.

[١٢٨٩] هذا الخبر عن سلطان بن علي مع أخت آسره وهروبه من الأسر لم يرد منه شيءٌ في الروسية، ولا في البرلينية، ولا في الطهرانية، والمصدر الوحيد لهذا الخبر هو الرضوية الأصل فقط.

[١٢٩٠] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية فقط.

[١٢٩١] وفي الروسية والطهرانية: "داود" أيضاً.

[١٢٩٢] ورد في الروسية والطهرانية هنا: "وكان فارساً عظيماً، وجواداً كريماً، وكان ذا هيبة وجلالة".

[١٢٩٣] وهكذا ورد هذا النسب في الروسية والطهرانية أيضاً.

للأمـــيرِ أبي ســـنان[١٢٩٥]؛ بعـــد أنْ ظهـــر وعليـــه درعـــان ومغفـران[١٢٩٦]، وقلّـدوه أقطـعَ سيوف آل علـي، فضربه أبـو سنان عدة من الضرب، فلم يعمل فيه سيفُه شيئاً، فحينئذ حمل الأميرُ أبو المنصور على الأميرِ أبي سنان، وحملتْ خيلُهُ لحَملته، وحمل عليهم[١٢٩٧] أبـو سنان، فتضارب هـو وعمّه

[١٢٩٤] كـذا وردت، والـضمير فيهـا عائـدٌ – وإن كـان بـصيغة الجمع – على الأميرين أبي المنصور علي بـن عبد الله بـن علـي، وأخيه أبي علي الحسن بن عبد الله بن علي كما سنرى.

[١٢٩٥] وردت في الأصـل: "أبـا سـنان"، وهـو خطـأ نحـوي تكـرر كثيراً معنا، وأبو سنان هذا هو الأمير محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي أشهر أحفاد المؤسس.

[١٢٩٦] كانت الجملة في أصل الروسية هكذا:

"بعـد أن ظهـروا عليه درعين ومغفـرين، وقلـدوه .. الخ"، وفي أصل الطهرانية: "بعد أن ظاهروا عليه درعين ومغفرين، وقلدوه .. الخ".

وحقهـا أن تكـون: "فظهـر، وعليـه درعـان ومغفـران .. الخ" ولكـن ضعف الناسخ نحوياً جعله يكتبهما: "درعين ومغفرين"، وأيـاً كـان الأمر، فقـد حاولـت أنْ أبقـي – قـدر الإمكـان – عـلى الـنصّ كمـا ورد في الأصـل، وتـصحيح مـا لا بـد مـن تـصحيحه نحوياً.

[١٢٩٧] كـذا في البرلينيـة والطهرانيـة، وفي الروسـية: "عليـه"، وكلاهما جائز.

(أبو)[1298] المنصور، فكان الظَّفر لأبي[1299] المنصور على ابن أخيه أبي سنان.[1300]

[1298] ما بين هذين القوسين؛ إضافة من الطهرانية فقط، وهو الصحيح.

[1299] وهنا كتبها ناسخ الروسية: "لابن المنصور"، وما هو مثبت عن الطهرانية.

[1300] سوف يذكر كاتب النبذة التاريخية الملحقة بآخر هذا الديوان أنّ عبد الله بن علي المؤسس مَلَّكَ ابنَ ابنه أبا سنان محمد بن الفضل بن عبد الله القطيف وأوال بعد أبيه الفضل بن على، ثم سينصُّ هناك على قتل عمَّيْه أبي المنصور علي بن عبد الله، وأبي علي الحسن بن عبد الله له، ولكنه لم يورد أي تفصيل يذكر عن المعركة التي وقعت بينهم، والفضل هنا كل الفضل للنسختين الروسية والطهرانية فقط اللتين احتفظتا لنا ببعض تفاصيل هذه الوقعة هنا، والتي كانت عند العُيُون الواحة الأحسائية الشهيرة، وقد انجلت هذه المعركة – كما رأينا – عن قَتْل الأمير محمد بن الفضل بن عبد الله أحد أشهر حكام الدولة العُيُونية على الإطلاق، وهو صاحب نقشي ترميم مسجد الخميس في أوال اللذين يحتفظ بهما المسجد حتى الآن، وتاريخهما عام ٥١٨هـ، وهذا يعني أنّ أبا سنان لم يكن قد تملك على كل إقليم البحرين بعد، وأنّ تعميره لهذا المسجد كان في عهد جده عبد الله المؤسس الذي توفي في العام ٦٢٩ للهجرة ليصبح أبو سنان حاكماً على كل إقليم البحرين بما في ذلك الأحساء بدليل قول الشارح هنا إنه وَلّى محمد بن بدر إمرة الرّحل، وقد عرفنا فيما مضى أنّ الرحل

في الأحساء بقرب قصر القرمطي (قريمط الآن).

وكان أبو سنان أكبر سناً من عمَّيْه أبي المنصور وأبي علي الحسن الذي نصّ الشارح على أنه أصغر أبناء المؤسس كما سبق ومر بنا، وكانا صغيرين في السنِّ عندما توفي والدهما عبد الله بن علي المؤسس لأنّ أبا المنصور علي قد نصَّ شارح الديوان على أنه رزق به والده المؤسس عام احتلاله للقطيف من آل عباس الجذميين حكامها السابقين، والمذكورين في هذا الديوان وشرحه كثيراً، وعلى الرغم من أنّ الشارح لم يذكر عام احتلال عبد الله بن علي للقطيف إلا أنّنا نستطيع أن نخمن بأنه كان في العقد الأول من القرن السادس الهجري لأننا نعلم يقيناً أنّ عبد الله بن علي المؤسس قد قضى على القرامطة في الأحساء، وملك البلاد منهم في العام ٤٦٩هـ، وقد كان حاكم القطيف حينها هو يحي بن العباس الجذمي كما رأينا في خبر القائد العباسي كجكينا الذي قدم إلى المنطقة عام ٤٦٨هـ، كما إن عبد الله انتهى من مواجهة آخر جيش عباسي، والذي كان بقيادة داؤود بن سقمان في العام ٤٨٠هـ، ثم نرى أنّ آل عباس حكام القطيف قد استطاعوا أنْ ينتزعوا جزيرة أوال من أبي البهلول العبدي الذي انتزعها من القرامطة؛ كما رأينا تعاقب عدة أمراء من هذا البيت الجذمي على إمارة القطيف وأوال، فرأينا بعد الأمير يحي بن عباس ابنه الأمير الحسن بن يحي والذي ذكر الشارح أنه في عهده تم انتزاع جزيرة أوال من أبي البهلول، وذكر له أيضاً عدة إغارات على الأحساء في محاولة منه لضمها إلى القطيف وأوال كما رأينا في أخبار الأمراء الابراهيميين المذكورين في هذه القصيدة مثل الأمير محمد بن حواري الفارس القوي والأمير أبي يوسف علي بن يوسف الذي

وكان سبب قتل محمد بن بدر »[1301] في وقعة كانت

أسره الأمير يحي وخيره في الإقامة عنده، فأبى، ثم رأينا بعد الأمير الحسن أخاه زكري بن يحي بن العباس الذي قتل أخاه وملك مكانه، وعند كاتب النبذة التاريخية الملحقة بآخر الديوان أنّ الذي انتزع أوال هو شريف بن الحسن بن يحي بن العباس، وكان آخر حكام أسرته، فهذه الأحداث من الواضح أنها قد تطلبت ثلاثة عقود أو أكثر، فيكون ضم عبد الله بن علي للقطيف قد حدث في أوائل العقد الأول من القرن الخامس الهجري، وهي الفترة ذاتها التي ولد فيها أبو المنصور علي بن عبد الله الذي بالكاد قد أكمل العقد الثاني يوم وفاة والده في العام ٥٢٩هـ، وكذلك الحال بالنسبة لأخيه الحسن الذي هو أصغر منه سِناً.

ولكن صغر السنّ هذا لم يمنع هذين العمّين من الثورة على ابن أخيهما أبي سنان، فانتزعا منه الأحساء أولاً، وهو ما أثار حفيظته واهتمامه، فحشد جيشه وسار إليهما بنفسه، فالتقى بهما عند واحة العُيون، فقتله عمه أبو المنصور مبارزة كما يُفهم من نص هذا الخبر، واستوليا على ملكه، فحكم أبو المنصور الأحساء، وأما القطيف وأوال فتولى الحكم فيهما أبو علي الحسن بن عبد الله، ثم سرعان ما نشب النزاع بين هذين الأخوين، فتحاربا على الملك العقيم كما سنرى في تتمة هذا الخبر، وقد سبق وذكرت أنّ الأمير الحسن بن عبد الله هذا هو صاحب النقود المكتشفة مؤخراً، والتي سكّ بعضها في أوال وبعضها الآخر في أرض الخط أي القطيف بين الأعوام ٥٤٤ – ٥٤٩ للهجرة (انظر؛ نايف الشرعان: نقود الدولة العُيونية).

[1301] ما بين القوسين؛ إضافة نوعية هامة من الروسية

بالقطيف بين الأمير أبي المنصور صاحب الأحساء وأخيه الأمير أبي علي صاحب القطيف، « فلما تلاقت الجيوش حمل محمد بن بدر على خيل الأمير أبي علي، فانهزموا من بين يديه، واتقوه بسباع بن سليمان، فاختلفا ضرباً، فضربه سباع ضربةً فقتله.

وكان محمد بن بدر هذا قد ولي إمرة الرّحل بعد وفاة مقرّب بن الحسن[١٣٠٢]، وبعد محمد بن بدر وليها حواري[١٣٠٣] بن رشيد، وبعده تولّى جامع بن فضل بن محمد

والطهرانية، وليس في البرلينية منها سوى جملة: "حمل عليهم أبو سنان" فقط، ولم تذكرها بقية النسخ بما فيها الرضوية الأصل.

[١٣٠٢] كذا ذكر في البرلينية والطهرانية أنّ محمد بن بدر ولي أمرة الرحل بعد وفاة مقرّب بن الحسن، وورد في الروسية: "وكان محمد بن بدر هذا قد ولي إمرة الرحل بعد وفاته محمد بن الحسن"، وفيه اضطراب واضح، فمحمد تحريف مقرّب، والصحيح ما في البرلينية والطهرانية، وقد سبق وذكر الشارح ذلك في أول شرح البيت.

[١٣٠٣] في الروسية والطهرانية: "جواري"، وكنت قد كتبت في الطبعة الأولى ما هذا نصّه:

"في الأصل فراغ موضع الكلمة، وقد أضفناها اعتماداً على شرح البيت المتقدم الذي ذكر فيه حواري بن رشيد بن حواري العيوني، وهو الذي أوله: منا الأمير حواريٌّ ووالده"، وها هو جاء في الروسية والطهرانية موافقاً لما رجحته.

بن حواري[١٣٠٤]، وبعد جامع بن فضل أولاد حواري بن رشيد[١٣٠٥] »[١٣٠٦].

مِنَّـــا أبــو فَاضِـــلٍ وَاللَــوْذَعِيُّ أبـــو
مَـــذْكُورٍ القَـــرْمُ، فَلْيُفْخَـــرْ بِمِثْلِهِمَـــا

أبو فاضل مفرج بن الأمير مالك بن بطال، وأبو مذكور هو بطال بن الأمير مالك بن بطال[١٣٠٧] أخي الأمير عبد الله بن علي لأمه، « وابن عمّه من بني إبراهيم »[١٣٠٨]، وكانا عظيمي القدر جليلي الخطر فارسين جوادين، وقتل

[١٣٠٤] في الروسية والطهرانية: "جواري".

[١٣٠٥] لفظة: "رشيد" لم ترد في البرلينة، ووردت في الروسية والطهرانية، وقد كتبت في أولاهما: "راشد".

[١٣٠٦] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية والطهرانية والبرلينية، وشرح هذا البيت لم يرد منه في الطبعة الهندية سوى نسب هذين الأميرين، وحتى ذلك لم يسلم من نقص.

[١٣٠٧] وفي الروسية والطهرانية ورد مختصراً: "أبو فاضل وأبو مذكور؛ هما ابنا مالك بن بطال أبي مفرّج".

[١٣٠٨] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية والبرلينية، ولكن حدث قطعٌ في البرلينية أذهب بكلمة: "إبراهيم".

ويقصد بقوله: " أخي الأمير عبد الله بن علي لأمه " أي مالك بن بطال والد الأميرين مفرج وبطال.

أبو مذكور يوم السُّليمات،[1309] وقد حمل على عامر وعلى عسكر القطيف وهو يقول:

لا خَيْرَ فِي الشَّيْخِ إذا لَمْ يَجْهَلِ

وهو ذلك اليوم ابن ثمانين سنة.

وَمَا حُسَيْنٌ وَبَدْرٌ إنْ ذَكَرْتُهُمَا

إلاّ هُمَامَانِ فَاقَ النَّاسَ مَجْدُهُمَا

حسين بن إبراهيم بن منصور بن « أبي مفرِّج »[1310] مالك بن بطال، وبدر بن مالك بن مفرج بن مالك بن بطال؛ كانا فارسين عظيمين « انقاد لهما الناس، وبايعهما أكثر أهل الأحساء على الإمرة، والقيام على بني عبد الله

[1309] سبق ومرّ بنا في هذه الميمية تفصيل يوم السليمات هذا، وموت أبي مذكور فيه في شرح البيتين:

مِنَّا الَّذِيْ فَضَّ أَمْوَاْلَ الخَزَاْئِنِ فِيْ

غَوْثِ الرَّعِيَّةِ لاْ قَرْضاً وَلاْ سَلَمَاْ

وَأَهْمَلَ الدَّخْلَ ذَاْكَ العَاْمَ، فَانْتَعَشَتْ

بِهِ الرَّعِيَّةُ حَتَّىْ جَاْزَتْ القُحَمَاْ

[1310] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية، وفي البرلينية ـ التي بالكاد تعافت هنا من القطوع والخروم التي لحقتها – ورد فيها: "فرج"، والصحيح ما أثبته عن الروسية.

بـن علـي »[1311]، فقامـا علـى ابـني أبي ماجـد محمـد بـن «علي»[1312] أبي المنصور[1313]، فَقَتَلا أحدهما وجرحا[1314] الآخر فقطعـا يـده، وهمـا الفـضل وفاضـل ابنـا محمـد بـن أبي المنـصور، «وذلـك»[1315] في طلـب ملـك الأحـساء، فلـم يظفرا، وخذلهما من كان بايعهما من أهل الخيل، «فقتل بـدر بـن مالـك؛ قتلـه ماجـد بـن محمـد»[1316] «ولم يثبت لهمـا أمرٌ»[1317]، وكان سبب انتقال من انتقل من الموالك إلى عمان فسكنها، «وبقي منهم بالبحرين نفرٌ قليل».[1318]

[1311] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، وفي البرلينية: "انقادت"، وكان محلها في الرضوية الأصل: "وأطاعت لهما أهل الأحساء" فقط.

[1312] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[1313] وهو علي بن عبد الله بن علي المؤسس.

[1314] كانت في الأصل الرضوي: "وأخرجا"، وهو تحريف، والتصحيح من الروسية والطهرانية.

[1315] ما بين القوسين من الطبعة الهندية.

[1316] ما بين القوسين إضافة من الروسية والطهرانية، وكانت الجملة في الروسية: "وقُتل بدرُ بن عمار؟! بن مالك؛ قتله ماجد بن محمد"، وكان محلها في الأصل لفظة واحدة هي: "وقتلا".

[1317] ما بين القوسين زيادة من الروسية والطهرانية.

[1318] ما بين القوسين إضافة من الروسية والطهرانية.

مِنَّـا الَّـذِيْ حَـطَّ زُهْـدَاً عَـنْ رَعِيَّتِـهِ
كُلَّ المُكُوْسِ، فَأَضْحَىْ الجَوْرُ مُنْحَسِمَا

يعني الأمير « أبا محمد »[1319] شكر بن منصور[1320] بن علي بن عبد الله بن علي، كان ملكاً عادلاً راحماً رؤوفاً بالرعية صليباً على العدو محبّاً لأهل الصلاح فارساً «فاضلاً»[1321] شاعراً «أديباً»[1322].

« ومن عدله ورأفته أنه أبطل كل مكس ومونة وعشور ومظلمة عن جميع رعيته؛ حتى ذهبت دولته، وملك عليه محمد بن أبي[1323] الحسين »[1324].

وفي الطبعة الهندية لم تذكر أنهما قتلا، بل ذكرت أنهما انتقلا إلى عمان، ولكن ما أثبتناه في طبعتنا هو الأصحّ.

[1319] ما بين القوسين من البرنستنية.

[1320] سقط هذا الاسم من هذا النسب في الروسية والطهرانية، واحتفظت به الرضوية الأصل والبريطانية والبرنستنية، والشرح كله أصابه خرمٌ ذهب به في البرلينية، فلم يبق منه سوى آخر كلمتين فقط.

[1321] ما بين القوسين؛ زيادة من الروسية والطهرانية.

[1322] ما بين القوسين من البرنستنية.

[1323] لم ترد هذه اللفظة في أصلي الروسية والطهرانية المصدر

وَكَمْ لَنَا فِي بَنِي النَّبْعِيِّ مِنْ بَطَلٍ
إِذَا رَأَى مِنْ عَدُوٍّ هَامَةً صَدَمَا

النَّبعي[١٣٢٥] هو مالك بن مقبل بن غسان بن عبد الله بن

الوحيد لهذا الكلام، ولكن هذا هو المشهور في اسم هذا الأمير العُيوني الشهير الذي خصّه ابن المقرَّب بأفضل ما مدح به أحداً من أمراء الدولة العُيونية، وكان معجباً به جداً.

[١٣٢٤] ما بين القوسين؛ زيادة نوعية من الروسية والطهرانية فقط، وكل الذي ورد في الرضوية بدلاً منها هو قوله: "وكان قد أسقط عن الأحساء جميع المكوس التي للسلطنة عليها" ولم يزد على ذلك، وتكمن الإضافة النوعية في قوله إنّ الذي أسقط دولة الأمير شكر بن منصور هذا هو محمد بن أبي الحسين، وهي معلومة لم تحتفظ بها سوى هاتين النسختين.

[١٣٢٥] كذا كتب هذا الاسم في الرضوية الأصل والطهرانية في الشعر والشرح، وفي البرلينية، وعلى الرغم من وجود بعض القطع هنا إلا أنه يتبين من المقروء منها أنه كتب: "النبعي" أيضاً، وفي البريطانية كتبه الناسخ أولاً: "النبغي" في الشعر، ثم قام بشطب النقطة من على العين لتقرأ: "النبعي"، وكتبها في الشرح: "النبعي أيضاً"، ولم يرد هذا البيت ولا شرحه في البرنستنية، وفي الطبعة الهندية كتبوه: "النبعي" في الشعر فقط، ولم يرد في الشرح، وأما في الروسية، فقد كتب فيها: "النبغي" بالمنقوطة في الشعر وفي الشرح، وقد اخترنا قراءة الرضوية لأنها اجتمعت عليها هي وبقية النسخ باستثناء الروسية.

علي « بن عبد الله بن »[1326] محمد، وولده بنو هُبَيَّةَ[1327] بن مالك و « بنو »[1328] جَاْمعِ بن مالك، والنَّبْعِيُّ لقبٌ لا نسب

[1326] ما بين القوسين؛ إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[1327] كتبت في الرضوية الأصل والبريطانية: "هبيه" بدون تشكيل وبدون نقطتين على آخرها، وفي البرلينية والروسية: "هيبه" بدون تشكيل أيضاً وبدون نقطتين على آخرها أيضاً، وأما الروسية، فقد كتبت فيها: "هبه" بدون النقطتين والتشكيل أيضاً، والبيت وشرحه ساقطان من البرنستنية، ويظل رسم هذا الاسم مُشكلاً، وكنا في الطبعة الأولى قد كتبناه: "هيبة" اعتماداً على البرلينية، ولأنه أقرب الأسماء إلى المألوف؛ إلا أنني وأنا أتصفح بعض الخرائط لفت نظري وجود آبار في منطقة القطيف تُسَمّى آبار (هُبَيَّة) — بهاء مضمومة وياء مثناة مشددة بينهما باء موحدة مفتوحة — تقع للغرب من (الصُّبَيْغَاوِي) في جهة (أبو معن)، فكتبت اسم هذه الأسرة العُيونية في هذه الطبعة بهذا الرَّسم تفاؤلاً بوجود علاقة بينها وبين هذه الآبار، وهو أمرٌ غير مستبعد، ولا زال في المنطقة أسماء مواضع من المحتمل أنها سُمِّيت باسم أفراد من الأسرة العُيونية؛ مثل المسعودية والشبيي والراجحية وطف شكر في القطيف، والماجدية والبطالية والمنصورية والذوّادية في الأحساء.

[1328] ما بين القوسين؛ إضافة من البرلينية والروسية والطهرانية.

لقبه إياه الأمير عبد الله بن علي.[١٣٢٩]

مِنَّـــا الثَّلاثَـــةُ وَالفَـــرْدُ الَّـــذِيْنَ لَقُـــوْا

كَتَائِبَـــاً كَـــأَتِيِّ الـــسَّيْلِ حِـــيْنَ طَمَـــا[١٣٣٠]

تَـــدْعُوْ عَجِيْبَـــةَ أَحْيَانَـــاً وَآونَـــةً

أَمَّ العَجَـــرَّشِ وَالجَحَّـــافَ[١٣٣١] بَيْنَهُمَـــا

[١٣٢٩] هذا الشرح لم يرد في البرنستنية، ولا في الطبعة الهندية.

[١٣٣٠] في طبعة الدكتور الحلو: " كتائباً كأبي السَّيّال حين طما " ولم يشر إلى مصدره في ذلك، وما أثبتناه هنا هو الصحيح، وأتيّ السَّيْل مجْرَاه ومَسِيْلُه، ومنه قول أبي سهم الهذلي:

كـأَنَّ أَتِـيَّ الـسيْلِ مـدّ علـيهمُ إِذا دَفَعَتْه فـي البَدَاح الـجَرَاشعُ

[١٣٣١] هكذا كُتب هذا الاسم في الرضوية الأصل والبرلينية والروسية والطهرانية والطبعة الهندية، وأما في البريطانية فكتب: "الجحَّاف"، وكذلك في منسوختها الظاهرية.

وتوجد لدي صورة وثيقة تعود للعام ١٠٩٦ للهجرة، وهي عبارة عن وثيقة شراء ضاحية سمّيت بـ(ضاحية غنوى) في الأحساء، وورد فيها اسمُ مشتريها قاسم بن محمد بن سبيت الحجاحفة (وثائق النمر ٠١٣)؛ كما توجد لدي صورة وثيقة أخرى هي عبارة عن وثيقة إقرار أحسائية تعود للعام ١١٧٠هـ، ورد فيها اسم أحد الشهود: سليم الحجافي (وثائق آل علي

(يَوْمَ الجُرَيْعَاءِ) مَا خَامُوا وَلا جَبُنُوا
بَلْ كُلُّهُمْ يَصْطَلِي نِيرَانَهَا قُدُمَا

هؤلاء الرجال الأربعة كلهم من ولد[١٣٣٢] أبي المقَرَّب الحسن بن عزيز،[١٣٣٣] وعَجيْبَة هي أمُّ شَبَانَة بن غُفَيْلَة والمُفَدَّى[١٣٣٤] بن غُفَيْلَة والسُّبَيْع بن غُفَيْلَة بن شَبَانَة، وانضم

العمران: مجلد ١١٥٠ – ١٢٥٠هـ؛ الوثيقة رقم ١٦)، كما توجد وثيقة بيع تعود للعام ١٣٠٠هـ لبيت ذكرت الوثيقة أنه يقع في فريق (حيّ) الحجاجفة التابع لمنطقة الرفعة من مدينة الهُفوف، فيبدو أنّ هذه الأعلام منسوبة إلى آل حجاف المذكورين في الشعر.

[١٣٣٢] في البرلينية والروسية والطهرانية: "آل".

[١٣٣٣] لقد مرّ بنا أن أولاد أبي المقرب الحسن بن عزيز ثمانية، وهم مقرب والمبارك أبو شكر ونصر ومحبوب ومنصور وعزيز ومحرّز ومزيد، ولكنّ هؤلاء الأربعة المذكورين في الشرح هنا لا ينبغي أن يكونوا من أولاد أبي مقرَّب الثمانية هؤلاء، وإنما هم من أحفاده، وذلك لأنّ هذه الوقعة قد حدثت في زمن الشاعر نفسه، وهو من نسل أبي مقرَّب الأول هذا، وبينه بينه ثلاثة آباء؛ مما يرجح أنّ هؤلاء الأربعة المذكورون في الشرح متساوون في القعدد مع الشاعر، وهذا يعني أنهم من أحفاد أبي مقرب.

[١٣٣٤] سقط هذا الاسم من كل النسخ باستثناء الرضوية الأصل، وذكرته الطبعة الهندية، ولكنه تحرف فيها إلى: "المقداد"، والمفدى هذا هو غير ابن أخيه المفدى بن سنان بن غفيلة جد آل

إلـيهم[١٣٣٥] بنو رَافِع وبنو رَفِيْع[١٣٣٦]، وأم رَافِع ورَفِيع مَارِيَّة،

المفدى العقيليين الذي ذكره الشاعر في قوله:

سِوَىْ أَنَّ مِنْ نَسْلِ المُفَدَىْ عِصَاْبَةٌ

أَبَوْاْ أَنْ يُطِيْعُوْا فِيْ هَوَاْهُ العَوَاْذِلاْ

وذكره أيضاً صاحب كتاب مسالك الأبصار ابن فضل الله العُمَري الذي لم يصلنا منه سوى بضعُ مخطوطات ناقصة يكثر فيها التحريف، ومنه ما وقع في هذا الاسم عندما ذكر نسب زعيم بني عامر العُقيليين البحرانيين الذين كانوا يفدون على السلطان الظاهر بيبرس البندقداري حيث ذكر أنّ العامريين كانوا يفدون عليه صحبة مقدمهم محمد بن أحمد بن العقدى بن سنان بن غفيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر، ولو لاحظنا في سلسلة النسب هذه، فسنرى أنّ لفظة "العقدى" ما هي إلا تحريف لـ"المفدى" تحرفت هنا كما تحرف اسم عمه المفدى بن غفيلة إلى "المقداد" في الطبعة الهندية في هذا الموضع من الديوان.

[١٣٣٥] كانت في الأصل الرضوي والبريطانية: "إليه"، وما أثبتناه من البرلينية والروسية.

[١٣٣٦] كان من أعلام الأحساء في القرنين الثامن والتاسع الهجريين: فخر الدين محمد بن عبد الله بن علي بن الحسن بن علي بن محمد بن سبيع بن سالم بن رفاعة السبعي البحراني، المهاجر إلى الحلة في العراق، والمتوفى فيها عام ٨١٥ للهجرة (السيد الأمين: أعيان الشيعة؛ ج٩: ٣٨٣)، ولو لاحظنا سلسلة نسب هذا الشيخ، فسنجد أنّ جده الأعلى اسمه رفاعة، وهو وفق حساب القعدد ـ الذي يعطي أربعة آباء متسلسلين لكل قرن – يحتمل

بقوة أن يكون من المعاصرين لرافع ورفيع ابني غفيلة هذين، ومن يدري فقد يكون شقيقاً ثالثاً لهما أو أنّه تحرّف عن أحدهما؛ خصوصاً وأنّ اسم ابن رفاعة هو سالم وحفيده اسمه سبيع كما ورد في بعض المصادر (آغا بزرك: الذريعة إلى تصانيف الشيعة؛ ج١٢: ١٥٤)، وهي من الأسماء البدوية، وقد مرّ بنا للتو أنّ من أولاد غفيلة العقيلي المذكور هنا ولدٌ اسمه سُبيع، وهو الذي قتل بعد ذلك في وقعة يوم الخايس التي جرت على الأحساء، وذكرها شارح الديوان فيما مضى من شرح هذه القصيدة، وأيضاً فإنّ هذا الشيخ الأحسائي السبيعي يرى بعض الباحثين أنه من قرية القارة بالأحساء (السيد هاشم الشخص: أعلام هجر)، وسوف يمرُّ بنا في حاشية قادمة أنّه كان يوجد في هذه البلدة نهرٌ يُعرف بالعجرَّشي، والمرجح نسبته إلى عجرّش بن غفيلة، وهو أخو رافع ورفيع، وهذا يعني أنه كان لهؤلاء الأخوة حضور بالقرب من القارة بلد هذا الشيخ السبعي الرفاعي الأحسائي، وآل السبعي هؤلاء كانت لهم أملاك نخل وبساتين تقع هي الأخرى غرب بلدة القارة، في الجهة نفسها التي يقع فيها ذلك النهر، وهو يرجح أكثر وأكثر ما ذهبت إليه من وجود رابطة نسب بين آل السبعي وبين رافع ورفيع ابني غفيلة.

فإن صحّ أنّ رفاعة الجدُّ الأعلى لهذا الشيخ الأحسائي يمت بصلة نسب لرافع ورفيع ابني غفيلة، فعندها يمكننا أن نعلن أنّ آل السبعي الأسرة العلمية الأحسائية المعروفة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين هي أسرة عُقيلية تنتسب إلى غفيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر بن عوف بن مالك بن ربيعة بن عوف بن عامر بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وأبوهما غُفَيْلَة بن شَبَانَة، وأم العَجَرَّش هي أم عَجَرَّش[1337] ودَاؤد وأبي مُنَبِّـــه أولاد غُفَيْلَـــة[1338]، «فولـــدهم بهـــا يُعرفـون»[1339]، والحجـاف هـو حَجَّـافُ بـن غُفَيْلَـة أمُّـه أم

[1337] كـان حـتى وقـت قريـب ـ قبـل أن يقـوم مـشروع الـري والصرف في واحة الأحساء الذي غير خارطة الأنهر فيها – يوجد نهرٌ كان يمر غرب بلدة القارة اسمه العَجَرّشي، وقد ورد في بعض الوثـائق الخاصـة بملكيـات بعـض البـساتين في تلـك الجهـة، ومنـها وثيقـة يعـود تاريخهـا إلى العـام ٩٨٢ للـهجرة، ثم جـددت في العـام ١١٤٣ للـهجرة، وهـي عبـارة عـن وقفيـة لبستان سمّي بالوجيمات القبلية أوقفه متصرف الأحساء علي بك بن لاوند البريكي، وذُكر في الوثيقـة أنـه كـان يقـع بطـرف القـارَة، وأنـه كـان يحـده غربـاً العَجرَّشي، وشمالاً نهر أبي بي كـذا كتبـت، ويعـرف بالأبـابي أيضاً وهـو النـهر الـذي أزعـم أنـه حـل محـل نهـر محلـم في هـذا الجـزء مـن الأحـساء، ولا يتخـالجني الـشك في أن العجرَّشـي المـذكور في هـذه الوثيقـة، والـذي ظـل معروفـاً باسمـه حـتى وقتنـا هـو منـسوب إلى عَجرَّش بن غفيلة المذكور في النص.

[1338] في البرلينية والروسية والطهرانية: "أم عجرَّش بـن غفيلة، وداؤد بن غفيلة، وأبي منبه بن غفيلة".

[1339] مـــا بـــين القوســـين؛ إضـــافة مـــن البرلينيـــة والروســـية والطهرانية، ويقصد أنّ أولاد هؤلاء الأخوة الثلاثة الذين أمهم أم العَجَرَّش، وهم عَجَرَّش وداؤود وأبو منبه صاروا كلهم يُعرفون بـآل أم العَجَـرَّش، وقـد خُفـف بعـد ذلـك إلى (آل العَجَـرَّش)، والنسبة إليهم (عَجَرَّشي).

سنان.[١٣٤٠]

[١٣٤٠] كتبت في الرضوية الأصل: "أم شبان"، وفي البريطانية استدركها ناسخها في الهامش الأيمن، فكتب هناك: "أم سنان، وهو الصحيح إن شاء الله"، ولم يرد في البرلينية ولا الروسية.

وأم سنان هذه هي جدة العماير كما سنرى بعد قليل، ولعل ذلك ما يسوّغ لنا القول بوجود علاقة بينها وبين موضع ساحلي يُدعى (أم سنان) يقع جنوب الجبيل (عينين)؛ كما يمكن أن تكون العين المعروفة في قرية عنك القطيفية باسم (أم سنان) منسوبة إليها أيضاً، فعنك وعينين (الجبيل) هما من البلاد التي قطنها العماير منذ وجودهم في المنطقة ولا زالوا يقطنونهما حتى الآن، وأما ابنها سنان فهو سنان بن غفيلة بن شبانة الذي ذكره الشاعر في قوله:

وَلاْ خَاْلَ إلاْ دُوْنَ مَنْ كَاْنَ جَدُّهُ

سِنَاْنٌ مَحَلُّ الضَّيْفِ رَحْبُ جَنَاْبِهِ

وهو والد عميرة بن سنان جد قبيلة العماير الشهيرة في المنطقة؛ كما إنه أيضاً والد المُفدّى بن سنان جد آل المفدى المذكور للتو، والذي أصهر إليه الأمير محمد بن أبي الحسين على ابنة له لم يُذكر اسمها، وأنجب منها ولديه فضلاً ومحمداً اللذين ناصرهما أخوالهما آل المفدى، فحاربوا مع الأول ضد ابن عمه عزيز بن الحسن بن شكر بن علي بن عبد الله بن علي الذي قتل الأمير محمد بن أبي الحسين بالتعاون مع زعيم العماير راشد بن عَمِيْرة بن سنان بن غفيلة وهو ابن عم آل المفدى، ولكنّ هؤلاء الأخيرين آثروا القتال مع ابن أختهم فضل بن محمد بن أبي الحسين ضد بني عمهم العماير حتى استرد مُلك أبيه على القطيف وأوال، ثم انضم

والجريعاء مكان يعرف بأم الدجاج، [١٣٤١] كانوا جميع

آلُ المفدى إلى جانب ابن أختهم الثاني محمد بن محمد بن أبي الحسين، فحاربوا معه ضد ابن أخيه الأمير منصور بن علي بن محمد بن أبي الحسين حتى تمكن من انتزاع القطيف وأوال منه، وكل ذلك قد مرَّ بنا في ثنايا هذا الديوان وشرحه، أو سيمرُّ بنا.

ونظراً لأنّ ابن المقرَّب كان محباً لبني عمه آل أبي الحسين، فقد مدح آل المفدى لوقوفهم إلى جانبهم مستثنياً إياهم من كيل الهجو الذي كان يصبه على بطون قبيلتهم عُقيل، ومما قاله فيهم:

وَمَـــاْ بَرِحَــــتْ آلُ المُفَــــدَّىْ لِجَــــاْرِهِمْ
وَلابْــنِ أخِــيْهِمْ حَيْــثُ كَــاْنُوْا مَعَــاْقِلاْ

وقال فيهم أيضا عند مدحه للأمير محمد بن محمد:

سِــوَىْ أنَّ مِــنْ نَــسْلِ (المُفَــدَىْ) عِــصَاْبَةٌ
أبَــوْاْ أنْ يُطِيْعُــوْا فِــيْ هَــوَاْهُ العَــوَاْذِلاْ

ومراد الشارح من ذكره لهؤلاء الأمهات هو أنّ هؤلاء جميعاً أخوة من أمهات شَتّى، وهم شَبانة والمفدّى والسّبيع ورافع ورفيع وعَجَرَّش وداؤد وأبو منبّه والحجّاف وسنان أبناء غُفَيْلة بن شَبَانة بن قُديمة بن نباتة بن عامر بن عوف بن مالك بن ربيعة بن عوف بن عامر بن عُقَيْل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وقد أصبح كلاً من هؤلاء الأخوة فخذاً من أفخاذ بني عامر بن عوف العُقيليين.

[١٣٤١] لا أعرفُ في الأحساء الآن مكاناً يُعرف بأم الدجاج، ولم أسمع بذلك إلا ما ذكره ابن عبد القادر أنه يوجدُ في بلدة المُطَيْرِفي عينٌ تُعرف بـ(عين أم الدجاج) (تحفة المستفيد؛ ط. الرياض

هـؤلاء المـذكورين قـد « اجتمعـوا ومـن انـضمّ إلـيهم مـن جيرانهم ومنازلهم »[1342] وأغاروا على البلد حتى بلغوا ذلك المكـان « بخيلـهم ورجـالهم في ملـك ابـن أبي القاسـم بـن أبي ماجد[1343] ، فلقيهم هؤلاء الأربعة، فحمل عليهم الفارس منهم والراجل، فصبروا لهم، فترجلت الفرسان ورجعوا إليهم تحت الدروع والبيض والجحف، فلم يخرجوهم عن مراكزهم، فنضلوهم بكل رمح كان في أيديهم حتى صاروا لا يدوسـون إلا علـى الرِّمـاح، فلـم يتضعـضعوا إلى أن خرجـت إلـيهم النجـدة مـن الـبلاد، فوجـدوهم ممتـنعين، وانـصرفت القـوم عنـهم، وسُـمّي ذلـك اليـوم يـوم الرّمـاح لكثرة ما صار عند أهل البلاد من رماحهم لأنهم منعوهم

١٩٨٢م؛ الصفحة ٥٠)، ولا أرجحُ أنها هي المذكورة في الشرح هنا لأنّ هذا الموضع المذكور يبدو أنه كان قريباً من حصن البلد في مدينة الأحساء التي تقوم على أنقاضها اليوم بلاد ابن بطال، ولا زال يوجد قرب هذه البلدة موضعٌ يُعرف بالجُرَيْعَة وهي مزرعة تقـع إلى الـشمال الـشرقي مـن البلـدة المـذكورة غـير بعيـد عنـها، ومشهورة لدى أهالي القرية، فإن كانت هي المذكورة في الشعر هنا، فلا أعرف معنى قول الشارح إنها في عهده كانت تُعرف بأم الدجاج؛ إلا إذا كان ذلك مسمى آخر لها والله أعلم.

[1342] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية.

[1343] في البرلينية والروسية: "بـن ماجـد" فقـط بـدون لفظـة "أبي" السابقة لها، والصحيح ما أثبته عن الطهرانية، فهو أبـو القاسـم مسعود بن أبي ماجد محمد بن علي بن عبد الله بن علي.

من أخذها حتى أنه ربما صار بيد الرجل ستة أو سبعة رماح»[١٣٤٤].

مِنَّا الرِّجَالُ الثَّلاَثُوْنَ الَّذِيْنَ هُمُ

(يَوْمَ العُطَيْفَةِ) أوْفَى مَعْشَرٍ ذِمَمَا

لَقُوْا ثَلاَثَةَ آلاَفٍ وَمَا جَبُنُوْا

عَنْهُمْ، وَلاَ اسْتَشْعَرُوْا خَوْفَاً وَلاَ بَرَمَا

بَلْ طَاعَنُوْهُمْ إلَى أنْ عَافَ طَعْنَهُمُ

مَنْ كَانَ يَحْسَبُهُمْ غُنْمَاً إذَا قَدُمَا

فِعَالُ آبَائِهِمْ (يَوْمَ الرُّكَيْنِ) وَمَنْ

[١٣٤٤] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، وهو في أصل الرضوية باختصار مخلٍّ جداً، وأكثر خللاً في الطبعة الهندية، وسوف يكرر الشاعر ذكر هذا اليوم باسم يوم الشبانات – نسبة إلى جدّ هؤلاء المغيرين المشترك شبانة بن غفيلة – في القصيدة النونية التي مطلعها:

بعض الذي نالنا يا دهر يكفينا

فامنن ببقيا وأودعها يداً فينا

يُشْبِهُ أَبَاهُ فَلاَ وَاللهِ مَا ظَلَمَا

إِذْ طَيَّرَ التَّلَّ يَوْمَ القَصْرِ كَرُّهُمُ

عَلَى الأَعَاجِمِ حَتَّى بَادَ بَيْنَهُمَا[1345]

العُطَيْفة[1346] جدار غير متصل بحصن البلد[1347] حاجز

[1345] وفي البرلينية والروسية: "حتى زال وانحسما"، وفي الطهرانية: "حتى زال وانجسما"، وما أثبتناه عن الأصل.

[1346] كذا كتب الاسم في الرضوية الأصل والبرلينية والروسية والبريطانية والطهرانية، ولم تذكره البرنستنية، وأما الطبعة الهندية، فقد كتب فيها: "القطيعة"، وسوف يمر بنا بعد قليل كتابتها بهذا الاسم في البرلينية والطهرانية، "والقطيفة" في الروسية، وسيكرر الشاعر والشارح ذكر هذا اليوم في القصيدة النونية التي مطلعها:

بعض الذي نالنا يا دهر يكفينا

فامنن ببقيا وأودعها يداً فينا

ولقد بحثت عن العُطيفة هذه كثيراً، وسألت عنها الكثيرين من أهل الخبرة في الأحساء، فلم أجد من يعرف موضع هذا المكان الآن، وإن كان يتضح من الكلام القادم أنّ أعداء هؤلاء القوم العيونيين الذين كانوا متحصنين في العُطيفة تمركزوا في جرعاء المنظرة التي قلت إنها تقع في هضبة لسان المحيرس الموازية لنخيل الشراع، وأنهم شنوا الغارة على المتحصنين في العُطيفة من الشّراع

للقـوم[١٣٤٨] عـن الوصـول إلى تلقـاء[١٣٤٩] بـاب حـصن البلـد إذا أغاروا[١٣٥٠]، ويمتنع[١٣٥١] الناس أيضاً إذا كانوا قليلاً عليه؛ «إذا

وجرعاء المنظرة مما يعني أنّ العُطيفة قريبة من هذين الموضعين، وهو يدلُّ أيضاً على أنّ العطيفة تقع غرب البطالية – حيث كانت تقوم مدينة الأحساء – أو في شمالها الغربي بينها وبين نخيل الشراع والجرعاء حيث يتمركز الأعداء، وفي هذه الجهة المحددة يوجد موضعٌ مرتفع عما حوله من بساتين النخيل به آثار واضحة تصلح أن تكون آثار حصن، وهذا الموضع يُعرف باسم بُهَيْتة الآن، وأقرب الظن إلى اليقين أنه هو موضع العُطيفة، والله أعلم.

[١٣٤٧] هكذا كتب في الرضوية الأصل والبرلينية والروسية والطهرانية، وفي البريطانية كتب: "البلاد".

[١٣٤٨] في البرلينية والروسية والطهرانية: "يمنع القوم"، ويقصد بالقوم قبائل البدو التي كانت تهاجم قرى الأحساء وسوادها آنذاك، والذين سيذكرهم باسم العرب بعد قليل.

[١٣٤٩] هذه الكلمة من الرضوية الأصل والبريطانية فقط، ولم ترد في بقية النسخ.

[١٣٥٠] هذه اللفظة من الروسية، وكانت في الرضوية الأصل والبريطانية والطهرانية: "أغارت"، وفي البرلينية أصاب هذه الكلمة قطع لم يبق سوى الأحرف الأربعة الأولى، فلم يتبين لي رسمها فيها.

[١٣٥١] هذه اللفظة من البرلينية والروسية والطهرانية، وكان محلها في الرضوية الأصل: "وتقابل"، وفي البريطانية: "وتقاتل"، ومنها يتضح أنّ ما في الرضوية هو تحريف الكلمة الواردة في

«إذا جاءهم من تلك الناحية ما لا يطيقونه»[1352]؛ حتى تخرج النجدة من البلد، فإذا حاربت العربُ[1353] البلادَ حرباً يجمعون عليها[1354] احتاج[1355] أهل البلد أن تبيت منهم رجال عليه يحفظونه لئلا تسبق عليه العرب ليلاً فتهدمه « لكونه خارجاً عن البلد ».[1356]

فلما كان في زمان الأمير أبي القاسم مسعود بن محمد[1357] بن أبي المنصور ـوهو يومئذٍ صاحب الأحساءـ

البريطانية.

[1352] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية، وهو موجود في أصل الرضوية، ولكنه مؤخر عن هذا الموضع بحيث أخل بالمعنى.

[1353] لم ترد هذه اللفظة سوى في الرضوية الأصل، وفي البرلينية والروسية والطهرانية وردت على البناء للمجهول هكذا: "فإذا حوربت البلاد ..".

[1354] كانت في الرضوية الأصل: "عليه"، ولم ترد هذه اللفظة في غيرها من النسخ، وحقها أن تكون: "عليها" سواءً أكان الضمير عائداً على الحرب أو البلاد.

[1355] كتبت في الرضوية الأصل: "اجتاح"، والتصحيح من البرلينية والروسية والطهرانية.

[1356] ما بين القوسين من البرلينية والروسية والطهرانية.

[1357] جاء بدلا منه في البرلينية والروسية والطهرانية: "أبي ماجد"، وهي كنيته.

حاربت العرب[١٣٥٨] البلد تلك الحرب لأن أرباب دولة أبي القاسم الذين كانوا يدبرون أمره ويثق بهم من أهل بلادهم، [١٣٥٩] ويقبل حديثهم فسدت نياتهم عليه، وكثر طمعهم، وصغرت أهل السلطنة في أعينهم، حتى صار أحدهم لا يرضى أن يكون للسلطان في الدخل والإقطاع مثل ماله، ولا أن يكون له عنده في البلد أمرٌ ولا نهي، ولأبي القاسم يومئذٍ عدة أولاد الرجل منهم يعد بمائة فارس، فصار سعيهم وحديثهم الباطن في إزالة دولة أبي القاسم طلباً لهلاكه وهلاك أولاده لتضعف السلطنة لأن الذي يجلس في السلطنة بعد أبي القاسم وأولاده يكون هم الذين أجلسوه، فيكون من قبلهم لا قبل نفسه، وأيضاً كانت لهم أغراض في أقوامٍ من وجوه أهل البلد وأمرائها وقرابات أهل بيت المملكة، فتحادثوا هم ومشايخ البدو سرًّا على أشياء قرروها بينهم وتعاهدوا عليها، وأمروهم بحرب البلاد، وضمنوا لهم على ذلك حكمهم من أملاك بني إبراهيم العيونيين، وبساتينهم وأملاك من أملاك وجوه البلد، فحاربوا البلاد وشنوا عليها وحصروها، وصاروا يخرجون إليهم الذي يحتاجون إليه من الميرة من تمر وحنطة وشعير « وجميع ما يحتاجون إليه من الطعام وعلف الخيل،

[١٣٥٨] في البرلينية والروسية والطهرانية: "البدو".

[١٣٥٩] كذا كتبت هذه اللفظة، وحقها أن تكون: "البلاد".

وتقـدموا إلى أهـل الحـرث وسَـوَادِيِّة[١٣٦٠] البلـد بالإقامـة في منازلهم بالقيظ عند البدو، وأن يزرعوا لهم الزرع ويعمروا الأملاك ويعملون المصا لح التي تصلح لهم، والميرة تخرج لهم من البلد بالكره من أهل الحمية على البلاد والمعرفة بما يصلحها »[١٣٦١]، ويحتجون على أهل البلاد بأن نحن ما نحتاج إلى ذلـك إلا لعشائركم الـذين في القـرى والـسواد، وهـم الذين ثبتوا أهل القرى والسواد.

« وكان يبيت كل ليلة على تلك العطيفة[١٣٦٢]جماعة من أهل البلد، فلما كانت في بعضِ الليالي نوبة آل إبراهيم اجتمعوا في نحو من ثلاثين رجلاً، فأتى البدوَ رجلٌ من أهل البلد أخبرهم أن هذه الليلة نوبة العيونيين وما عليها منهم غير ثلاثين رجلاً، وإن أنتم استوليتم عليهم بقتل أو أسر تمكنتم من البلاد وبلغتم حكمكم، فاجتمعوا من كل ناحية حتى صاروا من نحو ثلاثة آلاف ما بين فارس

[١٣٦٠] كذا كتبت في البرلينية وفي الروسية والطهرانية: "سواد"، ويقصد أهل السّواد أي القرى.

[١٣٦١] ما بين القوسين زيادة من البرلينية والروسية والطهرانية.

[١٣٦٢] في البرلينية والطهرانية: "القطيعة"، وفي الروسية كتبت: "القطيفة!"، وهما المصدران الوحيدان لهذا الجزء من هذا الخبر، فصححتها عطفاً على ما تقدم من تسميتها بالعطيفة في الجزء المتقدم عن الرضوية الأصل، وما أراها إلا قد تحرفت عن العُطيفة في البرلينية والروسية.

وراجل، وكان وصولهم إليهم مع الفجر، فانحدروا إليهم وهم[١٣٦٣] يظنون أنهم قليل؛ مثل العشرة والعشرين والخمسين كما جرت العادة في المجيء في ذلك الوقت، ولم يكونوا أقل منهم[١٣٦٤] في تلك الليلة لأن البدو ما أتت مثلها أبداً، فلما صاروا في الأرض بجرعاء المنظرة والظلام والعجاج قد وارى عنهم القوم شدّوا عليهم[١٣٦٥]من الجرعاء ومن الشّراع، وانتدبوا من كل جانب، وانضمّ بعضٌ إلى بعض، واغتروا بنجدتهم وبقوّتهم وبجمعهم، فما زالوا يقاتلونهم من الفجر الأوّل حتى طلعت الشمس على الأرض، وكلما حملت البدو عليهم حملوا على البدو فكشفوهم حتى انجلت الوقعة وما قُتل منهم قتيل ولا أسر أسير[١٣٦٦] ، ولا ولّوا دبراً، فحين طلعت الشمس على الأرض خرجت عساكر أهل البلد، فوجدوهم ممتنعين وقد جرحوا في القوم جراحات كثيرة.

[١٣٦٣] الضمير عائد للعيونيين الثلاثين الذين في العُطيفة.

[١٣٦٤] جاء في الروسية هنا: "ولم يكونوا أقل مما قلنا في تلك الليلة"؛ يعني العُيونيين أيضاً.

[١٣٦٥] الضمير في شدّوا راجع للبدو، وكنت قد كتبت في الطبعة الأولى أنه راجع للعيونيين، ولكن تبين أنّ الصواب ما قلته الآن، وإن كان أسلوب الشارح له دور في حصول مثل هذا اللبس، فكان الأفضل لو قال: "والظلام والعجاج قد واراهم عن القوم".

[١٣٦٦] هذه اللفظة وردت في الروسية والطهرانية.

وقوله: "فعال آبائهم يوم الركين"؛ يعني ركن الدولة حين أتى ثائراً[١٣٦٧] بدم البغوش العجمي، وقد تقدم ذكره،[١٣٦٨] وكان من أيامهم يومٌ كانت الوقعة فيه على باب القصر المعروف بباب الحديد[١٣٦٩]، وكانت العجم قد بذلت جهدها كلّه ذلك اليوم وتركوا الخيل وترجّلوا ولبسوا الدروع والبيض، وبأيديهم درق البولاذ[١٣٧٠] بعضٌ بالسيوف وبعض باللتوت[١٣٧١] وبعض بالنبل، وزحفوا تحت الحديد، وقد فتح الأمير عبد الله بن علي باب القصر، وخرجت بنو إبراهيم ومن انضمّ إليهم من ربيعة

[١٣٦٧] كذا في البرلينية، وفي الروسية: "طالباً".

[١٣٦٨] وتقدم قولنا أيضاً أنه ركن الدولة داؤد بن سقمان بن أرتق بن أكسب الذي جاء ليأخذ ثأر عمّه البغوش بن أرتق بن أكسب.

[١٣٦٩] كذا كتب الاسم في البرلينية والروسية والطهرانية، وسيأتي معنا في شرح القصيدة التي أولها:

رويداً بعض نوحك يا حمام ... أجدك لا تنيم ولا تنام

ذكر الشاعر والشارح له مرّةً أخرى عند قول الشاعر:

وجاد من الحديد إلى المصلى ... إلى الحصنين وكاف كهام

وتعليق الشارح بأنه موضع في الأحساء.

[١٣٧٠] يقصد الفولاذ.

[١٣٧١] اللتوت: جمع لَتّ، وهو الفأس العظيمة أو القدوم أو الدبوس الحديدي.

الفرس ـ ولم ينضم إليهم إلا نفرٌ قليل ـ فكانت على باب الحديد مزبلة قد صارت مثل التلّ العالي، فصفَّ عليها الشّيوخ الشيب وثقال الرجال، وتقدم الغلمان وأهل حداثة السنّ فقاتلوهم أشدّ قتال، والغلمان كلما أرادوا الشيوخ ومجلسهم سخروا منهم وضحكوا وقالوا هؤلاء المشَوَّفَات ـ والمشوفة هي الجارية التي زُوِّجت ولم تخرج قبل إلى دعوة، فهي تخرج في زيّ عظيم من الحلي واللباس ويكون حولها جماعة من النساء يمدحنها ويغنين بذكرها ـ فشبهوهم بتلك النساء.

ثم إن العجم حملت عليهم حملةً واحدةً صدموهم فيها حتى أزالوهم عن مراكبهم[١٣٧٢] غصباً، فاتقوا بالشيوخ، فاعتركوا وتجالدوا بالسّيوف حتى طارت تلك المزبلة كلها في الهواء[١٣٧٣] من اعتراكهم عليها حتى بقي[١٣٧٤] مكانها لو طلب الإنسان « فيه »[١٣٧٥] ما يُقْذي العين ما وجده، وذلك

[١٣٧٢] كذا وردت في البرلينية والطهرانية، وفي الروسية: "مواكبهم"، وما أحقها أن تكون: "مراكزهم".

[١٣٧٣] في الروسية والطهرانية: "الهوى"، وأراد بها: "الهوا"، وهو استخدام دارج في المنطقة لكلمة: "الهواء".

[١٣٧٤] في الروسية: "أنّ".

[١٣٧٥] ما بين القوسين من الطهرانية.

سنة ثمانين وأربعمائة، فبعد تلك الوقعة يئست[١٣٧٦] العجم من تملك القصر وصبّحوا ورحلوا.»[١٣٧٧]

نَحْــنُ الثِّمَــالُ فَــإِنْ يُكْفَــرْ بِنِعْمَتِنَــا

كُنَّــا المُثَمَّــلَ يُــدْنِي الحَتْــفَ وَالــسَّقَمَا

الثِّمال -بالكسر- الغياث، والمثمل: السُّمُّ الناقع.

أبيَاتُنَــا لِــذَوِي الآمَــالِ[١٣٧٨] مُنْتَجَــعٌ

إِذَا الزَّمَــانُ نَــرَى كَــالعِيْرِ إِذْ عَرِمَــا[١٣٧٩]

[١٣٧٦] في الروسية: "أيّسَت"، وهو استخدام محلي دارج في المنطقة للفعل: "يأست".

[١٣٧٧] ما بين القوسين كله إضافة نوعية من البرلينية والروسية والطهرانية، وهو ساقط من الأصل وباقي النسخ المخطوطة والمطبوعة على أهميته.

[١٣٧٨] في البرلينية والروسية والطهرانية: "الحاجات".

[١٣٧٩] كانت في الأصل والبرلينية: "إذا الزمان يرى كالعير إذ عرما"، وما أثبتناه هو قراءة الروسية والطهرانية، وهو في البرنستنية مثله إلا قوله: "أو عرما"، وكانت قراءة الطبعة الأولى عنها لأنّ الروسية لم تكن لدينا، وقد وجدت قراءة الروسية هي الفضلى.

المنتجع: موضع النجعة، والعير: الحمار، وعرامه: عضاضه ومزاحه.[1380]

وَمَـا عَـدَدْتُ عَـشِيْراً مِـنْ مَنَاْقِبِنَـا
وَمَـنْ يَعُـدُّ ثَـرَىْ يَبْـرِيْنَ مُرْتَكِمَـا

المناقب: الفضائل، ويبرين أرض كثيرة الرمل[1381]، والمرتكم: الذي بعضه فوق بعض.

[1380] كذا كتبت في الرضوية الأصل والروسية، وفي البرلينية والطهرانية: "مراحه".

[1381] وفي البرلينية والروسية والطهرانية: "ويبرين أرضٌ معروفة بكثرة الرمل".

٨٧. وقال أيضاً يمدح الأمير أبا علي محمد بن مسعود بن أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي:[١٣٨٢]

[١٣٨٢] كذا وردت هذه المقدمة هنا، وقد تكررت القصيدة في المخطوطة الرضوية؛ في مدح الملك الأشرف بن العادل مع تعديل بعض أبياتها بما يتفق مع أحوال الممدوح في كلي الموضعين كما سنرى لاحقاً، ومن الواضح بحسب الأرقام التاريخية أنّ الشاعر قال هذه القصيدة أولاً في الملك الأشرف لأنه أراد السَّفر إليه في حرّان عام ٦١٧ كما في طرّة القصيدة اللامية التي مدح بها بدر الدين لؤلؤ ملك الموصل، فأخبر برحيله إلى دمياط لمحاربة الفرنجة، فلم تطاوع الشاعر نفسه أن يتبعه، فتحوّل إلى المُوصل ومدح ملكها بدر الدين في العام نفسه باللامية المذكورة.

ثم بعيد العام ٦٢٠ للهجرة أي بعد ثلاث سنوات ونيِّف من قوله لهذه القصيدة استطاع الأمير العُيوني محمد بن مسعود الممدوح هنا أن يحتل القطيف بعد حكمه للأحساء، وها هو الشاعر يأتيه في القطيف ويمدحه بالقصيدة نفسها التي أنشأها في الملك الأشرف، ولكن مع بعض الأبيات المضافة وتغيير ما يلزم فيها مما سنشير إليه في الموضع الثاني للقصيدة حيث إن الناسخ قد نسخها مرّتين دون أن يلتفت إلى ذلك، فجعلها هنا في ابن مسعود، وهناك في الملك الأشرف الذي قيلت فيه أولاً.

وفي الأحسائية والمدريدية: "وقال أيضاً يمدح الأمير محمد بن سنان، ويعرِّض بذكر الأمير محمد بن مسعود"، وهو غريب إذ لا ذكر فيها لمن أسميتاه بمحمد بن سنان، وفي الأزهرية: "وله يمدح الأمير أبا علي مسعود بن أحمد بن محمد بن الفضل"، والممدوح

أَنِــخْ فَهَــذِيْ قِبَــاْبُ العِــزِّ وَالكَــرَمِ

وَقِلْ، [1383] فَكُـلُّ العُـلاْ فِـيْ هَـذِهِ الخِـيَمِ

وَاعْـفِ النَّجَاْئِـبَ مِـنْ نَـصٍّ وَمِـنْ عَنَـقِ

فَقَـدْ بَلَغْـتَ مُلُـوْكَ العُـرْبِ وَالعَجَـمِ

فَمَــاْ وَرَاْءَ بَنِــيْ فَــضْلٍ فَتَطْلُبُــهُ

غِنَــىً لِــرَاْجٍ، وَلاْ عِــزٌّ لِمُهْتَــضَمِ

هُــمُ المُلُــوْكُ وَسَــاْدَاْتُ المُلُــوْكِ هُــمُ

وَمَــاْ رَبَــىْ المُلْــكُ إلاّ فِــيْ بُيُــوْتِهِمِ

وَقَــدْ نَزَلْــتَ بِأَسْــرَاْهُمْ وَأَنْــبَلِهِمْ

هو ابنه محمد.

وكتب في طُرَّة هذه القصيدة من الطبعة الهندية: "وقال أيضاً يمدح الأمير محمد بن أحمد بن محمد الفضل بن عبد الله العيوني"؛ سقط اسم والده مسعود، وهو مذكور في القصيدة.

[1383] فعل أمرٍ من " قال " أي نام وقت القيلولة.

عَلَى سَرَاوَتِهِمْ فِيْنَا وَنُبْلِهِمِ

فَانْظُرْ بِعَيْنِكَ هَذَا فَهْوَ سَيِّدُهُمْ

طُرّاً وَسَيِّدُ عَدْنَانٍ وَغَيْرِهِمِ

هَذَا الهُمَامُ[1384] عِمَادُ الدِّيْنِ أكْرَمُ مَنْ

يُدْعَى وَيُرْجَى وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمِ

هَذَا هُوَ المَلِكُ المَيْمُوْنُ طَائِرُهُ

هَذَا المُؤَمَّلُ، هَذَا كَاشِفُ الظُّلَمِ[1385]

هَذَا هُوَ المُخْجِلُ الأنْوَاءَ نَائِلُهُ

فَمَا بِشَائِمِهِ فَقْرٌ إلَى الدِّيَمِ

هَذَا هُوَ السَّالِبُ الجَبَّارَ مُهْجَتَهُ

[1384] كانت في الأصل " الإمام " ولا تصح، والتصحيح من الفيضية والعراقية٣.

[1385] في البرنستنية: " الغَمَم."

غَضْبًا وَتَارِكُهُ لَحْمًا عَلَى وَضَمِ

هَذَا الَّذِي لَوْ رَأَى قُسٌّ فَصَاحَتَهُ

لَقَالَ هَذَا لَعَمْرِي مَعْدِنُ الحِكَمِ

هَذَا الَّذِي لَوْ رَآهُ فِي جَلالَتِهِ

كِسْرَى لَفَدَّاهُ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ أَلَمِ

هَذَا الَّذِي لَوْ زُهَيْرُ الشِّعْرِ أَدْرَكَهُ

يَوْمًا لَعَدَّى إِلَيْهِ القَوْلَ عَنْ هَرِمِ

فَحَيِّهِ بَعْدَ تَقْبِيلِ الصَّعِيدِ وَقُلْ

أَهْلاً وَسَهْلاً بِمُحْيِي البَأْسِ وَالكَرَمِ

أَهْلاً بِسَيِّدِ أَهْلِ الأَرْضِ قَاطِبَةً

وَخَيْرِ أَمْلاكِ أَهْلِ الحِلِّ وَالحَرَمِ

أَهْلاً وَسَهْلاً بِمَنْ فِي نُورِ غُرَّتِهِ

غِنَىً عَنِ البَدْرِ لِلسَّارِيْنَ فِيْ الظُّلَمِ

أهْلاً بِهِ وَبِهَذَا اليَوْمِ إنَّهُمَا

إنْ فُوْضِلاْ أفْضَلُ الأيَّامِ وَالأمَمِ

وَكَبِّرِ اللّهَ وَاشْكُرْهُ لِذَاكَ وَقُلْ

اللّهُ أكْبَرُ، وَاسْجُدْ غَيْرَ مُحْتَشِمِ

للّهِ دَرُّ عِمَادِ الدِّيْنِ مِنْ مَلِكٍ

مَاْ فِيْهِ مِنْ كَرَمِ الأخْلاَقِ وَالشِّيَمِ

سَكِيْنَةٌ لَوْ سَرَتْ فِيْ البَحْرِ مَاْ اضْطَرَبَتْ

بِرِيْحِ عَادٍ أوَاذِيْهِ وَلاْ إرَمِ

وَهَيْبَةٌ لَوْ سُلَيْمَاْنُ النَّبِيُّ أتَى

بِهَاْ الشَّيَاْطِيْنَ أهْلَ المَسِّ وَاللَّمَمِ

لأوْغَلُوْا فِيْ البِنَاْءِ المُقْرَنِيْنَ لَهُ

وَالغَـوْصِ أَوْ تُبْعَـثُ المـَوْتَىْ مِـنَ الـرِّمَمِ

وَنَجْـــدَةٌ لَـــوْ لِلَيْـــثِ الغَـــاْبِ أَيْـــسَرُهَاْ

حَلَّ اليَفَـاْع[1386]، وَلَـمْ يَـسْتَذْرِ بـالأَجَمِ

مَلْـــكٌ حَمَـــىْ جَنَبَـــاْتِ المُلْـــكِ مُعْتَـــزِمَاً

بالـسَّيْفِ لاْ بيَـرَاْعٍ غَـطَّ فِـيْ حِمَـمِ[1387]

وَشَكْلَةُ الـسَّيْفِ أَمْـضَىْ فِـيْ العَـدُوِّ وَإِنْ

فُلَّـــتْ مَـــضَاْرِبُهُ مِـــنْ شَـــكْلَةِ القَلَـــمِ

مِـــنْ بَأْسِـــهِ تَـــذْهَبُ الفُرْسَـــاْنُ شَـــاْرِدَةً

شُـرُوْدَ سِـرْبِ القَطَـاْ مِـنْ أَجْـدَلٍ قَطِـمِ

كَـمْ سَـيِّدٍ فِـيْ ظَـلاْمِ النَّقْـعِ غَـاْدَرَهُ

شِـــلْوَاً بـــأَبْيَضَ أَوْ زَرْقَـــاْءَ كَالـــضَّرَمِ

[1386] في البرنستنية: " البقاع."

[1387] في البرنستنية: " جمم."

فِــيْ وَقْعَــةٍ صَــاْحَ فِيْهَــاْ مَــنْ نَجَــاْ هَرَبَــاً

يَــاْ خِــصْبَ عَاْمِــكَ لاْ هُنِّئْــتَ مِــنْ رَحِــمِ

فَالخَيْــلُ تَعْــرِفُ فِــيْ الهَيْجَــاْءِ صَــوْلَتَهُ

بحَيْــثُ يَأْخُــذُ سَــاْمِيْ النَّقْــعِ بــاْلكَظَمْ

فَمَــاْ أَحَــسَّتْ بِــهِ إلاّ انْثَنَــتْ هَرَبَــاً

وَنَكْهَــةُ الــذِّئْبِ لاْ تَخْفَــىْ عَلَــىْ الغَــنَمِ

كَمْ صَكَّ بالــسَّيْفِ – وَالأَبْطَــاْلُ جَاْئِلَــةٌ –

مِــنْ مُعْلِــمٍ فِــيْ نَــدِيِّ الحَــيِّ كَــاْلعَلَمِ

لَــمْ يَــشْكُلِ الخَيْــلَ مُــذْ جَاْلَــتْ بِــشِكَّتِهِ

إلاّ بِــشَعْرِ لِحَــىْ الأَبْطَــاْلِ وَاْللِّمَــمِ

لَقَــدْ زَهَــتْ خُطَــطُ البَحْــرَيْنِ وَافْتَخَــرَتْ

بِــهِ عَلَــىْ مَــأْرِبٍ فِــيْ الأَعْــصُرِ القُــدُمِ

بعَدْلِــهِ وَالــدَّمِ المُهْــرَاْقِ حَـــصَّنَهَاْ

وَلاْ يَقُــــــرُّ دَمٌ إلاّ بـــــــسَفْكِ دَمِ

للّهِ حَـــدْسُ أبِيْــــهِ[1388] إذْ تَأَمَّلَـــــهُ

فِـيْ المَهْـدِ لَمَّـاْ يُبِــنْ عَـنْ لاْ وَلاْ نَعَـمِ

قَــدْ قَــاْلَ وَهْــوَ يُنَاْغِيْــهِ لأُسْــرَتِهِ

ثِقُــوْا بــأَبْلَجَ عَــاْلِيْ الــذِّكْرِ وَالهِــمَمِ

أعْطَــىْ اللُّهَــىْ وَعَلَــتْ فِــيْ المَجْـدِ هِمَّتُــهُ

قَبْـلَ اخْتِطَـاْطِ[1389] عِـذَاْرٍ واثّغَـاْرِ فَـمِ

وَقَاْدَهَـــاْ لِتَمَـــاْمِ العَـــشْرِ تَحْـــسَبُهَاْ

آذِيَّ بَحْـــرٍ زَفَتْـــهُ الــرِّيْحُ مُلْـــتَطِمِ

[1388] كانــت في الأصــل: " حــدسٌ أتــاه " والتــصحيح مــن البرنستنية والعراقية٣.

[1389] كانت في الأصل: " اختطاف " وأصلحناها من البرنستنية والعراقية٣.

وَدَاْسَ كُـــلَّ بـــلاْدٍ لِلْعَـــدُوِّ بِهَـــاْ

دَوْسَ الأَمَـاْنِيِّ مَـاْ يُجْلَـىْ مِـنَ الأَدَمِ[1390]

وَمَـاْ أَلَـمَّ إِلَـىْ أَنْ لَـمْ يَـدَعْ مَلِكَـاْ[1391]

لَـهُ بِهَـاْ مِـنْ حِمَـىً حَـاْمٍ وَلاْ حَـرَمِ

أَعْطَتْـــهُ مَمْلَكَـــةَ الأَحْـــسَاْءِ هِمَّتُـــهُ

[1390] سوف يمرّ بنا قراءة أخرى لهذا البيت في القصيدة المكررة في مدح الملك الأشرف الأيوبي، وصورة البيت هناك:

فـــداس كـــلَّ بـــلاد للعـــدوّ بهـــا

دوس اليمـــانيّ مـــا يُجْلـــى مـــن الأدم

والظاهر أنّه يريد بالأمانيّ هنا أمانيّ الكركم أو الزعفران (لسان العرب مادة: ك ر ك م)، فكأنه أراد أنّ ممدوحه داس كلّ بلدان العدوّ فصبغها من دمائهم كما يدوس صابغ السجاد على السّجاد برجليه بعد أن يضعهما في الكركم أو الزعفران لصبغ السجاد بها، والله أعلم.

[1391] كانت قراءة هذا الشطر في الأصل:

"وما ألمّ إلى أن يدع ذا ملكاً"

والتصحيح من الأحسائية.

وَعَـزْمُ مُسْتَبْـصِرٍ بِـالرَّأيِ غَيْـرِ عَـمِ

فَـإنْ يَقُوْلُـوْا اخْتِيَـاْرَاً كَـاْنَ ذَاْكَ فَهَـلْ

يُخْتَـاْرُ لِلضَّرْبِ غَيْـرُ الصَّاْرِمِ الخَـذِمِ

فَغَيْـــرَ لأْيٍ وَزَجَّاْهَـــاْ مُلَمْلَمَـــةً

تُـدَاْفِعُ السَّيْلَ سَـيْلَ اليَـاْمِنِ العَـرِمِ

فَمَـاْ أَنَاْخَـتْ إِلَــىْ أنْ غَـاْلَ عِثْيَرُهَـاْ

مَاْ شِيْدَ بِـ (الخَطِّ) مِنْ حِصْنٍ وَمِـنْ أُطُـمِ

وَمَـاْ نَـضَاْ الـدِّرْعَ حَتَّـىْ حَـاْزَ حَوْزَتَهَـاْ

قَهْرَاً، وَآخَىْ بِهَاْ (الأَحْـسَاْءَ) مِـنْ أَمَمِ[1392]

وَلَــوْ يَمُـدُّ إِلَــىْ (هُرْمُــوْزَ) مِنْــهُ يَــدَاً

[1392] هـذا البيـت والـذي قبلـه يـدلُّ علـى أن الأمـير محمـد بـن مسعود كان أميراً على الأحساء في بداية الأمر ثم احتلَّ بعد ذلك القطيف.

و (خَارِكٍ)[1393] لَمْ يَمُدَّا كَفَّ مُعْتَصِمِ

يَـا آلَ فَضْلِ أَمَاتَ اللّٰهُ حَاسِدَكُمْ

بِغَيْرَةٍ[1394] وَكَفَاكُمْ زَلَّةَ القَدَمِ

كَمْ يَمْضَغُ الدَّهْرُ فِيمَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ

لَحْمِي وَيَشْرَبُ شُرْبَ الهِيمِ فَضْلَ دَمِي

أَفِي المُرُوءَةِ أَنْ أَظْمَى وَحَوْضُكُمُ

لِلْكَلْبِ وَالذِّئْبِ وَالخِزَّانِ[1395] وَالبَهَمِ

وَيُصْطَفَى مَنْ أَبُوهُ كَانَ عَبْدَ أَبِي

[1393] في الطبعة الهندية وردت: " حالك " وهو خطأ، وخارك جزيرة في الخليج الفارسي لا زالت حتى اليوم معروفة، وهي اليوم تابعة لإيران، تسمى خارك وخَرْج أيضاً – مع نطق الجيم يمانية – وهرموز هي جزيرة هرمز المعروفة في الخليج الفارسي، والواقعة بين عُمان وإيران في المضيق المعروف باسمها مضيق هُرمز.

[1394] في البرنستنية: " بغيظه " وهي قراءة جيدة.

[1395] الخِزّان: ذكر الأرنب.

دُوْنِـيْ، وَيُقْطَـعُ فِيْمَـا بَيْـنَكُمْ رَحِمِـيْ

حَاشَـا ابْـنَ مَـسْعُوْدٍ الْمَلْـكَ الْمُعَظَّـمَ أنْ

أَجْفَى وَتَقْنَى[١٣٩٦] بَنُـوْ الـدَّايَاتِ وَالْخَـدَمِ

فَتَــىً نَمَـاهُ إِلَـى الْعَلْيَـاءِ كُـلُّ فَتَــىً

حَـامِيْ الـذِّمَارِ وَفِـيُّ الْعَهْـدِ وَالـذِّمَمِ

مَنْ مِثْـلُ مَـسْعُوْدٍ الْقَـرْمُ الْهُمَـامُ، وَمَـنْ

كَأَحْمَـدَ الْمُرْتَجَـى فِـيْ الْبَـأْسِ وَالْكَـرَمِ

وَمَـنْ يُبَـارِيْ ابْـنَ فَـضْلٍ فِـيْ مَكَارِمِـهِ

أَبَـا سِـنَانٍ غِيَـاثَ النَّـاسِ فِـيْ الْقُحَـمِ

وَخَيْـرُ (قَـيْسِ بْـنِ عَـيْلاَنٍ) خَؤُوْلَتُـهُ

[١٣٩٦] كـان في الأصـل: "وتعفـى"، والتـصحيح مـن البرنـستنية والأحسائية، وفي القاموس: القنوة: الكسب، وتقنى الرجل اكتفى بنفقته.

فَمَــنْ بَغَــىْ الفَخْــرَ فَلْيَفْخَــرْ بِمِــثْلِهِمِ

قَوْمٌ أَبُوْهُمْ سِنَاْنٌ[1397] خَيْرُ مَنْ[1398] حَمَلَتْ

أُنْثَــىْ وَمَــاْ قَاْدَهَــاْ تَخْتَــاْلُ فِــيْ اْلُلُجُــمِ

يَــاْ بَــاْ عَلِــيٍّ أَجِــبْ مِــنْ غَيْــرِ نَأْنَــأَةٍ[1399]

صَوْتَ امْــرِءٍ فِــيْ عُلاْكُــمْ غَيْــرَ مُــتَّهَمِ

إِلَيْــكَ شَــدَّاْ مِــنَ الأَحْــسَاْءِ أَنْهَــضَنِيْ

عَزْمُ المُلُوْكِ، وَحَظٌّ غَيْــرُ ذِيْ كَــشَمِ[1400]

[1397] مرّ التعريف بسنان هذا، وهو سنان بن غفيلة، راجع الفهارس العامة.

[1398] كانت في الأصل: "ما"، وهي لغير العاقل، والتصحيح من الأحسائية.

[1399] النأنأة: العجز والضّعف، وفي بعض النسخ: " تأتأة "، والتأتأة: ترديد حرف التاء في الكلام.

[1400] وهذا البيت يدلُّ على أنه قالها في القطيف بعد أن ضمها الممدوح إلى الأحساء.

وَقَـــدْ تَحَقَّقْــتُ أنَّ الرُّشْـــدَ يَـــصْحَبُنِي

فَمَــا أحَــاْذِرُ قَــرْعَ الــسِّنِّ مِــنْ نَــدَمِ

كَــمْ جُبْــتُ دُوْنَــكَ مِــنْ تِيْــهٍ يَتِيْــهُ بِهَــا

قَلْــبُ الــدَّلِيْلِ مِــنَ الإِشْــفَاْقِ وَالــسَّأَمِ

وَمُزْبِـــدٍ يَتَـــرَاْءَىْ المَـــوْتَ رَاْكِبُـــهُ

يَرْمِـــيْ بِمُغْلَوْلَـــبِ الأَمْـــوَاْجِ مُـــرْتَطِمِ

قَــدْ قُلْــتُ لِلــنَّفْسِ فِيْــهِ وَهْــيَ مُجْهِــشَةٌ

وَالمَــوْجُ مِــنْ هَــاْزِمٍ فِيْـــهِ وَمُنْهَـــزِمِ

قِـــرِّيْ فَـــإِنْ شَـــاْءَ أَمْـــرًا فَهْـــوَ بَاْلِغُـــهُ

وَالمَـــوْتُ آتٍ، وَمَـــاْ تَلْقَـــيْنَ كَـــالحُلُمِ

وَمَـــنْ تَكُـــنْ صُـــحْبَةُ الأَمْـــلاْكِ هِمَّتُـــهُ

مَضَىْ عَلَىْ الهَوْلِ مَمْـضَىْ النَّـاْزِلِ الـسَّدِمِ

وَغَيْـــرُ مُـــسْتَنْكَرٍ لَـــوْ زُرْتُ حَـــضْرَتَهُ

سَعْياً عَلَىْ الرَّأسِ لاْ سَـعْياً عَلَـىْ القَـدَمِ

وَقَدْ بَلَغْتُ وَمَاْ فِـيْ المَـاْلِ مِـنْ ضـففٍ[1401]

وَقَدْ دَعَوْتُ وَمَاْ فِيْ الـسَّمْعِ مِـنْ صَـمَمِ

وَهَاْأَنَـاْ اليَـــوْمَ يَـاْ خَيْـرَ المُلُـوْكِ أَنَـاْ

وَأَنْـتَ أَنْـتَ وَشَـيْءٌ قَـطُّ لَـمْ يَـدُمِ

وَلَـــيْسَ إلاّكَ نَـــدْعُوْهُ وَنَنْدُبُـــهُ

لِمَـاْ يُقَاْبِلُنَـاْ مِـــنْ دَهْرِنَـاْ الحَطِـمِ

فَـــلاْ خَلَـتْ مِنْـكَ آفَـاْقُ الـبِلاْدِ وَلاْ

خَلَـوْتَ مِـنْ نِعَـمٍ تَـأْتِيْ عَلَـىْ نِعَـمِ

[1401] الـضَّفَف مـن معانيهـا: القِلّـة. انظـر لـسان العـرب لابـن منظور مادة (ض ف ف).

٨٨. وقال أيضاً يمدح الشيخ الأجل أبا أحمد[١٤٠٢] علي بن أحمد بن عزيز بن إبراهيم بن عزيز – أبي[١٤٠٣] جروان – بن سعيد بن عتاب[١٤٠٤] أحد بني أبيرق[١٤٠٥] عمرو بن عبد الله بن مالك بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وبينهما يومئذٍ مودّة وصداقة وخلطة ووشيجة رحِم ماسّة لأن أم أبيه أحمد بن عزيز وأم عبد الله بن عزيز والد إبراهيم بن عبد الله ابنة أحمد بن عبد المجيد[١٤٠٦] ابنة عمة الذيب بن كليب جدّ هذا المادح لأمه.[١٤٠٧]

[١٤٠٢] في البرنستنية: " أبي محمد بن علي بن أحمد ..."

[١٤٠٣] في الظاهرية: "بن" بدلاً من "أبي"، وفي القصيدة "أبو جروان".

[١٤٠٤] كذا في الأصل والبرنستنية والطهرانية، وفي البريطانية والظاهرية: " غياث ".

[١٤٠٥] في البريطانية: " إبريق " وهو خطأ، وكانت في الرضوية الأصل: "بن أحد بني أبيرق"، وفي البرنستنية: "أحد بني أبيرق" من دون لفظة "بن"، فأثبت هذه الأخيرة لسلامتها.

وبنو أَبَيْرِق هؤلاء سبق وترجمنا لهم.

[١٤٠٦] في البرنستنية: "ابنة أحمد بن عبد الله بن عبد الحميد".

[١٤٠٧] ومراده من هذه الفذلكة أن يقول: إنّ جدة الممدوح لأبيه، وهي ابنة أحمد بن عبد المجيد تكون ابنة عمّة جدّ الشاعر لأمّه، وهو الذيب بن كليب، والذيب بن كليب هذا من بني حنيفة من اليمامة، فقد مرّ بنا في قصيدة دالية للشاعر قوله فيها:

رُوَيْـــدَاً بَعْـــضَ نَوْحِـــكَ يَـــاْ حَمَـــاْمُ

أَجِـــدَّكَ لاْ تُنِـــيْمُ وَلاْ تَنَـــاْمُ؟

كـل شـيء تقـول فيـه رويـداً فمعنـاه اجعلـه علـى هيئتك[١٤٠٨] ولا تشدد فيه، والنوح: البكاء، يقال ناح ينوح نوحاً ونياحاً، والاسم النياحة، ويقال للشيء المتدلي إذا تحرك تنوّح تنوحاً، والحمام عند العرب ذات الأطواق

فَمَـــاْ وَلَـــدَتْنِيْ حَاْصِـــنٌ (حَنَفِيَّـــةٌ)

(عَبْدِيَّـــةٌ) تَـــسْمُوْ إِلىْ الحَـــسَبِ الجَـــزْلِ

وكـل الـذي ورد في طرة هـذه القـصيدة مـن النسخة الأحسائية هـو: "وقـال أيـضاً يمـدح عليـاً يقـول"، وفي طرة المدريديـة: "وقـال أيضاً شعراً"، وفي الأزهريـة: "ولـه يمـدح أبـا أحمد بـن علـي"، وفي طرَّة الطبعة الهندية:

" وقال أيضاً يمدح الأجلّ أبا أحمد علي بن أحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن غرير العُيوني".

وفيـه نقـص وخطـأ، فهـذا الممـدوح لـيس مـن العُيـونيين، والقصيدة من دون شرح في هذه الطبعة.

[١٤٠٨] كـذا وردت في الأصـل، وفي البرنـستنية: " علـى هنيتـك " وفي البريطانيـة: " هينـك " ولعـل المـراد " هونـك " وهـو الـصحيح لمعنى كلمة رويدك هنا.

كالفواخت والقماري وساق حرٍّ[1409] والقطا والوراشين ـ واحدها ورشان ـ واشباه ذلك تقع على الذكر والأنثى لأن الهاء إنما دخلته لأنه واحد من جنس لا للتأنيث، وعند العامة أنها الدواجن فقط الواحدة حمامة، ويقال للدواجن التي تستفرخ في البيوت حمام أيضاً، « ويسمى الذكر منه حمام »[1410]، قال الشاعر:[1411]

.... حمــامي قفــرةٍ وقعــا فطــارا

وقال آخر:[1412]

فــذكرني الــصبا بعــد التنــائي حمامــة أيكــةٍ تــدعو حمامــا

وأجدّك وجدّك بمعنى، ولا يتكلم به إلا مضافاً قيل معناه أبجدٍّ منك هذا؟ وقيل معناه أجدًّا منك هذا؟ وأنام هو وأنامه غيره فهو نائم، والجمع نيام، وجمع النائم نوّم على الأصل، ونِيَّم[1413] على اللفظ، وليل نائم أي يُنام فيه.

[1409] كانت في الأصل: " حزّ " والتصحيح من البرلينية. وهو مطابق لما في لسان العرب مادة (ح ر ر).

[1410] ما بين القوسين من البرنستنية.

[1411] هو الفرزدق، انظر اللسان مادة (ح م م).

[1412] هو جران العود، انظر اللسان المادة السابقة نفسها.

[1413] كانت في الأصل: " نمّ " والتصحيح من البريطانية.

أَكُــلَّ الــدَّهْرِ تَــذْكَارًا وَنَوْحَــا ؟

أَمَــا فِنِــيَ اشْــتِيَاقُكَ وَالغَــرَامُ ؟

الاشتياق: الشوق، وهو نزاع النفس، والغرام: الحزن، والغرام: الولوع بالشيء، وأغرم بالشيء: أولع به.

هَتَفْتَ فَهِجْتَ لِيْ شَجْوًا[١٤١٤]، فَقُلْ لِيْ

حَمَــامٌ أَنْــتَ وَيْحَــكَ أَمْ حِمَــامُ ؟

هتفت أي نحت، والهتف: الصوت، وهتف أي صاح، والشجو: الهم والحزن، وتهييجه: تحريكه، والحِمام: الموت.

وَرِفْقَــا إِنَّ جَــارَكَ - مِــنْ غَــرَامٍ

وَمِــنْ قَلَــقٍ - لَيُؤْلِمُــهُ الكَــلَامُ

أَتَــذْكُرُ هَالِكَــا مِــنْ عَهْــدِ نُــوْحٍ

[١٤١٤] كانت في الأصل: " شوقاً " والتصحيح من البريطانية والبرنستنية، ولأنه ذكرها في الشرح بعد قليل.

مَـــضَىْ وَالـــدَّهْرُ حِيْنَئَـــذٍ غُـــلامُ ؟

القلق: الهمّ، ويؤلمه أي يوجعه، والألم: الوجع، يعني بالهالك من عهد نوح فرخاً كان على عهد نوحٍ ﷺ فصاده بعض الجوارح، فليس من حمامة إلاّ تبكي له، وكان ذلك الفرخ يسمّى هديلاً، وهذا من أحاديث العرب.

وَأُنْـــسَىْ خُلَّتِـــيْ وَالعَهْـــدُ مِنَّـــاْ

قَرِيْـــبٌ لَـــمْ يَمُـــرَّ عَلَيْـــهِ عَـــاْمُ

الخلّة: الخليل -بالضم- يستوي فيه المذكر والمؤنث، ويجمع على خلال مثل قلة وقِلال، والعهد: الالتقاء.

سُـــقِيْتَ وَلاْ شُـــقِيْتَ بفَقْـــدِ إِلْـــفٍ

فَـــنِعْمَ العَهْـــدُ عَهْـــدُكَ وَالـــذِّمَاْمُ

سقيت من السقيا، هذا دعاء له بالخصب والأمن، والعهد هاهنا الحفاظ، والعهد: الذمة، والعهد: الوصية، ويسمى الموْثِق عهداً، وكذلك اليمين، وكذلك الأمان، والإلف: الأليف، والذمام: الحرمة والوفاء.

وَلَكِنّـــيْ أَرَاْكَ ضَـــنِيْنَ عَـــيْنٍ

وَعَيْنِـــيْ مَاؤُهَـــاْ أَبَـــدَاً سِـــجَاْمُ

الضنّ هو البخل، وسجام أي سائل، وسجم الدمع سجوماً وسجاماً سال، وسجمت العين دمعها.

رَعَـــىْ اللهُ (الثُّلَـــيْمَ)[1415] وَسَـــاْكِنِيْهِ

وَأَجْرَاْعَـــاً تَكَنَّفَهَـــاْ الـــثِّلاْمُ

[1415] كذا في الأصل وباقي النسخ، وفي الفيضية والمدريدية: "الكثيب"، وفي الأحسائية: "الكتيْب"، وكل هذه المسميات: "الثليم" و"الكثيب" و"الكتيب" توجد في الأحساء، فالكثيب هو كثيب الجرعاء من الأحساء، فقد ذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب أنّ سوق بني سعد من تميم كانت تقام على كثيب تتبايع عليه العرب يسمى الجرعاء (صفة جزيرة العرب ط. دار اليمامة ١٩٧٤م؛ الصفحة ٢٨١)؛ كما ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان؛ في رسم (الجونان) أنّ الجونين قَرْيَةٌ مِنْ نَوَاْحِيْ البَحْرَيْنِ قُرْبَ عَيْنِ مُحَلِّمٍ دُوْنَهَاْ الكَثِيْبُ الأَحْمَرْ، والكثيب الأحمر هذا لا زال موجوداً في الأحساء حتى اليوم، وتسمى المنطقة التي هو فيها الآن بـ(الحميراء)، وهو كثيب يقع في منتصف قاعدة لسان المحيرس بالقرب من قلعة المحيرس المعروفة للشمال الشرقي منها مباشرة، وأما الكتيب الوارد في النسخة الأحسائية، فهو موضع قرية قديمة تقوم على أنقاضها اليوم قرية المركز من قرى العُمران الجنوبية بالأحساء، ولا زال أهالي هذه القرية يعرفون الاسم القديم، وهم ينطقونه الكُتَيِّب بالتصغير، وأما الثليم فسوف أحدده بعد قليل.

الثُّليم: « اسم »[١٤١٦] محلة بالأحساء، وبها أهله وداره،[١٤١٧] والثّلام: مكان بظاهر البلد من دونه إلى البلد

[١٤١٦] ما بين القوسين من البرنستنية.

[١٤١٧] يُطلق مسمى الثُّلَيْم الآن على جبيلٍ صغير يقع غرب واحة العُيُون، ويمرُّ به الطريقُ المؤدي إلى الدمام، فحين يكون مركز واحة العُيُون على يسار القادم من الدمام على هذا الطريق يكون على يمينه جبيلٌ صغير هو الثُّلَيْم، ولكن يبقى الإشكال في قول الشارح هنا إنّ الثليم اسمُ محلّة من الأحساء وليس جبلاً؛ كما أكد كونها محلّة بقوله إنّ بها أهل الشاعر وداره، وقد مرَّ بنا في شرح القصيدة البائية التي مطلعها:

خذوا عن يمين المنحنى أيها الركبُ

ثم في شرح قوله فيها:

عَــنِ الحَــيِّ بالجَرْعَــاءِ هَــلْ رَاْقَ بَعْــدَنَا
لَهُــمْ ذَلِــكَ المَرْعَــىْ وَمَــوْرِدُهُ العَــذْبُ
وَهَــلْ أَيْنَــعَ الْـوَاْديْ الـشَّمَاليُّ واكْتَـسَتْ
عَثَاْكِيْــلَ قُنْــوَاْنٍ حَدَاْئِقُــهُ الغُلْــبُ ؟

أن الجرعاء محلة بالأحساء معروفة، وبها منزل أهل الشاعر من الشمال، والوادي يعني به قريةً من سواد الأحساء تسقيها عينٌ تُسمى بالسُّحَيْميّة، وبتلك القرية أكثر أملاكه المغصوبة، أفليس هذا متناقض مع قوله هنا إنّ داره وأهله بمحلة الثُّليم، والجواب هو إنه لا تناقض في ذلك وفق نظريتين أولاهما هو أن يكون الصحيح في إنشاد البيت بـ(الكثيب) وليس بـ(الثليم) كما في

النسختين الفيضية والمدريدية أي أن يكون إنشاد البيت هكذا:

رعـــــى الله الكثيـــــب وســـــاكنيه

وأجراعـــــاً تكنفهـــــا الــــــثلامُ

وبما أنني أوضحت أنّ هذا الكثيب هو كثيب الجرعاء، فقد انتفى التناقض بين قول الشارح هنا وبين قوله في الأبيات البائية الفائتة لأنّه قالها في الجرعاء أيضاً، فيكون بيت الميمية مكمّل لأبيات البائية، ويزيدها توضيحاً في أنّ منزل الشاعر في الجرعاء كان قرب هذا الكثيب المعروف، وهذا ما أرجحه.

وأما على النظرية الثانية، فإنه لو صح أن الرواية في بيت الميمية هو (الثليم) وليس (الكثيب)، فيكون التوجيه هو أنّ تلك المنازل التي ذكرها بالقرب من الجرعاء والسحيمية هي منازل أهله التي ولد وتربى فيها إلى أن غصبها منه الأمير محمد بن ماجد، ثم أعطاها للبدو، فلم تعد للشاعر، وكان لا بد والحال هذه أن يتخذ الشاعر له مسكناً جديداً في الأحساء، فيبدو أنه اتخذ محلة الثليم هذه ليسكنها بعد أنْ يئس من استرداد منزله القديم في الجرعاء، فتشوق إليها في هذه القصيدة لوجود أسرته فيها.

وامَّا الثّلام فلم أعرف موضعه، ولكن يوجد في الأحساء الآن موضع ذكره لي الحاج أبو علي حسين بن أحمد الموسى من أهالي قرية جليجلة، وأخبرني أنه يُسمى الثَّلْمة، وهو الموضع الواقع بين جبلي الشعبة والبريقة اللذين هما جبلٌ واحدٌ تفصل بينهما هذه الثلمة مكونة ما يشبه الطريق بينهما، وبالقرب من هذا الموضع عين ماءٍ قديمة تدعى عين ابن جروان، ويبدو من وصف الشارح للثَّلام أنّه يقع في مكان برّي نزه ذي رمال نقية يقع خارج نطاق بساتين النخيل الكثيفة بحيث أنّ الأهالي كانوا يخرجون إليه أيام

أجاريع[١٤١٨] رمل يخرج أهل البلد إليها في الأعياد، وفيها يكون مواكبهم وصلاة ملك البلد العيدين، وتخرج النساء والجواري والغلمان للفرجة وإظهار الزينة في كل عيد ثلاثة أيام، وقوله تكنفها الثلام أي يحيط بها.

وَجَادَ مِنَ (الحَدِيْدِ)[١٤١٩] إلَىْ (المُصَلَّىْ)

الأعياد للنزهة والفرجة، وينطبق هذا الوصف على هذا الموضع المسمى بالثَّلمة، ففيه هذان الجبلان البديعان أعني جبل الشعبة وجبل البريقة ومن ورائهما للشرق موضع جواثى القرية التاريخية المعروفة، وتكثر في ذلك الموضع أجاريع الرّمال وكثبانها، وهو مكان نزه جداً لا زال أهالي الأحساء يقصدونه للرحلات ولاسيما في أيام الأعياد للترويح والتنزّه حتّى يومنا هذا، فإذا أضفنا إلى هذا التشابه المكاني بين (الثَّلام) المذكور في الشعر وبين (الثَّلمة) ذلك التشابه اللفظي الكبير بينهما، فإنه من السائغ القول إنّ الثَّلام هو الثلمة نفسه، والله أعلم.

[١٤١٨] في البريطانية والبرنستنية: " أجارع ".

[١٤١٩] هكذا كتبت: "الحديد" بحاء مهملة في الرضوية الأصل في البيت وشرحه، وكذلك هو في الشعر من النسخة المدريدية غير المشروحة، والقصيدة ساقطة من البرلينية والروسية والطهرانية، وأما في البريطانية والبرنستنية والعراقية٢ والظاهرية والأحسائية والأزهرية والبرلينية٢: فقد كُتب فيها "الجديد" في الشعر، وفي شرحه بالنسبة للأولين، وهو كذلك في الطبعة الهندية في البيت، وهو غير مشروح فيها، وفي الفيضية: "الجريد".

إِلَــىْ (الحِــصْنَيْنِ) وَكَّــافٌ رُكَــامُ

جاد من الجود، وهو المطر، ووكف الغيث قطر، والركام: السحاب المتراكم، وارتكم الشيء وتراكم إذا اجتمع، وركمته أنا إذا ألقيت بعضه فوق بعض، والحديد: موضعٌ هناك، وكذلك المصلى[1420]، والحصنان: سورا البلد.

وكان يوجد في الأحساء: (الحديد) بالحاء المهملة، وهو موضعٌ كان يقع قبالة باب من أبواب حصن المدينة كان يُسمى بالاسم نفسه، وقد سبق وذكره الشارح في الميمية؛ في شرح البيتين:

فِعَــاْلُ آبَــاْئِهِمْ (يَــوْمَ الــرُّكَيْنِ) وَمَــنْ
يُــشْبِهْ أَبَــاْهُ فَــلاْ وَاللهِ مَــاْ ظَلَمَــاْ

إِذْ طَيَّــرَ التَّــلَّ يَــوْمَ القَــصْرِ كَــرُّهُمُ
عَلَــىْ الأَعَــاْجِمِ حَتَّــىْ بَــاْدَ بَيْنَهُمَــاْ

وأما (الجديد)، فلا أعرف في الأحساء موضعاً بهذا الاسم، وربما يوجد فيها، وقصر علمي عنه.

[1420] يوجد إلى الشمال الغربي من قرية البطالية غير بعيد عنها بمسافة كيلو متر واحد تقريباً موضعٌ يُسمى المُصَلَّى لعله هذا الموضع، وسوف يذكر الشاعر لاحقاً جرعاء المُصَلَّى، وإنما أراد بها الجرعاء التي فيها مصلى العيد، فسمّاها جرعاء المصلى، وليس هو اسمٌ أصلي لها.

ويبدو أنه أراد بالحصنين؛ سور البلد وسور العطيفة المتقدم.

فَمَسْرَحُ لَذَّتِيْ وَمُرَاحُ فِكْرِيْ[1421]

هُنَالِكُمُ وَجِيْرَتِيَ الكِرَامُ

المسرح: المكان الذي تسرح منه الماشية، والمراح ـ بالضم ـ الذي تأوي إليه بالليل، والمراح ـ بالفتح ـ الموضع الذي يروح فيه القوم أو يروحون إليه، واللهو: اللعب، وقد يكنى باللهو عن الجماع، وقول الله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً ﴾[1422] قالوا امرأةً وقالوا ولداً، وهنالكم يقال للتبعيد واللام زائدة، والكاف للخطاب، وفيها دليل على التبعيد يفتح للمذكر ويكسر للمؤنث، وهنا وهاهنا للتقريب إذا أشرت إلى مكان، وهناك وهنالك وهناك أي هناك[1423]، وقول الشاعر:[1424]

حنّت نوار ولات هنّا حنت

يقول: ليس هذا موضع حنين، ويقال في النداء خاصة

[1421] في البريطانية والظاهرية والفيضية والبرنستنية: " لهوي ".

[1422] الانبياء: من الآية١٧

[1423] كذا وردت، وفي اللسان: وهنا وهاهنا للتقريب إذا أشرت إلى مكان، وهناك وهنالك للتبعيد.

[1424] هو جحل بن نضلة، وكان سبى النوار بنت عمرو بن كلثوم، انظر لسان العرب مادة (هـ ن ا).

يا هناة بزيادة هاء في آخره تصير تاءً في الوصل، معناه يا فلان، وهو بدل من الواو التي في هنوكٍ وهنوات، ويسمى اللهو واللعب هَنَا، قال الشاعر:[1425]

وحديث الرّكب يومَ هنَى وحديث ما على قصره

وَمَلْعَبُ كُلِّ غَانِيَةٍ كَعَابٍ
مُخَدَّمَةٍ يَزِيْنُ بِهَا الخِدَامُ

الغانية من النساء التي غنيت بحسنها وجمالها، والكعاب التي كعب ثديها أي نهد، ومخدمة يحتمل أن يريد أنها ذات خدم يخدمونها، ويحتمل أن يريد أنها ذات خدام، والخدام جمع خدمة، وهو الحلقة كالخلخال والسوار وغيرهما.

يَرَاهَا القَابِسُ العَجْلانُ لمَحاً
فَيَبْقَى لا وَرَاءٌ وَلا أَمَامُ

القابس: الذي يقبس النار، فيقال قبست منه ناراً أقبس قبساً، وأقبسه: أعطاه قبساً، والقبس: شعلة من

[1425] هو امرؤ القيس، انظر معجم ما ستعجم للبكري رسم (هنى)، وهو في اللسان له أيضاً، انظر مادة (ه ن ا).

نار، وكذلك المقباس[١٤٢٦]، يقال قبست منه ناراً واقبست، واقتبست منه عِلماً أيضاً استنفدته، والعجلان: الذي على عجلة، واللمح: النظر الخفيف، يقال لمحه، والمحه إذا أبصره بنظر خفيف، ولمح البرق والنجم إذا لمع، وقولهم لأرينك لمحاً باصراً أي أمراً واضحاً، وقوله: "لا وراء ولا أمام" أي بهت فوقف مكانه لا يتأخر ولا يتقدم مما وقع معه من الدهش.

وَتُرْسِلُ مِنْ لَوَاحِظِهَا سِهَامَاً
فَتَمْضِي حَيْثُ لا تَمْضِي السِّهَامُ
مَضَى ذَاكَ الزَّمَانُ، فَلَيْتَ أَنِّي
صَدَىً مِنْ قَبْلِ مَمْضَاهُ وَهَامُ

اللواحظ: العيون، والسهام كناية عن النظر، وقوله: "صدىً وهام" أي قد مُتُّ فدُفنت، وقوله للرجل: أصمّ الله صداه أي أهلكه، لأن الرجل إذا مات لم يسمع الصدى منه شيئاً فيجيبه، والصَّدى « والصُّدى »[١٤٢٧]: هو الذي

[١٤٢٦] كانت في الأصل: " المقابس " والتصحيح من البرنستنية.

[١٤٢٧] ما بين القوسين من البرنستنية.

«يجيبك»[١٤٢٨] بمثل صوتك في الجبال وغيرها، والصّدى أيضاً هو الهامة من طير الليل، وكانت العرب تزعم أن روح « القتيل »[١٤٢٩] الذي لا يدرك بثأره تصير هامةً فتزقو تقول: اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت.

وَأَسْلَمَنِي الشَّقَاءُ إِلَى زَمَانٍ

مَصَائِبُهُ كَمَا انْهَلَّ الغَمَامُ

أسلمني أي سلّمني، يقول: أسلم أمره إلى الله أي سلّمه، وأسلمت الرجل: خذلته، والغمام: السّحاب، الواحدة غمامة، وانهلّ إذا سال منه المطر يصف كثرة المصائب بالمطر الشديد.

نَهَارُ لا أُسَرُّ بِهِ وَلَيْلُ

يَنَامُ بِهِ السَّلِيْمُ وَلا أَنَامُ

لا أُسرّ: لا أفرح به، والسّليم: اللذيغ، وسمّي «سليماً»[١٤٣٠] تفاؤلاً « له »[١٤٣١] بالسلامة.

[١٤٢٨] ما بين القوسين من البريطانية والبرنستنية.

[١٤٢٩] ما بين القوسين من البريطانية والبرنستنية.

[١٤٣٠] ما بين القوسين من البريطانية.

تَلاعَبُ بِيْ خَوَاطِرُ مِنْ هُمُومٍ

كَمَا لَعِبَتْ بِشَارِبِهَا المُدَامُ

الهموم: الأحزان واحدها همّ، وخواطرها: ما يخطر منها بقلبه، وخطر الشيء ببالي يخطر -بالضم- خطوراً[1432] تحرّك واضطرب، وتلاعبها به أن يدفعه همٌّ إلى همّ، والمدام: الخمر، يقول: إنه من كثرة الهموم التي تخطر بقلبه[1433] تغيّر حسنه كالسكران.

إِذَا مَا قُلْتُ أَهْجَعُ بَعْضَ لَيْلِي

أَتَتْ ذِكَرٌ يُقَضُّ لَهَا المَنَامُ

الهجوع: النوم، وهجع: نام، والذكرة والذكرى كله بمعنى، وهو نقيض النسيان، قال الشاعر:[1434]

[أنى][1435] ألمّ بك الخيال تطوف ومطافه بك ذكرةٌ وشغوف

[1431] ما بين القوسين من البرنستنية.

[1432] في البريطانية: " خَطْراً ".

[1433] في البريطانية: " بباله ".

[1434] هو كعب بن زهير، انظر الصحاح مادة (ذ ك ر).

[1435] ما بين القوسين من البريطانية والبرنستنية.

وأقـض عليـه منامـه أي تَتَـرَّب وخُـشُن، واسـتقض مـضجعه وجـده خـشناً، والقـضض: الحـصى الـصغار، وكـذلك القـضة أيـضاً أرضٌ ذات حـصى، ودرع قـضَّاء: الخشنة المسّ لم تنسحق بعد.

فَعَزْمَـــــاً صَـــــاحِبَيْ رَحْلِــــيْ وَإِلاّ

فَـــــشَاعَكُمَا وَحَلَّكُمَــــا الــــسَّلامُ

يقـول الرجـل لأصـحابه: شـاعكم الـسلام مثلمـا يقـول عليكم الـسلام، وهـذا إنما يقولـه الرجـل لأصـحابه إذا أراد أن يفارقهم كما قال قيس بن زهير لما اصطلح القوم: (يا بني عبس شاعكم السلام، فلا نظرت في وجه ذبيانية قتلت أباها وأخاها)، وكانوا حين ملّوا الحرب وكرهوا القتال تراسلوا بالصلح ودفن ما بينهم من الدماء، ولم يشاوروه على ذلك ولا رضي به، فصار إلى ناحية عمان، وقوله: حيّاكم الله وأشاعكم السلام أي جعله لكم صاحباً وتابعاً.

فَكَـــمْ أبلَـــىْ بِـــصُحْبَةِ كُـــلِّ نَـــذْلٍ

خَـــــسِيْسٍ مَـــــالِــــصُحْبَتِهِ دَوَامُ

أَقُـــوْلُ لَـــهُ فَيَحْـــسَبُ ذَاْكَ هَـــزْلاً

وَبَعْـــضُ القَـــوْلِ تَجْهَلُـــهُ الطَّغَـــامُ

النذل: الساقط الخسيس، وقوله: "ما لصحبته دوام أي «أنه»[١٤٣٦] غادر قليل الوفاء لا يحفظ الود ولا يثبت على الصّداقة، والهزل نقيض الجدّ، والطغام: أوباش الناس وأوغادهم ومن ليس له فطنة.

لَعَمْـــرُكَ مَـــا لُؤُمْـــتَ أَبـــاً وَلَكِـــنْ

أَنَـــاسٌ سَـــوَّدُوكَ هُـــمُ اللِئَـــامُ

اللؤم: الدناءة وخسة الأصل، واللئيم: الدنيء الساقط في الأصل، وقوله: "أناسٌ سوّدوك هم اللئام" يريد جعلوك سيّداً، يريد بذلك أن خساسة القوم الذين جعلوك سيّداً غلبت خساستك وخساسة آبائك لأن الساقط لا يرفع من منزلته إلا من هو أسقط منه وأعظم لؤماً.

فَمَـــسُّ الأَرْضِ – أَوْ أُلْقَـــى عَلِيَّـــاً –

عَلَـــى رَحْلِـــيْ وَرَاحِلَتِـــيْ حَـــرَامُ

فَيَـــــوْمَ أَرَىْ عَلِيَّـــــاً لاْ أُبَـــالِيْ

[١٤٣٦] ما بين القوسين من البرنستنية.

أإعْــــوَجَّ اْللِئَـــــاْمُ أمِ اسْــــتَقَاْمُوْا

علي: اسم الممدوح، والرحل: رحل البعير، والرحل أيضاً متاع المسافر.

أغَــرُّ الوَجْـــهِ مَــنْ يَــصْحَبْهُ يَــصْحَبْ

جَـــــوَاْدَاً لاْ يُلِــــيْمُ وَلاْ يُــــلاْمُ

الأغر: الأبيض، والأغر: الرجل الشريف، وقوله: " لا يليم « ولا يلام »[١٤٣٧] " أي لا يأتي شيئاً يستحق عليه اللوم، يقال ألام الرجل إذا فعل ما يلام عليه فهو مليم.

تُرَجِّيْــــــهِ العُفَـــــاْةُ وَتَتَّقِيْــــــهِ

هِجَـــاْنُ المَـــاْلِ وَالجَـــيْشُ اْللُهَـــاْمُ

العفاة واحدها عافٍ، والعافي: الطالب، واعتفيت الرجل إذا جئته تطلب معروفه، وهجان المال: خياره وكرامه، واللهام: الجيش الكثير كأنه يلتهم كل شيء أي يبتلعه.

تَفُـــلُّ الــــسَّيْفَ عَزْمَتُـــهُ وَيُحْيِــــيْ

[١٤٣٧] ما بين القوسين من البريطانية.

نَــدَاهُ مَـــا نَبَـــا عَنْــهُ الغَمَـــامُ

الغمام: السحاب، ونبا إذا لم يعمل مطره شيئاً، ونبا السيف وغيره إذا لم يقطع.

نَفُـــوْرٌ عَـــنْ مُـــدَانَاةِ الـــدَّنَايَا

وَصَـــبٌّ بالمَكَـــارِمِ مُـــسْتَهَامُ

الدنايا: الأفعال الخسيسة، الواحد الدنية، ويقال: إن فلاناً ليدني في الأمور تدنيةً أي يتتبع أصاغرها وخسيسها، ومداناة الشيء مقاربته، والدنيّ: القريب غير مهموز، وأما الدنيء الذي هو الدون فمهموز، والصبّ: العاشق المشتاق، والمستهام: الهائم، وهو الذاهب من العشق وغيره.

تَـــرَى عِنْـــدَ المَـــدِيْحِ لَـــهُ اهْتِـــزَازاً

كَمَـــا يَهْتَـــزُّ لِلـــضَّرْبِ الحُـــسَامُ

يُقِـــرُّ بِفَـــضْلِهِ قَـــارٍ وَبَـــادٍ

وَيَحْـــسُدُ مِـــصْرَهُ يَمَـــنٌ وَشَـــامُ

يَحُلُّ المَجْدُ أَرْضاً حَلَّ فِيْهَا

وَتُضْرَبُ لِلْعَلاءِ بِهَا الخِيَامُ

إِذَا مَا الحِلْمُ عُدَّ فَمَا (ثَبِيْرُ)

وَمَا (حَضَنٌ) لَدَيْهِ وَمَا (شَمَامُ)

يُقَصِّرُ حَاتِمٌ فِي الجُوْدِ عَنْهُ

وَكَعْبُ وَالبَرَامِكَةُ الكِرَامُ

وَعَمْرُوٌ فِي اللِقَاءِ عَلَيْهِ كَلٌّ

وَعَوْفُ فِي الوَفَاءِ لَهُ غُلامُ

حضن وشمام: جبلان، والكَلّ: العيال والثقل، والغلام هاهنا الخادم، يعني عمرو بن معدي كرب الزبيدي، وعوف بن محلم بن ذهل بن شيبان، وكان يضرب به المثل في الوفاء، وله يقال: (لا حُرَّ بوادي عوف) أي لا يُقرب واديه إلا بذمته أو معتاذٌ به يتمسك منه بحبل، وكانت له قبة معاذة لا يدخلها خائف إلا أمن ولا مستجير إلا أجير، فأقامت تلك القبة في أهل بيته يتوارثونها كذلك حتى قام الإسلام.

لُكَيْــــزِيٌّ المَنَاْسِــــبِ عَــــاْمِرِيٌ

مَلِيْــــكٌ لِلْمُلُــــوْكِ بِــــهِ اعْتِــــصَاْمُ

لكيزي: منسوب إلى لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وعامري: منسوب إلى عامر بن الحارث،[١٤٣٨] والاعتصام: الامتناع.

سَــلِيْلُ عُــلاً لَــهُ مِــنْ كُــلِّ مَجْــدٍ

ذُرَىْ العَلْيَــــاْءِ مِنْــــهُ وَالــــسَّنَاْمُ

تَــرَىْ لِلْخَيْــلِ فِــيْ الهَيْجَــاْءِ عَنْــهُ

شُــرُوْدَاً مِثْــلَ مَــاْ شَــرَدَ النَّعَــاْمُ

لَــئِنْ نَفَــرَتْ كُمَــاْةُ الحَــرْبِ عَنْــهُ

إذَاً فَلَهَــــاْ بِعَقْوَتِــــهِ ازْدِحَــــاْمُ

العقوة: ساحة الدار وما حولها، وكذلك العقاة.

[١٤٣٨] بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس.

نَمَــــاهُ إِلَـــى ذُرَى العَلْيَــــا عَزِيْــــزٌ

وَإِبْـــــرَاهِيْمُ وَالِـــــدُهُ الهُمَـــــامُ

نماه أي رفعه، ونماه أبوه أي ولده، وعزيز هذا هو جد الممدوح، وإبراهيم « هو »[1439] جدّ أبيه.

وَإِنْ يُـــذْكَرْ أَبُـــوْ جَـــرْوَانَ غَـــضَّتْ

لَـــهُ الأَبْـــصَارُ، وَانْقَطَـــعَ الكَـــلامُ

غض البصر: خفضه، يقال غض طرفه أي خفضه، وغض من صوته أي كفّه، وكل شيء كففته فقد غضضته، وانغضاض الطرف انغماضه[1440]، وغض الطرف أيضاً احتمال المكروه، وأبو جروان جده الأكبر.

عَلِـــيُّ عَلِـــيُّ أَنْـــتَ الـــشَّمْسُ نُـــوْرَاً

إِذَا طَلَعَـــتْ وَذَا النَّـــاسُ الظَّـــلامُ

وَأَنْـــتَ أَجَـــلُّ حِـــيْنَ يَنُـــوْبُ خَطْـــبٌ

[1439] ما بين القوسين من البريطانية والبرنستنية.

[1440] كانت في الأصل: " انغماضه " والتصحيح من البريطانية.

وَأَعْظَمُ أَنْ يُقَاسَ بِهِ[١٤٤١] الأَنَامُ

الخطب: الأمر العظيم، وناب أي أصاب، وانتابه أي أصابه، والنائبة: المصيبة واحدة نوائب الدهر، والأنام: الخلق.

إِذَا أَهْلُ المَكَارِمِ ضَيَّعُوهَا

فَأَنْتَ لِكُلِّ مَكْرُمَةٍ نِظَامُ

المكرمة: الفعلة الحسنة، ويقال للرجل: يا مكرمان نظير قولك: يا ملأمان من الكرم واللؤم، وتضييع الشيء إهماله، وضاع الشيء يضيع ضياعاً وضيعةً هلك، وأضاع الرجل عياله وماله وضيّعهما، وشيء مضاع، قال الشماخ:

أعائش مالأهلك لا أراهم يضيعون السّوام مع المضيع

وكيف يضيع صاحب مدفآت على إنتاجهنّ مع الصقيع

قال: وكان الشماخ صاحب إبل يلزمها، فيكون فيها، فقالت له هذه المرأة: إنك أذهبت شبابك وأفنيت عمرك في الإبل وفي رعيها مالك لا تنفقها وتتكرم فيها؟

[١٤٤١] في البرنستنية: " بك."

فقال الشماخ: ما لأهلك « لا »[1442] يفعلون الذي تأمريني أن أفعله، ثم قال لها: وكيف أضيع إبلاً هذه الصفة صفتها، ويدل على هذا قوله « في هذا المعنى »:[1443]

لَمالُ المرء يصلحه فيغني مفاقِرَه أعفُّ من القنوع

يقول: لأن يصلح المرء ماله ويقوم عليه ولا يضيعه خير من القنوع، وهو المسألة، والنظام: الخيط الذي ينظم فيه اللؤلؤ.

عَدَانِيْ[1444] أنْ أزُوْرَكَ حَادِثَاتٌ
إذَاْ ذُكِرَتْ تَذُوْبُ لَهَاْ العِظَاْمُ

وَأسْبَاْبُ جَرَيْنَ وَكَيْدُ أمْرٍ
قُعُوْدِيْ فِيْ النَّدِيِّ لَهُ قِيَاْمُ

عداني أي صرفني ومنعني، وعدوته عن الأمر: صرفته عنه، والأسباب الأمور هاهنا، والسبب كل شيء يتوصّل

[1442] ما بين القوسين من البريطانية والبرنستنية.

[1443] ما بين القوسين من البريطانية.

[1444] كانت في الأصل: " عدابي "، والتصحيح من البريطانية والفيضية والعراقية٣، وهي في الشرح كذلك.

به إلى غيره، والكيد: المحاولة، وكاد بمعنى أراد، قال الله تعالى: ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[1445]، والندي: مجتمع القوم للحديث.

وَمَا تَرْكِي زِيَارَتَكَ اخْتِيَارَاً
وَلَكِنْ طَالَمَا مُنِعَ المَرَامُ
فِدَاكَ مِنَ الرَّدَى جَهْمُ المُحَيَّا
سَحَابُ سَمَائِهِ أَبَدَاً جَهَامُ

المرام: المطلب، وفِداك من الفداء إذا كسر أوله يمد ويقصر، وإذا فتح فهو مقصور، ومن العرب من يكسر فِدىً بالتنوين إذا جاءوا بكلام الجرّ خاصةً، يقولون: فدىً لك لأنه نكرة يريدون معنى الدعاء، قال النابغة:

مهلاً فداءً لك الأقوام كلهم ... وما أثمّرُ من مالٍ ومن ولد

والمحيّا: الوجه، وجهمهُ أي كريهه، ورجل جهم الوجه أي كالح الوجه، والجهام: السحاب الذي لا ماء فيه يصفه بشدة البخل[1446] وقلة الخير.

[1445] طه: من الآية١٥

[1446] كانت في الأصل: " المحل " والتصحيح من البرلينية

عَبُـــوْسٌ إذْ يُقَابَـــلُ وَجْـــهَ حُـــرٍّ

وَعِنْـــدَ[1447] المُوْمِـــسَاْتِ لَـــهُ ابْتِـــسَاْمُ

العبوس: الكلوح، وعبس الرجل: كلح، والتعبّس: التجهم، والمومسات: الفواجر الواحدة مومس.

جَـــوَاْدٌ حِـــيْنَ يُلْعَـــنُ وَاْلِـــدَاهُ

وَيُقْـــرَعُ أَنْفُـــهُ، وَكَـــذَاْ اْللِئَـــاْمُ

يُعِـــزُّ مُهِيْنَـــهُ، وَيُهِـــيْنُ لُؤْمَـــاً

مُكَرِّمَـــهُ كَـــذَاْ النُّطَـــفُ الحَـــرَاْمُ

النطف الحرام يعني[1448] أولاد الزنا لأن طبع ولد الزنا يقتضي كرامة مهينه وهوان مكرمه لفساد أصله.

والبرنستنية.

[1447] في البرنستنية: " وبين."

[1448] جاء في البرنستنية هنا: " النطف الحرام أعني أولاد الزنا " وبيت القصيد هو قوله: " أعني " فقد تكون هي القراءة الأصلية الصحيحة، فإن صح ذلك فإنه يكون دليلاً قاطعاً على ما ذهبنا إليه من أنّ معظم هذا الشرح هو من لفظ الشاعر نفسه وبإملائه على راويه كما بينت في أكثر من موضع.

يَخَـالُ الـضَّيْفَ يَقْـرُصُ حَاْجِبَيْـهِ[1449]

وَلاْ سِـيَمَاْ إِذَاْ احْتَـضَرَ الطَّعَـاْمُ

وأجزت للرواي[1450] أن يرويها ينمص[1451] حاجبيه «و»

[1449] في العراقية٣: " حانبيه."

[1450] هذه أول مرّة تأتي في الرضوية الأصل جملة فيها ضمير المتكلم الذي يعود على الشاعر نفسه، فلا يمكن لأي شخص آخر أن يجيز التغيير في شعر أي شاعر إن لم يكن هو نفسه هذا الشاعر، وقد تقدم في الحاشية السابقة ما ذكرته عن البرنستنية أنها كتبت لفظة: "أعني" بضمير المتكلم في شرح البيت السابق، وفي كل هذا دلالة على أن الشاعر قد جمع شعره في حياته، وألقاه على راوٍ له، وهي عادة عربية قديمة استمرّت حتى إلى قريب من وقتنا الحاضر كما نراها عند شاعر القرن الحادي عشر الهجري جعفر الخطي وراويه الغنوي، وبالتالي فإن أكثر هذه الأخبار التاريخية المدوّنة عن الدولة العيونية وإقليم البحرين هي من إملاء الشاعر على راويه نعم لا شك أن الراوي ربما يكون قد أضاف من عنده، أو غيره من المطلعين على النسخ الأولى من الديوان فعل ذلك فيما بعد ولكن ذلك ـ حسب ظننا ـ كان في الشروح اللغوية فقط، أو القليل من الأخبار، وأما ما عداها من أخبار تاريخية خاصة بالعيونيين فالأقرب للظن أنها من إملاء الشاعر.

[1451] كانت في الأصل الرضوي: "يعرص"، والتصحيح مما بعدها في الأصل الرضوي، ومن البريطانية.

ينمص أي ينتف، والنمص: النتف، ونمصت الشعر نتفته، يقول: تنمصت المرأة ونمصت، قال الزاجر:[١٤٥٢]

يا ليتها قد لبست وصواصا ونمّصَت حاجبها تنماصا

والمِنْمَص والمنماص هو المنقاش، والقرص بالإصبعين، وقد قرصه يقرصه -بالضم- قرصاً، وقرص البراغيث لسعها، وتسمى الكلمة المؤذية قارصة، قال الفرزدق:

قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وقال الأعشى:

فإن يتَّعِدْني أتَّعِدْهُ بمثلها وسوف أجدّ الباقيات القوارصا

وفي الحديث أن امرأة سألته عن دم الحيض فقال: ﴿ اقرصيه بماء ﴾ أي اغسليه[١٤٥٣] بأطراف أصابعك.

لِيَهْنِكَ مَا مَنَحْتُكَ مِنْ ثَنَاءٍ

بِهِ لاَ غَيْرِهِ يَجِبُ القِيَامُ

ليهنك من التهنية، وهي خلاف التعزية، وهنأه

[١٤٥٢] وهو غير معرّف كذلك في الصحاح واللسان، انظر مادة (ن م ص).

[١٤٥٣] كانت في الأصل: " اغليه " والتصحيح من البرلينية.

الطعام: أمراه، ومنحتك أي اختصصتك به من المنحة، والمنحة -بالكسر- العطية، والمنح: العطاء، ومنحه يمنحه ويمنحه، والاسم المنحة -بالكسر- واستمنحه: طلب منحته إذا استرفده، والمنيحة: الناقة والشاة تعيرها صاحبك[1454] ليحلبها ويشرب لبنها مدةً وتستردها منه.

وَلَسْتُ بِمَادِحٍ سَفْسَافَ قَوْمٍ
وَإِنْ قَالُوا لَهُ مَالٌ رُكَامُ

السفساف: الوغد، والسفساف: الرديء من كل شيء، ومال ركام: بعضه على بعض.

أَبَى لِيْ ذَاكَ أَنِّيْ مِنْ قُرُوْمٍ
صَهَامِيْمٍ تُسِيْمُ وَلاَ تُسَامُ

القروم: السادة، واحدها قرم، والقرم: الفحل الذي لا يمتهن ولا يذلل بالحمل بل يترك للفحلة وحسب، وقيل للسيد من الرجال قرم تشبيهاً به، وصهاميم واحدها صهميم، وهو الذي لا ينثني عن مراده، والصهميم: السيئ الخلق من الإبل، وتسيم ولا تسام أي تسوس الناس ولا

[1454] كانت في الأصل: " صاحبها " وهو خطأ، والتصحيح من البرنستنية.

تساس، وسمت الإبل إذا أرسلتها في المرعى يعني بذلك أنهم ملوك لا رعية.

هَدِيْرُ البُزْلِ عِنْدَهُمُ كَشِيْشٌ
وَزَأْرُ الأُسْدِ عِنْدَهُمُ بُغَامُ

البزل من الإبل: المسنة، وهديرها تردد أصواتها في حناجرها، وهدر البعير إذا ردد صوته في حنجرته، وكذلك هدّر بالتشديد تهديراً، وفي المثل: (كالمهدر في العنة) يضرب ذلك مثلاً للرجل يصيح ويجلب وليس وراء ذلك شيء كالبعير الذي « يحبس »[1455] في الحظيرة ويمنع من الضراب فهو يهدر، قال الوليد بن عقبة:

قطعت الدهر كالسّدم المعنى   تهدّر في دمشق وما يريم

والكشيش: صوت البكر قبل أن يبلغ الهدير، أوله الكشيش ثم الكتيت أعلى منه ثم الهدير ثم القرقرة، يقال قرقر البعير، وزأر الأسد: صوته في صدره، يقال زأر يزأر زأراً وزئيراً فهو زائر، قال عنترة:

حلّت بأرض الزائرين فأصبحت   عزاً على طلاّبها ابنة مخرم

والبغام: صوت الظباء.

[1455] ما بين القوسين من البرنستنية.

يصف قومه بشدة البأس وقوة الصولة وبالعظم في صدور عدوهم وصغر عدوهم في أعينهم وصدورهم.

وَقَوْلُهُمُ لَدَى الإِعْطَاءِ فَذٌّ

وَضَرْبُهُمُ لَدَى الهَيْجَا تُؤَامُ

الفذ: الفرد، والتؤام الذي يتبع بعضه بعضاً، وأتأمت المرأة وضعت اثنين في بطن واحد، وإذا كان ذلك من عاداتها فهي متآم، يعني أنهم لا يَعِدون الطالب غير مرّة وأنجزوا[١٤٥٦] له مطلوبه، وأنهم يتابعون الضرب بالسيوف على من يلقاهم في الهيجاء، والهيجاء: الحرب.

وَنَفْسٌ لا تُرِيعُ لِوِرْدِ سُوْءٍ

وَلَوْ بَلَغَ الفَنَاءَ بِهَا الحِيَامُ

يقال راع لكذا يريع إذا مال إليه وانحرف، قال الشاعر:[١٤٥٧]

[١٤٥٦] كذا في الرضوية والبريطانية والبرنستنية، وحقها أن يقول: " وينجزوا ".

[١٤٥٧] هو البعيث، انظر اللسان مادة (ر ي ع)، وفي شرح نهج البلاغة ذكر المحقق في الهامش أنهما لمجنون ليلى، وذكر أنهما في ديوانه، وذكر كذلك أنهما ينسبان أيضاً لقيس بن ذريح، ثم ذكر

طمعت بليلى أن تريع وإنما يقطع أعناق الرجال المطامع
وتابعت ليلى في الخلاء ولم تكن شهودي على ليلى رجالٌ مقانع

ويعني بالفناء هاهنا الموت والهلاك، والحيام: العطش، وحام أي عطش عطشاً شديداً، وقوله: "لورد سوء" يعني أن شرف نفسه يمنعه مدح وضيع طلباً لرفده وتقرباً إليه، وإن بلغ تحامل الدهر منه مهما بلغ من الشدة.

وَإِنّـــيْ لَلْغَنِـــيُّ وَإِنْ نَبَـــا بِـــيْ
زَمَـــانُ الـــسُّوْءِ وَاخْـــتُلِجَ الـــسَّوَامُ

يقال: نبا بفلان زمانه ينبو إذا جفاه، ونبا به منزله إذا لم يوافقه، والسّوام: المال، وإخلاجه أي انتزاعه، واختلج الشيء وخلجه إذا جذبه وانتزعه، وخلج فلان فلاناً بعينه أي عماه، ويقول خلجني كذا أي أشغلني، وخلجته أمور الدنيا أي شغلته.

وَأَنْـــتَ فَـــدَامَ سَـــعْدُكَ مِـــنْ أُنَـــاسٍ
أَخِيْـــرُهُمُ لِغَيْـــرِهِمُ إِمَـــامُ

يريد أن صغير السن منهم يقدم ويفضل على الكبير

نسبتهما للبعيث.

«من غيرهم»[١٤٥٨] لشرفه وجلالة قدره.

وَلَــوْلاَ ذَاْكَ مَـــعْ قُرْبِــيْ وَوُدٌّ

لَكَــاْنَ عَــنِ المَــدِيْحِ لِــيَ احْتِــشَاْمُ

الاحتشام هو الاستحياء، واحتشم من فلان[١٤٥٩]: استحيا منه، وقوله: "ولولا « ذاك »[١٤٦٠] " يريد لولا ذاك الشرف الذي لكم مع القرابة التي بيني وبينكم والمحبة التي لكم لاستحييت من المديح لأجل شرفي وعظم قدري.

فَطُــلْ مَجْــدَاً وَزِدْ شَــرَفَاً وَفَخْــرَاً

عَلَــىْ شَــرَفٍ وَفَخْــرٍ لاْ يُــرَاْمُ

وَعِــشْ فِــيْ نِعْمَــةٍ وَدَوَاْمِ عِــزٍّ

بِمَنْعَــةِ مَــنْ يُــضِيْمُ وَلاْ يُــضَاْمُ

لا يرام أي لا يبلغ، وقوله : "يضيم ولا يضام" أي يَقهر ولا يُقهر.

[١٤٥٨] ما بين القوسين من البرنستنية، وكانت في الأصل من دون لفظة " من " التي أضفناها ليصح المعنى.

[١٤٥٩] وفي البريطانية والبرنستنية: " واحتشم فلان من كذا ".

[١٤٦٠] ما بين القوسين من البريطانية والبرنستنية.

٨٩. وقال ببغداد عند خروج الحاج يودّع الشيخ محب الدين عبد القادر بن داؤود بن محمد الواسطي، [١٤٦١] وكان بينهما مودة وصداقة، ومحب الدين يومئذٍ متولي سبيل الخليفة الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء المعروف بسبيل الفقير،

[١٤٦١] جاء في البداية والنهاية لابن كثير (ج٣١: ١١٦):

"وممن توفي فيها ـ أي سنة ٦١٩هـ ـ من الاعيان : عبد القادر بن داود أبو محمد الواسطي الفقيه الشافعي الملقب بالمحب ، استقل بالنظامية دهرا ، واشتغل بها، وكان فاضلا دينا صالحا، ومما أنشده من الشعر:

الفرقدان كلاهما شهدا له	والبدر ليلة تمه بسهاده
دنف إذا اعتبق الظلام تضرمت	نار الجوى في صدره وفؤاده
فجرت مدامع جفنه في خده	مثل المسيل يسيل من أطواده
شوقا إلى مضنيه لم أر هكذا	مشتاقَ مُضْنِيْ جسمه ببعاده
ليت الذي أضناه سحر جفونه	قبل الممات يكون من عواده "

وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٤: ٢٨٠) قصَّةً جمعت بينه وبين هذا الممدوح هنا وبين شمس الدين باتكين ممدوح شاعرنا الآخر في أكثر من موضع من هذا الديوان، حيث ذكر ابن أبي الحديد أنهم التقوا بالنظامية من بغداد في بيت محب الدين الواسطي هذا، ولعل شاعرنا ابن المقرَّب قد تعرَّف على باتكين في بيت محب الدين أو في المدرسة النظامية.

وكون هذا الممدوح قد توفي عام ٦١٩هـ، فهذه القصيدة مما قاله الشاعر قبل هذا التاريخ، ولكن لا نعرف وقتها بالتحديد.

وكان أيضاً معيداً بمدرسة نظام الملك ببغداد يَقرأ عليه[١٤٦٢] الفقهاء، ويُسْتَوْحَشُ له:[١٤٦٣]

أُلْقَتْ إِلَيْكَ مَقَادَهَا الأَيَّامُ

وَأَمَدَّكَ الإِجْلالُ وَالإِعْظَامُ

المقاد يعني به الطاعة، والمقاد: حبل تقاد به الدابة، وامدّك من المادة، وهي الزيادة، والإجلال والإعظام[١٤٦٤] هذا دعاءٌ له.

وَمَشَى إِلَيْكَ الدَّهْرُ مِشْيَةَ خَاضِعٍ

وَقَضَى بِمَا تَخْتَارُهُ العَلاَّمُ

وَبَقِيْتَ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مُخَلَّداً

[١٤٦٢] إلى هنا انتهت المقدمة في البريطانية والظاهرية، ثم تلتها جملة: " والله أعلم بالصّواب " ويبدو أنّ قائلها هو الناسخ.

[١٤٦٣] كلُّ ما ورد في الطبعة الهندية هو قوله: "وقال يودع الشيخ محب الدين عبد القادر بن داؤد بن محمد الواسطي " فقط، ثم إنها غير مشروحة فيها.

[١٤٦٤] جاء في البريطانية هنا بعد هذه الكلمة مباشرة: " معنى واحد " وقد سقط ما بعدها.

فِـي حَيْـثُ تَقْعُـدُ وَالأَنَـامُ قِيَـامُ

وَحَبَـاكَ رَبُّـكَ بِالْكَرَامَـةِ وَالرِّضَـا

وَالبِـرِّ مَـا نَـسَخَ الـضِّيَاءَ ظَـلامُ

العلام: الله تبارك وتعالى، وحباك أي اختصك، والحباء: العطاء، والنسخ: إبطال الشيء بغيره.

فَلأَنْـتَ حِـيْنَ تُعَـدُّ عَـيْنُ زَمَانِنَـا

وَبِـصِدْقِ قَـوْلِيْ يَـشْهَدُ الإِسْـلامُ

عين كل شيء: خياره، وعين الشيء: نفسه، وأعيان القوم: أشرافهم وساداتهم، والعين: حاسة البصر والرؤية، والجمع أعين وعيون وأعيان، وقوله: "يشهد الإسلام" يريد أهل الإسلام.

بِـكَ يَـا مُحِـبَّ الـدِّيْنِ طَالَـتْ فَاعْتَلَـتْ

شَـرَفاً عَلَـى الخَطِّيَّـةِ الأَقْـلامُ

الخطية: الرماح منسوبة إلى الخَطِّ من البحرين،

ونسبت إليها « لأنها »[1465] تثقف بها.

أُحْيَيْــتَ بُــشْرَاً وَالجُنَيْــدَ وَعَــامِرَاً
زُهْــدَاً وَكُــلٌّ إِذْ يُعَــدُّ إِمَــامُ

يعني بشر الحافي وعامر الشعبي وهؤلاء كلهم من الزهاد الصالحين.[1466]

وَأَقَمْــتَ لِلْقُرَشِــيْ فِــيْ آرَائِــهِ
حُجَجَــاً يُقَــصِّرُ دُوْنَهَــا النَّظَّــامُ

القرشي يعني محمد بن إدريس الشافعي « رضي الله عنه »[1467] لأنه من بني شافع بن المطلب، والنظام: بعض المشايخ المعروفين باللدد في الخصومة وقوة الحجج.[1468]

[1465] ما بين القوسين من البريطانية والبرنستنية.

[1466] نسي أن يعرّف الجنيد، وهو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي توفي عام ٢٩٧ للهجرة، وكان أحد العلماء المشار إليهم، وقوله: "كلهم من الزهاد الصالحين" قد يصدق على بشر والجنيد، وأما الشعبي، فهو غير معدود في الزهّاد.

[1467] ما بين القوسين من البرنستنية.

[1468] النَّظّام هو إبراهيم بن سيّار بن هانئ البصري أبو أسحاق

لَــوْ رَآكَ الثَّــوْرِيُّ أعْلَــنَ قَــائِلاً

أَنْــتَ الغَمَــامُ وَمَــنْ سِــوَاكَ جَهَــامُ

الثوري هو سفيان الثوري من بني ثور أطحل بن عبد مناة بن أدّ[1469]، وكان زاهد زمانه.

للّهِ دَرُّكَ أيُّ مُوْضِــــــحِ مُــــــشْكِلٍ

أَضْــحَىْ، وَمِــنْ شُــبَهٍ عَلَيْــهِ خِتَــامُ

المشكل: الملتبس، واشكل الأمر: التبس، وإيضاحه: تبيينه، « واتضح الأمر »[1470] ووضح الأمر: بان، والشبه جمع شبهة، والشبهة: الالتباس، والمشتبهات: المشكلات، والختام: الختم.

حَــسَنُ الإِنَابَــةِ مُخْلِــصُ أعْمَالَــهُ

للّهِ لاْ يَــــسْرِيْ إِلَيْــــهِ أَثَــــامُ

النظّام أحد أئمة المعتزلة، توفي عام ٢٣١ للهجرة.

[1469] وأدُّ هو أدُّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

[1470] ما بين القوسين من البريطانية.

الإنابة: الرجوع بالعمل إلى الله تعالى، وأناب الرجل إلى الله: أقبل وتاب، والأثام جَزاءُ[١٤٧١] الإثم.

إنْ تَجْحَـدِ العُظَمَـاءُ فَـضْلَكَ فِـيْهُمُ
فَبَنُـوْا الـسَّبيْلِ تُقِـرُّ وَالأَيْتَـامُ

بنو السبيل: الغرباء المنقطع بهم فبقي أحدهم « لا يقدر »[١٤٧٢] على ما يتوصل به إلى أهله ووطنه.

لَـكَ حِـيْنَ يَعْتَكِـرُ الظَّـلامُ صَـنَائِعُ
تَغْـشَىْ الأَرَامِـلَ وَالعُيُـوْنُ نِيَـامُ

اعتكار الظلام: اختلاطه، كأنه كرٌّ بعضه على بعض من بطء انجلائه، والصنائع: الهبات، والأرامل: النساء اللواتي لا أزواج لهن، وكذلك الرجال الذين ما لهم نساء.

قَـسَمَاً لَـوَ أَنَّـكَ فِـيْ الغِنَـىْ ذَا بَـسْطَةٍ
لَـمْ تَـدْرِ أَهْـلُ الفَـضْلِ مَـا الإِعْـدَامُ

[١٤٧١] كانت في الأصل: " من " والتصحيح من البرنستنية، وهو موافق لما في اللسان مادة (أ ث م).

[١٤٧٢] ما بين القوسين من البريطانية.

البسطة: السعة، وأهل الفضل يعني أهل العلم والأدب، والإعدام: الفقر.

لِلّهِ مِـــنْ خَفَقَـــانِ قَلْبِـــيَ كُلَّمَـــا

قَعَـــدُوْا لِتَجْهِيْـــزِ الحُمُـــوْلِ وَقَـــامُوْا

الخفقان: الاضطراب، وتجهيز الحمول: شدها وحملها، وتجهز فلان لكذا أي تهيأ له.

فَلْيَفْـــرَحِ البَيْـــتُ العَتِيْـــقُ وَزَمْـــزَمٌ

بِقُدُوْمِـــهِ، وَالحِـــلُّ وَالإِحْـــرَامُ

يَـــا وَحْـــشَتَا وَالعِـــيْسُ لَـــمْ يُرْفَـــعْ لَهَـــا

رَحْـــلٌ وَلاَ نُـــشِرَتْ لَهَـــا أَعْـــلاَمُ

العيس: الإبل « البيْض »[١٤٧٣]، والرحل رحل البعير، والرحل متاع المسافر، والوحشة همٌّ يجده الإنسان لفراق صاحبه.

لاَ كَـــانَ هَـــذَا الـــسَّيْرُ آخِـــرَ عَهْـــدِنَا

[١٤٧٣] ما بين القوسين من البريطانية.

فَهِـــيَ اللَّيَـــالِيْ رِحْلَـــةٌ وَمُقَـــامُ

وَكَـلاكَ رَبُّـكَ حَيْـثُ كُنْـتَ وَلاَ عَـدَا

أرْضَـاً تَحُـلُّ بِهَـا حَيَـاً وَرِهَـامُ

العهـد: اللقـاء، وكـلاك أي حفظـك، ولا عـدا أي لاجاوز، الحيا: المطر، والرهام جمع رهمة بالكسر، وهي المطرة الضعيفة، ويجمع على رهم.

وَرَعَـاكَ مَـنْ لَـوْ كُنْـتَ رَاعِـيْ خَلْقِـهِ

لَـمْ يُـرْعَ إلاَّ لِلْحَنِيْـفِ ذِمَـامُ

الحنيـف: المـسلم، ويـسمى المـستقيم أيـضاً حنيفـاً، وتحنّف الرجل: أحسن، وتحنف: اعتزل الأصنام، وتعبد، والذمام: الحرمة.

أنْعِـمْ عَلَيْنَـا بِالـدُّعَاءِ إذَا الْتَقَـى

بِحُجُـوْنِ مَكَّـةَ مَـشْرِقٌ وَشَـآمُ

وَعَلَيْـكَ مِنَّـا مَـا حَيِـيْتَ وَمَـا بَـدَتْ

شَـمْسُ النَّهَـارِ تَحِيَّـةٌ وَسَـلامُ

٩٠. وقال يمدح الأمير « الكبير »[١٤٧٤] شمس الدين أبا شجاع باتكين « قالها »[١٤٧٥] بعد رجوعه[١٤٧٦] «من واسط»[١٤٧٧]، وكان قد أصعد مع الحمل «بالتقدم من الديوان»[١٤٧٨] إلى واسط ورجع.[١٤٧٩]

قُمْ فَاسْقِنِيْهَا قَبْلَ صَوْتِ الحَمَامْ

كَرْمِيَّةً تَجْمَعُ شَمْلَ الكِرَامْ

[١٤٧٤] ما بين القوسين من البرنستنية.

[١٤٧٥] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية والطهرانية، والقصيدة غير موجودة في البرلينية.

[١٤٧٦] الضمير يعود إلى باتكين.

[١٤٧٧] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية والطهرانية.

[١٤٧٨] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية والطهرانية.

[١٤٧٩] في البرنستنية: " ... إلى واسط، ومن بعد ذلك رجع إلى مكانه."، وفي الأزهرية: "وقال يمدح الأمير شمس الدين أبا شجاع باتكين بعد رجوعه إلى واسط"، وفي الطبعة الهندية: " وقال يمدح باتكين " فقط.

ويقصد بالحمل قافلة الحج التي كانت تخرج من بغداد إلى مكة المكرّمة حرسها الله أو العكس، ويبدو من القصيدة أنّ خروجه مع الحمل كان بعد أن قفلوا راجعين من مكة المكرّمة إلى بغداد لأنّ واسط تقع شمال البصرة بينها وبين بغداد.

قم من القيام، واسقنيها يعني الخمر، وكرمية منسوبة إلى الكرم، وهو العنب، ويسمى العنب خمراً[١٤٨٠]، ويريد بقوله: " « قبل »[١٤٨١] صوت الحمام" يريد قبل السحر لأن جميع الطير ينتبه وقت السحر ويلغط[١٤٨٢] بصوته.

صَهْبَاءَ مِمَّا عَتَّقَتْ بَابْلُ

مِزَاجُهَا الأَرْيُ وَمَاءُ الغَمَامْ

الصهباء من أسماء الخمر، والعتق القدم، والعتق القديم، وبابل من أرض العراق، وهي مسكن الملوك العظام والجبابرة مثل النمرود بن كنعان ومثل بخت نصّر، ومثل كسرى، والأري: العسل، ومزجت الخمر: خلطتها بالماء، يقال مزجت الخمر وقطبتها، والغمام: السحاب.

مِمَّا أُدِيْرَ الكَأْسُ مِنْهَا عَلَى

كِسْرَى وَنُمْرُوْدِ بْنِ كُوْشِ بْنِ حَامْ

[١٤٨٠] في الروسية: "وسمي العنب كرم" كذا.

[١٤٨١] ما بين القوسين من البرنستنية.

[١٤٨٢] كانت في الأصل: " يلفظ " والتصحيح من البرنستنية، وفي اللسان مادة (ل غ ط): و لَغَط القَطا والحَمامُ بصوته يَلغَط لَغْطاً و لَغِيطا. انتهى

تُــــذْهِبُ باليَـــأْسِ وَتُـــدْنِيْ المُنَـــىْ

وَتَنْـــشُرُ اللَّهْـــوَ وَتَطْـــوِيْ الغَـــرَامْ

لَــوِ احْتَــسَاْهَاْ ابْــنُ الزُّبَيْــرِ اغْتَــدَىْ

أَكْـرَمَ مِـنْ كَعْـبٍ وَأَوْسِ بْـنِ لاْمْ[١٤٨٣]

الكأس جمعها كؤوس، وهي مؤنثة، وإنما أخرجها على التذكير لأنه تأنيث غير حقيقي، ولا تسمى الكأس كأساً حتى يكون فيها الشراب.

والنمرود هذا أول من ملك الناس والبلاد بعد طوفان نوح عليه السلام وكسرى ملك فارس؛ « يصفها بالقدم »[١٤٨٤] والخمر تمدح بالقدم.[١٤٨٥]

وابن الزبير[١٤٨٦] هو عبد الله بن الزبير بن العوام[١٤٨٧]،

[١٤٨٣] الشرح الآتي بعد هذا البيت أسقط كله من الطبعة الهندية.

[١٤٨٤] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية.

[١٤٨٥] وفي الروسية: "وذلك مما يمدح به الخمر".

[١٤٨٦] جاء في هذا الموضع من الروسية لفظة: "نكتة" قبل قوله: "وابن الزبير"، ولم ترد في غيرها من النسخ المشروحة، ولا أعرف إن كانت من أصل كلام الشارح أم هي من الناسخ، فاكتفيت بالإشارة إليها في الهامش هنا.

وكان يبخّل، قال أبو بكر « محمد »[1488] بن دريد[1489]: حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة أنه قُرىء عليه حديث مادر[1490] الهلالي فضحك، فقلت له ما الذي أضحكك؟ قال: تعجبي من تسيير العرب الأمثال لو سيّروا ما هو أهم منها لكان أبلغ لها، قلت: « مثل »[1491] ماذا؟ قال: مثل مادر قد جعلوه

[1487] في البرنستنية بعد كلمة العوام: " رضي الله عنهما ".

[1488] ما بين القوسين إضافة من الطهرانية.

[1489] وفي الروسية: "عن أبي بكر بن محمد بن دريد"، ولفظة "بن" الأولى مقحمة لا شك لأنّ هذا العلم اللغوي الشهير اسمه محمد بن الحسن بن دريد، وهو صاحب كتابي الاشتقاق وجمهرة اللغة.

[1490] كان في الأصل: " مارد "، وفي الروسية: "مازن"، والتصحيح من البرنستنية، ومادر هذا هو المضروب به المثل في البخل، قال الشاعر:

إذا عيَّر الطائي بالبخل مادرٌ وقارع قِسًّاً بالفهاهة باقل

ومادر هذا أحد بني هلال بن عامر بن صعصعة، وسبب نعته بالبخل أنه كان قد سقى إبلاً له في حوض ماء، فبقيت فيه بقية، فسلح فيها لئلا تشرب إبل غيره منه.

وقد ذكر الميداني في مجمع الأمثال حديث ابن دريد هذا عن عبد الله بن الزبير في شرح قولهم: (أبخل من مادر)، ولكن مع بعض الاختلاف.

[1491] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية.

علماً في البخل بفعله، ويحتمل التأويل[١٤٩٢]، وتركوا مثل ابن الزبير مع ما يؤثر من لفظه[١٤٩٣] وفعله من دقائق البخل، فتركوه كالعقل.[١٤٩٤]

فمن ذلك أنه نظر إلى رجل من أصحابه وهو خليفة يقاتل الحجاج بن يوسف على دولته وقد دق في صدور أهل الشام ثلاثة أرماح، فقال له: يا هذا اعتزل عن حربنا فإن بيت المال لا يقوى على هذا، وقال في تلك الحرب لجماعة جنده: أكلتم تمري وعصيتم أمري، سلاحكم رثّ وحديثكم غث، عيال في الجدب أعداء في الخصب.

وقال لرجل كان يتعاطى بيع الرقيق: ما أشد إقدامك على ركوب الغرر وإضاعة المال قال: بماذا؟ قال: بصناعتك « هذه »[١٤٩٥] الملعونة قال: ومالها؟ قال: هي ضمان نفس ومؤونة ضرس.

[١٤٩٢] وفي الروسية: "بفعل يحتمل التأويل".

[١٤٩٣] كانت في الأصل: "لقطه" والتصحيح من البرنستنية والروسية، وهو موافق لما في مجمع الأمثال.

[١٤٩٤] كذا في الأصل، وباقي النسخ التي ذكرت ذلك باستثناء الروسية فقد وردت فيها: "كالغفل"، وهي كذلك في مجمع الأمثال، ويبدو أن ما في الشرح هنا له وجه من الصحة، لأنه أراد أنهم جعلوا ما يفعله صواباً فكأنه عين العقل.

[١٤٩٥] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية والطهرانية، وكانت فيها: "هذا"، فصححتها لاقتضاء السياق قبلها.

وقال لرجل أتاه مجدباً وقد أبلغ به فشكا إليه جفاء ناقته، فقال: اخصفها بهلب وارقعها بلسب وأنجد بها يبرد خفها، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين جئتك مستوصلاً لا مستوصفاً فلا بقيت ناقةٌ حملتني إليك « فقال »[1496] إنّ وصاحبها – « قوله »[1497] إن بمعنى نعم ـ ولهذا الرجل فيه شعرٌ قد نُسِي،[1498] قال أبو عبيدة: فلو تكلف الحارث بن كلدة طبيب العرب، أو مالك بن زيد مناة أو حنيف الحناتم آبلا العرب بوصف صلاح ناقة هذا الأعرابي ما تكلفه هذا

[1496] ما بين القوسين من البرنستنية والروسية والطهرانية.

[1497] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية والطهرانية.

[1498] لم يُنسَ هذا الشعر ولا قائله، ففي مجمع الأمثال قال ما نصّه:

وفي بعض النسخ من كتاب أفعل: كان هذا الرجل عبد الله بن فَضَالة (المحفوظ أن اسم هذا الشاعر عبد الله ابن الزبير بفتح الزاي وكسر الباء) الأسدي، ولما انصرف من عنده قال:

أَرَى الحاجاتِ عندَ أبي خُبَيْبٍ نَكِدْنَ، ولا أُمَيَّةَ بالبِلاَدِ
وَمَالِي حينَ أَقْطَعُ ذاتَ عِرْقٍ إِلَى ابْنِ الكَاهِلِيَّةِ من مَعَادِ

في أبيات.

وهي في الأغاني ١٢ : ٩١ أكثر من ذلك مع تفصيل أكثر عن قائلها، وهو عبد الله بن فضالة بن شريك الأسدي أسد خزيمة، وليس عبد الله بن الزبير كما ورد في مجمع الأمثال بين القوسين هنا.

الخليفة لكانوا يعسرون[1499]، وكان مع هذا يأكل في «كلّ»[1500] سبعة أيام أكلةً، ويقول في خطبته: إنما بطني شبرٌ في شبر، وما عسى يكفيني، فقال فيه الشاعر:[1501]

[1499] في البرنستنية والطهرانية: "لكانوا يعشرونه"، وفي الروسية: "لكانوا يفسرونه!"، وفي مجمع الأمثال: "لما كانوا يعشرونه"، وهي جيدة، ولكن ما في الأصل أجود.

[1500] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية والطهرانية.

[1501] ذكر الميداني في مجمع الأمثال (ط. دار المعرفة؛ ـ بيروت دت ـ ج١: ١١١) هذه القصص عن ابن الزبير بالرواية نفسها عن أبي عبيدة، وذكر أيضاً هذين البيتين ناسباً إياهما لهذا الشاعر المجهول، ويبدو أن شارح الديوان المقربي قد نقل ذلك عن الميداني، ولكن هنا بعض إشكال، فالبيتان من قصيدتين لشاعرين مختلفين، فالبيت الأول منهما لأبي حمزة مولى آل الزبير، انظر شرح نهج البلاغة، حيث ذكر بيتاً آخراً قرنه معه هناك، وهو قوله:

ما زلت في سورة الأعراف تدرسها
حتى فؤادي مثل الخزِّ في اللينِ

وأما البيت الثاني:

فإن تصبك من الأيام جائحةٌ
لم نبك منك على دنياً ولا دينِ

فهو منسوب لذي الإصبع العدواني، انظر ديوانه، وكذلك الأغاني في أخباره.

لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد أفـضلت فـضلاً كـثيراً للمـساكين
فـإن تـصبك مـن الأيـام جائحـةٌ لم نبك منـك علـى دنيـاً ولا ديـن

أَوْ ذَاقَهَـــاْ المَنْـــزُوْفُ ضَـــرْطاً لَمَـــاْ

هَاْبَ ابْنَ ذِيْ الجَـدَّيْنِ يَـوْمَ الزِّحَـاْمْ[1502]

المنزوف ضرطاً رجل من العرب يضرب به المثل في الجبن، فيقال: (أجبن من المنزوف ضرطاً)، وكان من حديثه أن نسوة من العرب لم يكن لهن رجل، فزوجن إحداهن رجلاً[1503] كان ينام الضحى، فإذا نبهنه لصبوحه قلن له قم فاصطبح، فيقول لهنّ: لو لعاديةٍ نبهتُنّي أي لخيل مغيرة عليكن فأدفعها عنكن، فلما رأين منه ذلك قال بعضهن إن صاحبنا لشجاع، فتعالين لنجرّبه، فأتينه كما كنّ يأتينه فأيقظنه، فقال: « كعادته لو لـ »[1504] عادية نبهتنّي، فقلن: هذه الخيل تضرب بنواصيها، فجعل يضرط ويقول: الخيل الخيل حتى مات.

[1502] أختصر الشرح الآتي لهذا البيت في الطبعة الهندية إلى سطر ونصف.

[1503] في الروسية: "فتزوجت إحداهن برجل".

[1504] ما بين القوسين من الروسية والبرنستنية.

وقيل في حديثه غير هذا، زعموا[١٥٠٥] أنَّ رجلين خرجا في فلاة فلاحت لهما شجرة، فقال واحدٌ منهما لرفيقه: أرى قوماً قد رصدونا، فقال: إنما هي عشَرَة[١٥٠٦]، فقال: وما « غِنا »[١٥٠٧] اثنين بين عَشَرَة، وجعل يضرط حتى مات.

ويقال فيه وجه آخر[١٥٠٨]، زعم أبو عبيدة أن أصل هذا المثل « أنّ »[١٥٠٩] دختنوس بنت لقيط بن زرارة بن عدس كانت تحت عمرو بن عمرو بن عدس، وكان شيخاً أبرصاً، فوضع ذات يوم رأسه في حجرها وأغفى، فسال لعابه فانتبه فألفى دختنوس تتأفف « أي »[١٥١٠] تقول: أف أف، فقال: أيسرك أنْ أفارقك؟ قالت: نعم، فطلقها، فنكحت فتىً ذا جمال وشباب من بني زرارة، ثمّ إنّ بكر بن وائل أغارت على بني دارم، فنبهت دختنوس زوجها من

[١٥٠٥] كانت في الأصل: " وزعم " والتصحيح من البرنستنية والروسية.

[١٥٠٦] اي واحدة الشجر المعروف بالعُشَر؛ انظر (الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب – باب الهمزة مع الجيم).

[١٥٠٧] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية.

[١٥٠٨] في الروسية: "وجه ثالث".

[١٥٠٩] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية.

[١٥١٠] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية.

النوم، وقالت: الغارة، فجعل يضرط و« هو »[1511] يقول الغارة الغارة حتى مات، وأخذوا دختنوس سبيّة، فأدركهم الحي وعمرو بن عمرو في سرعان من الخيل فدفعهم عن دختنوس بعد أن قتل فيهم، ورجع بها أمامه وهو يقول:

أي حليليك وجدت خيرا؟ أألعظيم فيشةً وأيرا؟

أم الذي يأتي العدو سيرا؟

وردها إلى أهلها.[1512]

وابن ذي الجدين « يعني »[1513] بسطام بن قيس « بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني »[1514] فارس العرب الموصوف وشجاعها المعروف.[1515]

[1511] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية.

[1512] توجد رواية رابعة لسبب ضرب هذا المثل، ولكنّ الشارح أعرض عنها لأنها تتعلق بقبيلته عبد القيس، فلم يذكرها هنا، وهذه الرواية توجد في كتابي: (جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، ومجمع الأمثال للميداني؛ في قصة المثل: أجبن من المنزوف ضرطاً).

[1513] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية والطهرانية.

[1514] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية والطهرانية، ولكن في الأخيرة ورد نسبه: "الشيناني!"، وهو تصحيف.

[1515] في الروسية والطهرانية اكتفى بالقول: "فارس العرب المذكور" فقط.

وَحَـــرِّكِ الأَوْتَـــارَ وَاذْكُـــرْ لَنَـــا

أَيَّامَنَـــا الغُـــرَّ بِـــدَارِ الـــسَّلاَمْ

وَتِلْكُـــمُ الغِـــزْلاَنُ بَـــيْنَ المَهَـــا

تَمْـــشِي إِلَـــى الـــشَّطِّ فِئَامًـــا فِئَـــامْ

الأوتار: أوتار العود، ودار السلام يعني بغداد، وهي مدينة السلام[١٥١٦]، والغزلان: أولاد الظباء، والغزال: ولد الظبية حين يشد ويتحرك، وجمعه غزلة وغزلان مثل غلمةٌ وغلمان، والمها: بقر الوحش، ويكني بذلك عن الغلمان والجواري[١٥١٧]، والشطّ: شطّ دجلة، والفئام: الجماعة.[١٥١٨]

مِـــنْ كُـــلِّ أَظْمَـــى[١٥١٩] فَـــاتِرٍ طَرْفُـــهُ

تُـــرْوَى بِمَـــرْآهُ القُلُـــوبُ الحِيَـــامْ

[١٥١٦] جاء في الروسية هنا: "وأراد مدينة السلام، فلم يستقم له، فقال: دار السلام"

[١٥١٧] ولكن ورد في الروسية: "والغزلان والمها كناية عن الجواري والنساء"، وهو أليق بمراد الشاعر.

[١٥١٨] في البرنستنية: " الفئام المراد به الجماعة الكثيرة."

[١٥١٩] في الروسية: "ظبي" بدلاً من: "أظمى".

طرف فاتر إذا كان فيه انكسار للحياء لا للضعف، وشفة ظمياء إذا كان فيها سُمرة وذبول، ولثة ظمياء أي قليلة الدم، وعين ظمياء: رقيقة الجفن، ورمح أظمى: أسمر، والحائم: العطشان.

وَغَنّـــنَا بـــالزِّيْرِ صَـــوْتاً وَقُـــلْ
(المَـوْتُ أحْلَـى مِـنْ سُـؤَالِ اللِئَـامْ)

أرَىٰ المَعَـــالِيْ تَقْتَـــضِيْ عَزْمَتِـــيْ
تَعَـــسُّفَ البيْـــدِ وَخَـــوْضَ الطَّـــوَامْ

الزير: الوتر الدقيق، والتعسف والاعتساف والعسف واحد، وهو الأخذ على غير الطريق، والبيد: المفاوز، والطوامي: البحار «المِلاء».[١٥٢٠]

بِكُـــلِّ مَطْلِـــيِّ المِلاَطَـــيْنِ لَـــمْ
يَجْـرَبْ وَلَـمْ يَـرْعَ بِمَرْعَـىٰ الـسَّوَامْ

الملاطان: الجانبان، والسوام: المال الراعي، وأسمت المال: أرسلته في المرعى.

[١٥٢٠] ما بين القوسين من البرنستنية.

يعني بذلك المركب « من مراكب البحر »[1521].

تَسُوْقُهُ الرِّيْحُ وَيَجْتَثُّهُ الـ

ـجَلُّ، وَفِيْ الوَجْعَاءِ مِنْهُ الزِّمَامْ

الجَلّ: « شراع السفينة بفتح الجيم »[1522]، والوجعاء: العجز، والوجعاء: الإست، قال الشاعر:[1523]

يوم من النثرة أو فدعائها تخرج روح العنز من وجعائها

يعني الذراع، والزمام هاهنا حبل سكان المركب.

لا يَعْرِفُ الإِعْيَاءَ فِيْ سَيْرِهِ

وَلا يُبَالِيْ أَمَضَى أَمْ أَقَامْ

وَقَدْ تَسَاوَىْ عِنْدَهُ فِيْ المَدَىْ

يَوْمٌ وَأُسْبُوْعٌ وَشَهْرٌ وَعَامْ

[1521] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية والطهرانية.

[1522] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية والطهرانية، وكان مكانه في الرضوية الأصل: "الجلّ: الشراع" فقط.

[1523] هو في اللسان غير معرّف أيضاً، انظر مادة (ف د ع).

إِذَا يَمَسُّ الأَرْضَ فِي جَرْيِهِ

خِيفَ عَلَى رَاكِبِهِ الإِصْطِلامْ

الاصطلام: الاستئصال، واصطلمه: استأصله، يعني أن المركب إذا مسّ الأرض في جريه كان أقرب إلى الانكسار من السلامة.

أَوْ كُلِّ رَوْعَاءَ غُرَيْرِيَّةٍ

تَزِفُّ بِالرَّحْلِ زَفِيفَ النَّعَامْ

الروعاء من الإبل[١٥٢٤] الحديدة الفؤاد، وكذلك الأنثى من الخيل، ولا يوصف به الذكر، وبنو غرير قبيلة من العرب تنسب إليهم هذه الإبل[١٥٢٥]، والزفيف: السرعة،

[١٥٢٤] في الروسية: "من النوق .. ا لخ".

[١٥٢٥] هكذا ورد في الرضوية الأصل، والروسية، وفي البرنستنية: " تنسب إليهم كرام الإبل."، ولكن ذكر في اللسان أنها منسوبة إلى فحل من الإبل يقال له غُرَيْر. انظر مادة (غ ر ر)، وإن كان ذكر عن ذي الرمة أنه جعل الغرير وشدقم اسمين لقبيلتين في قوله:

حراجيج مما ذمّرت في نتاجها

بناحية الشحر الغرير وشدقم

وزفت النعامة: أسرعت، وزفّ القوم: أسرعوا في مشيهم، ومنه قول الله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾.[1526]

يَـــصْحَبُهَا أَجْـــرَدُ عَـــرْدُ النَّـــسَا

قَـــصِيْرُ الارْسَـــاغِ[1527] طَوِيْـــلُ الحِـــزَامْ

الأجـرد: قـصير الـشعر، والنَّسا: عـرق في الفخـذ، والعرد: الطويل، والنّسا يحمد طوله في الفرس، ويحمد في الفرس أيضاً قصر الأرساغ، وطول الحزام لأن طول الحزام يدل على عرض الجنبين[1528]، « وهو محمود أيضاً »[1529].

كَيْمَـــا أُلاَقِـــيْ مَلِكَـــاً عِنْـــدَهُ

لِمَاْجِـــدِ الأَحْـــسَاْبِ مِثْلِـــيْ مَقَـــاْمْ

مُطَهَّـــرَ الأَخْـــلاَقِ تَـــسْمُوْا بِـــهِ

إِلَـــىْ المَعَـــاْلِيْ هِمَـــمٌ لاْ تُـــرَاْمْ

[1526] الصافات:٩٤

[1527] حتى يصح الوزن يجب قراءة هذه الكلمة هكذا: "لَرْسَاْغ".

[1528] في الروسية: "الجبين".

[1529] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية.

أَمْوَالُـــهُ مِـــنْ ضَـــيْمِهِ تَـــشْتَكِي

وَجَــــارُهُ فِــــي نَجْـــوَةٍ لاَ يُـــضَامْ

مَــنْ يَلْــقَ شَــمْسَ الــدِّيْنِ يَلْــقَ امْــرَأً

يَقْعُـــدُ وَالأَعْـــدَاءُ مِنْـــهُ قِيَـــامْ

« الضيم: الظلم، و »[1530] النجوة: ما ارتفع من الأرض.

يصفه بصغر العدو في عينه، وعظمته في قلب عدوه لشدة سطوته وعظم بأسه.[1531]

نَبَّـــهَ طُـــلاَّبَ النَّـــدَىْ جُـــوْدُهُ

إِلَيْـــهِ تَنْوِيْهَـــاً وَكَـــانُوْا نِيَـــامْ

التنويه: رفع الصوت بالمنادى، ونوهت باسم فلان إذا رفعت ذكره.

[1530] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية.

[1531] وفي الروسية: "يصفه باستصغاره للعدو، وقلة الكثر – كذا، والصحيح الاكتراث – به، وبعظم الهيبة في صدر عدوه".

لَــوْلاهُ لَــمْ يَعْــرِفْ بَنُــوْ عَــصْرِنَا

مِــنْ مَلِــكٍ شَــيْئاً سِــوَىْ الإنْتِقَــامْ

يُجَانِــبُ اللَّهْــوَ وَيَهْــوَىْ التُّقَــىْ

وَيَحْفَــظُ العَهْــدَ وَيَرْعَــىْ الــذِّمَامْ

اللهو هو اللعب، وقد يكنى باللهو أيضاً عن الجماع، والعهد: المودة، والذمام: الحرمة.

لَــمْ يَنْطِــقِ العَــوْرَاءَ فِــيْ مَجْلِــسٍ

يَوْمَــاً، وَلاْ أَصْــغَىْ لِــزُوْرِ الكَــلاْمْ

العوراء: الكلمة القبيحة، والإصغاء: الميل.

لاْ بَرْقُــهُ فِــيْ حَالَــةٍ خُلَّــبٌ

وَلاْ سَــحَابُ الجُــوْدِ مِنْــهُ جَهَــامْ

الخلّب: الذي لا يمطر، والجهام -بالفتح- السحاب الذي هريق ماؤه[1532] وأجفل، وقوله: "في حالةٍ" يقول إنه

[1532] في الروسية: "السحاب لا ماء فيه".

جواد على الشدة والرخاء.[١٥٣٣]

أَرْضَــىْ إِلَــهَ الخَلْــقِ فِــيْ خَلْقِــهِ
مُــذْ وَلِــيَ الأمْــرَ، وَأَرْضَــىْ الإِمَــامْ[١٥٣٤]

عَــــفٌّ فَمَــــا بَـــاْتَ أَخُــــوْ ثَــــرْوَةٍ
يُلْــصَقُ مِنْــهُ صَــــدْرُهُ بِالرَّغَــــامْ

عفّ من العفاف، والثروة: المال، والرغام: التراب، يصفه بالعدل ومجانبة الظلم لأن المظلوم يصير يستلذ بإلصاق صدره بالأرض[١٥٣٥] لما يجد من حرارة الظلم « في صدره »[١٥٣٦]، ويتقلب من شدة ما يجد من الأمر الذي «وقع ونزل به».[١٥٣٧]

[١٥٣٣] وفي الروسية: "في العسر واليسر".

[١٥٣٤] في الروسية: "الأنام"، ويبدو أنّ ما في الأصل أعلاه هي الأقرب لمراد الشاعر لأنه أراد بالإمام الخليفة الناصر العباسي.

[١٥٣٥] في الروسية: "يبيت يلصق صدره بالأرض".

[١٥٣٦] ما بين القوسين من الطبعة الهندية.

[١٥٣٧] ما بين القوسين من البرنستنية، وكانت في الأصل: " نزل " فقط، وفي الروسية: "من شدة ما يجد من الألم في قلبه".

كَـــمْ رَدَّ مِـــنْ حَـــالٍ مُخِيْـــفٍ وَقَـــدْ

صَـــارَ مِـــنَ الهَـــمِّ كَـــذَاْتِ الوِحَـــامْ

المخيف: الخائف، والهم: الحزن، والوِحام -بالكسر والفتح- شهوةٌ تحدث على المرأة على الحمل تغيرها وتهزلها وتمرضها وتضعف جسدها، وكذلك الوحم، وقد وحمت المرأة توحم وتيحم وتأحم فهي وحماء، فليس الوحام إلا في شهوة الحمل خاصة، وفي المثل: (وحماء ولا حمل).

إِذَاْ رَأَىْ مَـــــاْ نَـــــاْلَ إِخْوَاْنَـــــهُ

مِـــنَ البَلَاْيَـــاْ صَـــاْحَ صَـــمِّيْ صَـــمَاْمْ

يقال للداهية: صَمِّي صَمَام مثل قطام، أي زيدي، ويقال صمام أي تصامّوا في السكوت، والصماء:[١٥٣٨] الداهية.

وَظَـــلَّ مُنْكَبَّـــاً عَلَـــىْ وَجْهِـــهِ

وَذَاْبَ غَمَّـــاً وَتَمَنَّـــىْ الحِمَـــاْمْ

[١٥٣٨] كانت في الأصل: " الصّمي " والتصحيح من البرنستنية.

مُنْــذُ تَــوَلَّىٰ لَــمْ يَبِــتْ مُــسْلِمٌ

مِنْــهُ عَلَــىٰ نِعْمَتِــهِ ذَا اهْتِمَــامْ

رَاْشَ ذَوِيْ الفَقْــــرِ وَأَحْيَـــــاهُمُ

وَاحْتَــرَمَ المُثْــرِيْنَ أَيَّ احْتِــرَامْ

الحمـام: قـدر المـوت، وراشـه إذا أصـلح حالـه، والمثـرون: الأغنيـاء، واحتـرامهم: إجلالهـم وتـرك أذاهـم وظلمهم، والاحترام: مراعاة الحرمة، والحرمة ما لا يحل انتهاكه، وكذلك المحرَمة -بفتح الراء وضمها- والمثري: ذو المال الكثير.

وَغَيْــــرُهُ لَمَّـــاْ تَـــوَلاَّهُمُ

لَـمْ يُبْـقِ تَحْـتَ الجِلْـدِ غَيْـرَ العِظَـامْ

بِالــضَّرْبِ وَالــصَّلْبِ وَحَلْــقِ اللِحَــىْ

وَقَلْــعِ الاظْفَــارِ[١٥٣٩] وَشَــمِّ الإِيَــامْ

[١٥٣٩] حتى يـصح الـوزن؛ يجـب قـراءة هـذه الكلمـة هكـذا: "لَظْفَاْرِ".

لَــمْ يَــرْثِ لِلــشَّيْخِ حَيَــاءً مِــنَ الــ

ــشَّيْبِ وَلَــمْ يَــرْحَمْ شَــبَابَ الغُــلَامْ

وَكَــــمْ حَــــصَانٍ أبــــرِزَتْ جَهْــــرَةً

تُــــسَاقُ لِلْجَلْــدِ بغَيْــــرِ احْتِــــشَامْ

الضرب والصلب وحلق اللحى وقلع الأظفار كله معروف، والإيام: الدخان، وآمَ ألرجل إياماً إذا دخن على النحل ليخرج من الخلية فيأخذ ما فيها من العسل، قال أبو ذؤيب:

فلمــا جلاهــا بالأيــام تحيّــرت تبــابٍ عليهــا ذلهــا واكتئابهــا

وكل ذلك مما تفعل الولاة الظلمة بالعراق ليستخرجوا به الأموال من أهلها بغير حق،[١٥٤٠] فما تخرج إلا بأنواع العذاب.

ورثى له أي رقّ، « والحَصَان والحَاصِن العفيفة »[١٥٤١]؛ يقال امرأة حصان وحاصن وحصناء بينة الحصانة أي عفيفة والاحتشام: الاستحياء.

[١٥٤٠] في الروسية: "وكل هذا من فعل الولاة الظلمة لاستخراج أموال المسلمين"، فجعلها عامة ولم يخصص العراق.

[١٥٤١] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية.

وَمَــــا أَتَــــتْ فَاحِــــشَةٌ تَقْتَــــضِيْ

حَــــدًّا وَلا تُوْجِــبُ سَــلْبَ الخِــدَامْ

لا تَــدْعُ شَــمْسَ الــدِّيْنِ يَــا ذَا الحِجَــا

مُخَاطِبَــــا إِلاّ غِيَــــاثَ الأَنَــــامْ

فَــــإِنَّ هَــــذَا اسْــــمٌ بِــــهِ لائِــــقٌ

لا بِالمَــــشَائِيْمِ الطَّغَــــامِ الِلئَــــامْ

يعني بالفاحشة الزنا، والحد: العقوبة، والخِدام «جمع خدمة، وهي»[1542] حلق الحلي، ولاق به الشيء يليق به «أي ألصق»[1543]، وهذا الأمر لا يليق بفلان أي لا يعلق به، والمشؤوم: الأنكد، والشؤم نقيض اليمن، يقال: مشؤوم ومشوم، وقوم مشائيم، والأشائم نقيض الأيامن، يقال: ما أشأم فلاناً، وقد تشأموا به، واللئيم: الدنيء الأصل الشحيح النفس، والطغام: أوغاد الناس الواحد والجمع

[1542] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية.

[1543] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية.

«فيه»[1544] سواء.

يَـــا أَيُّهَـــا الْبَـــصْرَةُ تِيْهِـــيْ بِـــهِ
فَإِنَّـــهُ الْمَلْـــكُ الأَغَـــرُّ الْهُمَـــامْ

وَإِنَّـــهُ أَوْحَـــدُ هَـــذَا الْـــوَرَى
حِلْمَـــاً وَعِلْمَـــاً وَنَـــدَىً وَاعْتِـــزَامْ

بَـــثَّ بِهَـــا الأَمْـــنَ وَرَدَّ الْمُنَـــى
غَـــضَّاً وَكَانَـــا آذَنَـــا بِانْـــصِرَامْ

بثّ أي نشر وفرّق، وآذن بالشيء إذا علم به، وآذن وتأذن بمعنى، والانصرام: الانقطاع.

وَلَـــمْ يُـــصَعِّرْ خَـــدَّهُ مُعْرِضَـــاً
كِبْـــرَاً وَلَـــمْ يَفْـــضُضْ لِجَـــوْرٍ خِتَـــامْ

صعّر خده: أماله، كبراً، والفض: الكسر بتفرقة، والختام: الطين الذي يختم به، وهذا مثل.

[1544] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية.

يَـــا بَاشُــجَاعٍ يَـــا ثِمَــالَ الــوَرَى

يَـــا طَـــاهِرًا مِـــنْ كُـــلِّ ذَمٍّ وَذَامْ

الثمال بالكسر الغياث، وبالضم: السمّ المنقّع، والذم نقيض المدح، والذام والذان: العيب.

يَـــا شِــبْهَ ذِيْ القَــرْنَيْنِ مَـــنْ رَهْطُـــهُ

الغُــرُّ بَنُــوْ العِــيْصِ المُلُــوْكُ الكِــرَامْ

ذو القرنين هو الإسكندر اليوناني عليه السلام واليونان « رهط الممدوح »[1545] من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

كَأَنَّمَـــا البَـــصْرَةُ مُـــذْ جُزْتَهَـــا[1546]

أَشْــلاءُ غُمْــدٍ سُــلَّ مِنْــهُ الحُــسَامْ

جـزت الـشيء: تعديتـه إلى ورائـه، والغمـد: غمـد الـسيف، وهـو قرابـه، وأشـلاؤه: سيوره وخلله، وأشـلاء

[1545] ما بين القوسين؛ إضافة من الروسية والطهرانية.

[1546] وفي الروسـية: "إذ حزتهـا"، ولا أراه إلا تحريـف مـا هـو مثبت من الأصل أعلاه لأنه يتحدث عن رحيله عن البصرة إلى واسط كما جاء في مقدمة القصيدة.

الشيء بقاياه.

بُدِّلَتِ الوَحْشَةَ مِنْ أُنْسِهَا

وَأُلبِسَتْ بَعْدَ الضِيَاءِ الظَّلاَمْ

وَكُلُّ أَرْضٍ فَقَدَتْ شَمْسَهَا

غَشَّى الدُّجَى سَاحَاتِهَا وَالخِيَامْ

وَالآنَ إِذْ عُدْتَ إِلَيْهَا زَهَتْ

وَابْتَسَمَتْ لِلْبُشْرِ أَيَّ ابْتِسَامْ

الزهو: المنظر الحسن، والزهو: الفخر والكبر، والبشر: السرور.

فَلاَ خَلَتْ مِنْكَ الرَّعَايَا وَلاَ

زِلْتَ لِمُرْفَضِّ المَعَالِي نِظَامْ

المرفضّ: المتفرق، والنظام: السلك الذي ينظم فيه اللؤلؤ وغيره.

٩١. وقال وقد جلس إلى جماعة، وفيهم رجلٌ يشتكي وجعاً برأسه وحُمَّىْ مُطْبقةً عليه، فطلبوا إليه أن يكتب لذلك الرجل عُوْذَةً نافعة يكون يعلقها على نفسه ويتبرك بها فلعل الله أن يشفيه ببركة الأسماء التي فيها، وذلك الرجل ممن يُعْرف بالدُّعابة والمِزاح وخِفَّة الروح والمسخرة ومجالس اللهو والضحك، فعلم مقصودهم « في ذلك »[١٥٤٧] فقال: أيتوني بدواة وبيضاء، فأتوه بهما، فأخذ عنهم[١٥٤٨] ناحيةً وكتب هذه الأبيات، وطواها طيّ التعاويذ وشد إليها سلكاً ودفعها إليه، وأمره أن يشدها في عضده، فلما قبضها وأخذ يشدها إلى عضده قال بعض الجماعة لا بد أن نعرف ما في هذه العُوذَة لنحفظه وننفع[١٥٤٩] به الناس، وكأنهم فطنوا أن المكتوب ليس كما يظنه[١٥٥٠]، فحلّوا السلك ونشروا الرقعة فإذا المكتوب فيها « هذه الأبيات كما ظَنُّوا »:[١٥٥١]

[١٥٤٧] ما بين القوسين من البرنستنية.

[١٥٤٨] كانت في الأصل الرضوي والبرنستنية: "عنهما"، وما أثبتناه عن الطبعة الهندية، وهو الصحيح.

[١٥٤٩] في البرنستنية: " تنتفع."

[١٥٥٠] كذا وردت في الأصل، وحقها أن تكون: " يظنونه."

[١٥٥١] ما بين القوسين من البرنستنية.

ولم يأت من هذه المقدمة في الأحسائية سوى إلى قوله: "وحمى مطبقة عليه"، ولكن جاء بعدها هذه الجملة، وهي قوله: "وهذه الأبيات ما وجدت إلا في بعض النسخ"، فيبدو أنه كان ينقل عن

يَـــاْ مَاْلِـــكَ الخَيْـــرِ عَلَيْـــكَ الـــسَّلَاْمْ

أَتَـــاْكَ شَـــيْخٌ مِـــنْ أَضَـــلِّ الأَنَـــاْمْ

فَـــأَجِجِ النِّيْـــرَاْنَ وَافْـــتَحْ بِـــهِ

أَبوَاْبَهَـــاْ، وَاْنعِـــمْ لَـــهُ بالقِيَـــاْمْ

وَاْلقِـــهِ بِــــ (التَّـــاْبُوْتِ) مِـــنْ خَلْفِـــهِ

إبْلِـــيْسُ يَمْـــشِيْ حَاْفِيَـــاً فِـــيْ فِئَـــاْمْ

الفئام: الجماعة، والتابوت ذكروا ـ والله أعلم ـ أن بالدرك الأسفل من النار تابوتاً مُطبقاً على سبعة من العصاة سابعهم إبليس، والبقية من بني آدم، وهم أعظم خلق الله عنده ذنوباً، فإذا أراد الله سبحانه زيادة عذاب من في النار أمر الزبانية بكشف غطاء التابوت فيخرج منه ما ينسي أهل النار ما كانوا فيه من العذاب قبله لشدّته، والله أعلم.[١٥٥٢]

أكثر من نسخة، وفي الأزهرية: "وله يداعب رجلاً مسخرة شكا – كذا – وجعاً برأسه وحمى مطبقة".

[١٥٥٢] هذا الشّرح لم يرد في الطبعة الهندية.

وهذا التابوت هو الذي ورد عرَضاً في كلام ابن حجر في كتابه

وَقُـــدْ لَـــهُ يَخْتَـــارُ فِـــيْ جَوْفِـــهِ

بَيْتَـــــاً، وَزَيِّنْـــــهُ بِغَــــيْنٍ وَلاْمْ

لسان الميزان (ط. مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٩٧١م؛ ج١: ١٩٠) في ترجمة أحمد بن الطيّب السَّرخسي معلم الخليفة المعتضد العباسي، حيث ذكر هناك أنَّ هذا المعلّم هو الذي أشار على المعتضد بلعن معاوية على المنابر، وأنّه بَرَّر فعله ذلك بآية الشجَرة الملعونة في القرآن، وبالحديث المشهور المرفوع أنَّ معاوية في تابوت من نار في أسفل تابوت في أسفل درك منها ينادي يا حنّان يا منّان، فيجاب: الآن وقد عصيت قبلُ وكنت من المفسدين، وقدْ عَلَّق ابن حجر على ذلك بقوله: " قُلت: وهذا باطلٌ موضوعٌ ظاهر الوَضع إن لم يكن أحمد بن الطيِّب وضعه وإلاّ فغيرُه من الرَّوافض".

ويوجد حديث التابوت هذا في مرويات الشيعة كثيراً؛ حيث ذكر في كتبهم ككتاب شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي (ط. قم؛ ج٢: ٥٣٦)، والاحتجاج للطبرسي (ط. النجف الأشرف ١٩٦٦م؛ ج١: ١١٢) وبحار الأنوار للمجلسي (ط. مؤسسة الوفاء - بيروت ١٩٨٣م؛ ج٢٨: ٢٧٩)، ولم نجده في كتب الحديث المروية عن أهل السنَّة إلا ما ذكرنا قبل قليل من توهين ابن حجر له في كتابه لسان الميزان وقوله أنّه من وضع الروافض، فإذا كان كذلك، فهو إذاً دليل على تشيّع ابن المقرَّب لأنه يذكر التابوت في شعره مسلِّماً به كما هو الظاهر.

وَزُفَّــــهُ تَــــرْقُصُ مِــــنْ حَوْلــــهِ

عَقَـــارِبٌ كَالبُخْـــتِ أَوْ كَالنَّعَــــامْ

وَقُـــلْ لأَهْـــلِ النَّـــارْ حُفُّـــوْا بـــهِ

فَهْـــوَ لِمَـــنْ سَـــنَّ المَعَاصِـــيْ إمَـــامْ

الغــين والــلام: غــل، والبخــت مــن النــوق ذوات السنامين، ويعني بمن سن المعاصي إبليس لعنه الله.

حَتَّـــىْ إذَاْ أَكْمَـــلَ فِـــيْ قَعْرِهَـــاْ

مِـــنَ المَـــدَىْ - يَـــاْ مَالِكَـــاً - أَلْـــفَ عَـــامْ

فَـــأْمُرْ بـــهِ يُخْـــرَجُ لَـــوْ مُكْرَهَـــاً

مِنْهَـــاْ إِلَـــىْ الخُلْـــدِ وَدَاْرِ الـــسَّلاْمْ

فلما وقفوا على ذلك ضحكت الجماعة على ذلك الرجل ضحكاً كثيراً، وتعجبوا من حضور خاطره وحسن بداهته، وما بقي منهم من[1553] لم يحفظ تلك الأبيات

[1553] في البرنستنية: " أحد " بدلاً من " مَنْ ".

ويـداعب بهـا ذلـك الرجـل في كـل مجلـسٍ « يكـون »[1554] حاضره.[1555]

[1554] ما بين القوسين من البرنستنية.

[1555] هذا الكلام لم يرد في الطبعة الهندية.

٩٢. وقال أيضاً في غرضٍ له:

أَلاْ قُـــلْ لِمَـــنْ أَرْهَقَتْـــهُ الـــذُّنُو

بُ وَخَـاْفَ مِـنَ الـدَّهْرِ خَطْبَاً جَـسِيْمَاْ

عَلَيْـــكَ الهَدِيَّـــةَ إِنِّـــيْ رَأَيْـــ

ـــتُ لَهَـاْ عِنْـدَنَاْ اليَـوْمَ شَـأْنَاً عَظِيْمَـاْ

الهدية: الرشوة، وذلك أنها كانت «قد»[1556] فَشَتْ في البحرين، ولم يعد أحد يحتشم عنها حتى صارت عادةً جارية «عندهم»[1557].

تُجِيْـــزُ لِـــذِيْ الحُمْـــقِ أَنَّـــىْ أَرَاْ

دَ حَمَاْقَتَـــهُ وَتُعِـــزُّ اللَّئِيْمَـــاْ

وَتُبْـــرِيْ الـــسَّخَاْئِمَ حَتَّـــىْ تُرِيْـــ

ـــكَ أَعْـدَىْ عَـدُوٍّ وَلِيَّاً حَمِيْمَـاْ

[1556] ما بين القوسين من البرنستنية.

[1557] ما بين القوسين من البرنستنية.

وَأَيْسَرُ شَيْءٍ تُحِلُّ العُقُوْدَ

وَيُصْبِحُ مُهْدِيْهِ مُوْسَى الكَلِيْمَا

فَبالشَّاةِ يَصْفَعُ زَيْدُ أخَا

هُ فِي مِصْرِنَا، وَيُفَرِّيْ الأدِيْمَا

وَيُضْحِيْ الَّذِيْ أَنْفُهُ فِيْ التُّخُوْمِ

يُطَاوِلُ مَنْ يَتَمَطَّى النُّجُوْمَا

فَكَمْ مِنْ بُطَيْطِيْخَةٍ بَرَّدَتْ

لَوَافِحَ مِنْ قَبْلُ كَانَتْ سَمُوْمَا

وَكَمْ جُلَّةٍ[1558] عَمَّرَتْ مَنْزِلاً

وَأبقَتْ مَنَازِلَ قَوْمٍ رُسُوْمَا

[1558] الجُلّة وينطقها أهالي المنطقة اليوم " الجَلَّة " ينطقون الجيم كما ينطقها المصريون، وهي وعاء يصنع من خوص النخل يوضع فيه التمر، وهي الجلال البحرانية الشهيرة.

فَــــلاْ تَحْقِـــرَنَّ قَلِيْـــلَ الهَـــدَاْ

يَــاْ فَــرِيْحُ الــدَّوَاْءِ يَخِــيْطُ الكُلُوْمَــاْ